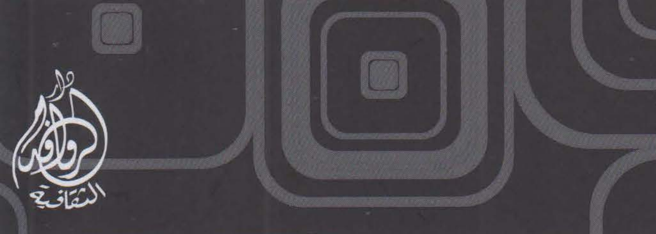




إشراف وتحرير

الدكتور نسيم بلهول

الدِّين، الدم والبارود

في التوظيف الاستخباراتي

للجماعات الإسلامية المسلحة في الشرق الأوسط

مجموعة مؤلفين

تقديم

اللواء إبراهيم غارييف



ابن النديم للنشر والتوزيع
دار الروافد الثقافية - ناشرون

الدِّين، الدم والبارود

في التوظيف الاستخباراتي

للجماعات الإسلامية المسلحة

في الشرق الأوسط

ابن النديم للنشر والتوزيع — دار الروافد الثقافية - ناشرون

إشراف وتحرير

الدكتور نسيم بلهول

الدِّين، الدم والبارود

في التوظيف الاستخباراتي

للجماعات الإسلامية المسلحة في الشرق الأوسط

مجموعة مؤلفين

تقديم

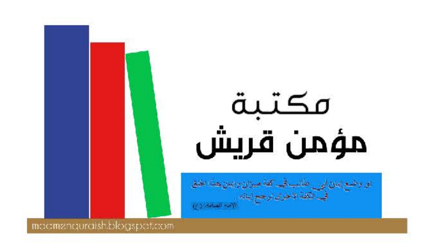
اللواء إبراهيم غارييف

رئيس مركز تحليل المعطيات الأمنية ومكافحة الإرهاب
بجمهورية داغستان





الدّين، الدم والبارود: في التوظيف الاستخباراتي للجماعات الإسلامية المسلحة في الشرق الأوسط



تأليف: مجموعة مؤلفين

الطبعة الأولى، 2017

عدد الصفحات: 542

القياس: 17 × 24

الترقيم الدولي ISBN: 978-9931-599-16-6

الإيداع القانوني: السداسي الثاني/ 2016

ابن النديم للنشر والتوزيع

الجزائر: حي 180 مسكن عمارة 3 محل رقم 1، المحمدية
خلـــوي: 03 76 20 661 213+

وهـــران: 51 شارع بلعيد قويدر
ص.ب. 357 السانيا زرباني محمد
تلفاكس: 88 97 35 41 213+
خلـــوي: 03 76 20 661 213+
Email: nadimedition@yahoo.fr

دار الروافد الثقافية ـ ناشرون

خلوي: 28 28 69 3 961+
هاتف: 37 04 74 1 961+
ص. ب.: 113/6058
الحمـراء، بيروت-لبنان
Email: rw.culture@yahoo.com

المحتويات

تقديم
عمليات خداع عقول الشعوب

بقلم اللواء إبراهيم غارييف

كشفت مسؤولة المخابرات الأميركية فرانسيس ستونور ساوندرز النقاب عن مسؤولية هذه المخابرات في تأسيس منظمة الثقافة الحرة. وربما أتى هذا الكشف منسجماً مع مبدأ إخراج الوثائق التي يمر عليها 30 عاماً توضع بعدها في تناول الجمهور. وجاء هذا الكشف عبر كتاب لساوندرز حمل عنوان "المخابرات في سوق الثقافة - من يدفع للمزمرين؟". في هذا الكتاب تكشف المؤلفة دور المخابرات الأميركية في اختراق الأوساط الثقافية العالمية وتجنيدها لخدمة هذه المخابرات بصورة مواربة وغير مباشرة. وهي تورد قائمة طويلة من الأسماء المعروفة في عالم الثقافة في أنحاء العالم بمن فيهم المثقفون العرب الذين تعاملوا مع هذه المنظمة. التي راحت تنشئ الفروع ومن ثم فروع الفروع. حتى أمكن الاستغناء عن المنظمة الأم والاعتماد على تفرعاتها السرطانية. وهذه المؤسسات تجد تربة خصبة في الدول الفقيرة التي لا تخصص ميزانيات كافية للثقافة وللبحوث العلمية والدراسات. الأمر الذي يسهل تغلغلها في أوساط مثقفي وباحثي تلك الدول.

تدس هذه المؤسسات أنفها في مواضيع ذات طابع ثقافي-اجتماعي يعتبر من أسرار المخدع. التي لا يجوز لغريب الاطلاع عليها.

ضمن هذه الفئات تنشط شخصيات ثقافية وعلمية وهيئات عربية لتتفنن في لي عنق الحقيقة لتلائم نتائجها مع النتائج الموضوعة لها مسبقاً. ولعله من الملفت أن أياً من الدراسات المشبوهة التمويل لا تخالف هذه النتائج المعلبة. في حين تخالفها غالبية غير الممولة من الدراسات. وهذا ما يغذي الشكوك ببراءة هذه المؤسسات والعاملين معها. خاصة وأننا لا نزال نشهد بروزاً مفاجئاً لشخصيات تتحول إلى الشهرة بسحر ساحر بما يعيد طرح السؤال: "من يدفع للمزمرين؟" ومن يسوق هؤلاء ويزمر لهم؟.

غالبية هؤلاء أصبحوا مدركين للعبة واعين لأخطارها لكنهم يستمرون فيها لمكاسب فردية. في حين تقول ساوندرز أن برتراند راسل استقال من رئاسة المنظمة عندما تأكد من خلفيتها المشبوهة.

في المقابل برزت على الساحة الثقافية فئة من المثقفين الرافضين لهذا النوع من الجاسوسية. وطرح هؤلاء شعار يصف المتعاونين مع المؤسسات المشبوهة بأنهم "عملاء لكن جواسيس!". والواقع أن مجمل هؤلاء مرشح للانضمام إلى قائمة عرب يكرهون أنفسهم.

ووصل تبني هذه الشخصيات المشبوهة إلى حدود التبني الرسمي. على غرار ما حصل من ضغوط أميركية على مصر وتهديدها بوقف المعونات الأميركية عنها إن هي أصرت على تنفيذ الحكم بالعميل سعد الدين إبراهيم. الذي لم تبق لديه بقية من حياء كي يرفض معاقبة نصف العرب بسببه.

جون بيركنز احد عملاء الاستخبارات الأمريكية جندته وكالة الأمن القومي الأمريكية، وعمل معها تحت غطاء عمله في شركة استشارية دولية، وأتاح له عمله في هذه الشركة أن يجوب العالم، فزار اندونيسيا وبنما والإكوادور وكولومبيا والعربية السعودية وإيران وغيرها من الدول المهمة على الصعيد الاستراتيجي.وكانت مهمته تطبيق السياسات التي تخدم مصالح تحالف أمريكي يضم الحكومة والمصارف والشركات الكبرى، وفي الوقت ذاته تعمل على تسكين الفقر بإجراءات ظاهرية ساعد في تطبيق خطة سرية

تجعل مليارات الدولارات التي تجنيها بعض الدول النفطية، تعود لتصب في الخزينة الأمريكية.

عمل من سنة 1971 إلى 1981 لدى شركة استشارات دولية هي شركة "تشارلس. تي. مين"، حيث احتل منصب كبير الاقتصاديين ومدير الاقتصاد والتخطيط الإقليمي، ولكنه كان في الواقع سفاحاً اقتصاديا. وقد استمر في مهمته السرية تلك تحت غطاء عمله في الشركة المذكورة، حتى وقوع أحداث 11 سبتمبر 2001 حيث أقنعته هذه الأحداث بضرورة الكشف عن هذا الجانب الخفي من حياته.

يعرّف جون بيركنز السفاحين الاقتصاديين، بأنهم «خبراء محترفون يتقاضون رواتب عالية جداً، ويمارسون خديعة الدول في أنحاء العالم وابتزاز تريليونات الدولارات منها. وهم يغدقون الأموال من البنك الدولي ووكالة التنمية الدولية الأمريكية وغيرهما من منظمات "العون" الخارجي، على خزائن الشركات الضخمة، وجيوب حفنة من العائلات الثرية التي تسيطر على الموارد الطبيعية في كوكب الأرض. وتشتمل أدواتهم على التقارير المالية المضللة، والانتخابات المزورة، وتقديم الأموال، والابتزاز، والجنس، والقتل. وهم يمارسون لعبة قديمة قدم الإمبراطورية، ولكنها اكتسبت أبعاداً جديدة مخيفة خلال هذه الفترة من العولمة».

وعن آلية اختبار هؤلاء السفاحين الاقتصاديين وعملية تجنيدهم، وتأهيلهم للمهمات التي سيقومون بها في العالم. يقول بيركنز في سرده لتجربته الشخصية: كان ذلك في أواخر ستينات القرن الماضي، وفي سنة 1968 بالتحديد. كنت طالباً في كلية الأعمال، وقد تم تجنيدي من قبل وكالة الأمن القومي. وقد أدخلوني سلسلة من الاختبارات، اختبارات للشخصية واختبارات لكشف الكذب، ووابل غزير من الاختبارات الحساسة الأخرى. وخلال تلك العملية اكتشفوا أنني مرشح ممتاز لأن أكون سفاحاً اقتصادياً لامعاً. كما اكتشفوا عدداً من نقاط الضعف في شخصيتي. واعتقد أن لدي بعض نقاط الضعف النمطية في ثقافتنا الأمريكية العامة، فالأوبئة

الثلاثة الكبرى في ثقافتنا هي: المال، والسلطة، والجنس. وقد اكتشفوا أن نقاط الضعف هذه متوفرة لدي... ثم شجعوني على الانضمام لفيلق السلام. وعشت في الإكوادور ثلاث سنوات بصفة متطوّع لفيلق السلام، مع المواطنين المحليين هناك، الذين يخوضون الآن حرباً مع شركات النفط. كنا يومئذ في بداية تلك العملية ولذلك نلت قسطاً جيداً من التدريب أثناء العمل.

وبينما كنت ما أزال في الإكوادور في فيلق السلام، جاء نائب رئيس شركة الاستشارات الخاصة هذه في بوسطن، التي كانت تعمل بتنسيق وثيق مع وكالة الأمن القومي وغيرها من أجهزة الاستخبارات، جاء إلى الإكوادور وواصل عملية تجنيدي. وعندما خرجت من فيلق السلام جندني. ذهبت للعمل لدى شركته "تشارلس تي. مين" في بوسطن، ودخلت برنامج تدريب مكثفاً مع امرأة بارزة، كان اسمها كلودين. وكانت في غاية الذكاء والدقة، والقدرة على الإغواء. وقد أوقعتني في حبائلها. وكانت تعرف تماماً كيف توقعني. وقد أفادت من جميع الاختبارات التي أجريت علي، وعرفت نقاط ضعفي. نجحت في مهمتها، واجتذبتني قبل كل شيء لأن أصبح سفاحاً اقتصادياً، وفي الوقت ذاته نبهتني إلى أن هذا العمل قذر جداً، وانه يجب عليّ أن التزم به تماماً، وإلا فلن أحظى بأول تعيين لي في اندونيسيا.

ويشرح جون بيركنز طبيعة المهمة المخيفة التي ينفذها هؤلاء السفاحون الاقتصاديون في العالم، فيقول: لقد أنشأنا نحن السفاحين الاقتصاديين، على مدى 30-40 سنة مضت أضخم إمبراطورية كونية في تاريخ العالم. وهنالك عدة طرق لفعل ذلك. ولكن الطريقة المثلى تتلخص في أننا نحدد إحدى دول العالم الثالث، التي تتمتع بامتلاك مصادر طبيعية نشتهيها. وفي هذا الأيام غالباً ما تكون هذه المصادر هي النفط، على كل حال، نذهب إلى تلك الدولة من دول العالم الثالث، ونرتب لها قرضاً ضخماً من أوساط الإقراض الدولي، وفي العادة يتولى البنك الدولي قيادة هذه العملية. وهكذا، دعنا نقلْ إننا نمنح هذه الدولة قرضاً بقيمة مليار دولار. وأحد شروط إعطاء ذلك القرض، أن غالبيته، أي ما يقارب 90%

منه يعود إلى الولايات المتحدة، إلى إحدى شركاتنا الكبرى، التي سمعنا بها جميعاً مؤخراً، مثل بكتل وهاليبرتون. وتبني تلك الشركات في تلك الدولة من دول العالم الثالث محطات طاقة ضخمة، وطرقاً عريضة سريعة، وموانئ، ومجمعات صناعية - ومشروعات بنية تحتية ضخمة تخدم في الأساس الأثرياء جداً في تلك الدول. ويعاني الفقراء ولا يستفيدون من تلك القروض، ولا يستفيدون من تلك المشاريع. وفي حقيقة الأمر، غالباً ما يجري تقليص الخدمات الاجتماعية بشدة في عملية تسديد القرض، وما يحدث كذلك إن هذه الدولة من دول العالم الثالث تصبح رازحة تحت عبء دين ضخم لا يُحتمل أن تقدر على تسديده. ومن الأمثلة على ذلك، الإكوادور في الوقت الحاضر، فالدين الخارجي في الإكوادور، نتيجة لممارسة السفاحين الاقتصاديين، يعادل نحو 50% من دخلها القومي. ولا يُتوقع أن تقدر على تسديد ذلك الدين، شأنها شأن العديد من دول العالم الثالث. ولذلك نعود إلى تلك الدول عندئذ ونقول للمسؤولين فيها: انظروا، لقد اقترضتم كل هذه الأموال منا، وانتم مدينون لنا بها، ولا تستطيعون تسديد ديونكم، ولذلك أعطوا نفطكم لشركات نفطنا بسعر رخيص جداً. وفي حالة العديد من هذه الدول، والإكوادور خير مثال على ذلك، يعني ذلك تدمير غابات المطر هناك، وتدمير ثقافاتهم المحلية. هذا ما نفعله الآن في أنحاء العالم، وهذا ما ظللنا نفعله طوال الوقت. وقد بدأ بعد نهاية الحرب العالمية الثانية بقليل. وظل يتراكم مع الزمن حتى اليوم حيث بلغ أبعاداً خيالية في ضخامتها، وحيث نسيطر على معظم الموارد الطبيعية في العالم.

إن ما لدينا هنا، هو إمبراطورية عالمية يسيطر عليها نفر قليل من الرجال الذين أطلق عليهم اسم "كوربوراتوكراسي"، وهؤلاء هم رؤساء الشركات الكبرى، والمصارف الكبرى، والحكومة، وكثيراً ما يجمع الواحد منهم بين الصفات الثلاث. وهم يقفزون من فئة إلى أخرى من هذه الفئات، وروبرت مكنمارا خير مثال على ذلك. فقد كان رئيساً لشركة فورد، ثم أصبح وزير الدفاع في الولايات المتحدة في ظل حكم كنيدي

وجونسون، ثم أصبح رئيساً للبنك الدولي. وفي كل هذه الأدوار كانت مهمته تتمثل في تعزيز أوساط الأعمال الأمريكية، ودعم حكم التحالف الثلاثي الذي ذكرته آنفاً، من اجل جلب الغنائم إلى الولايات المتحدة واستغلال العالم. وقد عمل في ظل نظامين ديمقراطيين أثناء حكم كنيدي وجونسون. واليوم لدينا ديك تشيني الذي يحمل الصفات نفسها. وكان لدينا جورج شولتز أثناء حكم الرئيس جورج بوش الأب. وهكذا فالرئيسان بوش الأب وبوش الابن لديهما هذا الصنف من الموظفين. وكوندوليزا رايس من الأمثلة الأخرى على ذلك. والحكومة مملوءة بأمثال هؤلاء الناس وليست القضية مقتصرة على الحزب الجمهوري بل تشمل الحزبين معاً. وهي تتجاوز كل الحدود، ومكنمارا مثال جيد على ذلك، فقد كان أحد أهم المنظرين في صياغة أطر الديمقراطيات الجديدة، وما كان يسميه الإدارة العدوانية، وقد كانت عدوانية في خروجها إلى الخارج وجلب العالم إلى داخل الولايات المتحدة، بحيث إن لدينا اليوم من بين مائة من اكبر الديمقراطيات في العالم، هنالك 52 منها عبارة عن شركات، و47 منها شركات أمريكية وليست دولاً. ونحن عبارة عن 5% من سكان العالم نمتد في العالم مثل أخطبوط هائل ونمتص إلى داخل بلادنا 25% أو أكثر من موارد العالم. والنسبة الفعلية ليست 5% من سكان العالم، لأن 1% من سكان الولايات المتحدة يملكون من الثروة المادية أكثر مما يملكه 90% من السكان لدينا. وعلى ذلك فإن 1% من سكان الولايات المتحدة هم التحالف الثلاثي الحاكم (تحالف الشركات والمصارف والحكومة)، وهم الذين يمتصون كل ذلك، أما بقيتنا فتساند ذلك من خلال ضرائبنا، ومن خلال مشترياتنا، ومن خلال صمتنا، ومن خلال مجاراتنا لهذا النظام. مثلي أنا، باعتباري سفاحاً اقتصادياً، فأنا لم أساير النظام وحسب، بل كنت أدعمه وأرسّخ أسسه.

ولكن هذه، ليست كل الوسائل والأساليب الموجودة في جعبة أرباب هذه الإمبراطورية، بل هنالك أسلوب يستخدم بوجه خاص مع الفئة الغنية من دول العالم الثالث، ألا وهو أسلوب تطوير وتحديث البنى التحتية في

هذه الدول، بحيث تدفع معظم أموالها ثمناً لمواد وأدوات وأجهزة تشتريها من هذه الإمبراطورية بأسعار مفروضة، أو ثمنا لخبرات وخدمات تقدّمها شركات هذه الإمبراطورية ومهندسوها.

إن مهمتي مع مثل تلك الدول، كانت تنحصر في إيجاد صيغة ترضي حكومات تلك الدول، وترضي وزارة المالية الأمريكية، وترضي رؤساءه في شركة "مين"، وبموجب هذه الصيغة، سوف تستخدم الأموال في خلق قطاع صناعي يتركز على تحويل النفط الخام إلى منتجات جاهزة للتصدير. وبناء على ذلك سوف تقام مجمعات هائلة لصناعة البتروكيماويات، ومن حولها مجمعات صناعية هائلة أخرى. ومن الطبيعي أن تتطلب مثل هذه الخطة أيضاً إنشاء محطات توليد كهربائي ذات قدرة عظيمة، وخطوط نقل وتوزيع، وبناء طرق عريضة سريعة، وخطوط أنابيب، وشبكات اتصال، وأنظمة نقل، بما فيها بناء المطارات الجديدة، وتحسين وتطوير الموانئ، وإقامة سلسلة واسعة من الصناعات، والبنية التحتية اللازمة للحفاظ على حسن سير كل ذلك.

كانت لدينا توقعات عالية بأن تتطور هذه الخطة لتصبح نموذجاً يحتذى في بقية أنحاء العالم. وسوف تتغنى الدولة التي تنفذ فيها هذه الخطة بمآثرنا، وتدعو الزعماء من دول كثيرة ليأتوا إليها ويشهدوا المعجزات التي حققناها، وعندئذ سوف يناشدنا هؤلاء الزعماء لمساعدتهم على وضع خطط مماثلة تنفذ في بلادهم. وإذا لم تكن بلادهم من الدول الغنية، فسوف تجري الترتيبات للاقتراض من البنك الدولي أو غير ذلك من الأساليب التي تجعلها رازحة تحت عبء الديون لتمويل هذه المشاريع، وهذا هو ما تتمناه الإمبراطورية الكونية.

الكتاب الذي بين أيديكم هي محاولة جادة ورصينة لمجموعة من الباحثين، وتعتبر خطوة مهمة لا تستحق إلا الثناء والتشجيع، هذا في إطار تحليل بعض الدوائر التي من الضروري الكشف عن سلوكاتها في إطار تعاظم الخطر الإرهابي وتنامي الشكوك حول الظاهرة.

التقدمة باللغة الأصلية

Обмануть умы народов операций

Оно показало, что ЦРУ отвечает Фрэнсис Сондерс представила ответственность этого интеллекта в создании Свободная культура организации. Возможно, это произошло в обнаружении строки "с принципом выходных документов, который проходит 30 лет", а затем помещают в дело с публикой. Раскрытие этой книги для Сондерс названием «Интеллект на рынке культуры -?, Который платит за ".

В этой книге автор роль американской разведки проникнуть в глобальную культурную общность и на работу, чтобы служить этой разведки в экивоков и косвенно выявить. Это перечисляет длинный список хорошо известных в мире культуры по всему миру, в том числе арабских интеллектуалов, которые имели дело с этой организацией имен. Который начал создавать филиалы и затем ветви ветви. Даже можно обойтись без родительской организации и полагаться на последствия рака. Эти учреждения найти благодатную почву в бедных странах, которые не выделяют достаточных бюджеты по культуре и для научных исследований и научных исследований. Какие облегчает проникновение среди интеллектуалов и исследователей в этих странах. Эти учреждения тыкать носом в темах культурного характера - социальный является одним из секретов камеры.

Какой может быть странным, чтобы не видеть его. В эти категории являются активными культурные и научные органы и арабские цифры от центра используется в моей шее истины, чтобы удовлетворить свои результаты с результатами, установленными для них заранее. "Это, пожалуй, примечательно, что ни один" подозрительных исследований финансирования не не нарушают эти консервы результаты. В то время как нарушение им большинство нефондированного исследований.

Это то, что кормит сомневается в невиновности этих учреждений и ее сотрудников. Тем более, что мы по-прежнему наблюдаем заметную "удивительные" цифры оказываются славы волшебным том числе повторно задать вопрос: "Кто платит за " Из них на рынок и им? Большинство из них не знают о игре и знают об опасностях, но они по-прежнему, где отдельные успехи. В то время как Сондерс говорит, что Бертран Рассел подал в отставку с поста президента организации убедитесь, что когда подозрительная фон. В отличие от культурной жизни появились класс интеллектуалов, которые отвергают этот вид шпионажа.

И выдвинул лозунг описывает эти коллаборационистов с подозрительными учреждений как «агентов, но шпионов!". На самом деле, в общей сложности эти кандидата присоединиться к списку самих ненависти арабов. И пришел принять эти подозрительные символы рамках официального принятия. Как и в случае давления США на Египет и угрожали остановить США помочь ей, если она настаивала на выполнении заказчиком суда Саад аль - Дин Ибрагим. Какой больше не имеет остальной скромности отказаться наказать арабов половину из-за него. Джон Перкинс, один агенты ЦРУ завербован Агентством США по национальной безопасности, и работать с ним при его работе в международной консалтинговой фирмы крышкой, и позволило ему работать в этой компании, что путешествовал по миру, посещая Индонезии, Панаме, Эквадоре, Колумбии, Саудовской Аравии, Иране и других важных стран на миссии уровня осуществлять политику, которые служат интересам американского правительства и коалиции банков и крупных корпораций, в то же время рабочей, чтобы облегчить бедности виртуальных процедур помогли в приложении секретного плана, чтобы миллиарды долларов, заработанных некоторых нефтедобывающих странах, принадлежащих к влить в США казначейства. Действие с 1971 по 1981 с международной консалтинговой фирмы является компания "Чарльз. Т. Мэн", где занимал главный экономист и директор региональной экономики и планирования офиса, но это было на самом деле экономически серийный убийца. Это продолжается и в его миссии секрет, что под

прикрытием своей работе в данной компании, до появления событий 11 сентября 2001 года, где эти события убедили его в необходимости выявления эту скрытую сторону жизни.

Джон Перкинс головорезов известные экономисты, как "профессиональные эксперты платят очень высокие зарплаты, и обман практикуется в странах по всему миру и вымогательства триллионы долларов из них. Они даруют средства от Всемирного банка и Агентства США по международному развитию и других "помощь" внешними организациями, казну огромные корпорации и карманы кучки богатых семей, которые контролируют природные ресурсы планеты. И включать их инструменты на вводящих в заблуждение финансовых отчетов, сфальсифицированы выборы, и предоставление средств, вымогательство, секс и убийства. Они практикуют старая игра дала империи, но она получила новые размеры страшные в этот период глобализации ".

И проверить эти экономисты головорезов механизм и процесс найма и подготовки их для миссий, которые осуществляют в мире. Перкинс говорит в своем рассказе о личном опыте: Это было в конце шестидесятых годов прошлого века, и в частности, в 1968 году. Я был студентом в колледже бизнеса, она была завербовать меня Агентством национальной безопасности. Они поставили мне серию тестов, личностных тестов и испытаний, чтобы обнаружить ложь, плодовитый и засыпаны других чувствительных тестов. В ходе этого процесса, я обнаружил отличную кандидатуру, потому что я серийный убийца экономически блестящим.

Кроме того, они обнаружили ряд недостатков в моем характере. Я думаю, что у меня есть некоторые недостатки, типичные для американского общественной культуры, три основных в нашей культуре являются: деньги, власть, и секс. Они обнаружили, что эти недостатки есть в наличии .., а затем призвал меня, чтобы присоединиться к Корпусу мира. Я жил в Эквадоре три года в качестве волонтера Корпуса Мира, с местными жителями там, которые сейчас занимаются войны с нефтяными компаниями. В тот день мы были в начале этого процесса, поэтому мы получили

хорошую долю профессиональной подготовки. В то время как я был все еще в Эквадоре в Корпуса Мира, вице-президент этой частной консалтинговой фирмы пришли в Бостоне, который работал в тесном сотрудничестве с Агентством национальной безопасности и других разведывательных агентств, пришли в Эквадор и продолжил процесс завербовать меня. Когда он вышел из Корпуса Мира. Я пошел, чтобы работать для своей компании, "Чарльз Т. Мэн "в Бостоне, и вошел интенсивную учебную программу с выдающейся женщины, ее имя было Клодин. Это был чрезвычайно умный и точность, и способность к соблазнению. в. Он был совсем понимаю, как бросить меня. Было сообщено, из всех испытаний, проведенных на, и я знал, вдвое больше, чем точек. Это удалось в своей миссии, и, прежде чем все стало экономически, потому что серийный убийца, и в то же время, что предупредил меня к этой работе очень грязной, и что обязательства, взятые на которые полностью, в противном случае вы не будете, у меня первый набор в Индонезии.

Джон Перкинс объясняет природу пугающей задачей проводимой этих бандитов экономистов в мире, мы говорим: Мы головорезов экономистов Мы создали, по 30-40 лет назад космического крупнейшей империи в истории мира. Есть несколько способов сделать это. Но лучший способ, чтобы определить, что мы являемся одним из третьих стран, которые должны обладать природные источники. В этот день часто эти источники должны быть масло, если вообще, мы идем в эту страну из стран третьего мира, и мы организуем огромный кредит от международного кредитования сообщества, как правило, Всемирный банк взять на себя инициативу этот процесс. Так, скажем, мы даем этой стране кредит в один миллиард долларов.

А учитывая, что одним из условий предоставления кредита, что большинство, или примерно 90% от его обратно в Соединенные Штаты, чтобы один из величайших наших компаний, все из которых мы видели в последнее время, такие, как Bechtel и Halliburton. И принятие этих компаний в этом государстве стран третьего мира огромные электростанции, дороги как широких и быстрых, портов и

промышленных комплексов - и огромные инфраструктурные проекты, обслуживающих очень богатый основу в этих странах. И страдания бедных не получают от таких кредитов, и не воспользоваться этим проектам. На самом деле, часто сводится социальных услуг строго в процессе погашения кредита, и то, что происходит, как хорошо, что это состояние страны третьего мира стать под огромным бременем долга, вероятно, не сможет оплатить его. Примеры включают в себя, Эквадор в настоящее время внешний долг в Эквадоре, в результате осуществления головорезов экономистов, что эквивалентно около 50% национального дохода. Не должны быть в состоянии погасить этот долг, как и многие страны третьего мира будет.

Таким образом, мы вернемся к тем государствам, а затем сказать чиновникам: Послушайте, я нас все эти деньги, и вы должны нам, вы не можете оплатить, чтобы они дали нашим нефтяным компаниям свою нефть по очень дешевой цене. В случае многих из этих стран, Эквадор и лучший пример этого, это означает, что разрушение тропических лесов там, и уничтожение местных культур. Это то, что мы делаем сейчас во всем мире, и это то, что мы делали все это время. Она началась после окончания Второй мировой войны в ближайшее время. Оставался накоплением с течением времени до сегодняшнего дня, где он достиг вымышленный измерение по величине и где большая часть управления природных ресурсов в мире. То, что мы имеем здесь, мы являемся глобальной империи контролируется небольшим числом людей, которые открыли по ним огонь название, и эти руководители крупнейших корпораций, крупных банков и правительства, и часто приносит один из них между тремя качествами. Как они прыгали из одной категории в другую из этих категорий, и Роберт Макнамара хороший пример этого. Он был президентом Фордом, то он стал министром обороны в Соединенных Штатах под властью Кеннеди и Джонсона, а затем стал президентом Всемирного банка. Во всех этих ролей, что это его миссия заключается в содействии бизнес-сообщества США, и поддерживать верховенство Тройственного союза, который я

упоминал ранее, в целях приведения портит США и эксплуатацию мира. Он работал под двумя системами во время правления демократов Кеннеди и Джонсона. Сегодня у нас есть Дик Чейни, который держит те же самые качества.

И у нас был Джордж Шульц во время правления президента Джорджа У. Буша-отца. Таким образом Буш-старший и Джордж Буш имеют этот тип персонала. Кондолиза Райс и другие примеры. И правительство наполнен подобными этих людей, а не только на случай Республиканской партии, но также включают в себя две стороны вместе. Он превосходит все границы, и Макнамара хорошим примером этого, он был одним из самых важных теоретиков в разработке новых рамок демократии, и то, что он назвал агрессивную администрацию, был агрессивен в движении наружу и принести мир в Соединенных Штатах, так что мы имеем сегодня между сто крупнейшие демократии в мире, есть 52 из которых являются компании, и 47 из них американские компании, не страны. Мы 5% населения мира мы строим в мире как огромный осьминог и поглощать в нашей стране, 25% или более ресурсов в мире. Фактическая скорость не на 5% мирового населения, потому что 1% населения США имеют материального богатства принадлежит более 90% нашего населения. Таким образом, 1% населения США в три раза правящая коалиция (Альянс компаний, банков и правительства), и те, кто поглощает все, в то время как остальная часть нас через наших налогов и через наши покупки, и через наше молчание, и через для этой системы.

Я нравлюсь, экономически серийного убийцы, я не систему, но я поддерживаю его и прочнее основы. Но эти, не все методы означает в колчане работодателей этой империи, но это метод, используемый, в частности, с богатой группы стран третьего мира, а именно развитие и модернизацию инфраструктуры в этих метода страны, так что большую часть своих денег платить цену за материалов, инструментов и оборудования, приобретенного от этого Империя ввели цены, или цена на экспертизу и услуг, предоставляемых этими компаниями и инженеров империи. Моя

работа с такими странами, был ограничен, чтобы найти формулу удовлетворительной с правительствами этих стран, и удовлетворить Министерство финансов США, и удовлетворить свои начальству в компании, "Мэн", и по этой формуле, средства будут использованы для создания промышленного сектора сосредоточена на переработке сырой нефти готовы к экспортной продукции , Соответственно, он будет проходить огромные комплексы для нефтехимической промышленности, а вокруг других крупных промышленных комплексов. Естественно, что также требует такой план создания электрических станций большой способности, и линии передачи и распределения, и строительство быстро ходатайство дороги, сети трубопроводов и коммуникационных и транспортных систем, в том числе строительство новых аэропортов и улучшение и развитие портов, а также создание широкого спектра отраслей промышленности, и инфраструктура, необходимая для поддержания надлежащего функционирования всего этого. Мы возлагали большие надежды, что этот план эволюционирует, чтобы стать образцом для остального мира.

И это будет петь государство, в котором этот план реализован, и призывает лидеров многих стран, чтобы прийти к ним и наблюдать чудеса, которые мы сделали, а потом этих лидеров, чтобы помочь им разработать аналогичные планы, реализуемые в их стране. Если вы не были дома из богатых стран, будут проходить мероприятия заимствовать у Всемирного банка или других методов, которые делают его под бременем долга для финансирования этих проектов, и это то, что вы хотите для космической империи. Книга в ваших руках серьезная попытка трезвый и группа исследователей, и считается важным шагом не только заслуживают похвалы и поощрения, это в контексте анализа некоторых кругах, что необходимо для обнаружения в контексте растущей террористической угрозы и растущие сомнения о феномене.

Майор Генерал Ибрагим Гареев

تقديم

المخابرات وبناءات الرعب في المنطقة

بقلم الدكتور نسيم بلهول

تقضي الخطط الجديدة التي وضعها وزير الدفاع رامسفيلد بأن يجرى تنشيط العمل الاستخباراتي البشري، أي المعتمد على التخابر الإنساني والذي بدوه سيساعد على التخابر الفضائي باستخدام الأقمار الاصطناعية، وهو ما اعتمدت عليه وكالة الاستخبارات الأمريكية وثبت فشله الذريع في التعرف على أهداف الحركات الإسلامية وتكويناتها وخططها وممارساتها. وسوف يعمل الجهاز الجديد تحت اسم فرع الإسناد الاستراتيجي SSB، ويعتمد على فرق ووحدات من أفراد يندسون في المجتمعات الأجنبية ويتدخلون بسرعة ويمارسون الأعمال نفسها التي يقوم بها الجهاديون. وقد تحدث أوكونيل مساعد وزير الدفاع الأمريكي عن تدريب هؤلاء العملاء وتأهيلهم فقال، إنه التدريب أو التأهيل الذي يسمح لهم بأن يضمنوا لأمريكا أن يكون أي رئيس دولة مجاورة غير معاد لنا، لأنهم سيتدخلون في لمح البصر إذا تغيرت القيادة السياسية في هذه الدولة أو تلك في شكل مفاجئ.

وقال مسئول كبير في البنتاغون سنعمل داخل الدول الحليفة. وخاصة تلك التي يحدث اضطراب في بعض أقاليمها، وتلك التي تخرج فيها بعض الأقاليم عن نفوذ الحكومة وسيطرتها، وتلك التي تسمح لعناصر معادية لأمريكا باستخدام أراضيها. بمعنى آخر لن تستأذن وزارة الدفاع الأمريكية

الدول الأجنبية لسد فراغ أمنى نشأ فيها أو قبل القيام بعمل استخباراتي إرهابي فيها، لأن الوحدات أو الفرق الاستخباراتية التابعة لفرع الإسناد الاستراتيجي الموجودة في الدولة الأجنبية مدربة على التخطيط والتنفيذ دون العودة إلى قيادة سياسية في واشنطن.

وقد استخدم معلق أمريكي تعبيراً آخر لوصف هذه المهمات الاستخباراتية الجديدة بقوله، إن استخبارات التنفيذ الفوري لا تنتظر التحليل أو التمحيص ولا تتحمل التردد، كما كان يحدث في وكالة الاستخبارات الأمريكية. ولم يتطرق أحد بعد إلى سؤال منطقي هو، هل يعنى هذا التطور بأن جهاز الأمن الداخليفي دولة ما لن يعرف إن كان الإرهاب الذي يحاربه محلياً أم أمريكياً كون الوحدات الاستخباراتية الأمريكية لن تبلغ الدول بوجودها أو بنشاطها لكي تنجح في اختراق الإرهاب المحلي. كماحدث في الصومال حيث شكلت الاستخبارات الأمريكية فريقاً من أمراء الحرب لمواجهة الإسلاميين الذين شكلوا المحاكم الإسلامية هناك.

وفي تحقيق نشره الصحافي الأمريكي ديفيد كابلان في مجلة يو إس نيوز الأمريكية يعكس كيف تخطط المخابرات الأمريكية لغزو واختراق وغسل أدمغة الشعوب العربية والإسلامية... تارة باسم الدين... وتارة أخرى بالديمقراطية وتارة ثالثة بدعوات الحرية... فالتحقيق الكارثة يحكي تفاصيل ما دار في الغرف المغلقة، وكيف بدأت خيوط العنكبوت المخابراتية الأمريكية تعد لغزو عقولنا وقلوبنا... ربما فشلوا أحيانا... وربما تعثروا في أحيان أخرى... لكنهم في النهاية وجدوا ضالتهم... في صورة حكومات مستعدة لمد اليد ما دامت ستقبض ثمن الوطن قطعة قطعة، وحركات لتطويع الدين... وأشخاص "بهلوانات" مستعدين لتغيير ألوانهم وأفكارهم ولغتهم وآرائهم حسبما يسير تيار القسوة والجبروت والبطش... فملء الجيوب والكروش عندهم يسير جنبا إلي جنب مع ملء أفواههم بالعسل المعجون بالسموم... نعلم جيدا أن الصورة ليست قاتمة حتى النهاية...

ونوقن أن الوطن مليء بشخصيات محترمة تفضل الموت جوعا على أن تفرط في حبة واحدة من تراب الوطن... ولا تقبل أن تبيع دينها ولو بكنوز الدنيا... لكنها صرخة تحذير نطلقها علها تجمعنا من فرقتنا... فالمخطط أكبر من عمود إنارة سرق في عز الظهر... أو بلدوزر اختفى ولم يعثر عليه أحد وكأنه إبرة في كوم قش... إنه دين وعقيدة ووطن التفّت حولها طيور الظلام ولن يهدأ لها بال إلا بعد أن تنال منها...

والقصة بدأت في سبتمبر عام 2003 حيث اجتمع عدد من القيادات البارزة في الإدارة الأمريكية تملؤهم نشوة ما اعتقدوا أنه تحقيق انتصار أمريكي في تلك الحرب التي زعمت واشنطن أنها ضد الإرهاب... وتم عقد الاجتماع بجامعة الدفاع القومي بواشنطن... وضم الاجتماع مديرين من البيت الأبيض ودبلوماسيين من وزارة الخارجية الأمريكية... وأخصائيين في الحرب النفسية من وزارة الدفاع الأمريكية، وكان سيناريو الخطوط العريضة للاجتماع هو أنه إذا كانت الاحتجاجات المناوئة للولايات المتحدة الأمريكية قد شكلت لها أرضا خصبة في البلدان الإسلامية حتى أصبح ينظر لمن ترى واشنطن أنهم "إرهابيون" على أنهم محبون لأوطانهم كما هو الحال في العراق فإن واشنطن نجحت رغم هذه الاحتجاجات في أن تخلق جيلا من المدافعين عن الديمقراطية حتى الموت كما هو الحال في إيران التي لقي فيها طلاب إيرانيون حتفهم دفاعا عن الديمقراطية... وأشار المجتمعون إلى قناعتهم بأن تحسين صورة الولايات المتحدة الأمريكية في العالم الإسلامي هو الطريق نحو إقامة ديمقراطيات مستقرة... وأشاروا أيضا إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية لم يعد بوسعها أن ترضى بالجلوس على الخطوط الجانبية بينما من ترى واشنطن أنهم متطرفون يحاربون من أجل مستقبل ديني سياسي يؤمن به ما يزيد على المليار شخص.

وحسب ما أشار إليه التقرير فإن المجتمعين توصلوا إلى نتيجة مفادها أن على واشنطن بذل مزيد من الجهد للتأثير فيما وصفه المسئولون الأمريكيون بالإصلاح الإسلامي، وأن على البيت الأبيض تبني سياسة

جديدة تقوم على أساس أن الأمن القومي الأمريكي يتطلب أن يكون لأمريكا دور في توجيه مسار الأحداث في العالم الإسلامي... وأن يتم تركيز الجهود الأمريكية في هذا المجال على ثلاث جهات هي الجماعات الإسلامية المعتدلة والمؤسسات المدنية والجماعات الإصلاحية بهدف حثها على تبني قيم الديمقراطية وحقوق المرأة والتسامح مع الأقليات.

وحسب ما أورده التقرير في فإن المجتمعين أشاروا إلى أن خطأ الولايات المتحدة الأمريكية طوال السنوات التي أعقبت انتهاء الحرب الباردة أنها سارت في الطريق الخطأ في إطار حملتها لكسب قلوب وعقول أبناء العالم الإسلامي، ولم تكن الأجهزة الأمريكية المختلفة سواء في البيت الأبيض أو المخابرات الأمريكية أو وزارة الخارجية الأمريكية مسلحة بالشكل الكافي الذي يمكنها من حسم "معركة الأفكار..." فلم يكن هناك شخص بعينه مسئولا عن هذا الملف، كما أنه لم يتم وضع إستراتيجية أمنية محددة لكسب تلك الحرب... وهو ما حاولت واشنطن تداركه بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر... فمنذ هذا الحين ثم تشكيل فرقة من أعضاء القوات العسكرية الأمريكية المختصين بدراسة النواحي النفسية وكذلك أعضاء من المخابرات الأمريكية... وتم وضع عشرات الملايين من الدولارات تحت يدهم وتصرفهم لضخها في حملتهم من أجل التأثير على الإسلام ذاته كدين وليس على المجتمعات الإسلامية فقط.

فمنذ عقد هذا الاجتماع أنفقت واشنطن عشرات الملايين من الدولارات لتمويل محطات إذاعية إسلامية وبرامج تليفزيونية وإعداد مناهج، بحيث يتم تدريسها في مدارس العالم الإسلامي... كما أنفقت ملايين الدولارات على مفكرين ممن ينظر إليهم على أنهم يمثلون النخبة المسلمة وعقد ورش عمل سياسية بهدف دعم الإسلام المعتدل. وكذلك بناء مدارس إسلامية ومساجد وتنفيذ برامج لإنقاذ ما وصفه الصحافي في تحقيقه "بالقرآن القديم..." على أن يتم هذا كله من خلال استهداف وسائل الإعلام الإسلامية والزعماء الدينيين والأحزاب السياسية مع توفير كل ما

تحتاج إليه المخابرات الأمريكية من أموال وأصول وقوة بشرية بما يضمن لها النجاح في خطتها من أجل التأثير على المجتمعات الإسلامية حسب ما نقله الصحافي الأمريكي عمن وصفه بالمسئول البارز في المخابرات الأمريكية... وأضاف الصحافي أن أساليب اختراق المجتمعات المسلمة ضمت العمل مع جماعات مسلحة باستثناء القاعدة إضافة إلى شن حملات سرية لنزع المصداقية من الزعماء المناوئين للولايات المتحدة الأمريكية.

كما طالب المجتمعون بتفعيل الدراسات التي أعدها مجلس الأمن القومي الأمريكي والتي تقدر بالمئات من أجل التعامل مع المجتمعات الإسلامية وكذلك استحداث منصب جديد هو منصب نائب مستشار للأمن القومي تكون مهمته التعامل مع المجتمعات التي تحتل مكانة استراتيجية لدى واشنطن... وأضاف كابلان أن حرب كسب عقول وقلوب أبناء المجتمعات الإسلامية أتت بثمار تبعث على الأمل مثل الحديث عن الانتخابات الناجحة في الشرق الأوسط والمظاهرات والاحتجاجات المعادية للتواجد السوري في لبنان... وهو ما منح إدارة بوش آمالا بتحقيق نجاح لكن عددا من الخبراء الأمريكيين أشاروا حسب ما ورد بالتحقيق إلى أن العالم الإسلامي مشكلاته أعمق من ذلك بكثير وأنها تنمو إلى الأسوأ وليس إلى الأفضل...

إن مجلس المخابرات القومي التابع للمخابرات الأمريكية أصدر تقريرا في ديسمبر 2002 يتنبأ فيه بأن الجموع الهائلة ممن يعانون من البطالة في العالم الإسلامي والعربي سيصبحون عرضة لتجنيدهم من قبل الجماعات التي تري واشنطن أنها إرهابية... وضرب التقرير مثالا على ذلك بالمقاومة العراقية التي تتعرض لضربات موجعة في العراق لكنها استطاعت نشر روح العداء للولايات المتحدة الأمريكية في العالم الإسلامي كله مشيرا إلى أن شائعات سرقة الجنود الأمريكيين لأعضاء جثث العراقيين وجدت لها طريقا ميسرا للنشر في وسائل الإعلام العربية الرئيسية... كما أن شرائط الفيديو واسطوانات الكمبيوتر الخاصة بالجهاديين تجد لها سوقا خصبة

للبيع في شوارع وعلي العواصم العربية على أرصفتها... وكلها تحمل أفكار زعماء دينيين يؤمنون بأن أمريكا تخوض حربا صليبية ضد العالم العربي وضد الإسلام نفسه.

كما أن مركز الدراسات الدولية والاستراتيجية أصدر تقريرا في شهر مارس الماضي أشار فيه إلى أن العلاقات الأمريكية العربية وصلت إلى أدني مرحلة لها منذ عدة أجيال... وبالتالي تنوعت أدوات الحرب الأمريكية... فكانت هناك وجهة نظر المخابرات الأمريكية بأن تكون حرب المواجهة تلك من خلال الدعاية الأمريكية والتأثير السياسي الأمريكي في مجريات الأحداث في العالم الإسلامي.

أما في وزارة الدفاع الأمريكية فكانت الدعوة للتركيز على مصادر التأثير الاستراتيجية بكل السبل الممكنة بما فيها السبل العسكرية في حين دعت الخارجية الأمريكية إلى اتباع السبل الدبلوماسية... ورغم هذا التباين في السبل التي يجب إتباعها إلا أن الجميع اتفقوا على استخدام المعلومات كسلاح خطير في التأثير على أصدقاء أمريكا وأعدائها في الخارج... ومن هنا تفجرت فضائح أشرطة الفيديو المزورة والتقارير الإخبارية المفبركة والأموال التي دفعت لكتاب أعمدة للتمجيد والتسبيح بحمد السياسات الأمريكية والتهليل لها... وهو ما أعاد للأذهان سيناريو القصة التي بدأت منذ نحو نصف قرن عندما تعاملت الولايات المتحدة الأمريكية مع شيوعية الاتحاد السوفيتي السابق بكل ما حمله هذا التعامل من حرب أفكار وغزو للقلوب والعقول بملايين الدولارات.

ويمضي التقرير مشيرا إلى أنه أثناء حرب الأفكار الأمريكية ضد الشيوعية كونت الولايات المتحدة الأمريكية شبكة دعائية ضمت مفكرين ورجال دين وكتّاباً وصحافيين وممثلين... ونشرت أمريكا مئات المتخصصين في فن صناعة المعلومات في الخارج كما جندت استوديوهات هوليوود بكل إمكانياتها الهائلة لكي تصدر للعالم معلومات عن "خير أمريكا" و"شر الشيوعية..." كما أنشأت مراكز ومكتبات أمريكية ثقافية في العواصم الأجنبية.

كما أطلقت محطتي راديو "أوروبا الحرة" وراديو "الحرية" الإذاعيتين... واشترت أحزابا بعينها في اليابان وإيطاليا... وخصصت مبالغ ضخمة لصحافيين كبار ومفكرين بارزين وزعماء سياسيين وكل هذا كان يتم تحت إشراف وكالة المعلومات الأمريكية التي أجبر الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون على إصدار قرار بحلها ودمجها في وزارة الخارجية الأمريكية عام 1999 على اعتبار أن مهامها كانت مختصة بالحرب الباردة... لكن بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر عاود المسئولون الأمريكيون البحث عن كيفية توصيل رسائلهم لخارج الحدود الأمريكية خاصة بعد أن رفض كثيرون في العالم الإسلامي تصديق مجرد أن العرب كانوا وراء الهجمات التي وقعت ضد مبني البنتاغون ومركز التجارة العالمي.

ولهذا الهدف أنشأ المسئولون الأمريكيون "تحالف مراكز معلوماتية" في واشنطن ولندن وإسلام آباد... لكن تلك المراكز اقتصر دورها على إذاعة الأخبار الهامة ولم تحقق تأثيرا يذكر خاصة أن هناك شبكة من القنوات الفضائية العربية مثل قناة "الجزيرة" تستحوذ على القدر الأكبر من المشاهدة داخل العالم الإسلامي والعربي... وعلي الرغم من ملايين النشرات التي تم توزيعها على العالم الإسلامي بداية من الكتب الكوميدية وانتهاء بالمجلدات الكبرى التي خصصت كلها لغسل الأدمغة فإن الولايات المتحدة الأمريكية انتهت إلى أن تأثير ذلك كله كان محدودا في مواجهة "تنظيم القاعدة..." وكرد فعل لذلك شكل القادة العسكريون الأمريكيون مكتبا جديدا للتأثير الاستراتيجي تكون مسئوليته شن حرب إعلامية ضد "الإرهاب الإسلامي" وضد الفكر الذي ينتهجه تنظيم القاعدة... لكن التقارير المفبركة التي صدرت من قبل هذا المركز عجلت بغلق أبوابه بعد أربعة أشهر فقط من افتتاحه.

ويضيف كابلان أنه كرد فعل لغلق هذا المركز أحس كولين باول بأن على الخارجية الأمريكية دورا يجب أن تؤديه في إطار حرب الأفكار

تلك... وبالفعل أتى باول بشارلوت بيرز والتي رأست اثنتين من أكبر عشر وكالات إعلانية في العالم لكي تحمل على عاتقها تلك المهمة... وحسب ما نقله "كابلان" عن بيرز فإن المهمة لم تكن سهلة خاصة أن ما قامت به من حملات إعلامية كان عرضة للنقد من جانب الصحف الأمريكية رغم أنها حققت نجاحات حسب قولها داخل المجتمعات الإسلامية... وهو ما اضطرها للانسحاب في مارس عام 2003 في نفس الوقت الذي كانت فيه القوات الأمريكية تشن حربها ضد العراق... وهي الحرب التي بدت في عيون وعقول وقلوب ملايين المسلمين في صورة تأكيد على الامبريالية الأمريكية.

وبدا المشهد في إطار أن الولايات المتحدة الأمريكية تغزو وتحتل بلدا عربيا غنيا بالنفط وأنها تدس أنفها في قلب العالم وتدعم "إسرائيل" على حساب الفلسطينيين وتدعو للديمقراطية في ذات الوقت الذي تعتمد فيه على رجال أقوياء من مصر وباكستان حتى أن أسامة سيبلاني ناشر جريدة "أخبار العرب" الأمريكيين ذهب به الحال إلى القول أنه حتى لو أتت أمريكا بالنبي محمد ﷺ لكي يدافع عنها فلن تتمكن من تحسين صورتها أمام العالم الإسلامي... لكن هذا الرأي لم يمنع باول ومن خلفه كونداليزا رايس وزيرة الخارجية الأمريكية (سابقاً) ومستشارة الرئيس الأمريكي لشئون الأمن القومي آنذاك من مواصلة شن حرب الأفكار... وذلك من خلال إطلاق قناة "الحرة" الفضائية التليفزيونية عام 2004 لتضم إلى إذاعة راديو "سوا" التي أطلقت عام 2002، ويستهدف الثنائي "راديو سوا والحرة" العرب والمسلمين وكلاهما يخضع لتأثير المخابرات الأمريكية ومتخصصين نفسيين تابعين لوزارة الدفاع الأمريكية كما تحظيان بتمويل أمريكي يزداد يوما بعد يوم.

ويشير كابلان إلى الثورة الأمريكية الحقيقية في مواجهتها لما يجري في العالم الإسلامي من أحداث اندلعت الصيف الماضي عندما بدأ مجلس الأمن القومي الأمريكي إعادة تفعيل وغربلة الاستراتيجية الأمنية الخاصة

بالبيت الأبيض والمتعلقة بمحاربة الإرهاب... حيث تبنى المجلس استراتيجية جديدة تقوم على تقوية ودعم المعتدلين وفتح قنوات اتصال معهم والاعتماد على حكومات مسلمة ومؤسسات سرية وجماعات لا تمتلك الدعم المادي... وتكمن صعوبة تلك الاستراتيجية حسب ما نقله كابلان عن زينو باران المتخصصة في شئون الإرهاب بمركز نيكسون في أن "الحرب الباردة كانت سهلة... أما الحرب الحالية فهي شديدة الصعوبة ففي الحرب الباردة كان كفاح الأمريكيين كفاحا ضد أيديولوجية سياسية غير إلهية... أما هذه الحرب فتقوم على عناصر دينية... وهو ما يعني أننا أمام مجموعة تؤمن بأن حربها تستند إلى دين إلهي... وأعضاء الجماعات الإسلامية المسلحة تحركهم نزعات هذا الدين حتى ولو من منطلق أيديولوجي فاشستي".

وحسب ما أورده كابلان فإن المملكة أنفقت أكثر من 75 مليار دولار منذ عام 1975 لدعم ونشر الأفكار الوهابية الأصولية... وقامت المملكة بتمويل مئات المساجد والمدارس والمراكز الإسلامية بالخارج لمواجهة حركات الكفر والإلحاد... كما أنها دعمت الحركات الجهادية في حوالي 20 دولة. وهو ما جعل البعض داخل دوائر صنع القرار الأمريكي يطالب بتوسيع دائرة المواجهة من خلال فتح قنوات اتصال مع جماعات من خارج الدول الإسلامية... إضافة إلى فتح قنوات اتصال من الأبواب الخلفية بأعضاء الجماعات الصوفية... وكذلك مهادنة وتحسين علاقات واشنطن مع الجماعات الإسلامية المتطرفة التي تنبذ العنف... ويأتي على قائمة تلك الجماعات جماعة الإخوان المسلمين التي تأسست عام 1928 ويقدر عدد أعضائها بعشرات الآلاف في العالم كله...

ويضيف الكاتب أن كثيرا من أعضاء جماعة الإخوان المسلمين في مصر والأردن يوجهون انتقادات حادة لتنظيم القاعدة... وينقل كابلان عن ميلت بيرد الذي أمضى أكثر من ثلاثين عاما من حياته العملية في المخابرات الأمريكية قوله: إن الإخوان المسلمين هم الطرف الأقوى في حل المشكلة مع تنظيمات مثل القاعدة...".

ويتمادى بيرد، قائلا: إن ضباط المخابرات الأمريكية التقوا ليس فقط مع الإخوان المسلمين وإنما أيضا مع غيرها من الجماعات بما فيها تلك التي خرجت منها طالبان ... كما فتحت المخابرات الأمريكية قنوات اتصال مع رجال دين ممن أصدروا فتاوى تقضي بعدم شرعية الجهاد ضد الولايات المتحدة الأمريكية وأقنعت أعضاء الجماعات المسلحة الموجودين في السجون بنبذ العنف (الجماعة الإسلامية في مصر).

ويضيف الصحافي الأمريكي في تحقيقه إن المخابرات الأمريكية ابتكرت أساليب جديدة في حرب الأفكار تلك... ومن بين تلك الأساليب أن الولايات المتحدة الأمريكية ضخت أموالا هائلة ثم رفعها للجماعات الإسلامية المسلحة ذات المواقف المحايدة تجاه واشنطن... كما أنها ذهبت لما هو أبعد بضخ أموال ضخمة للوعاظ المناوئين للولايات المتحدة الأمريكية بهدف خلق زعامات دينية بديلة.

وينقل كابلان عن أحد المصادر المخابراتية الأمريكية قوله "الخطة تقوم على أساس أنه إذا كان هناك الملا عمر بأحد الشوارع فلتحلق له الملا برادر في الشارع الآخر". (أي محاولة احتواء حرب العصابات والسيطرة عليها من خلال شخصيات يمكن احتوائها).

ننوه هنا انه يوجد بالفعل احد قيادات حركة الطالبان يقود مجموعة مسلحة لمقاومة الأمريكان باسم الملا برادر وينافس الملا عمر في الحركة ويقال ان له علاقة بالاستخبارات الباكستانية. والأكثر من ذلك حسب ما ذكر الصحافي الأمريكي في تحقيقه إن المخابرات الأمريكية عمدت إلى إنشاء مواقع انترنت جهادية... كما أنها استهدفت وسائل الإعلام العربية والإسلامية وإن كانت قد فعلت ذلك بحذر شديد... وكشف الكاتب الأمريكي النقاب عن أن مكتب تبادل المعلومات التابع للمخابرات الأمريكية استضاف في فبراير الماضي مؤتمراً تضمنت أجندته التركيز على التأثير في ست دول هي الصين ومصر وفرنسا واندونيسيا ونيجيريا وفنزويلا.

ويمضي الصحافي الأمريكي في تحقيقه مشيرا إلى أن المخابرات

الأمريكية لم تكن وحدها في حرب غزو عقول وقلوب المسلمين حيث لعبت الإدارة الأمريكية ومن ورائها كافة الدوائر الأمريكية المختصة بالتصديق على الميزانية دورا بارزا في زيادة الميزانية الخاصة بتلك الحرب بما قيمته 1,3 مليار سنويا منذ هجمات الحادي عشر من سبتمبر... كما أن قناة الحرة استحوذت على نسبة مشاهدة تراوحت ما بين 20 و33 % من مشاهدي القنوات الفضائية في الدول العربية وهو رقم مشكوك فيه، وهو ما دفع المخابرات الأمريكية حسب ما ورد في التحقيق إلى التفكير في مد بثها إلى الناطقين باللغة العربية في أوربا وكذلك بث محطات إذاعية فارسية في إيران... وعلي مدي السنوات الثلاث التي تلت هجمات الحادي عشر من سبتمبر زادت المساعدات الأمريكية للخارج بنحو ثلاث مرات لتبلغ ما يزيد على 21 مليار دولار. وأكثر من نصف هذه المساعدات المالية تشق طريقها إلى العالم الإسلامي... وتم تخصيص جزء كبير من هذه المبالغ لصالح الوجوه السياسية البارزة في العالم الإسلامي ممن تتفق أفكارهم الإصلاحية مع الأفكار الأمريكية إضافة إلى تمويل وسائل الإعلام المستقلة التي تتفق رؤاها مع الرؤى الأمريكية. كما أن جزءا من تلك المنح يوجه إلى الجماعات الإسلامية... وفيما هو أشبه بمخطط نابليون بونابرت الاستعماري في التمسح بالدين الإسلامي كوسيلة وكسلاح لغزو عقول وقلوب المسلمين يشير الصحافي الأمريكي في تحقيقه إلى أن المخابرات الأمريكية والحكومة الأمريكية تعمدتا اختراق المجتمعات الإسلامية من خلال برامج ذات صبغة إسلامية كالمشاركة في الإنفاق على تمويل المساجد التاريخية في مصر وباكستان وتركمانستان... أو المشاركة في تمويل أحد الأضرحة الصوفية قيرغيزستان أو الحفاظ على نسخ من مصاحف يعود تاريخها إلى عصور قديمة... كما أن جزءا من المساعدات الأمريكية تم تخصيصه لتدريب وعاظ المساجد وترجمة الكتب وإعداد البرامج التليفزيونية والإذاعية... ومن بين تلك البرامج برنامج عالم سمسم الذي يعرضه التليفزيون المصري بانتظام... وتتضمن أجندة هيئة المعونة الأمريكية إقامة ورش عمل لتوعية وعاظ المساجد المسلمين والمشاركة في

إعداد مناهج دراسية بدءا من مناهج المدارس وانتهاء بالمناهج الجامعية.

ويمضي الصحافي في تحقيقه مشيرا إلى أن على أمريكا أن تعرّف الشعوب الإسلامية بقيمة تلك المساعدات. وعلي طريقة "المعايرة" يشير الكاتب إلى أنه لا يعقل ألا يعلم المصريون أن حجم المساعدات التي تقدمها أمريكا لمصر هو الثاني، حيث إنه يقدر بنحو ملياري دولار سنويا...

وفي نهاية أكتوبر 2001 التقى في سرية تامة قادة وخبراء أجهزة استخبارات دولية من عدة دول أوربية وروسيا الاتحادية وبعض الدول العربية والهند. وتم هذا اللقاء تحت رعاية وكالة الاستخبارات الأميركية، حيث تدارسوا احتمالات استخدام بعض المنظمات الإرهابية خاصة الأصولية منها لأسلحة دمار شامل.

وجاء هذا اللقاء الاستخباراتي الرفيع الذي ضم خبراء لهم أوزان دولية يعد تواتر معلومات عن تزايد احتمالات وقوع هجمات مسلحة ضد المصالح والمؤسسات الأميركية والبريطانية والعربية والهندية والروسية في أنحاء مختلفة من العالم وكذلك داخل أراضي هذه البلدان، وذلك من جانب مجموعات مسلحة أو أفراد يسعون للانتقام من السياسات التي تتبعها حكومات هذه الدول لملاحقة وتطويق أنشطة المنظمات الأصولية.

والجديد في لقاء الاستخبارات الدولية الذي تم تحت عنوان "ملتقى الانتجلنسيا" هو ما توقعه العديد من المراقبين للشؤون الأمنية الدولية من أن هذه الهجمات المحتملة من جانب المنظمات الراديكالية ستأخذ شكل عمليات كبيرة قادرة في حال نجاحها على إلحاق أكبر خسائر ممكنة بالأرواح والممتلكات حتى تكون رادعا لحكومات الدول المستهدفة من جهة، وكأداة لتأليب الرأي العام الداخلي عليها من جهة أخرى.

ووصل الأمر ببعض الخبراء إلى القول أن أسلحة نووية وجرثومية وكيماوية قد تستخدم خلال هذه العمليات، خاصة أنه بعد انهيار الاتحاد السوفيتي أصبح هناك معرض ضخم للبيع ليس فقط من المواد النووية الصالحة مباشرة للدخول في صنع أسلحة نووية كاملة، وقد حصل عملاء

أميركيون فعلا وفي نطاق امتحانهم لنظام الأمن الروسي في السنوات الماضية على العديد من القنابل النووية مقابل أسعار بخسة بالمقارنة مع سعر التكلفة.

واعترف الجنرال ليبيد المرشح السابق لرئاسة الكرملين أن روسيا فقدت 100 قنبلة نووية من الحجم الصغير، كان جزء رئيسي منها في ترسانة المخابرات السوفيتية "كي جي بي" وأشارإلى أن هذه القنابل يمكن أن توضع في حقيبة عادية ولكن قوتها تفوق عدة مرات القنبلة التي ألقيت على هيروشيما خلال الحرب العالمية الثانية...

ورسم الخبراء الأمنيون الدوليون ثلاثة سيناريوهات متوقعة في ما لو قامت تلك المنظمات الإرهابية بتوجيه عمليات انتقامية، متفقين على أن الشرق الأوسط سيكون بمثابة "مسرح العمليات" الرئيسي الأكثر عرضة لتنفيذ مثل تلك العمليات. ولكن قبل رسم السيناريوهات المرعبة، رصد المجتمعون من خبراء الاستخبارات المناطق المشتركة والظروف المهيأة وفقا لما أشارت إليه تكنولوجيا الرصد المعلوماتي المتوافرة حاليا وكذا مقترحات الحد من التسلح والمفاهيم الخاصة بالدفاعات الصاروخية، أن الأخطار الرئيسية تأتي من بعض الدول بنفس القدر المحتمل حدوثه من جانب بعض المنظمات وفقا للمنطلقات المشتركة في ما بينها.

ويرى هؤلاء الخبراء أن الجماعات الإرهابية قد تجنح لمخاطرات مأساوية وكذلك الحال مع بعض القادة الذين يرون في أنفسهم الدولة أو يرون أن الشهادة بديلا عن النصر، كما أن المنظمات الإرهابية سبق لها أن حاولت بالفعل استخدام أسلحة الكيماوية والبيولوجية في متناول العديد من الحركات الإرهابية والمتطرفة وتستطيع بعض الدول دعم ومساعدة هذه الحركات بهذه الأسلحة بأسلوب غير مباشر وإنكار أنها لا تفعل ذلك.

في الوقت ذاته فإن الانفجار الذي اخرج مشاة البحرية الأميركية في لبنان أظهر رد فعل القوى الذي تحدثه الأعمال الإرهابية الضخمة، وهو نفس التأثير الذي خلفه على وسائل الإعلام في التفجير الذي وقع في مدينة

أوكلاهوما الأميركية وبنفس الحال أيضا مع التفجيرات الاستشهادية لجماعة "حماس".

ويقول الخبراء أن الأسلحة البيولوجية والكيماوية تفرض مشكلة من نوع خاص لأنه يمكن استخدامها من خلال عدة طرق، ففي إحدى المرات تم استخدام السموم الكيماوية بغرض تلويث محاصيل الفاكهة "الإسرائيلية"، والمواد البيولوجية المعدية يمكن استغلالها لنشر الأمراض المحلية أو إحداث أمراض على مدى بعيد، وغازات الأعصاب المستقرة يمكن استخدامها في الإنفاق والمباني الضخمة ومراكز التسوق لإحداث خسائر فورية ومشكلات تظهر على المدى البعيد، والخلط بين المواد الكيماوية والبيولوجية من شأنه أن يفقد وسائل الدفاع والأقنعة والأمصال فعاليتها ووضع المجتمعون من خبراء وقادة أجهزة الاستخبارات سيناريوهات عملية محتملة في بعض البلدان والأماكن الاستراتيجية في العالم.

وكشفت صحيفة "كلارين" الأرجنتينية، أن بوش أعطى المخابرات المركزية الأمريكية، صلاحيات تمكنها من التدخل في أي جزء من العالم.

وقالت الصحيفة "إن حكومة الولايات المتحدة أعلنت مؤخرًا أن أهم التغييرات الهيكلية التي طرأت على منظمات الاستخبارات الأمريكية منذ انتهاء الحرب الباردة، هو التدخل في أي مكان في العالم، لأنها إحدى تعهدات الرئيس جورج بوش، على خلق أجهزة ذات قدرة عالية على مواجهة التهديدات الراهنة".

وأوضحت الصحيفة "إن النظام الجديد يضم خمسة عشر جهازًا استخباريًا تحت تنسيق مركزي لإدارة وطنية للمخابرات".

وأوضحت الصحيفة "إن الإصلاح يستهدف من جهة تكييف أجهزة المخابرات الأمريكية - المعتادة على العمل في إطار الحرب الباردة ومكافحة الشيوعية - على العمل في محيط دولي له أعداء جدد وتهديدات مثل تلك التي تمثلها ما تدعى بالحركات "الإسلامية" المسلحة.

الفصل الأول

الاستخبارات الأمريكية...
وهندسة ورشات الموت في العالم

أولاً: الاستخبارات الأمريكية: النشأة والأقسام والأعمال

■ د. نسيم بلهول

يقع مركز الاستخبارات المركزية في ضاحية "لانغلي" وتبعد 15 كلم عن واشنطن العاصمة وهو مركز محصن تحصينا طبيعيا بوجود نهر "بوتوماك"، فضلا عن الحراسة المشددة عليه والكاميرات التلفزيونية والميكروفونات الالكترونية المسلطة على المنطقة المحيطة ليلا ونهارا. وتبلغ مساحة هذا المركز حوالي 125 ألف متر مربع، بينما بلغت تكاليف الإنشاء عام 1966، 46 مليون دولار، ويحيط بالمبنى سوار يبلغ ارتفاعه أربعة أمتار تعلوه أسلاك شائكة. وتحتفظ الوكالة ببعض الأبنية لاستعمالها تحت أسماء مستعارة[1].

يقدر عدد العاملين فيها بحوالي 250 ألف موظف وجاسوس يقدمون خلاصة أعمالهم في تقرير يطلع عليه الرئيس الأمريكي صباح كل يوم.النشاط التجسسي تضمه 100 مليون وثيقة كل عام و40 طناً من الوثائق يتم التخلص منها كل يوم[2]. ولكي نعطي بعض المعلومات المختصرة عن هذا الجهاز الأمني علينا أن توضح ما يلي:

(1) Colonna Vilasi, A. (2013) The History of MI-6, Penguin Group Publishing, UK/ USA Release, p.53.

(2) Walton, Calder (2012). Empire of Secrets. London: Harperpress. P. 125.

كان يوجد في الولايات المتحدة ثلاثة أجهزة للمخابرات تقوم بعملية التنصت داخل الولايات المتحدة وخارجها وهي:

وكالة الأمن القومي (NSA):

وهي أكبر هذه الأجهزة في موضوع التنصت هو (NSA) دون شك. وكالة الأمن القومي NSA الأذن الكبيرة الاسم الذي يستحق أن يسمى به جهاز الأمن في الولايات المتحدة وأكثرها سرية، وظيفته القيام بالتنصت على جميع المحادثات والمخابرات والاتصالات بين جميع الدول والمؤسسات، عدد العاملين في هذا الجهاز كان عام 1975م (120,000) مائة وعشرين ألفاً[3]، أما الآن فلا أحد يعرف عددهم، وإن كان من المؤكد أن العدد قد تضاعف ربما أكثر من مرة، ولكي يأخذ القارئ فكرة تقريبية عن مدى أهمية هذا الجهاز، نقول إنه يأخذ 80% من الميزانية التي تخصصها الولايات المتحدة الأمريكية لمختلف أنشطتها الاستخبارية والتي كانت تقدر بـ27 مليار من الدولارات في العام الواحد.

وتم تشكيل هذا الجهاز الأمني في 24/ 10/ 1952م بأمر من هاري ترومان - رئيس الولايات المتحدة الأمريكية آنذاك -، ولم يعرف بأمر تشكيل هذا الجهاز لا الرأي العام الأمريكي ولا حتى الكونغرس، وكانت تعليمات الرئيس هي قيام هذا الجهاز بالتنصت على نطاق عالمي.

قام الجهاز في بداية الأمر بالتنصت على المخابرات التي تتم بالشفرات بين الدبلوماسيين، وكذلك بين الضباط من الرتب العالية في جميع أنحاء العالم، ثم شمل نشاط التنصت جميع المخابرات والاتصالات الجارية في العالم (سواء أكانت بالهاتف الاعتيادي أم بالهاتف النقال أم بالفاكس)، ولاسيما للأشخاص المهمين من رؤساء الدول والحكومات، والوزراء، والضباط، ورؤساء الأحزاب، ورجال الأعمال المهمين... إلخ،

(3) Tomlinson, Richard; Nick Fielding (2001). The Big Breach: From Top Secret to Maximum Security. Mainstream Publishing, p.45.

وهو يستخدم في هذا السبيل محطات التنصت المبثوثة في جميع أنحاء العالم (في القواعد والمطارات العسكرية، وفي السفن الحربية، والغواصات، والطائرات العسكرية، والأقمار الصناعية).

بعد مدة قصيرة من تشكيل (NSA) عام 1952م صدر تعميم سري يحدد مجال عمل وحدود نشاط كل من: (NSA) و(CIA) لكي لا يكون هناك أي تصادم أو تداخل بينهما، وبعد عام واحد جرى الشيء نفسه بين (CIA) وبين (FBI)، حيث سمح لـ(CIA) باستعمال الأجهزة الإلكترونية للتنصت شريطة عدم التصادم مع نشاط (FBI).

مكتب التحقيقات الفيدرالية (FBI):

ويعرف اختصارًا باسم إف. بي. آي، شعبة المباحث الرئيسية في وزارة العدل الأمريكية. فإن الأف.بي.آي هي التي تهتم بالأمن القومي الداخلي. ويُطلق على المحقِّقين في هذا المكتب اسم هيئة المحققين الخصوصية، ويُشرف على مكتب التحقيقات الفيدرالي مدير، يعينه الرئيس بعد موافقة مجلس الشيوخ، ويقع مقره في المركز الرئيسي للمكتب فيواشنطن في مقاطعة كولومبيا[4].

ويضم مكتب التحقيقات الفيدرالي ما يقارب ستين فرعًا في الولايات المتحدة وفي بورتوريكو، وخمسة عشر فرعًا آخر في بلدان أخرى. كما يضم المكتب نحو 22 ألف رجل وامرأة، منهم حوالي 9,400، يعملون في هيئة المحققين الخصوصية. وتبلغ ميزانية المكتب السنوية حوالي بليون ونصف بليون دولار أمريكي.

---

(4) An autobiography of a British officer, honorary colonel of the Royal Horse Guards, David de Crespigny Smiley LVO, OBE, MC, who served in the Special Operations Executive during World War II (Albania, Thailand) and was a MI6 officer after war (Poland, Malta, Oman, Yemen). Translated in French by Thierry Le Breton, Au cœur de laction clandestine. Des Commandos au MI6, LEsprit du Livre Editions, France, 2008, p.425.

ويضم قسمُ الأحوال الشخصية التابع لمكتب التحقيقات أكبر مجموعة في العالم من بصمات الأصابع؛ حيث تحتوي ملفاته على 185 مليون بصمة منها بصمات لأكثر من 100 مليون مشتبه. وتساعده هذه البصمات على التعرف على نحو 55,000 من المشتبه فيهم. أما المعمل فيُعد من أفضل معامل الجريمة في العالم، حيث يقوم علماء مكتب التحقيقات الفيدرالي بفحص ما يزيد على 900 ألف قطعة من الأدلة في كل عام، بما في ذلك الطلقات النارية ونماذج الكتابات اليدوية وآثار الإطارات. أما المركز القومي لمعلومات الجريمة فمُزَوَّد بنظام تخزين المعلومات في الحاسوب، حيث يُخَزَّن فيه نحو 20 مليون سِجِل تتعلق بأشخاص مشتبه فيهم أو بممتلكات مسروقة. ويقدم المركز معلومات وإجابات لنحو 605,000 استفسار وسؤال تصله في اليوم الواحد. ويُقدِّم المعهد التابع لمكتب التحقيقات الفيدرالي في كوانتيكو في ولاية فرجينيا تدريبات في الطرق المتقدمة لمحاربة الجريمة[5].

وبعد أن قام ترومان بإصدار تعليمات أعطت الـ(FBI) صلاحية التنصت على أي شخص فيما يتعلق بأمن البلد دون أخذ إذن من أحد أو من أي جهة، سرعان ما أدى استعمال هذه الصلاحية الواسعة إلى مشكلات كبيرة، كما استغلت استغلالاً سيئاً ضد العديد من المثقفين والكتَّاب، الذين اتهموا بمساعدة الشيوعية، كما استغلت ضد معارضي حرب فيتنام، لذا قامت المحكمة العليا الأمريكية عام 1972م بإصدار قرار أبطلت بموجبه هذه الصلاحية، ومنعت التنصت دون إذن من المحكمة ـ على أي مواطن أمريكي ليست له علاقة مع القوى الخارجية.

ولكن هذا القرار لم يستطع أن يكون سداً ومانعاً لعمليات التنصت، فقد تبين عام 1973م أنه تم التنصت على ستمائة مواطن أمريكي، وعلى ستة آلاف أجنبي يعيشون في الولايات المتحدة، وكان ضمن هذه

(5) Smiley, Colonel David (1994). Irregular Regular. Norwich: Editions Michael Russell. P. 252.

المكالمات المسجلة مكالمات للسيناتور روبرت كندي ـ الذي قُتِل عام 1988م مع سوم جينكانا، والذي كان من أكبر رؤساء المافيا آنذاك[6].

وكالة المخابرات المركزية (CIA):

بينما يتركز نشاط وكالة (NSA) على التنصت الإلكتروني نرى أن وكالة المخابرات الأمريكية (CIA) إضافة إلى قيامها بالتنصت تقوم بنشاطات وفاعليات تجسسية تعتمد على الأفراد، لذا يتم تدريب الجواسيس عندها على جميع الأنشطة التجسسية ولكن أهم نشاط لها وأهم مصدر للمعلومات عندها هو التسلل إلى مخابرات الدول الأخرى، وتصيد عملاء لها من بين أفراد تلك المخابرات، كما تقوم بتبادل المعلومات الاستخبارية مع الدول الصديقة.

وكالة المخابرات الأمريكية (CIA) تملك أقمار تجسس وأجهزة حاسوب عملاقة في مدينة (فورت ميد - ماريلاند) تتنصت بها على جميع الاتصالات التي تجرى في العالم، وتصل بريطانيا الى جزء من هذه المعلومات وذلك لان مقر الاستخبارات البريطاني في شيلتنهام يساهم في جميع هذه المعلومات ويجمع بعضا من المعلومات التي يتم اعتراضها والتي تريدها أميركا من اجل أغراضها الخاصة.

إن من المعلومات التي حصل عليها الطلاب الإيرانيون عندما احتلوا السفارة الأمريكية بعيد ثورة (الخميني) سنة 1979م أن المخابرات الأمريكية (CIA) كانت تدفع أكثر من 250 ألف مرتب شهري لعملاء في منطقة الشرق الأوسط وحدها وتتراوح مراكزهم من رؤساء دول إلى وزراء وقيادات حزبية وسياسية حاكمة ومعارضة على حد سواء وتتسلسل المراتب من العملاء، لتصل إلى تجار وفنانين وكناسين في الشوارع !!!. وتبلغ ميزانيّة الأجهزة الأمنيّة حوالي 30 مليار دولار يذهب عشرها إلى

(6) Smith, Michael (2010) SIX: A History of Britain's Secret Intelligence Service Pt 1 Murder and Mayhem 1909-1939, London: Dialogue, p.74.

السي.آي.أيه. أما البقية فتذهب بمعظمها إلى التكنولوجيا الحديثة، والمتعلّقة بالتنصّت والفضاء والتصوير الجوّي.

ويترأس رئيس وكالة الاستخبارات المركزيّة صُوريّا هذه التركيبة الأمنية، وذلك لأن أهم ثلاث وكالات استخباراتيّة هي فعليّا تحت سيطرة العسكر، أو وزارة الدفاع والمتمثّلة بـ: مكتب الاستطلاع الوطني (NRO) والذي يهتم بصور الأقمار، والـ U-2. ووكالة التصوير والخرائط (NIMA). أما الثالثة فهي وكالة الأمن الوطنيّة (NSA) والتي تتنصّت على العالم أجمع استنادا إلى ما كتبه جيمس بامفورد في كتابه "كتلة من الأسرار" (BODY of SECRETS). يُضاف إلى هذا وكالة الاستعلام للدفاع[7].

كذلك هناك أجهزة أمنية تابعة لكل من الوزارات التالية: الخارجيّة، المال والطاقة. مع التذكير بأنه يوجد جهاز استخباراتي لكلّ اختصاص من القوى العسكريّة الأميركية يُطلق عليه تسمية J-2.

إذن مع تركيبة معقّدة كهذه تتناقض في الصلاحيّات، يبدو أن العمل الأمني فاشلاً.ومع أن الجهاز الأمني أو الوكالة الأمنية تتعاون مع وكالات مشابهة لها في إنجلترا، وكندا، ونيوزيلندا، وأستراليا ضمن نظام استخباري ضخم يُدعى (Echelon) إلا أن نشاطها وفاعلياتها لم تقتصر على التنصت على الاتحاد السوفييتي ودول حلف (وارسو)، بل تبين في عام 1960م أنها تنصتت على محادثات ومكالمات دول صديقة مثل فرنسا وإيطاليا.

يذكر انه لم ينكشف بعض فاعليات هذه الوكالة في الولايات المتحدة إلا عام 1975م عندما اعترف رئيس هذه الوكالة الجنرال (لوي آلن) أمام لجنة في الكونجرس بأنهم قاموا خلال أعوام 1967م-1973م بالتنصت على مخابرات الآلاف من المواطنين الأمريكيين، كما أورد الكاتب

(7) Seeger, Kirsten Olstrup (2008) 'Friendly Fire' (DK). A biography of the author's father who was a member of the Danish resistance during the Second World War, p.18.

الأمريكي جيمس بامفورد حقائق مثيرة عن الوكالة في (قصر اللغز Puzzle Palace)، حيث ذكر قيام الوكالة بالتنصت على المكالمات الشفرية للسياسيين والعسكريين، وقال: إن معدل الوثائق التي تصل إلى هذه الوكالة نتيجة نشاطها التجسسي يتراوح بين (50 ـ 100) مليون وثيقة كل عام، وأنه يتم حرق 40 طناً من الوثائق السرية يومياً(8).

وهناك الوكالات الحديثة مثل جهاز المخابرات الخاص بحماية المعلومات المخابراتية ورصد المعلومات التي يتم تبادلها عبر الأجهزة الإلكترونية وشبكات الكمبيوتر الذي يطلق عليه جهاز سايبر سيكبورويتي وأن هذا الجهاز يتبع أيضا لوزارة الأمن الوطني الداخلي وقد عين الرئيس بوش في نفس اليوم 13 مارس الجاري رئيسا له والضابط السابق في السي أي أيه ليسكوسكي ومساعدا لوزير الأمن الوطني الداخلي لشؤون حماية البنية التحتية والإلكترونية والكومبيوترية الأميركية من الاختراق والرصد.

ويذكر أن مجلس إدارة علوم المخابرات التابع لـ سي أي أيه وهو مجلس يعنى بتطوير أجهزة التنصت والرصد الحديثة والفائقة الحساسية لاستخدامها في مهام التجسس وجمع المعلومات.

في20 ديسمبر، 2004 تقرر أن يشرف من يتولى منصب مدير الاستخبارات الوطنية الذي استحدثه قانون إصلاح الاستخبارات الجديد، على مجموعة مترابطة من الوكالات والمنظمات التابعة للسلطة التنفيذية والتي تعمل إما معاً أو كل على حدة.

وفي ما يلي بيان أصدره مكتب برامج الإعلام الخارجي في وزارة الخارجية الأميركية يعدد هذه المنظمات الاستخباراتية ويوضح مسؤولية كل منها:

(8) Judd, Alan (1999) The quest for C: Sir Mansfield Cumming and the founding of the British Secret Service, London: HarperCollins, p.128.

برامج الإعلام الخارجي:

وزارة الخارجية الأميركية:

استحدث قانون تعديل أجهزة الاستخبارات الأميركية منصب مدير للاستخبارات الوطنية يشرف على برامج عمل وميزانية أجهزة الاستخبارات الأميركية الخمسة عشر وفقاً لقانون إصلاح أجهزة الاستخبارات والحيلولة دون الإرهاب الإسلامي الذي أقره الكونغرس ووقعه الرئيس بوش محوّلاً إياه بذلك إلى قانون ساري المفعول، يتمتع المدير بسلطة استراتيجية لتحديد توجه موحد لجمع المعلومات الاستخباراتية والعمليات التي تقوم بها جميع أجهزة الاستخبارات، ويكون مسؤولاً عن جميع العمليات. كما يتمتع المدير بسلطة وضع وتحديد ميزانية الاستخبارات السنوية السرية(9).

وكان مدير الاستخبارات المركزية، الذي كان أيضاً مدير وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية، هو المسؤول في السابق عن تنسيق عمل أجهزة الاستخبارات الأخرى التي تشكل مجتمعة نظام الاستخبارات الأميركي، ولكنه لم يكن يتمتع بأي صلاحيات في مجال الميزانية أو التوظيف. أما الآن، فلم تعد سلطة التنسيق بين عمل الوكالات المختلفة من صلاحيات مدير الاستخبارات المركزية.

كما نص القانون الجديد على إنشاء مركز وطني لمكافحة الجهاد الإسلامي في العالم سيكون مسؤولاً عن تخطيط المهمات الاستخباراتية وعمليات مكافحة المجاهدين.

ولكن هيكلية الأجهزة الاستخباراتية الحالية، وهي مجموعة مترابطة من الوكالات والمنظمات التابعة للسلطة التنفيذية والتي تعمل معاً أو كل على حدة، ستبقى على حالها، أي كما تم إنشاؤها بموجب قانون الأمن القومي للعام 1947 للقيام بالنشاطات الاستخباراتية. وتتضمن تلك النشاطات ما يلي:

(9) Winterbotham, F. W. (1974), The Ultra Secret, New York: Harper & Row, p.74.

1 - جمع المعلومات التي يحتاجها الرئيس ومجلس الأمن القومي ووزيرا الخارجية والدفاع وغيرهم من المسؤولين في السلطة التنفيذية لتأدية مهماتهم ومسؤولياتهم.

2 - إنتاج المعلومات الاستخباراتية وتحليلها وتوزيعها على صناع القرار.

3 - جمع المعلومات والقيام بنشاطات لحماية الولايات المتحدة من أي نشاطات استخباراتية موجهة ضدها، وأي نشاطات إرهابية أو نشاطات دولية تتعلق بالاتجار بالمخدرات، أو غيرها من النشاطات المعادية التي تقوم بها سلطات أجنبية أو منظمات أو أشخاص أو عملاء لديهم ضد الولايات المتحدة.

4 - النشاطات الاستخباراتية الأخرى التي يأمر الرئيس بالقيام بها.

وفي ما يلي لمحة عامة عن:

أجهزة الاستخبارات الجديدة[10]:

1 - المنظمات الاستخباراتية التابعة للجيش والبحرية وسلاح الطيران ومشاة البحرية (المارينز)، التي تقوم كل منها بجمع ومعالجة المعلومات الاستخباراتية المتعلقة باحتياجات كل منها.

2 - وكالة الاستخبارات المركزية (سي.آي.إيه)، وهي الوكالة التي تقدم معلومات استخباراتية خارجية حول مواضيع تتعلق بالأمن القومي لصناع القرار وواضعي السياسات الأميركية.

3 - وكالة استخبارات خفر السواحل، وهي مسؤولة عن المعلومات المتعلقة بالحدود الأميركية البحرية والأمن الوطني.

4 - وكالة استخبارات وزارة الدفاع، وهي الوكالة التي تقدم معلومات استخباراتية عسكرية موضوعية في الوقت المناسب لقادة مراكز قيادات مسارح العمليات الإقليمية وصناع القرار والمخططين للقوات المسلحة.

(10) Jeffery, Keith (2010). MI6: The History of the Secret Intelligence Service, 1909-1949, London: Bloomsbury, p.356.

5 - استخبارات وزارة الطاقة، وتقوم بتحليل معلومات عن الأسلحة النووية الأجنبية وانتشار الأسلحة النووية وقضايا استخباراتية مرتبطة بأمن الطاقة.

6 - استخبارات وزارة الأمن الوطني، وهي الجهة التي تحول دون وقوع هجمات داخل الولايات المتحدة وتقلل قابلية تعرض الولايات المتحدة لعمل إرهابي، وتقلص الضرر الناجم عن مثل ذلك الهجوم إلى أدنى حد ممكن وتؤمن التغلب على أضراره فيحال وقوعه.

7 - استخبارات وزارة الخارجية: وهي الجهة التي تحلل المعلومات التي تؤثر على سياسة الولايات المتحدة الخارجية.

8 - استخبارات وزارة المالية، وتقوم بجمع ومعالجة المعلومات التي قد تؤثر على سياسات الولايات المتحدة المالية والنقدية، والمعلومات المتعلقة بتمويل الجهاد.

9 - مكتب التحقيقات الفدرالي، وهو الجهة المسؤولة عن مكافحة المجاهدين، على الصعيدين المحلي والدولي، ومكافحة الجاسوسية (أو القيام بنشاطات تجسس مضاد)، والمعلومات المتعلقة بقضايا جنائية دولية.

10 -وكالة الاستخبارات الأرضية: الفضائية القومية، وهي الوكالة التي تقدم معلومات استخباراتية جغرافية دقيقة الصحة في الوقت المناسب متصلة بشكل وثيق بموضوع الأمن الأرضي/ الفضائي لدعم الأمن القومي.

11 -مكتب الاستطلاع القومي، ومهمته تنسيق جمع وتحليل المعلومات التي تحصل عليها الأسلحة المختلفة في القوات المسلحة الأميركية من طائرات الاستكشاف والأقمار الصناعية الاستطلاعية (أقمار التجسس).

12 -وكالة الأمن القومي: ومهمتها جمع ومعالجة إشارات معلومات الاستخباراتية الأجنبية توفير المعلومات للزعماء القوميين وقادة مراكز قيادات مسارح العمليات، وحماية أنظمة المعلومات الأمنية الأميركية من اختراقها.

13 -مجموعة الاستخبارات الأميركية (جميع مهمات وكالة الاستخبارات المركزية ووكالة استخبارات وزارة الدفاع ووكالة الأمنالقومي ومكتب الاستطلاع القومي ووكالة الاستخبارات الأرضية- الفضائية القومية بالاستخبارات. وعليه، فإن كل منظمة من هذه المنظمات تعتبر، برمتها، عضواً فيها).

14 -المنظمات الأخرى: فمسؤولة في المقام الأول عن عمليات وقضايا غير الاستخبارات، ولكنها تتحمل أيضاً مسؤوليات استخباراتية. وفي هذه الحالات، يكون ذلك الجزء المسؤول عن القيام بالمهمة الاستخباراتية هو وحده جزءاً من مجموعة أجهزة الاستخبارات الأميركية.

ويقول خبراء مخابراتيون أنه منذ تولي الجنرال نغروبونتي مسؤولية الإشراف على الوزارة الجديدة للاستخبارات وتقديم البيان الاستخباري اليومي الموجز للرئيس الأميركي جورج بوش، أصبحت وكالة المخابرات المركزية التي كانت تحدد يوما فحوى محتويات التقارير مجرد مساهم إلى جانب آخرين مثل وكالات الاستخبارات التابعة لوزارتي الخارجية والدفاع (البنتاغون). ويقول مسؤولون سابقون أن هذه التطورات أثارت تكهنات بان المخابرات المركزية قد تفقد مهمتها التحليلية بالكامل لصالح نغروبونتي وتصبح مكرسة فقط لجمع المعلومات[11].

من ناحية أخرى تشير التقارير الصحافية التي راجت في الآونة الأخيرة إلى أن وزير الدفاع دونالد رامسفيلد قد طور جهاز المخابرات الدفاعية وأعاد تفسير قوانين الدولة لتسمح له بالسيطرة على كافة أعمال الجاسوسية في أمريكا، بحيث لا يتكرر ما حدث مع بوش حين خرجت أجهزة بأفكار وتحليلات لا تؤيد توجهات القيادة السياسية في خصوص العراق وأسلحة الدمار الشامل.

(11) Humphreys, Rob (1999) London: The Rough Guide, Rough Guides, p.511.

النشأة والقيادة:

بعد أن أمر بوش بإنشاء وزارة خاصة بالمخابرات، ومع الأدوار الجديدة والرئيسية والمقررة للمؤسسات المخابراتية الجديدة يصبح من الضروري إجراء قراءة استرجاعية لسلوك الجهاز منذ حقبة السبعينيات وحتى اليوم. وهي قراءة سنتجاوز فيها التفاصيل المعلنة بسبب مرور ثلاثين عاما عليها (وصلت إلى نهاية عهد نيكسون - مر عليها 30 عاما) في المقابل فإننا سوف نركز على المؤسسات والشركاء والمتعاقدون مع الجهاز. ذلك أن هؤلاء هم صناع سياسة بوش الذي تحول إلى مجرد دمية متحركة بين أيدي الجهاز والمؤسسات التابعة له.

ونعود إلى النصف الثاني من السبعينيات حين كانت وكالة الاستخبارات المركزية وبطانتها غير الرسمية من العاملين السابقين في الأجهزة السرية ومن العملاء القدامى، إضافة إلى أنصارها في مختلف قطاعات المجتمع الأميركي، عاملاً رئيسيا في تعزيز مواقع الجناح اليميني المحافظ في السياستين الخارجية والأمنية للولايات المتحدة الأميركية. حيث من المتعارف عليه دعم اليمين (الحزب الجمهوري) للمخابرات ولدورها. في مقابل معارضة الحزب الديمقراطي لهذا الدور مع عمله على تقليص صلاحياتها.

لقد قامت التجمعات المالية والصناعية في تكساس وكاليفورنيا، وبينهم عمالقة صناعة الأسلحة، وفريق وزارة الدفاع، ومعهم المجتمع الاستخباراتي الذي تقف الوكالة على رأسه،بحكم تقديمها لمعظم الأموال، بنقل ملايين الدولارات وتحويلها إلى مراكز البحوث الملحقة بها، مثل مؤسسة راند في سانتا مونيكا (وهي التي أصدرت ما عرف بتقرير راند الذي وضع السعودية من أهداف الولايات المتحدة في المرحلة القادمة ومعهد هوفر المتخصص بشؤون الحرب، ومركز الثورة والسلام في بالو ألتو، ومركز الدراسات الاستراتيجية والدولية في جامعة جورج تاون بواشنطن، ومعهد واشنطن للمشاريع التجارية، ومعهد التقنية في ماساشوست، وغيرها

من المراكز البحثية، بهدف تطوير قاعدة فكرية تؤسس لسياسة قوة أميركية متجددة دون وجود أي من شروط واحتمالات الـ "إذا" أو تبريرات الـ"لكن"[12].

وفي عام 1973 دفع بارون جوزيف كورز joseph Coors إلى المدعو بول فيريتش Paul weyrich مبلغ 250 ألف دولار المطلوب كدفعة أولى لاستحداث "مؤسسة التراث" وهي عبارة عن مركز بحث خاص لترويج أفكار الجناح اليميني، وحتى قبل تسلم ورونالد ريغان منصب الرئاسة كانت هذه المؤسسة قد بدأت بتقديم توصياتها على نحو منتظم بشأن ضرورة توسيع سلطات أجهزة الاستخبارات.

ففي أواخر نوفمبر من عام 1984 طالبت مؤسسة التراث إدارة الرئيس ريغان بتنفيذ عمليات سرية شبه عسكرية في أفغانستان وأنغولا وكمبوديا وأثيوبيا وإيران ولاوس وليبيا ونيكاراغوا وفيتنام.

وفي إطار مؤسسة التراث هذه شكل فيريتش لجنة أسماها ب " لجنة بقاء الكونغرس حراً". بهدف تعزيز مواقع أعضاء الكونغرس اليمينين، وبالتعاون مع ريتشارد فيجوري Ridchard viguerie (الذي كانت تستخدم مكاتب شركته الاستشارية الكائنة في ضاحية فولز تشرش قرب واشنطن كمراكز قيادة للحركة اليمينية الجديدة) وهارود فيليبس Hpward phillips (من مؤسسة مؤتمر المحافظين conservative caucus) شكل فيريتش الحركة الشعبية المحافظة اليمينية المعروفة باسم الأكثرية الأخلاقية Moral Majority[13]. كما تجدر الإشارة إلى أن مشروع تصدير الديمقراطية للشرق الأوسط (المعروف بمشروع باول للشراكة الأميركية الشرق أوسطية) قد أعلن في خطاب ألقاه لأول في هذه المؤسسة. الأمر الذي يعطينا فكرة عن

---

(12) Dorril, Stephen (2001) MI6: Fifty Years of Special Operations London: Fourth Estate, p.22.

(13) Davies, Philip H.J. (2005) 'The Machinery of Spying Breaks Down' in Studies in Intelligence Summer 2005 Declassified Edition, p.78.

الأدوار الوظيفية لهذه المؤسسة المدنية الطابع والاستخباراتية المضمون.

ولقد حاولت هذه الحركة حشد جماعات الضغط (اللوبي) من أجل إنجاح أعضاء الكونغرس اليمينيين. ومن أجل فوز اليمين في الانتخابات الرئاسية.

ويمكن مقارنة تشكيل مؤسسة التراث بتشكيل مركز الدراسات الدولية لدى معهد التقنية في ماساشوست في عام 1951 والذي أنشئ أيضا بأموال وكالة الاستخبارات المركزية. ولا ننسى هنا أن استحداث مراكز البحث والدراسات الخاصة بالوكالة وتمويلها بالكامل سرا هو جزء من تقاليد الوكالة.

لقد تشكلت مؤسسة التراث في وقت قرر فيه العاملون داخل الوكالة ومن أطرافها اجتذاب تعاطف الجمهور أكثر باتجاه وكالة الاستخبارات المركزية وعملياتها السرية وتطوير استراتيجية استخبارية على المدى البعيد. وفي عامي 1973-1974، أجبر عدد من ضباط الاستخبارات على الاستقالة أو هم استقالوا طواعية لكي يكرسوا أنفسهم لهذا الواجب. ثم التحق العديد منهم بجمعية ضباط الاستخبارات السابقين (AFIO) وبمركز الدراسات الاستراتيجية والدولية (CSIS) أوبمؤسسة التراث. وكان من بين هؤلاء الضباط ديفيد فيليبس David philips (الرئيس الأسبق لقسم الجزء الغربي من الكرة الأرضية التابع لمديرية العمليات في الوكالة) الذي كان قد أسس لوبي المجتمع الاستخبارات متمثلا بجمعية ضباط الاستخبارات السابقين. التي سرعان ما انتسب إليها أكثر من 2000 ضابط استخبارات سابق كانوا قد انسحبوا من تسعة فروع من أجهزة الاستخبارات الأميركية[14]. كما استقال راي كلاين Ray S Cline الضابط السابق في مكتب الخدمات الاستراتيجية (OSS) ونائب مدير وكالة الاستخبارات المركزية بين عامي 1962-1966 من عمله في مكتب الاستخبارات

(14) Davies, Philip H.J. (2004). MI6 and the Machinery of Spying London: Frank Cass, p.85.

والأبحاث التابع لوزارة الخارجية في عام 1973 لكي يشغل منصبا قياديا في مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية الذي تربطه صلات وثيقة بالوكالة. وكذلك ترك العديد من الضباط الوكالة (مع أنهم كانوا واعدين في مناصبهم) للالتحاق بمراكز البحث المخابراتية المموهة. وهكذا قدمت وكالة الاستخبارات الأمريكية إسهامات فكرية كبيرة صبت في إطار المساعي التي كانت تبذلها الجماعات اليمينية المحافظة بهدف تعبئة القوى السياسية والرأي العام دعماً لجنوح الولايات المتحدة في السبعينيات نحو ممارسة أقصى حد من سياسة القوة والتدخل بشؤون الدول في العالم[15].

ومع الوقت تحولت وكالة الاستخبارات المركزية إلى مركز أكاديمي هام للبحث والتحليل وإلى راع للتوسيع في البحوث العلمية والتقنية. وعلى هذا الأساس قدم المئات من الكليات والجامعات والآلاف من العلماء خدماتهم للوكالة بهذا الشكل أو ذاك، فكانوا بذلك إما معتمدين عليها أو متأثرين بها أو منقادين إليها.

كان الهاجس الأوحد لوكالة الاستخبارات المركزية ينحصر في استخدام الصحافة، داخل الولايات المتحدة وخارجها، بقصد التأثير والتوجيه والتلاعب بالرأي العام. ولكن مع تنامي إدراكها لما تتمتع به وسائل الإعلام من إمكانيات هائلة في التأثير على الجمهور. ورغبة منها في أن تزيد من فاعلية تضليلها الإعلامي الواسع النطاق سعت الوكالة، ولا تزال تسعى، لزرع عملائها في هيئات تحرير الصحف وفي دور النشر. بل أنها فوق هذا وذاك تقوم بشراء المزيد من دور النشر والصحف بشكل مباشر.

كما أن للوكالة علاقات متعددة الأوجه مع مجلات الرأي والفكر مثل "بليك أوبيوين كومينتري ناشيونال' و'ناشيونال أنترست'[16]. حيث يذكر

(15) Atkin, Malcolm (2015). Fighting Nazi Occupation: British Resistance 1939 - 1945. Barnsley: Pen and Sword, p.214.

(16) Britain, America and Cold War Secret Intelligence, London: John Murray, p.277.

أن أرفنغكريستول ناشر مجلة ناشيونال انترست، وأحد حاملي لواء الفكر اليميني الجديد في الولايات المتحدة، كان قد عمل في الخمسينيات رئيساً لتحرير مجلة "انكاونتر" الشهرية التي تمولها وكالة الاستخبارات المركزية.

ويرأس نورمان بودهوريتز تحرير مجلة "كومينتري" التي تهتم بالمعالجة التفصيلية للجوانب الاستراتيجية والتكتيكية للأنشطة الاستخباراتية. وهذا أيضا يتلقى أموالا من الوكالة.

ولا تنحصر علاقات الوكالة مع وسائل الأعلام بمجلات الرأي فقط. فقد أظهرت الدراسات التي جرت في السبعينيات حول العلاقات التي تربط الوكالة ببقية وسائل الإعلام. فتبين أن الوكالة كانت في فترات مختلفة إما مالكة أو ممولة لأكثر من 50 صحيفة ووكالة أنباء ومحطة إذاعة ومجلة أو لأنواع أخرى من وسائل الاتصال.

ومنذ أوائل الخمسينيات قام عدد من دور النشر وبعضها من الدور المشهورة بإصدار 250 كتاباً بالإنكليزية كانت كلها من تمويل وإنتاج الوكالة بالإضافة إلى إصدار أكثر من 1000 مطبوعة باللغات الأخرى. ولتنفيذ مشاريعها هذه قامت وكالة الاستخبارات المركزية وعبر حملات خاصة بتجنيد مئات الصحافيين الذي حافظوا على مواقعهم الصحافية ولكنهم أصبحوا عملاء مأجورين لها. في حين عمل ضباط الوكالة في الخارج كمراسلين أو كمحررين من خارج الملاك في المؤسسات الصحافية التي تملكها الولايات المتحدة. ولم تتوقف وكالة الاستخبارات المركزية عن ممارسة هذه النشطات أبداً، بل هي على العكس قامت بتكثيفها[17].

ولقد تم تصميم هذا الاندماج التكاملي بين وسائل الإعلام وأجهزة الاستخبارات بهدف تضليل البلدان الأخرى وحرف توجهاتها نحو تأييد السياسات الأميركية. وفي الوقت ذاته يساعد هذا الشكل من الاندماج في

(17) Marks, Leo (2007). Between Silk and Cyanide. The History Press. p.21, p.50.

السيطرة على الرأي العام المحلي والخارجي وتوجيهه وفق ما هو مطلوب داخل الولايات المتحدة.

ففي أواخر السبعينات استخدمت الجماعات اليمينية الأمريكية مثل جماعة الأكثرية الأخلاقية مبدأ "إمكانية الرد" الذي تعمل على أساسه الدعاية السوداء للوكالة في الخارج من أجل خلق جو من القلق وانعدام الأمان لدى الشعب الأميركي. ويبين جون ستوكويل الرئيس الأسبق لبعثة الوكالة في أنغولا، في كتابه "البحث عن الأعداء" كيف قامت الوكالة بفبركة الأخبار في أنغولا وتسريبها إلى صحيفة واشنطن بوست وشبكات التلفزة الأميركية.

وتعتمد الوكالة الاستخبارات المركزية طرقا ملتوية أكثر فأكثر للتأثير في الرأي العام. فهي تستخدم من أجل ذلك علاقاتها مع مجموعات متعددة كمثل كنيسة التوحيد/ الموونيون (التي يرأسها الكاهن صن ميونغ موون) ويزعم الموونيون أن عدد أتباعهم يصل إلى 28 بلدا في العالم وهم يسيطرون اليوم على 20 منظمة دولية تقريبا وعلى صحف واسعة الانتشار مثل "واشنطن تايمز" و"نيويورك تريبون" و"ميدل إيست تايمز" ويلعبون بذلك دورا رئيسيا في عمليات الوكالة الأمريكية للاستخبارات في الداخل وعملياتها السرية في جميع أنحاء العالم. لاسيما ضد البلدان النامية. وتعود الصلات القائمة بين وكالة الاستخبارات المركزية وطائفة كنيسة الموونيين إلى الستينيات عندما أنشأت الاستخبارات الأميركية وكالة الاستخبارات الكورية KCIA في كوريا الجنوبية وطبقا لما يذكره المنفيون من كوريا الجنوبية فإن العضوية في كنيسة التوحيد تعتبر بحد ذاتها كتاب توصية للعمل في أجهزة استخبارات كوريا الجنوبية والعكس صحيح. أي أن كل ضابط في وكالة الاستخبارات المركزية الكورية هو قساً من أعضاء الطائفة[18].

(18) Richard Tomlinson (2001). The Big Breach: From Top Secret to Maximum Security. Mainstream Publishing. P.25.

وفي تقرير مجلس النواب الأميركي في 31 نوفمبر من عام 1978 حول طائفة الموون إشارة إلى أن أهداف كنيسة التوحيد داخل الولايات المتحدة تتفق مع أهداف وكالة الاستخبارات المركزية الكورية إلى ذلك الحد الذي يصعب معه التفريق بينهما(19). ويعتبر الكولونيل بو هي باك BO HI PAK (نائب صن ميونغ موون) أحد الشخصيات المفتاحية في الصلة القائمة بين وكالة الاستخبارات المركزية وكنيسة التوحيد. إذ يذكر أحد التقارير في مجلة "كريستيان سينتشري" الأميركية أن هناك أدلة تثبت وجود صلات للكولونيل باك مع الاستخبارات الكورية الجنوبية فضلا عن العلاقات التي تربطه بوكالة الاستخبارات المركزية. وليس باك الملقب بالقبطان الإلهي هو الناطق الرسمي باسم طائفة الموون فقط، بل هو أيضا رئيس مؤسسة الحرية الثقافية الكورية. التي تعتبر خليفة لجنة آسيا الحرة وهي الابنة غير الشرعية لوكالة الاستخبارات المركزية. والتي كانت عاملا أساسيا في الحرب النفسية التي شنتها الوكالة إبان الحرب الفيتنامية. وكان الكولونيل باك قد خدم لسنوات عديدة كملحق عسكري لكوريا الجنوبية في واشنطن. وهو يدير حالياً الإمبراطورية الصحافية العائدة لكنيسة التوحيد والتي تسيطر بدورها على عدد من الصحف الأجنبية مثل صحيفة التيماس نوتيسياس في الأرغواي.

من جهة أخرى تمكنت الوكالة من أن تصبح عامل قوة أساسي في رسم السياسة الأمريكية وذلك من خلال الصلات المتعددة التي تربطها بالسلطة التنفيذية والاقتصاد الأميركي ومؤسسات البحث المختلفة إضافة إلى صلاتها الوثيقة مع الإعلام.

وفي 30 كانون الثاني عام 1975 أدى جورج بوش الأب (المنتمي إلى مجموعة أثرياء نفط تكساس) قسم توليه لمنصب مدير وكالة

(19) Ian Cobain and Richard Norton-Taylor (18 April 2012). "Sins of colonialists lay concealed for decades in secret archive". The Guardian (London). Retrieved 25 June 2012, p.23.

الاستخبارات المركزية أمام الرئيس جيرالد فورد. وكان معنى ذلك من الناحية العملية استيلاء سياسي جمهوري على الوكالة بوضع اليد. فقد كان بوش قد عقد عزمه على توظيف إمكانيات الوكالة وقدراتها في دعم تطبيق سياسات يمينية محافظة (عزم استخدام القوة) في الداخل والخارج. وتمثلت إحدى أولى الخطوات التي اتخذها جورج بوش، بوصفه مديراً لوكالة الاستخبارات المركزية، في تغيير تقديرات محللي الوكالة[20]. التي كانت تفيد بوجود توازن عسكري متقارب ما بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي. ولهذه الغاية عين بوش مجموعة خاصة سميت الفريق B ليكون النظير المنافس للفريق A. المؤكد على وجود هذا التوازن.

وكان يقف على رأس الفريق B كل من "ريتشارد بايبس" و"بول نتز" و"وليام فان كليف" وتوصلت هذه المجموعة إلى النتيجة المرجوة. حيث أظهرت التحليلات بعد تدقيقها وتنقيحها أن الاتحاد السوفيتي قد أحرز تفوقاً نووياً بسبب الثغرات القائمة في اتفاقيات الحد من التسلح. وفي سعيهم وراء الحقيقة أحجم رؤساء الفريق B عن التلاعب بالأرقام أو عن إساءة تفسير الحقائق بشكل (مفضوح) واضح[21]. وانتشرت الأخبار داخل الولايات المتحدة وخارجها معلنة تراجع قدرات الولايات المتحدة العسكرية أمام قدرات الاتحاد السوفيتي. في حين راحت صحف عديدة داخل الولايات المتحدة وفي البلدان الحليفة لها وفي مناطق أخرى من العالم ترسم صورة قاتمة عن تدني منزلة القوة الأميركية.

وفي عام 1976 عندما أصبح كارتر رئيساً للولايات المتحدة أسست بعض الجماعات المحافظة، مقلدة بذلك فريق بايبس، لجنة الخطر الماثل حاليا CPD لدعم الولايات المتحدة في مساعيها للوصول إلى مواقع الهيمنة والتفوق من الناحية الجيو السياسية. وهكذا تم ربط هذه اللجنة بمجموعة

(20) "Rocket' theory over MI6 blast". BBC. 21 September 2000. Retrieved 1 July 2012, p.58.

(21) "Spectre". Movie locations. Retrieved 3 January 2015, p.47.

باكتل المحدودة (برزت في طليعة الشركات الأميركية المستفيدة من إعادة إعمار العراق) ومعهد هوفر المتخصص بشؤون الحرب ومعهد الثورة والسلام ومؤسسة التراث ومركز الدراسات الاستراتيجية والدولية وغيرها. ومن المستشارين المعروفين لدى لجنة الخطر الماثل نقرأ أسماء "روجر بروكس" و"أرماند دي بوركغرايف" Arman De Borchgrave و"ريتشارد ألان" Richard Allen والكثيرين غيرهم[22]. وكان لهذا الفريق الدور الرئيسي في الحول دون إعادة انتخاب كارتر والمجيء باليميني ريغان ليفتتح عهد القوة الأميركي الذي فشل كلينتون في احتوائه. وهو فشل يعود إلى الأقنعة المؤسساتية، المذكورة أعلاه، التي يرتديها اليمين الأميركي المتطرف. وفي هذا تفسير لاستلاب إرادة الرئيس ووكر بوش وخضوعه لنجوم هذه المؤسسات البحثية المخابراتية.

(22) "Bond is backed... by the government". The Guardian (London). 27 April 1999. Retrieved 29 December 2007, p.429.

ثانيا: كيف يتم تجنيد الجواسيس
في وكالة الاستخبارات الأمريكية؟

■ د. نسيم بلهول

إن الاستخبارات الأمريكية لايمكن لها أن تنجح في مهامها إلا بواسطة أمرين:

1 - تجنيد الجواسيس لاختراق الدول والمؤسسات والجماعات.

2 - التنصت على الهواتف وأجهزة الكومبيوتر.

وهذا ما سنتناوله بالتفصيل.

وحتى نكون على علم بما تقوم به الـ CIA من عمليات قذرة سنتطرق وكيفية عمل أجهزة الاستخبارات الأمريكية في مجال التجنيد. فهناك ست خطوات أساسية لعملية التجنيد والاختراق هي كالآتي:

اكتشاف الجاسوس:

هذه الخطوة تقوم على تحديد الأجانب من غير الأميركيين وغيرهم من الأشخاص الذين يكونون مستعدين للتجسس لحساب الوكالة. ويقوم رجل الاستخبارات الاختلاط مع السكان المحليين في البلد الذي يعمل فيه أملا في اكتشاف عملاء محتملين وهو يركز جهوده عادة على المسؤولين في الحكومة المحلية وعلى أفراد القوات المسلحة وممثلي دوائرالاستخبارات في البلد المضيف ذلك لأن الأشخاص الآخرين اللذين يعملون في مهن

أخرى حتى وان كانوا قابلين للتجنيد لا يطلعون عادة على المعلومات الاستراتيجية العالية المستوى التي تستغلها وكالة الاستخبارات المركزية ويعمل معظم رجال الوكالة في السفارات الأمريكية لأن الستار الدبلوماسي يوفرلهم الفرصة المناسبة للوصول إلى أهدافهم عن طريق إعداد لا تحصى من المسؤولين كما أن الاتصالات الاجتماعية التي تتميز بها حياة الدبلوماسي حتى وان كان دبلوماسيا وهميا يعمل لوكالة الاستخبارات المركزية تعطيه فرصة ذهبية للوصول إلى الأهداف والبعثة الدبلوماسية وحدها هي التي تعطي الغطاء لموظفي الوكالة للعمل في أي بلد، وهناك وظائف رسمية أخرى تعطي مثل هذا الغطاء مثل وكالة المعلومات الأمريكية والقوات المسلحة وغيرها كثير. وليس من الضروري لموظفي وكالة الاستخبارات المركزية أن تكون له صفة رسمية[1]. إذ إن كثير من الذين يعملون لحسابها من طلاب أوصحافيون أو حتى قساوسة.

ويتلقى رجل الاستخبارات تعليمات تستند إلى دراسات يقوم بها خبراء الوكالة أو أساتذة الجامعات المتعاقدين مع الوكالة. حول نوعية الناس الذين يتأثرون بسرعة بدسائس الجاسوسية واستراتيجيتها وتتفاوت شخصية الجاسوس المحتمل بين بلد وبلد وبين حالة وحالة، غير انه تم تحديد أصناف معينه لأنواع العملاء السريعي التأثر الذين تفضلهم الوكالة، والمخبرون الذين تسعى الوكالة إلى تجنيدهم أكثر من غيرهم هم المسؤولون الأجانب الغير راضيين عن سياسات بلدانهم واللذين يتطلعون إلى الولايات المتحدة طالبين الإرشاد منها والتوجيه منها مثل هؤلاء أكثر استعدادا لأن يكونوا عملاء أوفياء متفانين من أولئك الذين يكونون دافعهم الأساسي مادياً، ولا شك في أن المال يساعد كثير في الحصول على معلومات وعلى الأخص في دول العالم الثالث ولكن الرجل الذي تستطيع وكالات الاستخبارات شرائه يشكل هدفاً للخصوم والعميل الذي يعتقد أن

(1) Thames House and Vauxhall Cross, Report by the Comptroller and Auditor General, 18 February 2000, p.60.

ما يفعله يشكل هدفا ساميا، لان يكون في الغالب سهل الانقياد لإغراءات البوليس السري أو أية استخبارات معادية وهو كذلك اقل تأثرا بالشعور بالذنب وهو وما يرافقه هذا الشعور من انهيار نفسي كثيرا ما يعرقل عمل الجاسوس ويعتبر العمل العقائدي (الخارج على حكومته داخل بلاده) صيداً ثميناً للعاملين في الوكالات ومن المرشحين المحتملين للتجسس عن أولئك المسؤولين الذين يعيشون حياة باهضة النفقات ولا يستطيعون المحافظة على مستواها عن طريق دخولهم العادية أو أولئك الذين يعانون من ضعف لا يستطيعون التغلب عليه تجاه المال أو أمام المشروبات المسكرة والمخدرات أو جنس أو حتى أمام الابتزاز.

ولا يبحث رجل المخابرات دوماً عن عملاء محتملين بين أولئك الذين يشغلون مناصب ذات أهمية. ويعتبر الطلاب عادة أهدافا قيمة في هذا المجال وعلى الأخص في بلدان العالم الثالث حيث يرتقي خريجو الجامعات إلى مناصب حكومية رفيعة بعد تخرجهم.

وتبدي وكالة الاستخبارات اهتماماً خاصاً في البحث عن عملاء داخل القوات المسلحة لأن العسكريين هم العنصر المتحكم في هذه البلدان أو السيطرة عليها. ومن هنا جاء التركيز على استخدام أساتذة الجامعات التي يكثر فيها الطلاب الأجانب وكذلك على مدارس القوات المسلحة ومعاهد التدريب التي تستقبل الضباط الأجانب في دورات تدريبية مثل (مدرسة قيادة الميدان) في (فورت لافنوودث) بولاية تكساس.

تقييم الجاسوس:

بعد اكتشاف الجاسوس المحتمل. تقوم الوكالة بدراسة دقيقة عنه لتقرير ما إذا كان سيصبح في وضع يستطيع معه تقديم معلومات مفيدة والخطوة الأولى في هذه العملية هي التدقيق في ماضي هذا الشخص بالرجوع إلى أخبار مفصلة في رئاسة الوكالة في (النغلي) التي أنشأت (بنك للمعلومات) بحسب وكالات الاستخبارات المركزية وهو يتضمن معلومات

عن الملايين من الأشخاص. فإذا عثر على أي معلومات عن العميل المترقب تصل هذه المعلومات إلى ضابط الميدان الذي يواصل في غضون ذلك دراسة احتمال التجنيد ويقوم بتحريات خفية لرسم الصورة الحقيقية عن هذا العميل وقد يوضع الجاسوس المرشح تحت المراقبة لمعرفة المزيد عن عاداته وآرائه. ثم تبدأ دراسة دقيقة لمعرفة الدوافع وراء قبوله العمل كجاسوس وهل هي عقائدية أو نفسانية أو مادية وإذا لم يكن له مثل هذا الدافع فان الوكالة ستلجأ إلى وسائل أخرى كالتهديد والضغط وعلى الضابط المسؤول عن عملية التجنيد هذه أن يقرر إن كان الجاسوس المترقب حقيقة أم انه عميل للعدو أي عميل مزدوج[2]. وعند انتهاء فترة تقييم العميل التي قد تمتد أسابيع أو أشهرا تقرر رئاسة الوكالة بالتشاور مع عناصر الميدان إن كان يجب الاتصال مع العميل المرتقب كي يبدأ العمل. فإذا كان القرار ايجابيا فمن الطبيعي أن يتصل رجل من الوكالة من الخارج بالعميل المترقب ولا يتصل به عادة الرجل الذي اكتشفه أو الذي قام بتقييمه أو أي من رجال الوكالة المحللين زيادة في الحفاظ على رجال الوكالة والعاملين لحسابها ومتى وصل الرجل الذي سيقوم بالتجنيد إلى المنطقة يقوم العاملون بترتيب اجتماع بينهم وبين العميل المرتقب ويتم تعريف هذا الضابط المجنِّد (بكسر النون) إلى الرجل الهدف وفقا لظروف يُعد لها إعدادا دقيقا تسمح لرجل الاستخبارات الذي قام بدور المعرف بالانسحاب بهدوء تاركا الضابط وحيدا مع العميل المحتمل. وقد تتخذ خطوات تحسبية توفر للضابط طريقا مأمونا للهرب في حال وقوع ما في الحسبان وإذا حدث أن كان العميل المرتقب في صفوف المعارضة في بلده فان الضابط المجند ربما يبدأ في الحديث عن المبادئ التي يجب أن يلتزم بها المواطن نحو وطنه وعن ميول أخرى أيديولوجية ويقترح وسائل يمكن للرجل معها أن يساعد بلاده وشعبه عن طريق التعاون سرا مع دولة أجنبية خيرة. أما إذا ظهران العميل المرتقب يتميز بالضعف بالمال فان الضابط قد

(2) New evidence of UK complicity in libya torture Channel Four News, 8 February 2013, p.111.

يضرب على هذا الوتر مؤكدا انه يعرف الطريق لكسب كميات كبيرة من المال بسرعة وبسهولة أما إذا كان العميل المرتقب يهتم بالسلطة أو إذا كان واقعا تحت تأثير (الجنس أو المخدرات) أو إذا أراد الهرب من بلاده والابتعاد عن عائلته ووضعه الاجتماعي فان الضابط المجند يحاول أن يركز جهوده على هذه الحاجات البشرية وينصرف إلى تقديم مقترحات تتعلق بكيفية يمكن أن يحصل على حاجته هذه عن طريق التعاون مع (رفقاء معينين) ومن مهمة الضابط المجند تحديد السبب الذي يؤثر في العميل المرتقب وإذا استنتجت الوكالة أن العميل يخشى التهديد والابتزاز، فان تهديد مبطننا بفضحه قد يستخدم، يواجه العميل المرتقب في بعض الحالات بالبيئة التي قد تستخدم في فضحه، إذا هو تردد في العمل لحساب الاستخبارات وتسجيل المحادثة بين الرجلين في جميع الأحوال إما بواسطة جهاز تسجيل أو باتباع وسيلة أخرى كالتصوير أو التقاط بصمات الأصابع أو أي شيء قد يشكل بينة قد تستعمل ضده وبعد أن يقبل العميل المرتقب عرض وكالة الاستخبارات أو يستسلم للتهديد يخوض الضابط المجند في تفصيلات الترتيبات فيعرض عليه راتب مغريا بين500 دولار أو 1000 دولار في الشهر كل حسب وضعه الاجتماعي يدفع جزء منه نقدا والباقي يوضع في حساب سريا أمريكيا أو سويسريا ويعود السبب في ذلك إلى محاولة منع العميل من تبذير الأموال من جهة وكي لا يلفت أنظار جهاز الأمن المحلي والى إحكام القيد على الجاسوس من ناحية أخرى يتعهد الضابط المجند بأن تضمن وكالة الاستخبارات سلامة العميل وأفراد عائلته في حالة تعرضه لمشاكل مع البوليس وتحقيق هذه الوعود تتفاوت تفاوت كبيرا إذا يتوقف على نوع المهمة وشخصية ضابط الوكالة المسؤول ومعظم هؤلاء الضباط يحنثون بوعدهم في معظم الأحيان، ويحاول الضابط المجند حمل العميل الجديد لدى موافقته العمل مع وكالة الاستخبارات أن يوقع قصاصة ورق تربطه رسميا وبوضوح مع الوكالة وهي عقد عمل يمكن استعماله في وقت لا حق لتهديد العميل الذي يقوم بفضحه إذا هو توقف عن العمل. والمهمة الأخيرة من الضابط المجند هو التهيئة للاجتماع بين

العميل الجديد ورجل الوكالة العامل في تلك البلاد الذي سيكون مسؤولاً عنه وكثيرا ما ينطوي هذا على إشارات متفق عليها سلفا ومن الأساليبالمتبعة مثلا إعطاء العميل زرارين معينة ويقال له أن رجال يحملوا زرارين مماثلين سيقتربون منه أو إعطائه كلمة سر ويقال له إن ضابطه سيستلمها في وقت لاحق لتعريف نفسه إليه. وحين يتم هذا كله يترك الضابط المجند الاجتماع ويغادر البلاد بأسرع ما يكون.

تجربة الجاسوس:

ومتى جُند العميل يذهب الضابط المسؤول إلى اختبار ولائه ومدى الاعتماد إليه فيعهد إليه في مهمات معينة تعطى له في حالة تنفيذها تكون الدليل على ولائه وإخلاصه كما تبرهن على قدراته وقد يُطلب إلى العميل مثلا جمع معلومات عن موضع يُعرف انه سبق للوكالة إن حصلت على معلومات كثيرة عنها، فإن لم تتفق المعلومات التي يأتي بها مع المعلومات المتوفرة لدى الوكالة، فيفسر ذلك بأن العميل إما أن يكون مزدوجا يحاول أن يخدع ضابطه أو إنه مصدر ضحل للمعلومات يحاول أن يرضي رئيسه الجديد ويظل العميل خلال فترة الاختبار تحت مراقبة دقيقة ترصد معها حركاته وسكناته ويطلب إلى العميل بالإضافة كل ما تقدم أن يخضع لجهاز لكشف عن الكذب. يقول أحد هؤلاء الخبراء أن اختبار العملاء الأجانب يتطلب مهارات اكبر من تلك التي يتطلبها استجواب الأمريكيين الذين يبحثون في توظيفهم في الوكالة فقد وجد هذا الخبير أن الأمريكيين صريحون عادة ويمكن التكهن نسبيا بتجاوبهم مع الاختبار مما يجعل من السهل نبذ أولئك الذين لا يرتقون إلى المستوى المطلوب. ولكنه يقول أن اختبار العملاء الأجانب أصعب بكثير إذا يجب تعديل طريقة الاستجواب حيث تستوعب فيها الفروق الثقافية كما تستوعب فيها حقيقة أخرى مثل إن العميل سيقوم بعمل سري غير مشروع وشديد الخطر[3].

(3) Sherwood, Deborah (20 November 2011). "Simply The Best 7 Days A Week:: News: Gaddafis son snared by MI6". Daily Star. Retrieved 28 December 2011, p.322.

تدريب الجاسوس:

عندما تنتهي عملية اختبار العميل يبدأ تدريبه للمهارات الخاصة التي يطلبها عمله كجاسوس ويختلف نوع التدريب ومكانه وطبيعته باختلاف ظروف العملية ويكون التدريب السري في بعض الحالات دقيقا، وقد يفتقر في حالات معينة إلى العتاد اللازم فيترك للعميل حرية العمل معتمدا على غريزته وموهبته وعلى كفاءة ضابطه وسعة اطلاعه.

وأثناء فترة التدريب يُعلم العميل طرق استعمال الأجهزة والآلات التي قد يحتاج إليها كجهاز تصوير دقيق مصغر لالتقاط صور الوثائق ووسائل الاتصالات السرية والكتابة السرية وغيرهما وقد يلتقي بعض العملاء تدريبا خاصا في استعمال أجهزة استراق السمع أو استخدام الحلقة السرية المتسلسلة للاتصالات وتقتضي عملية التدريب عزلة العميل لمدة أيام أو أسابيع بعيدا عن أهله ومجتمعه ويطلب إليه في هذه الحالة اختلاق المبررات لغيابه هذا. وتوجد قواعد تدريب خاصة للمجندين معزولة عن كل النشاطات الأخريفي كامب بيري (المزرعة) في جنوب ولاية فريجينيا[4].

وخلال فترة تدريبه يلمس الجاسوس كفاءة أجهزة الوكالة وفعالياتها كما يعيش في جو من التلاحم بين العملاء المحترفين وهذا ما يساعده على إقناع نفسه بأنه أصبح يواجه حياة أفضل من حياته السابقة.

تشغيل الجاسوس:

هناك طريقتان في العمل السري يمكن تطبيقها على عمليات التجسس التقليدية وعلى عمليات العملاء بوجه عام وهما الاتصالات السرية والاتصالات المباشرة وعلى الضابط المسؤول أن يقيم رسائل مأمونة للاتصال بالعميل وإلا انعدمت وسيلة يتبقى بواسطتها المعلومات التي يحصل عليها العميل ويزود بواسطتها بالتعليمات والتوجيهات اللازمة

---

(4) Radnedge, Aidan. "MI6 thwarted attacks on Libya rebel forces by Gaddafi regime". Metro. Retrieved 28 December 2011, p.85.

وتستخدم طرق مختلفة بين آونة وأخرى للحد من احتمالات القضاء على العملية ولا توجد أنظمة ثابتة أو قواعد تتحكم في الاتصال بالعميل السري كما هي الحال في لعبة التجسس بأسرها فما دامت الأساليب المستعملة مأمونة وتفي بغايتها فإن للضابط المسؤول حرية الابتكار.

ويفضل كثير من العملاء نقل معلوماتهم شفويا إلى الضابط المسؤول ذلك لأنهم يرون أن ذلك أكثر أمنا وسهولة من تضمين هذه المعلومات أوراقا رسمية أو استخدام أجهزة تجسس قد تدينهم بالجريمة إذا اكتشفتهم السلطات المحلية ولكن وكالة الاستخبارات تفضل الوثائق لإمكانية التدقيق فيها والتأكد من مدى إخلاص العميل ويرى عملاء آخرون أن يكون اتصالهم الشخصي بالضابط المسؤول ذلك لأنهم يرون أن كل اجتماع سري يعرضهم إلى الافتضاح وبالتالي إلى السجن أو ما هو أسوء من ذلك ويفضل مثل هؤلاء الاتصال فقط بأساليب غير مباشرة أو بوسائل ميكانيكية ولكن وكالة الاستخبارات تصر على المحافظة اتصالاتها الشخصية بين الضباط وعملائهم إلا في الحالات التي تنطوي على خطورة ذلك لأنه لابد من تقييم ولاء الجاسوس ومدى اندفاعه في العمل في اجتماعات تعقد بين آونة وأخرى.

وكلما اجتمع الضابط المسؤول مع عميله كلما تعرض لخطر ملاحقتهما من جانب قوى الأمن المحلية أو من جانب استخبارات معادية وللتخفيف من هذه المخاطر تستخدم في معظم الأحيان وسائل غير مباشرة للاتصال وعلى الأخص عند نقل معلومات من العميل إلى الضابط المسؤول من الطرق القياسية واستخدام شخص ثالث يعمل وسيطا وقد يكون هذا الشخص عالما بالأمر أو غير عالم وقد يكون عميلا آخر وقد يكون مقيما في بلد آخر أو من الضابط المسؤول تم نقلها إلى آخرين دون أن يعلم شيئا عن محتواها وهناك أسلوب آخر هو نوع من صندوق البريد يسمى الصندوق الميت (ومن بين الأماكن التي استعملت صندوق بريد في عملية سرية الفراغ القائم وراء أنابيب التدفئة المركزية أمام مدخل إحدى الشقق في ثكنة

عسكرية في موسكو) ويقتصر الأمر على أن يقوم العميل بوضع مادة المعلومات في صندوق البريد في موعد سبق ترتيبه من جانب الضابط المسؤول أو الشخص الثالث الذي يستخدم لهذه الغاية. ثم إن هناك أسلوب يستعمل كثيرا هو أسلوب الاحتكاك إذ يلتقي بموجبه العميل أو الشخص الثالث بالضابط المسؤول أو الشخص الثالث الذي يستخدم لهذه لغاية(5).

وبعد ثورة الاتصالات خصوصا بعد انتشار الانترنت والبريد الالكتروني تيسر الاتصال مع العملاء من دون خطورة على حياتهم.

وعلى الرغم من أن الضابط المسؤول كثيرا ما يستخدم أسلوب الاتصال الغير مباشر فان عليه أنيهيئ اجتماعات شخصية مع عميلين بين حين وآخر عندما يتم لقاء سري في باص أو منتزه أو مطعم فان رجال استخبارات آخرين يقومون بدور المراقبة كإجراءات وقائي ضد الخصوم الذين يحاولون التقاط المحادثة والتدخل فيها ويعرف هذا في عالم التجسس (بالمراقبة المضادة) ويمكن للضابط أو العميل أوأي فرد من فريق المراقبة الإشارة على الآخرين بالمضي قدما في الاجتماع أو تفادي كل اتصال أوإلغاء الاجتماع وتستخدم بيوت مأمونة (تحتفظبها الوكالة) مكانا للاجتماعات مع العملاء وتسمى البيت الآمن.

وتتوقف المعاملة على قوة العلاقة التي يستطيع الضابط المسؤول إقامتها مع العميل يقول رجل استخبارات سابق في الوكالة أن على الضابط المسؤول أن يجمع بين مؤهلات الجاسوس الكامل وطبيب الأمراض العقلية وكاهن الاعتراف هنا تواجهك نظريتان سائدتان داخل الوكالة الاستخبارات المركزية فيما يتعلق بأفضل الوسائل في معاملة العميل فوجهة النظر الأولى تقول: إن على الضابط المسؤول أن يقيم علاقة شخصية وقوية مع العميل ويقنعه بأنهما يعملان معا لتحقيق هدف سياسي مهم. ويوفر مثل هذا الأسلوب قوة دافعة قوية تشجع العميل على ركوب المخاطر في سبيل

---

(5) "Romanian president meet with British MI6 head in London". BBC Monitoring International Reports. 9 June 2011. Retrieved 1 July 2012, p.411.

صديقه غير أن معظم كبار رجال الوكالة يعتقدون أن هذه الطريقة تنطوي على خطر قيام ارتبط عاطفي بين الضابط المسول وعميله قد تسبب في بعض الأحيان في أن يفقد رجل الاستخبارات الموضعية التي تتطلبها مهنته. أما وجهة النظر الثانية فتنادي بأن على الضابط المسؤول في الوقت الذي يتظاهر فيه بالاهتمام شخصيا أن يعامله معاملة بعيدة عن الرحمة والتساهل إذأن ما يهم الضابط المسؤول هو النتيجة والنتيجة فقط فهو يدفع بالعميل إلى أقصى الحدود أملا بالحصول منه على أقصى ما يمكن من معلومات على أن لهذا الأسلوب نقائص أيضا ذلك لأنه ما إن أدرك العميل انه موضع استغلال من ضابطه حتى تتقلص همته بسرعة.

إن المخاطر وجو التوتر اللذان يترتب عليهما العمل وفي ظلهما يكون العملاء متقلبين من ذوي النزعات ويصعب التكهن بما يدور في خلدهم ولذاك فان على الضابط المسؤول أن يكون واعيا لأي دليل يشير إلى عملية تعرضه للانزعاج أو إلى انه لا يقوم بعمله كما يجب وعلى الضبط أن يستخدم أسلوب التملق والتهديد وأسلوبالأيديولوجية والمال والارتباط العاطفي والقسوة لكي يبقى العميل نشيطا في عمله[(6)].

سافر (بنكوفسكي) وهو جاسوس أمريكي في موسكو سافر مرتين إلى خارج الاتحاد السوفيتي في مهمة رسمية كبيرة كعضو في وفد حضر معارض تجارية نظمت برعاية الاتحاد السوفيتي وتمكن في هاتين المرتين في لندن ثم باريس من الإفلات من زملائه السوفيات لتلقي التوجيهات من ضباط بريطانيين وأمريكيين وطلب خلال احد الاجتماعات في لندن مشاهدة الزي العسكري للجيش الأمريكي ولم يكن احد من رجال الاستخبارات الأمريكيين أو البريطانيين يتوقع مثل هذا الطلب ولكن ضابطا سريع البديهة قال إن زي الجيش الأمريكي موجود في بيت أمين آخر وان التوجه إلى هناك والعودة يستغرقان بعض الوقت. وقد هدأ الجاسوس مؤقتا وأرسل

(6) Michael Evans (16 June 2009). "Outsider Sir John Sawers appointed new head of MI6". The Times. Retrieved 16 June 2009. P.66.

احد الضباط المسؤولين في الوكالة للبحث عن زي كولونيل يشاهده الجاسوس وبعد أن أمضى هذا الضابط في شوارع لندن حوالي ساعتين بحثا عن لباس ضابط برتبة كولونيل يناسب جسم (بنكوفسكي) عاد ومعه الزي الذي تسلمه الجاسوس بكل امتنان وتقدير[7].

وكانت وكالة الاستخبارات المركزية في الخمسينات قد جندت ضابط استخبارات من أوروبا الشرقية في (فيينا) كان دافعه مثل (بنكوفسكي) عقائديا في أساسه ومع انه وعد براتب كبير (وبعلاقة حسنة عند انتهاء العملية التي يلجأ بعدها إلى الولايات المتحدة) فإن الضابط المسؤول عنه امتنع عن دفع أية مبالغ مباشرة له في فيينا حتى لا يلفت أنظار الخصوم إليه وقدر العميل الحاجة إلى مثل هذه الاحتياطات ولكنه أثار قيامه بعملية التجسس دون أن يبين لماذا يريد المال وقد اتضح أخيرا أن استمرار العميل يتوقف على حصوله على المال الذي طلبه وبعد أن تشاور هذا الضابط مع مدير المحطة ومع الرئاسة تقرر نهائيا ركوب هذا المركب الخطر وأعطى العميل المال آملاً منه بأن لا يقوم بعمل طائش ينطوي على خطورة، وكم كانت خيبة أمله عندما وجده في نهاية الأسبوع التالي يروح ويغدوا في نهر الدانوب في زورق تجاري اشتراه، وبعد ذلك ببضعة أيام جابهه الضابط وطلب منه التخلص من القارب، لأنه لا يمكن لرجل مثله يعيش في ظروف قاسية أن يشتري مثل هذا القارب من راتبه وحده، ووافق العميل على ذلك قائلاً إنه كان يحلم منذ أن كان صغيراً بأن يملك قارباً أما الآن فقد تبخر ذلك الشوق وهو مستعد تماماً للتخلي عن القارب[8].

وثمة مشكلة كبيرة في معاملة العميل تنجم عن تغيير الضابط المسؤول ويترتب ووفقا لسياسة وكالة الاستخبارات المركزية التي تقضي باستخدام الستار الدبلوماسي والرسمي لجميع رجالها العاملين في الخارج أن ينقل

(7) Johnston, Philip (16 November 2006). "MI6 licensed to thrill listeners to Radio 1". The Daily Telegraph (London). Retrieved 1 July 2012. P.12.

(8) "Hutton Inquiry: Day 9: John Scarlett gives evidence". NFO. Retrieved 1 July 2012, p.278.

الضباط المسؤولين الذين يتسترون كدبلوماسيين أمريكيين أو مسؤولين في وكالة الأنباء الدولي أو كممثلين لوزارة الدفاع إلى بلد أجنبي آخر أو إلى رئاسة في واشنطن مرة كل سنتين أو أربع سنوات كما هي الحال مع جميع المسؤولين في الدوائر الرسمية الحكومية. ويقوم الضابط المسؤول المنقول بتعريف الضابط الذي سيخلفه إلى جميع عملائه قبل سفره ولكن العملاء يترددون حينذاك في العمل مع رجل جديد ذلك لأنهم لا يميلون بعد أن أقاموا علاقات مقبولة مع ضباط مسؤول إلى التحول عنه إلى غيره ويزداد هذا التردد في كثير من الأحيان بسبب تعيين الوكالة ضباطا صغار السن لإدارة عملاء قدامى اثبتوا إخلاصهم وولائهم وبهذه الطريقة يستطيع رجل الاستخبارات الجديد أن يكسب خبرة من عملاء لا يحتاجون إلى توجيه وخلاصة القول أن معظم العملاء يشعروا بأن التعامل مع ضابط تنقصه الخبرة يزيد في احتمالات القضاء على العملية ولهذا فان عملية تغيير الضابط المسؤول يمكن أن تكون شائكة ولكنها لن تؤدي إلى الإضرار بأي عملية مقررة وقد تتفادى الوكالة في حالات معينة وخاصة في العمليات الحساسة مسألة تغيير الضابط المسؤول عنها لرغبات عميل له مكانه عالية.

إنهاء التعامل مع الجاسوس:

لابد لكل عملية سرية من نهاية (العمليات التي تعتمد على نشاط العملاء) قصيرة الأمد وكثيرا ما تنتهي بصورة مفاجئة فقد يموت العميل لأسباب طبيعية او نتيجة لحادث. وقد يعتقل ويسجن أو ربما يعدم. وفي مثل هذه الحالة ينصب اهتمام رجال الوكالة على حماية مصالح مؤسستهم ويكون هذا عادة بإنكار كل زعم بأن ذلك الرجل كان عميلا سريا للحكومة الأمريكية (تضطر الوكالة نفسها في بعض الأحيان إلى إنهاء العملية (التخلص من العميل) وقرار إنهاء العملية إنما يتخذه رئيس المكتب في البلد الذي تجري فيه العملية بموافقة رئاسة الوكالة وقد يعود السبب في إنهاء كل علاقة مع العميل إلى فقدانه سبيل الوصول إلى الأسرار التي تريد الوكالة الحصول عليها أو إلى عدم الاستقرار العاطفي أو عدم الثقة مما

يهدد العملية بالفشل أو يؤدي إلى هتك حجاب السرية وهناك سبب آخر ربما كان أهم هذه الأسباب مسألة عدم الركون سياسيا إلى الرجل ذلك حين يشتبه بأنه عميل مزدوج أو انه أصبح كذلك أو بات فريسة لاستخبارات الخصم. ويمكن شراء العميل العديم الفائدة وغير المستقر إذا اقتضت الضرورة ثم إسكاته عن طريق التهديد.

جواسيس مابعد 11 سبتمبر:

كشفت مجلة "التجسس العالمي" الأميركية في تقرير لها أن هناك فرقة تسمى (SAD) يجري تدريبها في "كامب بيري" وهو معسكر قرب وليام سبورغ (فرجينيا) يشكل مركزاً للتدريب الخاص بـ"السي آي أي" إضافة إلى بوينت هارفي في نورث كارولاينا[9].

ويؤكد جيفري ريشيلسون، الكاتب المؤرخ الذي اختص بتاريخ التجسس، أن هذه الفرقة (SAD) تقوم بمهام متنوعة وهي تضم بعد إنشائها حديثاً، 200 ضابط تم تقسيمهم على شكل مجموعات عدة هي: مجموعة العمليات الخاصة، مجموعة تدريب الأجانب، مجموعة الدعاية والعمل السياسي المختصة بمعالجة المعلومات ونشر المعلومات المطلوبة، مجموعة الكومبيوتر التي تختص بحرب المعلوماتية، ومجموعة هيئة إدارة الممتلكات (PMS) التي تختص بترتيب تأسيس شركات تجارية أو شرائها وإعداد المكاتب التي تمنح غطاءً مناسباً لضباط فرقة (SAD)[10].

ويجري تجنيد هؤلاء الضباط من بين العسكريين الذين تقاعدوا أو استقالوا من الجيش، وخصوصاً من العسكريين في "قوة دلتا"، ومن العسكريين الذين عملوا خارج الولايات المتحدة في مهام خاصة.

هناك توصية واضحة إلى الإدارة الأمريكية تقضى بأن تقوم وكالة

(9) Urban, Mark, Task Force Black: The Explosive True Story of the Secret Special Forces War in Iraq, St. Martin's Griffin, 2012 p.10.

(10) Scott Ritter, Sunday Times, 28 December 2003, p.102.

الاستخبارات الأمريكية في عهدها الجديد، وبعد تطهيرها من الدماء الفاسدة لشخصيات مخضرمة، بمحاكاة دقيقة وحرفية لنظام عمل الجماعات الإسلامية الجهادية، كأن تقيم الوكالة جمعيات للبر والتقوى ومنظمات لجمع التبرعات والهبات ومؤسسات تربوية إسلامية تتجمع في داخلها وحدات وفرق من أعداد صغيرة من ضباط مخابرات يتحدث أعضاؤها اللغات المحلية ويمارسون شعائر الدين الإسلامي وتتوفر في كل منهم حماسة وإيمان بالمهمة المكلف بها تماماً كحماسة عضو الجماعة الإسلامية الجهادية. خلاصة القول، ينتهي نظام العمل بضباط مخابرات متنكرين كرجال أعمال أو صحافيين أو رجال دين ويبدأ نظام العمل بضباط شبان يسعون نحو المغامرة والمخاطرة بحياتهم ويرتدون ثياباً إسلامية ويمارسون شعائر المسلمين إن دعت الحاجة لإتقان التخفي، أي يذوبون في المجتمعات الإسلامية والعربية. هكذا لن يحتاج العمل الاستخباراتي إلى خطة عظمى يقرها رئيس الدولة أو الكونغرس وربما لا يحتاج إلى جهاز استخباراتي في واشنطن يخطط عن بعد. فلكل فريق أو وحدة في الميدان خطة تتجدد يومياً حسب التطورات ولا تخضع لترتيبات من جهة عليا إلا بقصد إطلاع القائد العسكري الأمريكي الذي يقع ميدان عمل الوحدة المصغرة بها ضمن اختصاصه.

إن الإعلانات المستمرة عن العروض السخية التي تقدر بالملايين للبحث عن قيادات إسلامية ماهي إلا إحدى الوسائل الحديثة للتجنيد في وكالة الاستخبارات الأمريكية.

ثالثا: أسلحة الاستخبارات الأمريكية

كيف تقوم الاستخبارات الأمريكية بالتنصت على الاتصالات؟

د. نسيم بلهول

الأقمار الصناعية:

أرسلت الولايات المتحدة أول قمر صناعي للتنصت في نهاية عام 1976م زادت قدرة وإمكانات وكالة (NSA) في عمليات التنصت على جميع الأجهزة السلكية واللاسلكية للاتحاد السوفييتي، وبلدان أوروبا الشرقية، أما في التسعينيات فقد بلغ عدد الأقمار عدة مئات[1].

وهذه الزيادة في عدد الأقمار التجسسية كان ضرورياً لمواكبة الزيادة الكبيرة، بل الانفجار في عدد الهواتف ووسائل الاتصال الحديثة، ففي عام 1987م كان عدد الهواتف الموجودة في العالم كله يبلغ 447 مليون هاتف، ولكن هذا العدد طفر في تسع سنوات فقط إلى 741 مليون هاتف، هذا عدا وسائل الاتصالات الأخرى، وبلغ مجموع المكالمات الهاتفية بين الولايات المتحدة وكندا وحدها في عام 1996م رقماً خيالياً وهو خمس مليارات ومائة وسبعة ملايين دقيقة، والخط الثاني من ناحية كثافة الاتصالات الهاتفية هو خط (الصين ـ وهونج كونج)، إذ بلغ مليارين وسبعمائة وستةً وخمسين مليون دقيقة[2].

(1) MI6 ran 'dubious' Iraq campaign, BBC, 21 November 2003, p.65.
(2) Revealed: how SIS sold the Iraq war, Sunday Times, 28 December 2003, p.58.

وتمثل الأقمار الصناعية ربما أهم طرق التجسس في الوقت الحالي، ويمثل التواجد الأمريكي في الفضاء الخارجي حوالي 90% من المواصلات الفضائية. هناك أنواع عديدة من الأقمار الصناعية ؛ فهناك مثلا الأقمار الخاصة بالتقاط الصور والتي تمر فوق أية نقطة على الكرة الأرضية مرتين يوميا. تتراوح قدرة التبين لهذه الأقمار ما بين 10 سنتيمترات إلى حوالي متر واحد.

وقد حدثت تطورات هامة في تكنولوجيا تحليل الصور الملتقطة بحيث أصبح من الممكن تكوين صورة ثلاثية الأبعاد تبعًا للمعلومات القادمة من الفضاء الخارجي والتي استخدمت عام 2001 في تزويد الطيارين بالمعلومات اللازمة عن الأهداف في أفغانستان، كما تستخدم في اكتشاف نقاط ضعف المناطق الواقعة تحت حراسة مشددة والتابعة لكبار تجار المخدرات من أجل اقتحامها[3].

هذا بالإضافة إلى وجود ملف كامل من هذه الصور ثلاثية الأبعاد لدى الحكومة الأمريكية تقوم بتوضيح جميع مصانع الأسلحة العراقية، والتي كان يتم عرضها على فرق التفتيش قبل سفرها إلى العراق.

وباستطاعة هذه الأقمار أيضا الرؤية عبر السحب وليلا، بل وباستطاعة بعضها اكتشاف التحركات القائمة تحت سطح الأرض!!، وكلنا ما زلنا نتذكر قدرات الأقمار الصناعية الأمريكية التي اكتشفت المقابر الجماعية المحفورة حديثا، والتي استخدمتها الناتو كأحد أدلة التطهير العرقي الذي قام به الصرب ضد ألبان كوسوفا.

هناك نوع آخر من الأقمار الصناعية تقوم بالاستطلاع الإلكتروني، وربما أبرزها هي شبكة التجسس "إيتشالون" والتي تم الحديث عنها من قبل القادرة على اعتراض ملايين الاتصالات التليفونية ورسائل الفاكس

(3) "Review of Intelligence on weapons of mass destruction" (PDF). London: Committee led by Lord Butler. Retrieved 1 July 2012, p.512.

والبريد الإلكتروني يوميا من العالم أجمع. ومع أن الشبكة تسيطر عليها الولايات المتحدة الأمريكية، فإن الدول الناطقة بالإنجليزية بريطانيا وكندا وأستراليا ونيوزيلندا تشترك معها فيها.

وقد صممت شبكة "إيتشالون" بعد انتهاء الحرب الباردة للكشف عن خطط الجهاديين وتجار المخدرات والاستخبارات السياسية والدبلوماسية. وقد قام الاتحاد الأوروبي العام الماضي باتهام الحكومة الأمريكية باستخدام الشبكة من أجل التجسس الصناعي[4].

وقامت الدول المشاركة في الشبكة بإنشاء محطات أرضية للاعتراض الإلكتروني، وبإنشاء أقمار صناعية لالتقاط جميع الاتصالات للأقمار الصناعية والموجات الصغرى والاتصالات الخلوية واتصالات الألياف الضوئية. تقوم الشبكة بتفنيد الإشارات المعترضة في كمبيوترات ضخمة تسمى بالقواميس، والمبرمجة على البحث في كل اتصال عن كلمات أو عبارات أو عناوين أو حتى أصوات معينة ومستهدفة. كل دولة من الدول المشاركة في الشبكة مسئولة عن مراقبة جزء معين من الكرة الأرضية.

هناك بالإضافة إلى هذين النوعين من الأقمار الصناعية أقمار الإنذار المبكر، والتي تكتشف إطلاق الصواريخ من أراضي العدو، وأقمار اكتشاف الانفجارات النووية من أجل متابعة التجارب النووية للدول المختلفة.

الطائرة الجاسوسية :

هي من نوع EP-3E ARIES II تعتبر جوهرة تاج البحرية الأمريكية من حيث قدرتها على جمع المعلومات شديدة الحساسية ؛ فتلك الطائرة محمّلة بأجهزة استقبال وهوائيات قادرة على اعتراض وتحليل الاتصالات اللاسلكية العسكرية والمدنية، بالإضافة إلى الأنواع الأخرى من

(4) "Intelligence Services Act 1994" (PDF). UK Parliament. Retrieved 1 July 2012, p.16.

الاتصالات الإلكترونية من بريد إلكتروني وأجهزة فاكس واتصالات تليفونية، ويمكن للقوات الأمريكية من خلال تحليل هذه الاتصالات التعرف على خطط وتحركات القوات الصينية حالة السلم والحرب.

هذه الطائرة التي تتكلف 36 مليون دولار قادرة على الطيران لما يزيد عن اثنتي عشرة ساعة ولمسافة 3000 ميل بحري، أي ما يوازي 5555 كيلومترا. ويوجد من هذا النوع حوالي 12 طائرة لدى البحرية الأمريكية وتتسع لـ24 فردًا هم طاقم الطائرة الكاملة ما بين طيارين وتقنيين. والطائرة بها أربعة محركات وطولها 32,28 مترا وعرضها بالجناحين 30,36 مترًا. ويتوقع أن تكون الطائرة قد اتجهت إلى سواحل الصين من القاعدة الأمريكية المتواجدة باليابان[5].

وقد كانت مسئولية تلك الطائرة هي القيام برحلات منتظمة على السواحل الصينية من أجل معرفة وتحديث شفرات الاتصال الخاصة بالأجهزة الصينية من خلال التعرف على التوقيع الإلكتروني ومصدر وتردد هذه الاتصالات، والتي يتم تغييرها بشكل مستمر من أجل تمويه السلطات الأمريكية.

ومع أن تعليمات وزارة الدفاع الأمريكية واضحة لطاقم مثل هذه الطائرات بالنسبة لضرورة تخريب الأجهزة الحساسة وأية معلومات سرية موجودة على الطائرة حال وقوعها في أيدي العدو، فإنه حتى ما يتبقى بعد عملية التخريب من معالجات processors قوية للغاية ودوائر إلكترونية شديدة السرعة لا تمتلك مثلها الدولة الصينية يمكن استغلالها من أجل بناء قذائف باليستية وأسلحة نووية وأنظمة لاقتفاء أجهزة الرادار شديدة الحساسية[6].

والجدير بالذكر أن وزارة الدفاع الأمريكية قامت بتطوير هذه الطائرة

(5) "The Soviets: Coups and Killings in Kabul". Time. 22 November 1982. Retrieved 1 July 2012, p.42.

(6) "What every good spy should know". The Guardian (London). 28 April 2000. Retrieved 1 July 2012, p.73.

إلى مقاتلات واستخدمت في الحرب الدائرة الآن ضد المجاهدين في أفغانستان وباكستان واليمن والعراق.

ففي السبعينيات طورت وكالة NSA ووكالة CIA تكنولوجيا إلكترونية عالية أطلقت عليها اسم (المجموعة الخاصة Special collection) وأصبحت الأجهزة الصغيرة جداً تقوم بمهمات كبيرة، مما يسر عمليات التنصت والتجسس بشكل كبير.

وبعد انتشار استعمال الكومبيوترات اعتباراً من أواسط الثمانينيات وما جلبه هذا الاستعمال من تغيير وتجديد في حياة الناس لم يكن من المنتظر ألا تقوم أجهزة المخابرات في الدول المتقدمة بإهمال هذا الأمر، فبعد ظهور أي جهاز جديد، وبعد حدوث أي تطور تكنولوجي يجب على مثل هذه المخابرات تطوير أجهزة أو نظم جديدة تستطيع التسلل إلى هذه الأجهزة ومراقبتها، بل أحياناً يسبق تطوير المراقبة تطوير الجهاز نفسه، فهذا ما حدث مثلاً في موضوع الكومبيوترات، إذ بدأت وكالة NSA بتطوير نظم مراقبة الكومبيوترات في السبعينيات، وكان أشهر أخصائي في هذا الموضوع هو "وليام هاملتون" الذي استحدث نظاماً جديداً أطلق عليه اسم إدارة نظام المعلومات للنائب العام، ويعرف باسمه المختصر (PROMIS)، ويستطيع هذا النظام تقييم المعلومات المستقاة من مصدرين مختلفين إلكترونياً، وبعد أن ترك "هاملتون" وكالة NSA، وأصبح مديراً لشركة INSLAW قام بتطوير هذا النظام إلى نظام أفضل أطلق عليه اسم PRONSS VAX -، ولكن تمت سرقة هذا النظام من قبل المخابرات الإسرائيلية التي أضافت إليه نظام "الباب المصيدة "، وسرعان ما تم عرض هذا النظام للبيع للمخابرات في كثير من الدول(7).

ثم طور نظام السابق إلى نظام أكثر شموليه وسرعة سمي بنظام: إيشلون: وهو اسم يطلق على نظام آلي عالمي global Communications

(7) "The spy who loved us — Oleg Penkovsky". Washington Monthly. May 1992. Retrieved 1 July 2012, p.217.

Interception (COMINT) لاعتراض والتقاط أية اتصالات، مثل: مكالمات الهاتف، والفاكسات، ورسائل البريد الإلكتروني، وأية اتصالات مبنية على الإنترنت، وإشارات الأقمار الصناعية بشكل روتيني يومي لأغراض عسكرية ومدنية، في حين يعتقد البعض أن إيشلون هو اسم كودي لجزء من نظام، يعترض ويلتقط الاتصالات التي تتم بين الأقمار الصناعية.وتقوم على إدارة وتشغيل نظام إيشلون وكالات الاستخبارات في خمس دول، هي: الولايات المتحدة الأمريكية، والمملكة المتحدة، وكندا، وأستراليا، ونيوزيلندا. وتقود هذا النظام وكالة الأمنالقومي الأمريكي NationalSecurity Agency (NSA)، بالتعاون مع وكالات استخبارات البلدان الأخرى المشاركة فيه، ومنها: مراكز قيادة الاتصالات الحكومية البريطانية Government CommunicationsHeadquarters (GCHQ)، ومركز قيادة الإشارات الدفاعي الأسترالي Defence SignalsDirectorate (DSD)[8].

وهو يعمل بموجب اتفاقية YKUSA بين الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة عام 1947، عقب الحرب العالمية الثانية، وأُنشئ لتطوير نظام تجسسي، ولتبادل المعلومات بين الدول الموقّعة على الاتفاقية، وانضمت إليه بقية البلدان المشاركة لاحقًا، وقيل: إن له القدرة على التنصت على مليوني اتصال في الساعة أو 17,5 مليار اتصال في السنة، بينما يصل البعض بقدرته على التنصت إلى 3 مليارات اتصال يوميًا، ثم يوجه تلك الاتصالات بعد ترشيحها، إلى الوكالات الاستخبارية المعنية في الدول الأعضاء فيه، وقد ذكرت بعض المصادر أنه توجه بمعظم طاقته إلى الإنترنت مع بداية التسعينيات؛ حتى إنه يتنصت على 90% من كل الاتصالات التي تتم عبر هذه الشبكة الدولية[9].

(8) "George Blake". History Learning. Retrieved 1 July 2012, p.41.

(9) Shaun McCormack (2003). Inside Britain's MI6: Military Intelligence 6. The Rosen Publishing Group. p.28.

كيف يعمل إيشلون؟

هناك العديد من التقنيات تمكّن إيشلون من القيام بمهامه، وتمر بمراحل عدة، تبدأ باعتراض المراسلات والتقاطها، ثم مرحلة الترجمة، ثم مرحلة التحليل، وآخر تلك المراحل مرحلة الاستنتاج والوصول إلى خلاصة عملية التجسس هذه.

الاعتراض والالتقاط:

هناك ثلاث طرق رئيسية لاعتراض الاتصالات:

التفريع المادي:

وهي طريقة للاعتراض يدل عليها اسمها بالضبط، حيث يكون هناك اتصال مادي فعلي بوسائل الاتصالات، كالأسلاك، أو كوابل الألياف الضوئية، أو محولات التليفونات، لذا تعد تلك الطريقة ضعيفة تقنيًا، مقارنة بقدرات تقنيات الاتصال الحديثة، وهي تتم إما عن طريق تفريع سري خفي، أو تفريعة تقدمها شركات التليفونات.

ومع مرور الوقت، اعتمد جواسيس إيشلون على التفريعات التي تقدمها شركات التليفونات، فعلى سبيل المثال كان قد كُشف النقاب في البلاط البريطاني أن المسؤولين في شركة British Telecom (BT) قد زودوا جواسيس محطة تل Menwith؛ للتجسس في إنجلترا بوصلات لكوابل ألياف ضوئية عالية القدرة، تتحمل ما يزيد على 100,000 محادثة تليفونية في الوقت نفسه[10].

اعتراض إشارات الأقمار الصناعية :

في عالم الاتصالات الحديثة تتجه المحادثات التليفونية من مدينة إلى مدينة عبر الأقمار الصناعية ؛ حيث يتم إرسال إشارة اتصالاتية إلى قمر

(10) "Licence to kill: When governments choose to assassinate". BBC. 17 March 2012. Retrieved 1 July 2012, p.115.

صناعي للاتصالات، والذي يقوم بدوره بإرجاعها إلى أقرب محطة استقبال أرضية من الجهة المقصودة لتقوم بتوجيهها إليها، وحيث إنه من الممكن استقبال هذه الإشارات الراجعة إلى الأرض عبر مساحات شاسعة (مئات الآلاف من الكيلومترات)، فإنه يمكن لأي هوائي أرضي موجّه تجاه ذلك القمر الاتصالاتي أن يلتقط إشارة تلك المكالمة، وبالفعل فإنه اعتمادًا على تلك الحقيقة، فإن نظام إيشلون له محطات أرضية موجّهة لكل قمر اتصالات صناعي في أي مدار حول الأرض.

اعتراض موجات الميكروويف:

حيث تتم معظم اتصالاتنا الإقليمية من و إلى أبراج تحمل هوائيات لإرسال واستقبال موجات الميكروويف، فالكثير منا يراها أثناء سفره؛ حيث تفصل مسافات (عادةً حوالي 25 ميلاً) بين البرج والآخر. وبالرغم من أنّ الإشارة تتجه مباشرة من هوائي لآخر، فإن هذا لا يعني أن 100% من الإشارة تنتقل للهوائي المستقبل، بل إن أقل من 1% فقط هو الذي يتلقاه الهوائي المستقبِل، بينما يستمر الباقي في خط مستقيم. ويمكن لقمر صناعي التقاط باقي هذه الموجات إذا اعترض سبيلها، بدلا من ضياعها في الفضاء، وإذا كان للأقمار التجارية القدرة على التقاط هذه الموجات، حتى وإن حاد عن مسارها بزاوية 8 درجات، فما بالنا بأقمار التجسس فائقة الحساسية التي يمكنها مراقبة المئات من أبراج الميكروويف في الوقت نفسه، والتقاط الإشارات الصادرة منها وإليها.

التّرجمة:

بمجرد التقاط إشارة ما، فإن الحاسبات الآلية، تفككها حسب نوعها (صوت، فاكس، بيانات رقمية... إلخ)، وتوجهها إلى نظامها المناسب، والبيانات الرقمية، مثل تلك الخاصة بالإنترنت، توجه مباشرة إلى مرحلة التحليل، بينما تحتاج الفاكسات والأصوات إلى عملية الترجمة وتحويلها إلى إشارات رقمية أولاً.

بيانات الفاكس:

تمر رسائل الفاكس بعد فصلها عن غيرها من إشارات الاتصالات على حواسب آلية عبارة عن ماسحات ضوئية Optical Character Recognition (OCR) فائقة السرعة، لها القدرة على تحليل الخطوط لكل اللغات الموجودة على الأرض بكل الفونتات، ثم تحويلها إلى إشارات رقمية. وبالرغم من عدم توافر برامج لها القدرة على تحليل الخطوط اليدوية، فإن هذا لا يعني إهمال رسائل الفاكس المكتوبة بخط اليد، أو أنه لا توجد برامج تستطيع -ولو جزئيا- القيام بهذه المهمة[11].

الصّوت:

تمر المحادثات الصوتية إلى حاسبات فائقة السرعة في التعرف على الأصوات، تستخدم برنامجا يدعى "Oratory"؛ حيث يتم تحويل الاتصالات الصوتية إلى رقمية، والتي تُرسل بدورها إلى حاسبات التحليل، وبعض الأخبار المتسربة تفيد أن حواسب التعرف على الصوت لها قدرة جزئية على التحليل، كما أن لها حساسية لبعض الكلمات المنطوقة حسب كل لغة، أو لهجة على وجه الأرض.

التّحليل:

بعد ترجمة وتحويل كل المراسلات الملتقطة إلى بيانات رقمية، تُرسل تلك البيانات إلى حاسبات التحليل، والتي تبحث عن وجود بعض الكلمات، باستعمال قاموس إيشلون الخاص. وبالطبع ترتفع الحساسية لبعض الكلمات التي تمثل عصب ذلك القاموس، فيما يخص الاهتمامات التجسسية، بالإضافة إلى بعض الكلمات الطارئة أو المؤقتة التي تخصّ مواضيع معينة، ويبقي أن نكرر أن حاسبات التحليل هذه لها القدرة على

(11) "Mystery of missing frogman deepens". BBC News. 9 May 1956. Retrieved 1 July 2012, p.36.

إدراك أي كلمة بأي لغة وبأي لهجة موجودة على الأرض. ومع تقدم التقنيات الحديثة، فإن عملية التحليل أضحت عملية "تحليل موضوعي"، حتى إن هذه الحاسبات استطاعت أن تحدد- بعد التجسس على مسابقة لبعض الاختراعات والابتكارات الحديثة - أن موضوع الاختراع- من ملخصه- عبارة عن "مشروع لوضع عنوان وصفي لمستند، قد يحتوي على بعض الكلمات التي لا تظهر ضمن نصه".

الاستنتاج:

هذه هي المرحلة الأخيرة في العملية التجسسية، والتي تمكِّن من عملية مراقبة يومية على كل الاتصالات، بما فيها الشخصية، وبعد تحليل الاتصال. فإذا أثار أحدٌ العمليات الآلية لأي من ماكينات التحليل، وأعطى إنذارًا باحتوائه على ما يثير الشك أو الاهتمام، فإن نتيجة التحليل تُوجّه إلى محلل بشري، الذي إذا وجد في ذلك الاتصال ما يريب، فإنه يوجهه إلى الوكالة الاستخباراتية صاحبة التخصص في مجال هذا الاتصال.

إن سقوط الستار الحديدي عن إيشلون، باتهام أوروبا الواضح ضد الولايات المتحدة باستخدامه ضد المصالح الأوروبية، وتحديدًا فيما يخص الجانب الاقتصادي في إطار منافسة غير شريفة، وتهافت استمراره بعد اختفاء الذريعة التي من أجلها أنشئ النظام ابتداءً، إبان الحرب الباردة - أدى إلى توتر العلاقات بين أمريكا وشركائها في نظام إيشلون من جهة، وحلفائها الأوروبيين من جهة أخرى، مع تنامي كراهية الشعوب والأنظمة - سواء أكانت حليفة، أم صديقة، أم عدوة - للولايات المتحدة الأمريكية[12].

طرق التجسس علاتصالات الحركات الإسلامية :

فالطريقة الأولى: للتنصت على الهواتف السلكية واللاسلكية بواسطة قاموس ضخم للكلمات التي يجب مراقبتها... فمثلاً... "الإسلام، الحركة

(12) "The Cambridge Spies". BBC. Retrieved 1 July 2012, p.44.

الإسلامية، قرآن، محمد صلى الله عليه وسلم، جهاد، فقه، سيرة، حديث... إلخ"، وكذلك أسماء رجال الإسلام السابقين والمعاصرين، وأسماء الحركات الإسلامية وزعماؤها "مثلاً: ابن تيمية، حسن البنا، الإخوان المسلمون، جماعة الجهاد... الجماعة الإسلامية، أسامة... الشيخ..... الدكتور... القاعدة.... إلخ"، فهناك أجهزة إلكترونية ضخمة تقوم بفرز المكالمات التي ترد فيها هذه الكلمات وتسجلها ثم تسلمها إلى الكادر الفني المتخصص، وهو يضم كما قلنا عشرات الآلاف من الفنيين والمترجمين والمحللين[13].

والطريقة الثانية: بوضع بصمات الصوت للمطلوبين من المجاهدين والمستهدفين بالمراقبة وذلك من خلال عملية الفرز بواسطة الكومبيوتر العملاق الذي سبق الحديث عنه وهذه البصمات تم رصدها وتخزينها مسبقاً من خلال التجسس على الاتصالات في مناطق غير عربية دارت فيها رحى الحروب مثل أفغانستان وباكستان والشيشان والبوسنة ووزيرستان[14].

أما الطريقة الثالثة: للتنصت فتتم عبر وضع برنامج لتحديد اللغة المطلوب مراقبتها فيمكن مراقبة كل من يتكلم العربية في أي بلد لايتحدث أهلها اللغة العربية[15].

التجسس على الهواتف النقالة :

عند انتشار الهواتف النقالة "الخلوية" بعد عام 1990م، كان الاعتقاد الشائع أنه يستحيل مراقبتها والتنصت عليها، لأنها كانت تستعمل نظام (GSM)، وأمام هذه الصعوبة في المراقبة طلبت وكالة CIA وضع رقائق صغيرة داخل هذه الهواتف لكي تتيسر لها مراقبة المحادثات الجارية

(13) Berg, Sanchia (13 December 2008). "Churchill's secret army lived on", p.255.

(14) World War II: The Underground War. Library of Congress. p.711. Retrieved 1 July 2012, p.71.

(15) "Kim Philby — new Russian god?". International News Analysis Today. 20 December 2010, p.61.

خلالها، وبينما كان النقاش يدور حول هذا الأمر، ومدى مشروعيته، استطاعت إحدى الشركات الألمانية وهي شركة (Rode Schwarz) تطوير نظام أطلقت عليه اسم (IMSI-catcher) وهـو اختصـار لـ (International Mobile Scbscriber Identity) استطاعت من خلاله التغلب على هذه الصعوبة واصطياد جميع الإشارات الصادرة من هذه الهواتف وقلبها إلى كلمات مسموعة[16].

ولم تكتف المخابرات الألمانية باختراق المكالمات الجارية بالهواتف النقالة، بل توصلت لـمعرفة مكان المتحدثين أيضاً، كما طورت جهازاً إلكترونياً تستطيع بواسطته استخدام الميكروفون الموجود في الهاتف النقال لكي ينقل جميع الأصوات والمحادثات الجارية حوله، وسرعان ما انتقل هذا النظام الإلكتروني إلى وكالة NSA و إلى وكالة CIA الأمريكيتين، وكان هذا التقدم التكنولوجي المذهل هو السبب في اغتيال عدد من القيادات المجاهدة مثل يحي عياش والرئيس الشيشاني دوداييف، لأنه من خلال استعماله لهاتفه النقال. ووقع "أوجلان" في الخطأ القاتل نفسه، عندما قام بالاتصال بمؤتمر البرلمانيين الأكراد في أوروبا، فتم تحديد مكانه، بعدها صرح "بانكالوس" وزير الخارجية اليوناني السابق غاضباً: "كم قلنا لهذا الأحمق ألا يستعمل هاتفه النقال"، والحقيقة أن السبب الكامن وراء فشل جميع أجهزة المخابرات الأمريكية في معرفة مكان الجنرال الصومالي "عيديد" هو أنه لم يستعمل أي جهاز إلكتروني مطلقاً في أثناء الأزمة الصومالية (وهذه إحدى عيوب التقدم التكنولوجي).

كذلك لا يتم الاطلاع على جميع المكالماتالواردة على المقسمات ولا يمكن ذلك لأنها تعتبر بملايين المكالمات ولكن يمكن تحديدبعض الألفاظ المنتقاة لتقوم أجهزة الترصد بفرزها سواء كانت رسائل كتابية أو صوتية كأن ينتقي ألفاظ (جهاد، عملية، استشهاد، . أو أسماء: أسامة بن

---

(16) "Affidavit of Walter Schellenburg". Nazi Conspiracy and Aggression. Volume VII. USGPO, Washington, 1946, p.622.

لادن أو الملاعمر...الشيخ... الخ)، أو يكون الرصد للغة بعينها (العربية) في بلد غير عربي.أو يكون الترصد لرقم بعينه أو رصد بصمة الصوت لشخص مطلوب. ويمكن أيضا إذا تم ضبط رقم لشخص أن يتماسترجاع المكالمات المسجلة في السابق سواء المكالمات الصادرة أو المكالمات الواردة على نفس الرقم، ولذا فإن من الأفضل للذين يخشون على أنفسهم المراقبة من خلالالجوال أن يقوموا باستخدام الشرائح التي تباع بدون مستنداتأو بمستندات مزورة، ويقوم باستبدالها كلفترة زمنية، وإذا استخدم الشريحة الثانية فلا يستخدمها على الجهاز القديم وكذلكعليه أن يتخلص من جهازه القديم ببيعه في مكان أو لشخص لا يعرفه.

أجهزة التنصت الالكترونية:

1 - "ميكرفون الليزر" :

من هذه الوسائل التي تم الكشف عنها على احد مواقع الانترنت "ميكرفون الليزر" الذي يستعمل حتى الآن في التنصت على المكالمات الجارية في الغرف المقفلة، إذ يتم توجيه أشعة ليزر إلى نافذة من نوافذ تلك الغرفة، وعندما ترتد هذه الأشعة تحمل معها الذبذبات الحاصلة في زجاج تلك النافذة نتيجة الأحاديث الجارية في الغرفة، وتسجل هذه الذبذبات ثم يسهل تحويلها إلى أصوات واضحة هي أصوات المتحدثين في تلك الغرفة، ولا تقتصر فاعلية هذا الميكرفون الليزري على تسجيل الحوار الدائر في الغرفة، بل تستطيع اقتناص أي إشارة صادرة من أي جهاز إلكتروني فيها[17].

2 - جهاز أطلق عليه اسم (TX)...

بعد اختراع هذا الجهاز لم يعد هناك ضرورة للمخاطرة لزرع جهاز إرسال صغير داخل الهاتف المراد التنصت عليه، فقد أصبح ممكناً بواسطة

(17) "GCHQ releases Alan Turing's secret wartime papers". 20 April 2012, p.247.

هذا الجهاز الدخول إلى خط ذلك الهاتف من بعيد دون أن يشعر أحد بذلك، كما يستطيع هذا الجهاز تحويل الهاتف الموجود في الغرفة إلى جهاز إرسال ينقل جميع المكالمات والأحاديث التي تجري داخلها، وحتى لو كان الهاتف مقفولاً يستطيع الجهاز تكبير وتضخيم الذبذبات الضعيفة التي يرسلها الهاتف في حالته الاعتيادية "أي في حالة عدم استعماله" فيسجل جميع المحادثات الجارية في الغرفة، ولكي يدخل هذا الجهاز إلى خط أي هاتف يكفي إدارة رقم ذلك الهاتف وعندما ترفع السماعة يعتذر بأن الرقم خطأ... وعندها يتم كل شيء[18].

3 - مسجل جيب يعمل بمجرد سحب القلم منه:

إذا جلست مع محام أو معخصم لك ووجدته يسحب قلما من جيبه الداخلي ثم يعيده ثم يسحبه... إلخ فاحذر لانالرجل قد يكون مسلحا بهذا الجهاز العجيب الذي يقوم بتسجيل كل كلمة تقولهاجهازالتسجيل صغير وحساس يوضع في جيبة القميص أو الجاكيت الداخلي وبداخل الجهاز قلم حبرعادي... إذا سحبت القلم من الجهاز يبدأ الجهاز بالتسجيل دون أية أصوات ... إذاأعدت القلم إلى مكانه يتوقف التسجيل... الجهاز حساس جدا ويمكن أن يلتقط كل كلمة تقال حتى لو كان مخبئا داخل جيبك... للجهاز سرعتان... ويمكن أن تتحكم بالسرعة.

4 - كاميرا فيديو صغيرة بحجم حبة العدسيمكن إخفاءها في أي مكان:

هذه كاميرا فيديو صغيرة يمكن إخفاءها في أي مكان... الكاميرا هي النقطة السوداء داخل هذه القطعة أي أن حجم الكاميرا لا يزيد عن حبة العدس وهي موصولة بسلكين بمكن ربطهما بمسجل وتلفزيون... قوة الكاميرا ووضوح صورها تعادل أي كاميرا الفيديو العادية... هذه الكاميرا يمكنوضعها داخل ساعة أو منبه أو مروحة أو أية قطعة أثاث ولأنها لا تبدو

(18) Follett, Ken; Money, Paper (27 December 1987). "The Oldest Boy of British Intelligence". The New York Times, p.07.

ككاميرا ولا شكلها يوحي بأنها كاميرا فإن اكتشافها صعب جدا... يمكن وضعها في المنازل أو المكاتبأو المخازن ووفقا لما يقوله مصنعوها فان الشخص الذي ينظر إليها مباشرة لن يعرف أنهاكاميرا فيديو تأتي مع كل ملحقاتها. ثمن الجهاز شامل الشحن إلى أي مدينة في العالم هو 500 دولاراً فقط[19].

5 - شاهد واستمع وسجّل البعيد بواسطة المنظار الالكتروني:

هذا أحدث جهاز تنصت ينزل إلى الأسواق... فهو ناظور يقرب إليك المناظر البعيدة... ثم يقرب إليك الصوت... ثم يعطيك إمكانية تسجيل الصورة والصوت إلى أي جهاز تسجيل... باختصار فان هذا الجهاز ينقل إليك ما يحدث بعيدا بالصوتوالصورة[20].

6 - كاميرا فيديو صغيرة في ساعة اليد:

هذه هي قمة ما توصلت إليه تكنولوجيا الكاميرات في العالم... كاميرا في ساعة... يستخدمها المحامونورجال التحقيق... والعملاء السريون... والمحققون الخاصون... ساعة عادية تضعهافي يدك... محدثك أو الجالس أمامك لن يعلم أن الساعة الموجودة في يدك هي في الواقع كاميرا... تتسع ذاكرة الكاميرا إلى مائة صورة... أي تستطيع التقاط مائة صورة والاحتفاظ بها في ذاكرة الساعة... يمكن توصيل الساعة بجهاز الكومبيوتر ونقل الصور إلى جهاز الكومبيوتر وطبعها أو إرسالها بالبريد الإلكتروني... الساعة تعمل ببطارية ساعة عادية... الصورة واضحة جدا... الساعة مزودة بساعة عادية وخمسة أجهزة إنذار...هذه الساعة يستخدمها الصحافيون لالتقاط الصور... ويمكن استخدامها لالتقاط الصورفي الأماكن التي لا يسمح بإدخال

(19) Atkin, Malcolm (2015). Fighting Nazi Occupation: British Resistance 1939 - 1945. Barnsley: Pen and Sword. pp.Chapter 4, p.722.

(20) Robert Bruce Lockhart, Memoirs of a British Agent (reprint); 2003, Folio Society, p.30.

الكاميرات إليها... إذا اشترط محدثك اللقاء سراللتباحث حول البزنس فهو قطعا لن يعرف أن ستحضر الاجتماع وعلى رسغك كاميرا لتصويره..يمكنك طبع التاريخ والاسم ووقت التصوير على الصورة أيضاً[21].

تقدّم الأوقات العربيّة كاميرا المعصم الجديدة السّاعة التي يمكن أن تسجّل الصّور وتنقلهم في اللّون إلى كمبيوترك الشّخصيّ.

7 - كاميرا فيديو ديجيتال بحجم قلم الحبر:

هذه الكاميرا بحجم قلم الحبر وهي كاميرا عادية وكاميرا فيديو معا ويمكن ربطها بالكومبيوتر أيضا ونقل الصورمنها إلى جهاز الكومبيوتر.

هذه الكاميرا تستخدم من قبل الصحافيين والمخبرين والمحامين وأصحاب مكاتب التحقيق ولديها قدرة على التقاط الصور الملونة ديجيتال التييمكن إرسالها فورا عبر الكومبيوتر من خلال الانترنيت... ولديها القدرة على تصوير لقطات فيديو أيضا باللون والصوت رغم حجمها الصغير الذي لا يزيد عن حجم القلم.

الكاميرا تعمل ببطارية صغيرة متوفرة في جميع الاسواق وتعيش لسنوات طويلة.

الكاميرا تأتي مع كيبل صغير لربطها بالكومبيوتر لنقل الصور إليه... حجم الذاكرة في الكاميرا 16 ميغابايت... ويمكن تخزين ثمانين صورة في ذاكرتها... الكاميرا تأتي مع برنامج سوفت وير لاستخدامها مع الكومبيوتر... ومع قاعدة لوضعهاعليها فيما لو أردتأن تستخدمها مع الكومبيوتر... كما تأتي مع كليب لوضعها في جيب القميص كما تضع القلم العادي.

(21) Andrew Cook, Ace of Spies: The True Story of Sidney Reilly; 2004, Tempus Publishing, p.11.

8 - المرنان المغناطيسي (جهاز جديد لكشف الكذب):

مجس بالأشعة تحت الحمراء يقرأ الأفكار والمرنان المغناطيسي يرصد التغيرات في المخ.

وزارة الدفاع الأميركية استخدمت جهاز كشف الكذب التقليدي في أكثر من 11 ألف اختبار وثلاثة أرباعها لرصد الجواسيس والجهاديين[22].

يوظف بريتون تشانس البروفسور بجامعة بنسلفانيا أشعة قريبة من الأشعة تحت الحمراء للتعرف على الأكاذيب التي «تقبع» داخل عقول متطوعين من طلاب جامعته. وهو يأمل في آن تقوده أبحاثه يوما ما، إلى تطوير جهاز يعوض جهاز كشف الكذب الحالي الذي لا يتميز بالدقة في قياساته، والذي ظل على مدى عقود، الآلة المفضلة لدى السلطات الأميركية لرصد الجواسيس والمخربين[23].

والبروفسور تشانس، واحد من عشرات الباحثين في الولايات المتحدة الذين ينقبون عن طرق جديدة لكشف الكذب لرصد(المخربين) خصوصا بعد أحداث 11 سبتمبر 2001. ويلجأ العلماء إلى توظيف أجهزة لرصد نشاط المخ، وأخرى للتعرف على أسباب التخلف الذهني في التعلم، للكشف عن الكذب بدلا من الجهاز التقليدي المعروف الذي يرصد علامات القلق. حتى أقوى أنصار جهاز الكشف عن الكذب التقليدي، بدأوا يشككون في قدرات هذا الجهاز العتيق الذي اخترع عام 1915. ويستخدم هذا الجهاز أسلاكا وأقطابا لقياس تغير وتيرة التنفس، والتعرق، ودقات القلب. والمشكلة هي أن هذه التغيرات قد تحصل بسبب التوتر وليس بسبب الكذب! ولا تقبل شهادات هذا الجهاز سوى محاكم ولاية نيومكسيكو!.

(22) Robert Boucard, Les dessous de l'espionnage anglais, 1929, p.38.

(23) Kim Philby, Ma guerre silencieuse, éditions Robert Laffont, 1968. Les mémoires du célèbre agent double (MI6-KGB), p.51.

و يمول معهد جهاز كشف الكذب التابع لوزارة الدفاع الأميركية، ومقره فورت جاكسون بولاية كارولينا الجنوبية، 20 مشروعا على الأقل، للتوصل إلى جهاز أفضل لكشف الكذب. من جهة أخرى تقوم وكالة أبحاث الدفاع المتقدمة التابعة لنفس الوزارة، بأبحاث لتوظيف المرنان المغناطيسي الذي يمسح بدقة أعضاء الجسم البشري، ومنها المخ، وأجهزة أخرى، في الكشف عن الكذب.

بينما ينتظر الباحثون نتائجهم يظل جهاز كشف الكذب التقليدي سائدا، فقد استخدم من قبل وزارة الدفاع والوكالات الحكومية الأخرى في 11 ألفا و566 اختبارا عام 2002، وفقا لتقرير صادر عن المعهد. وكانت ثلاثة أرباع الاختبارات تهدف إلى رصد الجواسيس والمجاهدين، ولم ينجح سوى 20 شخصا من كل الذين خضعوا للاختبارات.ولا يدخل في هذه الإحصاءات عدد الاختبارات التي أجرتها وكالة المخابرات المركزية ومكتب المباحث الفيدرالي ووكالة الأمن القومي حيث تعتبر الأرقام سرية[24].

ويدرس البروفسور تشانس في مختبره، كيفية التعرف على ردود فعل المخ عند حدوث التوتر أوالإجهاد، أو ما يسميه «التضرر بسبب الخداع». وهو يعتمد على أداة رئيسية اسمها «كوغنيسكوب» cognoscope (جهاز «رسم الإدراك» - كما يبدو من الكلمة الانجليزية)، للاستشعار تعمل كمجس للأشعة تحت الحمراء يوضع في طوق على الرأس لقياس تدفق الدم والأوكسجين داخل مخ المتطوعين عندما يطلب منهم الكذب!. وقد وجد تشانس أن «تشكيل الكذب» يؤدي إلى توليد دفقة من النشاط في سريان الدم والأوكسجين تستغرق عدة مليثوان (الملي ثانية: واحد من الألف من الثانية)، في جزء محدد من المخ مسؤول عن اتخاذ القرارات. ويقول الباحث «يمكنك قراءة الفكرة قبل أن يتم التعبير عنها»[25].

---

(24) Roger Faligot Les services spéciaux de sa Majesté, Messidor/Temps Actuels, 1982, p.82.

(25) Anthony Cave Brown, La guerre secrète (titre original: Bodyguard of Lies), éditions Famot, 1975, p.91.

وقد اختبر معهد جهاز كشف الكذب أداة «كوغنيسكوب» على 42 متطوعا من الجنود. ورصد الجهاز الجديد الكذابين، إلا انه رصد كذلك «الكذاب المزيف»، وهي حالة لجندي كان يقول الحقيقة، إلاأن الصورة بالأشعة تحت الحمراء التي كان الجهاز يعرضها، أكدت انه كاذب.

ويعرب تشانس عن أمله في تطوير جهاز دقيق، كما يبدي قلقه أيضا من احتمال تداخل عمل جهازه مع خصوصيات الأفراد، إذأن خطورته تتمثل في استطاعته «قراءة الفكرة قبل أن يعبر صاحبها عنها»! في مختبرات أخرى يعكف دانييل لانجليبن الباحث بجامعة بنسلفانيا، على توظيف المرنان المغناطيسي للكشف عن الخداع داخل مختلف أجزاء المخ. وتعتمد دراساته على أبحاث حول نشاط المخ للمدمنين، والتلاميذ الذين يلاقون صعوبات في التعلم. وهو يقول منظرا، إن قول الأكاذيب يتطلب من المخ القيام بعمليتين، الأولى قمع الحقيقة، والثانية ترتيب الأكاذيب، ولذلك فإن رصد الدلائل على أي من العمليتين أو كلتيهما سيؤدي إلى رصد المخادعين.

وقد وجد لانجليبن أن المرنان يقدم فوائد كبرى في الكشف عن الكذب، إلاأن كلفة كل جلسة من جلساته كانت باهظة جدا، إذ تعادل 1500 دولار. ويوظف علماء آخرون وسائل أقل تقنية، حيث يحاول باحثون في جامعة أوكلاهوما رصد الكذب عن طريق الكلمات والتعابير، مثل استخدام كلمات «ربما» و«يحتمل» و«حسب علمي» وما شابه. فيما يسعى آخرون إلى كشف الكذب بتحليل نبرات الصوت وتوترها. وفي كل الأحوال يبدو أنأيام أجهزة الكشف عن الكذب قد اقتربت من نهايتها[26].

(26) John Prados, Guerres secrètes de la CIA,?ditions du Toucan, 2008 (traduction de Safe for Democracy: The Secret Wars of the CIA - 2006). Les opérations conjointes de déstabilisation de l'Albanie par le MI6 et la CIA y sont détaillées dans le chapitre 4, p.55.

9 - جهاز بصمة المخ:

وقد استخدم جهازه بالفعل أثناء التحقيقاتالتي أجريت مع المشتبه فيهم بعد تفجيرات 11 سبتمبر 2001.

لقد وصف كاتب أدبالخيال العلمي، جيمس هالبرين، هذا الجهاز بأنه فاق تصوراته الخيالية التي وضعهافي روايته (جهاز الحقيقة) عام 1996، والتي تصور فيها أن يكون هناك جهازلاختبار ومسح مناطق الذاكرة في مخ الإنسان، في عام 2024، ولكن جهاز بصمة المخجاء بأسرع مما كان يتصور، ويقول: لقد اخترت عام 2024 لتكون هناك فترة كافية لاتكون فيها مثل هذه الفكرة سخيفة وبعيدة تماما عن الواقع[27].

ويؤكد د. فارويلمخترع الجهاز أن بصمة المخ لا تحدد فقط هوية مرتكبي الأعمال الجهادية التي حدثتبالفعل، ولكنها تقوم أيضا بدقة تصل إلى 100% من خلال قياس استجابات المخالكهربية عندما تعرض على المشتبه فيه تحديد أماكن حدوث الأعمال الإرهابية، فتستدعي ذاكرته على الفور جميع التفاصيل سواء المشاركين فيه ومراحل التخطيط السابقة واللاحقة له، وتترجم هذه الاستدعاءات إلى بيانات رقمية على شاشات الكمبيوترالمرتبطة بمخ المشتبه فيه وقد استخدمه فارويل على بعض الأشخاص الذين كانوا يخططون للسفر لأفغانستان لمعرفة ما إذا كانت لديهم معلومات عن بن لادن أم لا ونوع هذهالمعلومات، وعدد المتدربين هناك.هذا ما أُعلن عنه لكن مالم يعلن عنه يظل هو مكمن الخطر[28].

(27) Stephen Dorril, MI6: Inside the Covert World of Her Majesty's Secret Intelligence Service, The Free Press, New York, 2000. La référence sur le MI6. Toutes les opérations clandestines du service sont détaillées, p.64.

(28) Keith Jeffery, MI6: The History of the Secret Intelligence Service 1909-1949, London, Bloomsbury, 2010, p.33.

رابعاً: فضائح الاستخبارات الأمريكية:
تاريخ العمليات القذرة

■ د. نسيم بلهول

التواطؤ الأميركي مع المافيا خلال الحرب العالمية الثانية:

بلغ التواطؤ حد التعاون الفعلي (حيث التغاضي الأميركي أتاح للمافيا تكوين نواة ثروتها عن طريق تجارة الكحول الممنوعة في أميركا آنذاك) وباتفاق مكتب الخدمات الاستراتيجية الأميركي (وكالة المخابرات المركزية الـ (CIA) مع العراب لوكي لوشيانو، ومع عرابين آخرين، من أجل تكوين طابور خامس يمهد لاحتلال الأميركيين لصقلية. ويكون دليلاً للمارينز (قوات المشاة البحرية) عند نزولهم إلى الجزيرة.لكن تسمية الطابور الخامس لا تتفق مع واقع الحال[1].

بعد سقوط الفاشية تولى الحكم في إيطاليا الحزب الديمقراطي المسيحي مما أتاح للشيوعيين الإيطاليين هيمنة ذات وزن في زمن الحرب الباردة. وبذلك تعاون الأميركيين مع المافيا (المعادية للشيوعية بحكم نموها في أجواء الثروة الأميركية - وربما لأن الشماليين كانوا ميالين للشيوعية) ليؤمنوا بعض النفوذ في جنوب إيطاليا وصقلية. لنستنتج من خلالهما أن هذا التواطؤ قد أعطى للمافيا نوعاً من المشروعية السياسية. ولنؤكد على دور

(1) C.Andrew, For the President's Eyes Only. Secret Intelligence and the American Presidency from Washington to Bush, Harper Collins, Londres, 1995, p.74.

التدخلات التواطئية في مساعدة المافيا للحفاظ على حيويتها واستمراريتها على الرغم من مخالفاتها، متعددة الصعد، للقوانين الأميركية.

ولكن ماذا عن الشائعات المتعلقة بهذا التواطؤ؟ وقد بلغ بعضها حدود القول بدور مؤثر للمافيا داخل الإدارة الأميركية !؟ وبتحديد أدق ماذا عن علاقة فرانك سيناترا بالرئيس ريغان؟ وماذا عن تنفيذ المافيا للعمليات السوداء (قتل واغتيال وخطف...الخ) لحساب المخابرات الأميركية طوال عقود؟ بل واستمرارية هذا الالتزام وإن بصورة أكثر تستراً بعد ذلك؟ وأيضاً ماذا عن دور المافيا في اغتيال جون كيندي؟ ولحساب من؟

وكالة الاستخبارات الأمريكية والمخدرات والصحافة:

علاقة الوكالة بسوق المخدرات في لوس أنجلس ومثل هذه التحالفات السوداء التي كشف بعضها الصحافي (جاري ويب) عام 1996م في كتابه «التحالف الأسود»، ليست حوادث قليلة عابرة يمكن التغاضي عنها، بل هي من السمات البارزة والممارسات المعهودة للوكالة.

وقد حاولت المخابرات الأمريكية تحطيم (جاري ويب) مداراً، كونه كشف اللثام عن علاقتها بتجار الكوكايين وإدخاله إلى كاليفورنيا في أوائل الثمانينات.

وقد بدأت المشكلة بين (جاري ويب) والمخابرات المركزية صبيحة يوم الأحد 18 أوت 1996م، حينها ذهل سكان مقاطعة سانتا كلارا، لما وردَ في صحيفتهم (سان جوس ميركيري نيوز)، والتي كان جاري ويب يعمل مراسلاً لها.وتحلق بعضهم حول ما كُتبَ، وسرى الخبر في تلك الصبيحة، وسجلت العدد مبيعات هائلة[2].

«التحالف الأسود»، هكذا كان عنوان المقال الذي تصدر الصفحة

---

(2) J.Baud, Encyclopédie du renseignement et des services secrets, Lavauzelle, Panazol, 2002, p.222.

الأولى كاسراً (تابلوهاً) كبيراً، و إلى الأسفل كان هناك عنوان فرعي «القصة الكاملة وراء تفتيش المخدرات». و إلى الأسفل من ذلك كله، صورة رجل أسود يدخن المخدرات، مع ظهور شعار بارز في الصورة يحمل الكلمات الثلاث (سونترال أنتيليجوتس آجونس).في شكل نصف دائرة تعلو رأس صقر ملتفت. وكان ذلك هو شعار السي أي آيه ـ كانت جرأة الكاتب أكبر بقليل أو كثير من أن يصدقها القراء، وفي أعداد أيام 18، و19 و20 أوت 1996م، كان (ويب) يسدد القصة الكاملة للتحالف الأسود بين السي أي آيه وكارتل المخدرات المتنفذ حتى في الأسواق الأمريكية...ووجدت الصحافة الأمريكية طوال أسبوعين بعد ذلك ما تملأ به صفحاتها من الأخذ والرد والنقاش الساخن لهذه القضية.

نص المقالة التي كتبها: الكسندر كوكبيرن بعد اغتيال الصحافي "جاري ويب"[3]:

وكالة الاستخبارات المركزية والصحافة الأمريكية

قلة من المشاهدين في الصحافة الأمريكية في أواسط تسعينات القرن الماضي، كانت أشد إثارة للاشمئزاز من الحملة الضارية التي شنت على "جاري ويب" (صحافي أمريكي انتحر في أواخر الأسبوع الماضي ـ المحرر)، في صحف "نيويورك تايمز"، "واشنطن بوست" و"لوس انجلوس تايمز". فقد راحت أسراب من المأجورين الذين تربط بعضهم علاقات مع وكالة الاستخبارات المركزية (سي.آي. إيه) طيلة حياتهم العملية، تصب جام كلماتها الخبيثة الجارحة على جاري ويب، وعلى صحيفته "سان خوسيه ميركوري نيوز"، بسبب "تلويثه إسم الوكالة الناصع"(!) باتهامها بالمشاركة في جريمة استيراد الكوكايين إلى الولايات المتحدة في ثمانينات القرن الماضي.

(3) J.-J.Cécile, Le Renseignement français à l'aube du XXIesiècle, Elipsess., 1998, p.379.

هنالك أمور معينة لا ينبغي لك أن تقولها علناً في الولايات المتحدة. فقد اعتادت رعاية الدولة المنظمة للتعذيب من قبل الولايات المتحدة أن تكون من المحرمات الرئيسية التي لا يجوز التطرق إليها. ولكن ذلك ذهب أدراج الرياح هذه السنة (رغم أن الصحافي المعروف سيمور هيرش عامل وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية بلطف ليس في محله، في كتابه عن فضائح التعذيب في وقت مبكر من هذا العام، الذي يحمل عنوان "الطريق إلى أبو غريب"). ومن المحرمات الرئيسية الممنوع تناولها في النقاش العلني المهذب هنا في الصحافة، القول إن حكومة الولايات المتحدة ظلت تستخدم الاغتيال عبر السنوات أداةً لتنفيذ السياسة القومية، وكذلك القول إن تواطؤ وكالة الاستخبارات المركزية مع العصابات الإجرامية التي تتاجر بالمخدرات، يمتد من أفغانستان الحالية في هذه الأيام، رجوعاً في الزمن إلى الوراء حتى وقت تأسيس الوكالة سنة 1947.

وذلك المحظور الأخير هو الخط الذي تجاوزه جاري ويب، ودفع ثمن جرأته بأن تعرض لواحدة من أعتى وأظلم الحملات في تاريخ الصحافة الأمريكية، حتى انقلبت عليه صحيفته ذاتها! .وقد مات ويب يوم الجمعة 10 كانون الأول في شقته في سكرامانتو (عاصمة ولاية كاليفورنيا)، جراء ما يبدو أنه عيار ناري أطلقه على رأسه بيده. وكانت الملاحظات التي نشرت عن موته في العديد من الصحف مخزية، كما هو العهد دائما بالصحف الأمريكية. فقد حرصت صحيفة "لوس انجلوس تايمز" على أن تذكر انه حتى بعد الضجة التي أثارها ما نشره ويب في صحيفة "سان خوسيه ميركوري نيوز"، بعنوان "الحلف الأسود"، كانت وظيفة ويب قد أصبحت "محفوفة بالمتاعب"! وقد طرحت الصحيفة، دليلاً على ذلك، حقيقة أنه "بينما كان ويب يعمل لدى لجنة تشريعية أخرى في سكرامانتو، كتب تقريراً يتهم فيه دوريات الطرق الخارجية في سكرامانتو بالتغاضي بصورة غير رسمية، بل وبتشجيع العنصرية في كتابة سجلات الأفراد، ضمن برنامجها لحظر المخدرات"! يا لوقاحة الرجل!.

ويتابع الخبر قائلاً، بخشوع وورع: "نشر المسؤولون التشريعيون

التقرير سنة 1999 ولكنهم حذروا من أنه قائم أساساً على افتراضات وحكايات ونوادر". ويعني ذلك من دون شك أن ويب لم يكن لديه عشرات من ضباط الدوريات المذكورة الذين ذكروا تحت القسم، في السجلات الرسمية، إنهم كانوا يضايقون السود والهسبانيين (الأمريكيين من أصل إسباني).وكانت هنالك نوافير غضب أخرى مماثلة، ثارت سنة 1996 لأن وكالة الاستخبارات المركزية لم يُتح لها الحيز الكافي في سلسلة مقالات وتحقيقات غاري ويب لكي تُقْسم بوقار أنه "لم يمر أبداً غرام واحد من الكوكايين بمعرفتها من دون أن تستولي عليه وتحوله إلى دائرة تطبيق قوانين المخدرات التابعة لوزارة العدل، أو إلى هيئة الجمارك الأمريكية"!!.

في سنة 1998 نشرت، بالاشتراك مع جيفري سانت كلير، كتاباً بعنوان "وايت أوت" (الغبش) عن العلاقة بين وكالة الاستخبارات المركزية والمخدرات والصحافة، منذ تأسيس الوكالة. كما تناولنا بالتفحص تفاصيل حكاية ويب. وقد أثار الكتاب، على نطاق أضيق وبدرجة أقل، النوع ذاته من سوء المعاملة الذي واجهه ويب. وكان الكتاب طويلاً محشواً بالحقائق الموثقة على نحو جيد، والتي هب المنتقدون لنا بشأنها إلى اتهامنا بـ"الطيش"، مثلما فعلوا مع ويب بـ"المتاجرة بالمؤامرة"، رغم أنهم كانوا في بعض الأحيان يتهموننا في الحكم ذاته بـ"إعادة إنتاج الأخبار القديمة".

سلسلة من العمليات القذرة:

قيامها عام 1973م بتدبير انقلاب في تشيلي ضد سلفادور أليندي، وقتله، وتنصيب عميل الوكالة الجنرال أوغستو بينوشيه مكانه، وقد قتل خلال أحداث هذا الانقلاب ما يزيد على (2500) شخص.

وكشفت التحقيقات أن الانقلاب العسكري الذي حدث في بوليفيا في 17 حزيران عام1980 من أن أصابع ضباط الوكالة بالتنسيق مع المدعو كلاوس باربي الرئيس السابق لجستابو النازي الألماني في مدنية ليون فرنسا كانت وراء تحريك خيوط التحريض والإثارة لدى مجموعة من الأفراد

العاملين كممثلين لمنظمة موون المرتبطة بالوكالة. وتدعى هذه المجموعة ب "الاتحاد في سبيل زمالة المجتمعات الأميركية ووحدتها" (CAUSA) فقد كان توماس وارد الضابط السابق لدى الوكالة يتزعم المونيين في بوليفيا. في حين كان وليام سيليتش الأخصائي بالإلكترونيات وأحد قدامى المحاربين في فيتنام نائب الزعيم. أما ثالث ضباط الوكالة في صفوف المونيين فقد كان بوري الذي سبق له أن حاول إنشاء كنيسة مسلحة في البرازيل. كما اشتركت طائفة المونيين المرتبطة بالوكالة في الحرب السرية التي شنتها الاستخبارات المركزية ضد نيكاراغوا في عام 1985[4]. حين قامت "الواشنطن تايمز" أشهر جريدة في إمبراطورية المونيين الصحافية بجمع ملايين الدولارات لدعم عصابات الكونترا في نيكاراغوا بعد أن رحب الكونغرس في ذلك الوقت بتمويل تلك العميلة السرية. وكان منسق حملة التبرعات تلك هي جان جوردان كيركباتريك سفيرة الولايات المتحدة السابقة لدى الأمم المتحدة. ولتحقيق أهداف سياستيها الداخلية والخارجية لم تستخدم وكالة الاستخبارات المركزية إمبراطورية المونيين الصحافية فحسب بل وظفت كذلك الإمبراطورية الاقتصادية الممتدة في العالم أجمع والتي تملكها كنيسة التوحيد. والتي تقف شركة تونغ 2 الصناعة المحدودة في مركزها ويرأس هذه الشركة سانغ كوان موون ويقال أنه شقيق لمؤسسة كنيسة التوحيد[5].

وتمتلك هذه الشركة فروعاً رئيسية في نيويورك وطوكيو ودوسلدورف، إلى جانب مكاتبها فيما وراء البحار في هونغ كونغ وكوالالمبور وسنغافورة وجاكارتا وسيدني وبيونيس آيريس وهاوستون ولوس أنجلس وسان فرانسيسكو وشيكاغو وتورنتو وفانكوفر ولندن وميلانو والقاهرة وقبرص.

وفي عام 1983 تولى مانويل أنطونيو نورييغا، وهو تاجر مخدرات وعميل للوكالة، منصب قائد الحرس الوطني في بنما، ورقى نفسه إلى رتبة

(4) Commissariat général du plan, Intelligence économique et stratégie des entreprises, rapport, H.Martre dir., La Documentation française, Paris, 1994, p.48.

(5) C.Durandin, La C.I.A. en guerre, Grancher, Paris, 2003, p.19.

جنرال، واستولى على الحكم، وكان ذلك كله تحت غض النظر من طرف الوكالة الأمريكية. غير أن أموراً حدثت بعد ذلك قطعت التيار بينه وين السي أي آيه، وكانت قصة الذئبة التي تأكل أبناءها. إذ تم اتهامه عام 1986م بالابتزاز وتهريب المخدرات وغسيل أموال قذرة، وحكمت عليه إحدى المحاكم الأمريكية عام 1992م بالسجن، أربعين سنة[6].

وفي عام 1986م تم الكشف عن تورط للسي أي آيه في صفقات سرية لبيع أسلحة لإيران، بترتيب من إدارة رونالد ريغان، وتحويل أموال تلك الصفقة إلى عصابة الكونترا المتمردة ضد حكومة الساندينيستا في نيكاراغوا.ولم يكن هذا العمل مفتقراً إلى غطاء رسمي، فقد صرح ريغان عام 1985م قائلاً عن متمردين الكونترا: «إنهم إخوتنا، هؤلاء المقاتلون من أجل الحرية، إنهم المعادل الأخلاقي لآبائنا المؤسسين، وللرجال والنساء الشجعان في المقاومة الفرنسية، ونحن لا نستطيع التخلي عنهم، لأن هذا الصراع ليس صراعاً لليمين ضد اليسار، بل هو صراع للحق ضد الظلم».

وفي عام 1994م تم اكتشاف عملية بيع أسرار للدولة إلى الاتحاد السوفييتي، قام بها ضابط من الضباط الكبار في الوكالة المركزية الـcia وهو (ألوريتش إيمز «Alorich Ames») الذي حُكم عليه بالسجن مدى الحياة.

مذابح الـ CIA:

1 - في لبنان انفجار بئر العبد في 8 مارس 1985:

رأت الاستخبارات الأمريكية أنّ الوسيلة الأسرع للإجهاز على حزب الله اللبناني إنما يكون من خلال العمل على اغتيال رموزه والشخصيات التي تجد في نشاطها خطراً على مواقع سيطرتها، ولذا لم تتورع في هذا السبيل عن ارتكاب أبشع المجازر وبمختلف الأساليب الوحشية التي كانت

(6) C.I.A., cinq années de colère, Armand Colin, Paris, 2007, p.76.

منها المتفجرة التي وضعتها في بئر العبد، وحصدت العشرات من النساء والأطفال والشيوخ والشباب الأبرياء كعنوان من عناوين الهمجية الأمريكية.

ولهذا أوردت وكالة الاستخبارات الأمريكية عدداً من التقارير تُحمّل فيها محمد حسين فضل الله المسؤولية المباشرة عن سلسلة من الهجمات التي طاولت المنشآت الأمريكية في لبنان عامي 1983 و1984، بما فيها مساهمته في اتخاذ قرار تفجير مقر قيادة المارينز في بيروت، والذي أدّى إلى مقتل مئتين وواحد وأربعين جندياً أمريكياً، وأوردت في هذا الصدد استقباله ومباركته للرجل الذي قاد الشاحنة المفخخة في الهجوم[7].

ولتفادي مثل هذه الهجمات، تداولت السلطات العليا الأمريكية في الأمر، ورأت أنّ الخيار الأفضل لمواجهة المسؤولين عنها هو اعتماد العمليات الأمنية السريّة في العالم بدلاً من اللجوء إلى القوة العسكرية المباشرة كاستخدام مدافع البارجة نيوجرسي، التي كانت ترسو في البحر مقابل شواطئ بيروت، أو الغارات الجوية التي قد تُحدث دماراً شاملاً وخسائر مادية وبشرية تكون بمثابة أعمال عدوانية فاضحة قد ترتدّ بشكل سيء على سمعة الولايات المتحدة ومصالحها في العالم.

وفي ضوء ذلك، نشأت فكرة تدريب ودعم فريق سري ما، سيجنّب - برأي المصادر الأمريكية المطلعة- احتمال تغطية تلفزيونية حية للعمل العسكري الأمريكي، كما سيتفادى الاستخدام العلني للقوة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط، التي تتزايد فيها مشاعر العداء للولايات المتحدة وعمليات "الإرهاب" ضدها... وإلى ذلك، فإنه بالمقارنة مع البدائل الأخرى، فإنّ فريقاً أمنياً صغيراً سيكون أقلّ الخيارات كُلْفَة.

ولما كانت الولايات المتحدة الأمريكية تخشى من ردّ فعل ضدّ الأمريكيين العاملين في لبنان، رأت مصادر الاستخبارات أن تقلّل من أهمية علاقة الـ"سي.آي.إيه" بالوحدات المناهضة للإرهاب.

---

(7) R.Faligot, Les Services secrets chinois: De Mao aux J.O., Nouveau monde, Paris 2008, p.40.

ومن هنا وافق الرئيس الأمريكي، رونالد ريغان، في أواخر 1984، على عملية سريّة تخوّل وكالة الاستخبارات المركزية تدريب ودعم عدد من الوحدات المضادة للإرهاب مهمتها ضرب "الإرهابيين" المحتملين قبل أن يستطيع هؤلاء مهاجمة المنشآت الأمريكية في الشرق الأوسط[8].

وكشفت مصادر في وقت لاحق بشكل تفصيلي عن أهداف هذه الموافقة، حيث جاء في نص تقرير آخر أنّ ريغان وقّع في 3 نيسان 1984 قانوناً للتنفيذ فوراً، ويقضي بالقيام بأعمال استباقية ضد "الإرهاب" وضد دول "ترعى الإرهاب". وقد لاقت هذه الخطوة دعماً من وزير الخارجية جورج شولتس، ومستشار الأمن القومي روبرت ماكفرلين، ومدير الـ"السي.آي.إيه" وليم كايسي.

ونتيجة لذلك، بدأ عملاء الاستخبارات الأمريكية وعناصر عسكرية بالتمويل والتدريب والمشاركة في تقديم المعلومات ودعم مجموعة من الفرق الخاصة في بلدان صديقة لمواجهة "الإرهاب".

ممّا قاله أحد المسؤولين عن تشكيل هذه الوحدات إنه "إذا أخذنا الإرهاب على محمل الجد، مثلما يتوجب علينا، خصوصاً أننا ندرك أن الأمور قد تسير نحو الأسوأ، فمن الضروري أن نفعل، فليس هناك خيار آخر، فهذا هو نوع من المسائل التي سيتوجب علينا مواجهتها ومن الأفضل أن نكون مستعدين".

أما عن طبيعة العلاقة حينها بين الاستخبارات الأمريكية والاستخبارات اللبنانية، وكيفية نشوئها، والأهداف التي وطدت هذه العلاقة، يقول تقرير نيويورك تايمز: "تمّ الاتفاق بين مسؤولي الإدارة الأمريكية لمواجهة الحالات التي تشكّل خطراً على المصالح في الخارج لجهة استباق الأعمال الإرهابية وتحديد الدول التي ترعاها، ولكن لم يكن

(8) F.Guelton, Pourquoi le renseignement? De l'espionnage à l'information globale, Larousse, Paris, 2004, p.111.

هؤلاء يخطّطون لاستخدام الأمريكيين في بلدان أخرى، وهذا يعني الاعتماد على أجانب يعملون في خدمة حكومات أخرى". وضمن هذا التوجه، شكلت شخصية محمد حسين فضل الله القاسم المشترك بين الاستخبارات الأمريكية والاستخبارات اللبنانية، حيث كان كِلا الجهازين يتعقبه، ولكن لأسباب مغايرة[9].

وحاول تقرير نيويوركتايمز أن يرمي الـ"سي.آي.إيه" خارج نطاق التهمة من خلال ما جاء على لسان المسؤولين الأمريكيين، حيث يقول: إن الـ"سي.آي.إيه" لم تقرّر ما الذي تريد أن تفعله بشأن السيد فضل الله، أما الاستخبارات اللبنانية، ولأسباب خاصة، لم يكن لديها القدرة على التحرك ضده، باعتبارها جهازاً رسمياً، والشيعة كانوا جزءاً من الحكومة اللبنانية، ولذلك استأجر جهاز الاستخبارات اللبناني أشخاصاً من خارج الجهاز لتنفيذ العملية.

ولإيضاح كيفية نشوء فكرة اغتيال فضل الله أشارت الـ"نيوزويك" بناءً على مصادر من واشنطن: "إنّ الحكومة اللبنانية طلبت في عام 1984 المساعدة في تدريب قوة لمجابهة الإرهاب، وحسب مصدر قريب، فإنّ هذه الحكومة كانت تريد تشكيل فرقة ضاربة لمعاقبة "الإرهابيين"، وبعد نيل الموافقة من الرئيس "ريغان" ومدير الـ"سي.آي.إيه"، وليام كايسي، ووزير الخارجية شولتس، ومستشار الأمن القومي روبرت ماكفرلين، أُعطيت التعليمات للوكالة للعمل مع قسم المخابرات في الجيش اللبناني بقيادة كولونيل مسيحي يُدعى سيمون قسيس. والخطة كانت تقضي بتدريب ثلاث مجموعات مكوّنة من خمسة عناصر لكل منها، وبحسب مصادر لبنانية، فإنّ مجموعتين تمّ تجنيدهما مكوّنتين من ثمانية مسيحيين ومسلِمَيْن، وقد أخبر أعضاء لجان المخابرات في مجلس الشيوخ والنواب أنّ الفرق لم

(9) P.Lacoste dir., Approches françaises du renseignement: y a-t-il une culture nationale?, séminaire de recherche 1995-1996, Fondation pour les études de défense, Paris, 1997, p.51.

تتلقّ تدريباً يذكر، ويضيف مصدر في الإدارة الأمريكية، أنّ المخابرات اللبنانية كانت في وضع فوضوي كبير لدرجة أنه لم يكن أحد يرغب بالتعاون معها[10].

وحاولت الإدارة الأمريكية التنصل مما نشرته صحيفة الواشنطن بوست، ولكن الوكالة تبنّت من حيث لاتدري ـ أو ربما من حيث تدري ـ انفجار بئر العبد في 8 آذار 1985 عندما وصفته بـ"عملية مضادة للإرهاب"، بدلاً من أن تصفه بأنه "عملية إرهابية"، وجاء ذلك في ظرف كان ينبغي للاستخبارات وفق ما أعلنه أحد المسؤولين في إدارة ريغان أن تمتنع عن إصدار أي تصريح، ورغم النفي المتسرع للوكالة فقد كان واضحاً تحمّلها المسؤولية، ما أضفى قدراً أكبر من المصداقية على تحقيق الـ"واشنطن بوست" على التصرفات التي قامت بها وكالة الاستخبارات الأمريكية وجاءت مخالفة لنفيها الرسمي.

ومن ناحية أخرى، فإنّ الـ"نيويورك تايمز" وصفت البيان الذي أصدرته الـ"سي.آي.إيه" ونفت فيه مسؤوليتها عن تدريب منفذي عملية التفجير في منطقة بئر العبد، بأنه بيان "لا يتجه إلى صلب الموضوع"، وتركّز نفي الـ"سي.آي.إيه" على أنها لم تقم بتدريب من قاموا بعملية التفجير، في حين أن البيان لا يتضمن نفياً محدداً في أن الوكالة كانت تعمل مع الاستخبارات اللبنانية."

وتنحو في هذا الاتجاه صحيفة "مونتريال غازيت" الكندية التي ذكرت أنّ قول وكالة الاستخبارات "بأنها لم تكن ترغب في وقوع العملية، إنما هو مجرد تبرير لسياسة سيئة".

ولكنّ التقرير الذي نشرته التعبئة الأمنية في حزب الله أثناء محاكمة منفذي المجزرة جاء ليدحض كلّ تلك المزاعم وليؤكد العلاقة المتينة

(10) P.LePautremat dir., Forces spéciales, nouveaux conflits, nouveaux guerriers, Autrement, Paris, 2003, p.29.

والقوية بين جهازي الاستخبارات الأمريكية واللبنانية في مواجهة الحالة الإسلامية، فقد جاء في هذا التقرير الذي استند إلى التحقيقات التي أُجريت مع أفراد الشبكة الذين نفّذوا عمليات التفجير، أنه "بسبب ما لقيت أمريكا من هزائم في لبنان أخذت تهيئ الرأي العام العالمي لعمل عسكري ينقذ معنوياتها المتدنية، وبدأت الإعداد لتنفيذ هذا التوجه، فاستنفرت كلّ أجهزتها، وأوعزت بموافقة صديقها الحميم، رئيس لبنان في تلك المرحلة أمين الجميل، إلى مدير مخابرات الجيش اللبناني العقيد سيمون قسيس، من أجل تأسيس فرع مخابراتي خاص يتولى التنسيق مع جهاز الأمن التابع للقوات اللبنانية "حامية المجتمع المسيحي" تحت إشراف ضابطين من الاستخبارات المركزية الأمريكية "سي.آي.إيه"(11).

وبالفعل فقد تشكّل هذا الفرع وبدأ عمله تحت عنوان "فرع العمل والتحليل الخارجي" بإدارة المقدم أدونيس نعمة المتخصّص بالدراسات الاستراتيجية في الجيش اللبناني ومدير مكتب العقيد سيمون قسيس، وقد حُدِّدَتْ لهذا الفرع أهداف عدة كان في مقدمها اغتيال العلامة السيد محمد حسين فضل الله.

أما عن تورّط أحد فروع الاستخبارات السعودية مع الاستخبارات المركزية الأمريكية في محاولة قتل فضل الله في انفجار بئر العبد، فقد جاء في أحد الشهادات الأمريكية النادرة، والتي وردت في كتاب "الحجاب"... الحروب السرية للـ"سي.آي.إيه" 1981-1987، الذي كتبه مدير تحرير صحيفة الـ"واشنطن بوست" بوب وودورد: "إن المدير السابق لوكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية، وليم كايسي، ساعد شخصياً الاستخبارات السعودية على تنفيذ ثلاث عمليات سرية، الأولى مساعدة تشاد في مواجهة ليبيا، والثانية إحباط الآمال الانتخابية للحزب الشيوعي الإيطالي في أيار عام 1985، أما الثالثة فهي محاولة اغتيال السيد محمد

(11) G.Thomas, Histoires secrètes du Mossad: De 1951 à nos jours, Nouveau monde, Paris, 2006, p.38.

حسين فضل الله في 8 آذار 1985 في سيارة ملغومة أسفرت عن مصرع 80 مدنياً في بئر العبد"[12].

وقال الكتاب في مكان آخر: "إنّ هذا الطرف العربي دفع مبلغ 15 مليون دولار لتمويل العمليات الثلاث، ولكن بعد فشل محاولة الاغتيال حاول هذا الطرف إقناع السيد فضل الله بمباركة كايسي بوقف عمليات السيارات الانتحارية ضد الأهداف الأمريكية والغربية عن طريق مساعدة بقيمة مليوني دولار كمواد غذائية ومنح جامعية إلى أتباعه"[13].

وكان "وودورد" نفسه قدكتب في صحيفة "واشنطن بوست" في العام 1985 إنّ محاولة الاغتيال كانت جزءاً من عملية الـ"سي.آي.إيه" التي تستهدف تدريب وحدات لبنانية على القيام بهجمات وقائية ضد الإرهابيين"، ولكنه أشار إلى أنه لم يعرف كما قالت الصحيفة، بدور السعودية التي شاركت الاستخبارات الأمريكية في عمليات عديدة في مختلف أنحاء العالم لاسيما في دعم مرتزقة "الكونترا" في نيكاراغوا ومرتزقة "اليونيتا" في أنغولا.

مذبحة قلعة مزار الشريف عام 2001 في أفغانستان:

حين اعترفت "السي.آي.إيه" ببيان رسمي عن مقتل ضابط "السي.آي.إيه" جوني مايك سبان في سجن مزار الشريف في أفغانستان افتتح ملف جديد حول طبيعة المهمة التي كان يقوم بها هذا الضابط والجهاز الذي يتبع له في وكالة المخابرات المركزية.

فقد تبيّن كما تناقلت وسائل الإعلام أن سبان (32 عاماً) من وينفيلد في ولاية آلاباما كان قد انضم إلى العمل في "السي.آي.إيه" في حزيران

---

(12) T.Wolton, Le K.G.B. au pouvoir: Le système Poutine. Buchet-Chastel, Paris, 2007, p.59.

(13) Richard B. Spence, Trust No One: The Secret World Of Sidney Reilly; 2002, Feral House, p.288.

عام 1999 آتياً من قوات المارينز[14].

وبمقتله تكون "السي.آي.إيه" فقدت الضابط التاسع والسبعين الذي يقتل أثناء مهمة يقوم بتنفيذها منذ أن تم تأسيس "السي.آي.إيه" عام 1947. وكان أربعة من الأميركيين قد قتلوا في غمرة النشاطات العسكرية الأميركية في أفغانستان أيضاً[15].

وفي ظاهرة ملفتة أثارت حادثة مقبل سبان واضطرار "السي.آي.إيه" إلى إصدار بيان حولها، جدلاً واختلافاً بين المختصين بشؤون المخابرات حول مدى ضرورة ذلك البيان. ولذلك عاد بيل هارلو، الناطق باسم "السي.آي.إيه" وأصدر بياناً جاء فيه: "انتقد العديد من المختصين والخبراء إعلاننا عن مقتل جوني ميشيل سبان ضابط المخابرات في أفغانستان. واعتبر هؤلاء أن بياناً من هذا النوع يشكل سابقة لا مثيل لها وأن "السي.آي.إيه" تحاول من خلال بيانها هذا كسب تأييد إيجابي من الجمهور. ونحن ليس من عادتنا الرد على انتقادات كهذه. لكن انتشار هذه الانتقادات في قنوات التلفزيون حمل استهتاراً ونيات غير طيّبة، الأمر الذي أجبرنا على الرد.

إن حماية مصادر وطرق عمل وشخصيات الضباط الذين يعملون في ظروف سرية تحت غطاء معين هي من الضرورات الأساسية في عمل الوكالة، بل إننا نبذل جهوداً كبيرة من أحل الحفاظ على الأمن العملياتي. وخلال سنوات طويلة وضمن ما تسمح به الظروف كانت الوكالة تعلن عن شخصية من يقتل من ضباطها أثناء القيام بمهامهم. فثمة 78 منهم نقشت أسماؤهم على الجدار التذكاري "السي.آي.إيه" ومن بينهم 30 ضابطاً كانوا في إدارة العمليات السرية[16]. ففي عام 1975 قتل وليام ويلش في

(14) "C": The Secret Life of Sir Stewart Graham Menzies, Spymaster to Winston Churchill, Anthony Cave Brown, Collier, 1989, p.169.

(15) MI6 (British Secret Intelligence Service), K. Lee Lerner and Hudson Knight in Encyclopedia of Espionage, Intelligence, and Security. Accessed:2007-09-02, p.59.

(16) MI6 boss Sir John Scarlett still signs letters in green ink, Matthew Moore, The Daily Telegraph, 27 July 2009, p.06.

أثينا، وقتل أيضاً وليام باكلي وأعلن عنهما رسمياً. ولقد قال جورج تينيت مدير "السي.آي.إيه" إن ميشيل سبان كان بطلاً لأميركا. ولم نجد أي سبب يمنع من الإعلان عن اسمه، ووافقت على ذلك أسرته. وبالإضافة إلى ذلك، كشفت الكثير من الوكالات الإعلامية عن اسمه قبل صدور بياننا الرسمي وعن علاقته بالسي آي آي حتى قبل وصول جثته إلى الولايات المتحدة أيضاً. لكننا مع ذلك لن يكون بمقدورنا الكشف عن اسم كل من يقتل من ضباط الوكالة أثناء وجوده في مهمته".

ورغم هذا البيان الذي لا يتحدث عما كان يقوم به سبان في أفغانستان لأنه من أسرار السي آي آي، إلّا أن مصادر عدة مختصة في أنباء التجسس والمخابرات ذكرت أن الضابط سبان ربما كان أول من يقتل من ضباط جهاز جديد أنشأته وكالة المخابرات المركزية باسم: "فرقة النشاطات الخاصة، (SAD)، وهي تضم ما يقرب من 5000 ضابط جرى تدريبهم على القتل والاغتيال السري والفنون العسكرية. وذكر أحد المسؤولين الأميركيين في تعقيبه على ظروف عدم الكشف عن أي اسم لهؤلاء الضباط قائلاً: "إنها تقوم بتدريب رجالها أو جواسيسها على المهارات شبه العسكرية. وهناك عدداً منهم يعملون ضمن فروع تستوجب مهارات عسكرية كبيرة"[17].

إن الضابط ميشيل سبان قتل، كما روت بعض الأنباء، في ظروف سرية قام خلالها بارتكاب عمل فظيع ضد الأسرى الذين كانوا داخل سجن مزار الشريف في أفغانستان. فقد ذكرت صحيفة "التايمز" البريطانية في تشرين الثاني الماضي أن ميشيل سبان دخل برفقة ضابط آخر من "السي.آي.إيه" يدعى ديفيد إلى السجن واقترب من أحد الجنود الأسرى من طالبان وسأله ربما لأنه لم يكن أفغانياً: "ماذا تفعل هنا في أفغانستان"، فأجابه جندي طالبان قائلاً: "إننا هنا لكي نقتلكم" وقفز على

(17) Burns, John F. et al. "Defending Secrecy, British Spy Chief Goes Public,". The New York Times, 28 October 2010, p.81.

الضابط ميشيل منقضاً عليه فأطلق ميشيل النار عليه وعلى عدد من الأسرى الآخرين كانوا بقربه وأردى الجميع.

وتقول صحيفة "التايمز": وعند ذلك نشأت حالة فورية من الغضب لدى بقية الأسرى الذين توفر لهم الإمساك بالضابط ميشيل وأوسعوه ضرباً بأيديهم وأرجلهم حتى قضوا عليه وهرب الضابط ديفيد أثناء ذلك للنجاة بنفسه[18].

لكن مصادر أخرى ذكرت أن ضباطاً من "السي.آي.إيه" كانوا، شخصياً، يقومون باستجواب عدد كبير من الأسرى الطالبان وغيرهم من أتباع بن لادن العرب والمسلمين الآخرين للحصول على معلومات عن مكان اختفاء وبقية مجموعته هناك. وكان ميشيل سبان أحد هؤلاء الضباط الذين كلفوا بمهمة الاستجواب. ويبدو أن هذه الاستجوابات دفعت عدداً كبيراً من الأسرى، خصوصاً وأن قوات تحالف الشمال هي التي ينبغي أن تتولى مسؤولية إدارة السجن، إلى التمرد ضد هؤلاء الضباط وإهانتهم وما كانوا يقومون به من تعذيب للحصول على المعلومات، فظهرت شرارة تمرّد الأسرى بعد قيام سبان بفتح النار داخل السجن على عدد من الأسرى الأفغان والعرب وانقضاض عدد منهم عليه وقتله. وربما تكون أحد الأسباب التي دفعت قيادة "السي.آي.إيه" إلى إصدار بيان رسمي بمقتل سبان وإطلاع أسرته مسبقاً على نص البيان الرسمي الذي أعلنه بيل هارلو الناطق الرسمي، هي محاولة تجنب فضيحة أميركية لما قامت به "السي.آي.إيه" داخل سجن مزار الشريف الذي ارتكبت فيه مجزرة ضد الأسرى الذين حملوا جنسيات متعددة. لكن طبيعة ما قام به ضباط "السي.آي.إيه" من وحدة "النشاطات الخاصة" (SAD) لا بد أن يتم الكشف عنها مع تتابع أحداث أفغانستان وما ارتكبته الولايات المتحدة خلال ذلك من ممارسات خرقت فيها حقوق الإنسان وقوانين جنيف في

(18) Whitehead, Jennifer (13 October 2005). "MI6 to boost recruitment prospects with launch of first website". Brand Republic, p.95.

معاملة أسرى الحرب هي وحلفاؤها من الأجنحة العسكرية الأفغانية.

فضائح استخبارات البيت الابيض:

فشلت أجهزة الأمن الأمريكية طوال تاريخهاعن حماية (الرجل الأول) في البلاد في الولايات المختلفة للرؤساء ومثلما كان الأمر قبل تأسيسها من اغتيال أو توريط للرئيس من طرف جهات ما لها مصلحة في ذلك، فقد استمر ذلك المسلسل، فقبل ظهور "السي.آي.إيه"، اغتيل أبراهام لنكولن، الرئيس السادس عشر للولايات المتحدة الأمريكية، وكان اغتياله عام 1865م، كما اغتيل جميز غارفيلد، الرئيس العشرون، عام 1882م. ووليم ماكنلي، الرئيس الخامس والعشرون، عام 1901م، ونجا تيودور روزفلت، الرئيس السادس والعشرون عام 1912م من محاولة اغتيال جرح فيها..[19].

ونجا فرانكلين روزفلت الرئيس الثاني والثلاثون عام 1933 من محاولة لاغتياله، قتل فيها عمدة شيكاغو آنذاك. هذه الأحداث كانت قبل إنشاء الوكالة المركزية، فهل تغير شيء بعدها؟.

لقد تعرض هاري ترومان، الرئيس الثالث والثلاثون، والذي تم تأسيس الوكالة بأمر منه، لمحاولة اغتيال عام 1950م.

واغتيل جون كندي الرئيس الخامس والثلاثون عام 1963م.

وجرت محاولة لاغتيال رونالد ريغان الرئيس الأربعين عام 1981م، ونجا من الموت بأعجوبة بعد إصابته برصاصة في صدره.

ريتشارد نيكسون، الرئيس السابع والثلاثون، لم تستطع الوكالة التغطية على تورّطه مع بعض معاونيه، ومنهم: جون ميتشل (john mitchell)، النائب العام، وجون إيرلشمان (John Ehtlichman) مساعد الرئيس للشؤون

(19) "Funding and Financial Controls". SIS-MI6. 10 November 2014, p.547.

الخارجية، وجون دين (John Dean)، مستشار البيت الأبيض، وهـ.ر. هالدومان (H.R. Halbeman) كبير موظفي البيت الأبيض.

في فضيحة ووترغيت (Watergate):

وهي الفضيحة المتمثلة في سرقة أشرطة مسموعة من مكتب ووترغيت، مقر الحملة الانتخابية للحزب الديمقراطية (المعارض)، عام 1972م، وكذا التجسس على مكالمات الحزب، وقد انتهت تلك الفضيحة باستقالة نيكسون، من منصبه في 9 آب عام 1974م[20].

كما لم تستطيع الوكالة احتواء الفضيحة التي أثارتها مونيكا لوينسكي إحدى موظفات البيت الأبيض، عام 1998م، ضد الرئيس الثاني والأربعين بيل كلينتون متهمة إياه بالتحرش الجنسي ضدها، مع إنكار الرئيس لذلك وكذبه تحت القسم خلال المحاكمة المدنية، ثم اعترافه بعد ظهور أدلة الاتهام ووضوحها.

برنامج فينونا:

عندما أصبح «برنامج فينونا: هذه الكلمة هي الاسم بالغ السرية الذي أطلقته الحكومة الأمريكية على برنامج واسع النطاق لكشف وقراءة مفاتيح الاتصالات بين موسكو ومراكز جاسوسيتها» عندما أصبح متاح للجمهور بين عامي 1995 و1997 أصيب دارسو التجسس بالدهشة إزاء مدى تغلغل المخابرات السوفييتية في حكومة الولايات المتحدة كما أظهرت الرسائل أيضاً أن الغالبية العظمى من الأمريكيين الذين قاموا بالتجسس لصالح السوفييت كانوا أعضاء في الحزب الشيوعي الأمريكي ورغم أن تلك الحقائق كانت معروفة لمكتب المباحث الفيدرالية الأمريكية ولجنة مجلس النواب للأنشطة غير الأمريكية إلا أنها كانت من أكثر المسائل إثارة

(20) Intelligence and Security Committee of Parliament Annual Report 2012-2013, p.40.

للخلافات أثناء الجدال الطويل أثناء الحرب الباردة وساد بين المدافعين اليساريين لمدة طويلة اعتقاد بأن أعضاء الحزب الشيوعي هم مواطنون مخلصون معارضون مهتمون فحسب بإصلاح النظام الأمريكي ويقول المؤلفان: «ولكن وثائق فينونا تثبت العكس وهو أن إخلاصهم كان للاتحاد السوفييتي وان كثيراً من قيادات الحزب وبعض الأعضاء الكبار كانوا جواسيس للقضية السوفييتية».

وفي الثمانينات أثيرت فضيحة برنامج (PROMIS) حتى وصلت هذه الفضيحة إلى المحاكم الأمريكية إذ تبين أن الحكومة الأمريكية قامت بسرقة برنامج الشركة (INSLAW) ومن دون موافقتها وتم استخدام هذا البرنامج من قبل وكالة المخابرات الأمريكية، وكما تم تسليم هذا البرنامج إلى مخابرات دولة صديقة لأمريكا ومن خلال برنامج (PROMIS) حصلت الحكومة الأمريكية على معلومات اقتصادية هامة وعلى معطيات استراتيجية حول السياسة الخارجية للحكومة الكندية، وعندما وصلت الفضيحة إلى المحاكم وبقدرة قادر وبقوة خفية تم إغلاق هذه الفضيحة ومع ذلك يدعون أنهم دولة القانون والحرية ؟.

وفي عام 2001 أعلن جهاز مكافحة الجاسوسية في كندا بان حكومة صديقة (المقصود أمريكا) كانت تعمل وبشكل جدي من اجل حصولها على معلومات سرية وهامة وخاصة في مجال التكنولوجيا والأكثر من ذلك نشرت الصحف الرسمية خبرا مفاده أن أسامة بن لادن قد قدم 2 مليون دولار من أجل تطوير برنامج (PROMIS) بهدف الدخول إلى البنتاغون وغيره من المؤسسات العسكرية والأمنية والأمريكية، وليس من باب الصدفة أن تختفي القائمة المفجعة [المقصود أحداث سبتمبر عام 2001].

الموساد تخترق السي. آي. إيه:

جاءت الصدمة الأولى التي أصابت محققي مكتب التحقيق الفدرالي عندما حلّلوا خمساً وعشرين وثيقة مسروقة وجدوها في حقيبة كانت آن

بولارد (زوجة بولارد) الموظف في قسم المخابرات بوزارة الدفاع قد أخرجتها زوجته من شقتهما بناء على تعليماته لها بعد أن قامت وزارة الدفاع بالتحقيق معه. وتبيّن أن عدداً كبيراً منها من النوع السري للغاية، وكلّلها تقريباً تتعلّق بالقدرات والأسلحة الأميركية. والسؤال الآن هو لماذا كان الإسرائيليون يريدون هذه المعلومات؟.

إن الإجابة على هذا السؤال كما يُفهم من كبار مسؤولي وزارة الدفاع والعاملين بمكافحة التجسس في مكتب التحقيقات الفدرالي الذين راجعوا التعليمات التي تلقّاها بولارد من العملاء وسجّلها لا تزال هدفاً رئيسياً للتحقيق. وقد تبين من سجلات التعليمات هذه والسجلات الكمبيوتر في قسم المخابرات بوزارة الدفاع حيث تمكّن بولارد من الحصول على أكثر الوثائق المسروقة أن أكثر الوثائق التي سلّمها بولارد للعملاء لا تتصل إطلاقاً بالشرق الأوسط، فهي تشتمل على تفاصيل متعلّقة بالمخابرات والقدرات والاتصالات العسكرية الأميركية والروسية. كما تشتمل حسب ما جاء في لائحة الاتهام على تفصيلات عن مواضع السفن ومحطات الطيران الأميركية وأساليب القتال، وطرق تدريب الجند في الجيش الأميركي. ولم تكن هناك أهمية لأكثر هذه المعلومات إلّا لدى بلد واحد وهو الاتحاد السوفييتي.

وتزايد قلق الأميركيين خلال التحقيق مع بولارد عندما كشف سوفييتي كان قد هرب إلى الولايات المتحدة أن هناك بالإضافة إلى الجاسوسين السوفييتيين اللذين قُبض عليهما في إسرائيل وسُجنا (وهما شبتاي كلمانوفيتش وماركوس كلينبرغ) جاسوس ثالث بإسرائيل لم يُقبض عليه. وأضاف أن هذا يحتل مركزاً مهماً في وزارة الدفاع الإسرائيلية وأنه لا يزال يزاول التجسس. ومن المحتمل أن تكون الأسرار التي أرسلها بولارد إلى إسرائيل قد وجدت طريقها إلى الاتحاد السوفييتي سواء أكان هذا هو الهدف أم لم يكن. فالمعلومات التي أرسلها بولارد للإسرائيليين تشمل المواد التالية:

1 - معلومات عن الأنظمة الفنية للمخابرات والأخبار التي جُمعت بواسطتها.

2 - دراسات تحليلية مفصّلة تشتمل على حسابات ورسوم بيانية وصور للأقمار الصناعية وأسماء الذين قاموا بها.

اعترف بولارد بأنه لم يقتطع أي جزء من الوثائق التي سلّمها لعملاء إسرائيل. والواقع أن الوثائق التي وُجدت في شقته كانت كاملة. وكذلك كان الأمر بالنسبة للوثائق التي أعادها الإسرائيليون وعددها 163 وثيقة. ومعنى هذا أن الوثائق اشتملت على جميع التفاصيل عن مصادر الأخبار وطرق جمعها. وحتى لو أن بولارد حاول أن يقتطع أجزاء من الوثائق لما استطاع، وذلك لعدم قدرته على ذلك، خاصة وأنها تقع في آلاف الصفحات وتتناول مئات الموضوعات.

ولنأخذ مثلاً على ذلك الوثائق المسروقة التي تشتمل على صور عسكرية التقطتها الأقمار الصناعية الأميركية. فلو نشرت صورة من تلك الصور في مجلة عسكرية فكلّ ما يمكن لأجهزة التجسس الأجنبية أن تستخلصه منها هو أن وكالة الأمن القومية مهتمّة بموضوع الصورة بالإضافة إلى تكوين فكرة عن قوة الكاميرات المثبتة في الأقمار الصناعية. أمّا إذا استطاعت تلك الأجهزة الحصول على الصور الأصلية أو حتى على نسخ جيدة من تلك الصور، فإنها تستطيع أن تحصل على المعلومات الفنية التي يسجلها جهاز القياس في القمر الصناعي مثل موضع ذلك القمر الزمن وعلوّه. وعند وقوع هذه المعلومات في يد أجنبية يتعيّن على وكالة الأمن القومية أن تقوم بعملية باهظة التكاليف، وهي تغيير موضع القمر أو حتى مساره كلّه، وذلك لأن انكشاف المعلومات يحرم صاحبها من عنصر المفاجأة.

وقال مسؤولون في الاستخبارات انه في الواقع لا فرق بين وصول الوثائق إلى إسرائيل أو إلى بلد آخر كـ"تشيكوسلوفاكيا". فلا يمكن لأي جهاز أمن قومي في العصر الحديث أن يعرض حياة العديدين للخطر وأن

يغامر ببلايين الدولارات في عمليات لا يسيطر على سريتها. فمتى ذهبت السرية ذهب كل شيء. وحتى لو افترضنا أن بولارد بعث بالبريد نصف تلك الوثائق لمقر المخابرات الروسية (الكي. جي.بي) بموسكو وأودع النصف الآخر لدى صديق له في بثيسدا بولاية ماريلاند فإن ذلك لا يغيّر شيئاً من قيمة الأضرار التي ألحقها بالأمن القومي.

وفي هذه الحالة سلمت المواد إلى دولة أجنبية كانت الولايات المتحدة تعتقد أن السوفييت تغلغلوا في أجهزة مخابراتها. وعندما سئل المدير السابق لوكالة الاستخبارات الأميركية المركزية (السي. آي. إي.) ريتشارد هلمز مؤخرا عمّا إذا كان على الولايات المتحدة أن تفرّق بين أولئك الذين يبيعون الأسرار "للأصدقاء" وبين الذين يبيعونها "للأعداء" كان جوابه أنه لا فرق بين هؤلاء وأولئك "لسبب بسيط وهو أننا لا نعرف شيئا عن أجهزة الأمن في تلك الدول".

كان رفائيل إيتان مدير الـ "ليكيم" أي الوحدة في وزارة الدفاع التي أدارت عملية بولارد هو مستشار إسحاق شامير وشيمون بيريز حول شؤون المخابرات ومكافحة الإرهاب. ويذكر بليتزر في كتابه أنه عندما تولّى بيريز رئاسة الوزراء في سبتمبر 1981 (أي بعد تجنيد بولارد لسرقة الوثائق بوقت قصير) "طلب من إيتان أن يتخلى عن مسؤوليته في مكافحة الإرهاب". لكن ما لا يذكره بليتزر هو أن إيتان ظل يمارس عمله في المخابرات بمكتب رئيس الوزراء إلى أن تم القبض على بولارد.

ومصدر معلوماتي هذه هو توماس بكرنج الذي كان إذ ذاك سفيراً للولايات المتحدة في إسرائيل. وعندما ذكر تورّط إيتان بعملية بولارد سألته وزارة الخارجية الأميركية عن علاقة إيتان برئيس الوزارة، فأجاب بما ذكرناه في برقية "سرية " (رقم 17246 بتاريخ 26 نوفمبر 1984) لوزير الخارجية. وقد سمح لي بالاطلاع على هذه البرقية بناء على قانون حرية المعلومات.

وربما كان الجانب الأشد إحراجاً لإسرائيل من قضية بولارد،

والسبب الرئيسي الذي من أجله يرغب المتورطون مباشرة فيها أن يطلق سراحه وأن يتم إغلاق القضية نهائياً هو الإطار السياسي الذي تمت فيه العملية. إذ تخشى إسرائيل طرح المزيد من الأسئلة التي تكشف عن تورطها في التجسس على الولايات المتحدة ؟ وهل كان بولارد الوحيد الذي قبض عليه وهو يتجسس أم أنه كان الوحيد الذي قبض عليه وحوكم؟.

الواقع أن بولارد لم يكن أول من فعل ذلك كما أنه لم يكن أول جاسوس لإسرائيل يقبض عليه أو حتى يقبض عليه ويحاكم. ويفرّق بليتزر بين نوعين من التجسس: أوّلهما ما يسمّيه بالتجسس الودّي أو تجسس الأصدقاء، والآني هو التجسس الخسيس الذي يجند من أجله العملاء ويدفع المال لقاء الحصول على المعلومات. ويتم النوع الأول بوسائل فنية مكشوفة أو عبر الملحقين العسكريين بالسفارات وغيرها، وهذا ما يفعله الجميع. ويضيف بليتزر أن الولايات المتحدة وإسرائيل كانتا منذ عشرات السنين تلتزمان باتفاق يقضي بعدم ممارسة إحداهما النوع الثاني ضد الأخرى.

بعد اعتقال بولارد بوقت قصير أصدر بيريز رئيس الوزراء بياناً يقول فيه: "إن التجسس على الولايات المتحدة يتنافى كلياً مع سياستنا". لكن من الواضح أن ما يقوله غير صحيح. فالحكومة الإسرائيلية كانت منذ فتح سفارتها في واشنطن عام 1948 تتجسس على واشنطن.

ويمكن للقارئ أن يكون فكرة عن ذلك من القائمة الواردة في المقال السابق بالرغم من أنها ليست كاملة. فهناك أدلة ثابتة على قيام إسرائيل بعمليات مشابهة لعملية بولارد. لكن لماذا بقيت تلك العمليات بعيدة عن الأضواء؟ أجاب على هذا السؤال مسؤول كبير في مكتب التحقيقات الفدرالي فقال: "إن 95% من تلك المعلومات لم تصل المحاكم". وأضاف هذا المسؤول أنه هو نفسه أعدّ ملّفين كاملين لعمليتين مشابهتين لعملية بولارد وذلك لإقامة دعوى مماثلة. لكن تم إسقاط الدعوى في كلّ من الحالتين في اللحظة الأخيرة.

ومن المؤكد أن بولارد لم يكن أول جاسوس لإسرائيل في أميركا. ويحتمل أن لا يكون آخر جاسوس. لكنه كان أكثر الجواسيس نشاطاً وفعالية. ومهما يكن من أمر فإنني أشعر أن كثرة من المسؤولين في المؤسسة العسكرية الأميركية وفي أجهزة المخابرات سوف يسعدهم أن يطلق سراح بولارد وزوجته وأن يسمح لهم بالذهاب إلى إسرائيل. لكن هذا يتوقف على ما يمكن أن تحصل عليه الولايات المتحدة مقابل ذلك. فقد يحدث تبادل ثلاثي للجواسيس بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي يشمل الجواسيس السوفييت في السجون الإسرائيليين. ويمكن القول بصورة عامة إنه ليس هناك شعور بالنقمة على بولارد شخصياً في واشنطن. لكن من المؤكد أن أي جاسوس إسرائيلي آخر سينكشف أمره في الولايات المتحدة حيث سيعامل كجاسوس.

اختراق السي. آي. إي.:

كان القبض على الدريتش أميس في 1984 قد سبب موجات من الصدمة في أرجاء الاستخبارات المركزية الأميركية (السي.آي.إي) ونتج عنه عدد من الإصلاحات.وان العديد في سي اي ايه لم يصدقوا أن يكون من بينهم جاسوس، ومن حسن الحظ أن يوجد قليل من المسئولين الذين يؤمنون دائما بوجود شخص ما يعمل في الظلام وفي النهاية امسكوا ببغيتهم. بيد أن الضرر الأكبر الذي تسبب فيه أميس وحقيقة انه تم اكتشاف آمره بعد تسع سنوات كان الدافع وراء المطالبة بالإصلاح.

واعتراف السي.آي.إي أنها غير محصنة ضد ظهور جاسوس داخلها. وقد أثبتت هذه التغييرات قيمتها عندما تم القبض على ضابط الاستخبارات هارولد نيكولسن في 1996 بعد عامين من تطوعه بالخدمة لصالح الروس. بيد أن جهود ما بعد أميس لها جانب مظلم أيضا، ذلك انه على عكس عملاء اف بي اي فإن ضباط السي.آي.إي يتم عرضهم على جهاز كشف الكذب بطريقة روتينية حتى قبل اكتشاف أمرأميس. وطبقا لتقارير نشرتها واشنطن بوست بعد قضية أميس قامت الـ أف .بي .آي والـ سي.آي.إي

بمراجعة سجلات كشف الكذب لعدد من موظفي السي.آي.إي وحددت من قد يكون لديه مشاكل. وبموجب إجراءات مطلوبة حسب قانون جديد تمت إحالة هذه القضايا إلى الـ أف.بي.آي الذي فتح تحقيقات جنائية.

وفي بعض الحالات تم تحديد مشاكل خطيرة والتعامل معها بواسطة سي اي ايه وفي حالات أخرى لم يكن هناك شيء موجودا في السجلات سوى استجابة فسيولوجية مهمة لسؤال على جهاز كشف الكذب. ومعظم هذه الحالات تعذبت لوقت طويل غير معقول في اف بي اي -وصلت سنوات في بعض الحالات- قبل العودة الى السي.آي.إي حيث يمكن للضابط أن يواصل عمله.

وبينما كان جهاز الـ سي.آي.إي يشعر انه لا يمكن وجود جاسوس في الوكالة بفضل جهاز كشف الكذب نجد أن الـ أف.بي.آي كان يشعر بعدم الحاجة إلى عرض كل العملاء على جهاز كشف الكذب لأنهم كانوا عملاء مخصوصين، وكل من الجهازين كانا على خطأ. لأن جهاز كشف الكذب ليس كاملا. والشرفاء يفشلون في اختبارات كشف الكذب بينما غير الشرفاء ينجحون. وهو مجرد وسيلة بسيطة تقيس استجابات فسيولوجية معينة مثل التنفس وضربات القلب وردة الفعل العصبية للجلد ردا على مجموعة من الأسئلة التي يطرحها الممتحن. والنظرية الأساسية هو انه عندما يكذب الناس وهم يعلمون فسوف يكون لديهم استجابة فسيولوجية يمكن قياسها.

ولكن جهاز كشف الكذب ليس هو الأداة الوحيدة في برنامج التجسس المضاد الفعال. هو فقط أداة للمساعدة ولكن إذا استعمل بطريقة خاطئة فيمكن أن يسبب انهيار المعنويات وتدمير حياة أبرياء. وقد يؤدي إلى الثقة المفرطة -مثلما كان الوضع القائم قبل القبض على أميس. ومفتاح الحصول على برنامج جيد لجهاز كشف الكذب هو الممتحن المدرَّب الخبير. وعلى الوكالات ضمان توفير ممتحنين مدربين بشكل ملائم بحيث يحصلون على فرص عمل طويلة المدى والاهم أن توضع معايير حماية قوية لحقوق وكرامة الموظفين في موضعها. ويجب تحقيق مبدأ أساسي هو

انه لا ينبغي أن يقوم عمل خاص بالعاملين على اختبار كشف الكذب فقط.

فضيحة الجمرة الخبيثة:

البحث المنفعل على مدى شهور عن الشخص المسؤول عن أسوأ هجوم إرهابي بيولوجي يقع على التراب الأميركي. فقد أدت ست رسائل أرسلت في البريد إلى ليهي وداشل وتوم بروكو ودان راذر ونيويورك بوست ومكاتب ناشيونال انكوايرر في فلوريدا، إلى إصابة 18 شخصاً بالمرض وموت خمسة. وكانت الجريمة مريعة بشكل خاص لأن الجمرة الخبيثة - وهي مسحوق بالغ التعقيد يتناثر في الجو - تسرب من الأغلفة، وانتشر في أجزاء من أنظمة البريد في الدولة ولوّث مبنى تابعاً لمجلس الشيوخ بكامله. وبعد سنة تقريباً، لم يتم بعد فتح مركز البريد الرئيسي في واشنطن العاصمة.

ويتعرّض الـ أف.بي.آي لضغط هائل لإقفال القضية، ولا يزال مجرم الجمرة الخبيثة حياً وطليقاً كما يفترض. وقد طلب عضوا مجلس الشيوخ الحصول على تقارير منتظمة عن سير التحقيق من المكتب وأصبحا نافذي الصبر بشكل متزايد.

وبمشاركة مايكل إيسيكوف في واشنطن ومارك ميلر وآن بيلي غيسلمان في تكساس أحضر عملاء الـ أف.بي.آي الكلاب بهدوء إلى أماكن يتردد عليها عشرات الأشخاص الذين اعتبروهم مشتبهاً بهم، آملين أن تتمكن الكلاب من إيجاد شبيه لرائحة الرسائل. وفي مكان بعد آخر، لم يكن هناك أي ردة فعل من قبل الكلاب. لكن عندما اقترب مدرّبو الكلاب من المبنى السكني في مدينة فريدريك، ماريلاند الذي يقيم فيه الدكتور جيه ستيفن هاتفل، وهو عالم غريب الأطوار، 48 عاماً، كان يعمل في واحد من أشهر مختبرات أبحاث الجيش للأسلحة البيولوجية، أصبحت الكلاب على الفور عصبية، حسبما علمت نيوزويك. وقال مصدر في قوى تنفيذ القانون: "بدأت الكلاب تتصرف بشكل جنوني". وأحضر العملاء أيضاً الكلاب إلى

شقة صديقة هاتفل في واشنطن العاصمة. و إلى مطعم دينيز للوجبات السريعة حيث تناول هاتفل طعاماً في اليوم السابق، وفي كلا المكانين، فقزت الكلاب وعوّت، مما يشير إلى أنها التقطت الرائحة. (كلاب الدموم، هي الوحيدة التي تعترف المحكمة بقدرتها على الشم).

وقد شعر المحققون الفيدراليون بعد أشهر من الإحباط بأنهم أخيراً أصبحوا قريبين من تحقيق إنجاز. لقد أثار هاتفل اهتمامهم، إنه رجل متأنق ومتغطرس لديه نزعة لتضخيم إنجازاته. وقد اشتكى بصوت عال على مدى سنين من أن الولايات المتحدة لا تفعل ما فيه الكفاية للتحضير لمواجهة لهجوم إرهابي بيولوجي محتمل، وخشي ألّا تلقى تحذيراته آذاناً صاغية. وبعد ذلك، ألغت الحكومة تصريحه الأمني بعد أن فشل في فحص للكشف عن الكذب عندما قدم طلباً للعمل في وكالة الاستخبارات المركزية الـ (سي.آي.إي)، وعرَّض فقدانه للتصريح الأمني منصبه لدى شركة مقاولات دفاعية للخطر. وقد جعلت حقيقة أن رسائل الجمرة الخبيثة الأولى ترسل بعد ذلك بشهر المحققين يتساءلون في النهاية: هل تركت التجربة لديه مرارة بما يكفي للقيام بشيء حاسم؟.

وثمة شيء آخر عن هاتفل أثار اهتمامهم. لقد شاهده العملاء الذين كانوا يراقبون شقته، وهو يلقي بكميات كبيرة من ممتلكاته في صندوق قمامة كبير كائن وراء بنايته السكنية، وتساءل بعضهم، هل كان يا ترى يريد التخلص من أدلة. وعلى الرغم من أن الـ أف.بي.آي يقول إن هاتفل كان متعاوناً طيلة الوقت، إلّا أن الكلاب وصندوق القمامة حملا العملاء على الحصول على مذكرة جنائية لتفتيش شقة هاتفل، لملاحقته. وقد وصل العملاء مع الكلاب الكبيرة وعندما دخلوا الشقة، اندفع أحد الكلاب بعصبية نحو هاتفل. وقال مسؤول في وحدة تنفيذ القانون: "عندما ترى الكلاب تذهب نحو كل شيء يتصل به تقول، "تباً له!".

لكن، رغم حماسة الكلاب، عندما غادر المحققون الفيدراليون الشقة بعد ذلك بساعات، لم يجدوا شيئاً يربط هاتفل بالجريمة (الفحوص مستمرة

في المختبر لما عثروا عليه). ولم يجد العملاء الذين ذهبوا إلى صندوق القمامة شيئاً سوى كومة من ممتلكات هاتفل الشخصية. وكان لدى هاتفل، الذي عرف أنه مراقب من قبل الـ أف.بي.آي. واشتكى إلى أصدقائه من ذلك، تفسير ممتاز: طبعاً هو يلقي بأشياء في صندوق القمامة. فقد قبل أخيراً وظيفة في جامعة ولاية لويزيانا، وكان ينظف شقته قبل ذهابه.

واجه المحققون بدايات كاذبة وطرقاً مقفلة حولوا اهتمامهم مرة بعد أخرى نحو هاتفل. إلّا أن المسؤولين يقولون إنهم ليسوا قريبين من إجراء أي اعتقالات في القضية. وقد قال مسؤول كبير: "ما زلنا بعيدين عن أي إثبات نستطيع أن نأخذه إلى المحكمة". وأكد هاتفل باستمرار عن طريق محاميه أنه بريء ويقول المسؤولون إنه كان معيناً جداً ومتعاوناً. وقال فكتور غلاسبيرغ، محامي هاتفل، في تصريح: "إن الدكتور هاتفل جرى استجوابه وفحصه طوعياً على قيام الـ أف بي آي بفحص مطول شامل لمنزله، وسيارته، وممتلكات أخرى. إنه أبلغ بأن النتائج كانت كلها لصالحه، وأنه ليس مشتبهاً به في القضية". (رفض غلاسبيرغ الإجابة عن أسئلة). وتفتيش يوم الخميس لم يكن المرة الأولى التي يظهر فيها عملاء عند عتبة باب منزل هاتفل. ففي أشهر سابقة، سمح من تلقاء نفسه للمحققين بتفتيش شقته في مناسبتين أخريين.

وقد حرص المسؤولون على الإشارة إلى أن هاتفل واحد من "نحو 12 شخصاً" يحققون معهم. وهم يقولون إنه ليس مشتبهاً به ولا حتى هدفاً للتحقيق. ولا يزال الـ أف بي آي مصدوماً من تحقيقه الفاشل مع ريتشارد جويل، الذي اشتبه به بصورة فاشلة على أنه يتآمر لتفجير قنابل أثناء الألعاب الأولمبية وقد أُدين تقريباً من قبل الصحف نتيجة تسريبات من عملاء حكوميين لم يكشف عن أسمائهم كانوا واثقين من أنه مذنب. وقد برّئ جويل في النهاية من جميع التهم ورفع قضية بنجاح مطالباً بتعويض عن أضرار.

وقد حاول المحققون الفيدراليون في الأسابيع التي أعقبت الهجمات،

أن يجمعوا أجزاء صورة عن الشخص الذي يمكن أن يكون قد قام بالجريمة. وكانت هناك احتمالات كثيرة. إرهابي أجنبي؟، عالم ساخط؟، ومرات كثيرة تتبعوا بحماس مؤشرات واعدة كانت غير مفيدة. ففي نوفمبر الماضي دهموا منزل عزيز قزي، وهو مسؤول مالي باكستاني المولد في مدينة تشيستر، بنسلفانيا. وقد نقلوا عشرات الصناديق من ممتلكاته واستجوبوه لعدة ساعات عن سائل غامض شوهد يحمله إلى خارج منزله. وتبيّن أن آلة غسل الصحون لدى العائلة تعرضت لاختناق. وكان قزي يزيل مواد من مطبخه. وفي إخبارية أخرى، بدأ محققون في تكساس يراقبون رجلاً مصرياً جرى التبليغ عنه في وشاية بالسجن، وقد سمع محققون شركاءه يتحدثون عن تسليم محتويات "غلاف بني" وراقبوه عندما ذهب إلى المطار، وعندما فتشوا أمتعته سراً، وجدوا المغلف وكانت في داخله أوراق تأمين.

ولم يمض وقت طويل حتى استنتج المحققون أن الهجمات يقوم بها على الأرجح شخص ما لديه وصول إلى مختبر حسن التجهيز. وذلك يعني عالماً، ومن المحتمل جداً أن يكون ممن يعملون في خدمة الحكومة. فقد أنتجت مادة الجمرة الخبيثة على شكل مسحوق دقيق لتنتشر بسرعة في الجو، وليست من النوع الذي يمكن أن ينتجه هاو، واعتقد مسؤولو الـ أف بي آي أن الأدلة تشير في اتجاه شخص أراد أن يبعث برسالة، وربما إظهار مواهبه، وليس بالضرورة لكي يقتل. فقد نبه بعض الرسائل القارئ لأن يبدأ في أخذ بنسلين، والجمرة الخبيثة نفسها لم تكن من النوع المتطور المقاوم للعقاقير الطبية، بل كانت من النوع الذي تسهل معالجته بمضادات حيوية عادية.

ولم تسفر التفتيشات عن شيء. لكن كان هناك اكتشاف محيّر، إلّا أنه غير دامغ. لقد وجد المحققون في مكونات كومبيوتر هاتفل مسودة رواية. محور القصة هو هجوم إرهابي بيولوجي، وكيف يخفي المجرم آثاره. غير أن التأملات الخيالية لعالم لم يكن ممكناً اعتبارها دليلاً. وتوقف التحقيق.

وأحد الأسئلة الرئيسية التي ما زال على المسؤولين الفيدراليين أن يجيبوا عنها كما يقول أحد المحققين هو، كيف استطاع الجاني أن ينجو بفعلته؟ "إنها الفجوة الكبيرة". إن الحصول على الجمرة الخبيثة لم يكن بالضرورة أمراً صعباً على عالم حكومي. فهناك مختبر واحد على الأقل تابع للحكومة الأميركية عمل سراً على إنتاج كمية صغيرة منها منذ أوائل التسعينات. وتقول مصادر تنفيذ القانون إن المختبرات هي ذات سمعة سيئة من حيث التقاعس في متابعة قائمة موجوداتها، ووضعها الأمني عموماً ليس جيداً. يقول مسؤول عن تنفيذ القانون: "إن في استطاعة شخص ما أن يضع كيساً في معطفه ويخرج من المختبر مع المادة ".

لكن مع ذلك، حتى العالم المتدرب تدريباً عالياً، كان سيجد صعوبة في تحضير الجمرة الخبيثة وإرسالها من دون أن يلوث نفسه ومحيطه. فعلماء الجمرة الخبيثة يصفون كيف يطفو المسحوق الدقيق من اللوحات الزجاجية قبل أن يتسنى وضعه تحت المجهر. ووضع المادة في غلاف - وليس في كل مكان آخر - كان سيتطلب مهارة فائقة. وأحد الاحتمالات هو: مرتكب الجريمة كان له وصول إلى مختبر تجاري أو حكومي مجهز بـ"غرفة نظيفة ". الاحتمال الآخر: مختبر منزلي متطوّر جداً.

و إلى أن يستطيع المحققون أن يجدوا دليلاً مادياً يربط شخصاً ما بالجريمة، فسيضطرون للتكهن بشأن دوافع وأساليب المجرم، إنهم ما زالوا يلقون بشبكة هائلة. تقول عناصر تنفيذ القانون إنها أصدرت المئات من مذكرات الاستدعاء في مختلف أنحاء البلاد، وهي تحلل آلاف الوثائق بحثاً عن أدلة جديدة. وقد يكون الدليل صغيراً تصعب مشاهدته - عرقاً أو رائحة على غلاف - إلّا أن ذلك يمكن أن يكون كل ما يحتاجون إليه لجلب الكلاب.

خامساً: عمليات التجسس الدولية...
العـراق حالـة

■ د. نسيم بلهول

اعترف جون بيركنز العميل السابق في وكالة الأمن القومي في مذكراته أنإدارتي بوش الأب وريجان كانتا عازمتين على تحويل العراق إلى دولة تابعة لواشنطن. وكانت هنالك أسباب عديدة تدفع صدام حسين إلى اتباع النموذج الذي سارت عليه الولايات المتحدة مع الدول الثرية بمواردها فقد كان يغبط هذه على ما تحقق فيها من مشاريع يسيل لها لعابه. كما كان يعلم انه إذا ارتبط مع واشنطن بمثل هذه المشاريع فسوف يحظى منها بمعاملة خاصة في ما يتعلق بتعاطيه مع القانون الدولي، وسوف تتغاضى عن بعض أفعاله(1).

كان وجود السفاحين الاقتصاديين في بغداد قويا خلال ثمانينات القرن الماضي. وكانوا يعتقدون بأن صدام سوف يبصر النور في نهاية المطاف، وكان على أن أتفق مع هذا الافتراض، فلو أن العراق توصل مع واشنطن إلى اتفاق مثلما فعلت بعض الدول الأخرى، فسوف يؤمن استمراره في حكم بلاده، وقد يوسع دائرة نفوذه في ذلك الجزء من العالم.

لم يكن يهم الولايات المتحدة انه طاغية مستبد، وان يديه ملطختان

(1) COOKRIDGE, E. H. The Net That Covers the World. New York: Henry Holt and Company, 2014, p.44.

بدم كثير من الأبرياء. فقد تحملت واشنطن وجود مثل هؤلاء الأشخاص من قبل، بل كانت تدعمهم وتساندهم في أحيان كثيرة. وسوف نكون في غاية السعادة بأن نقدم له سندات الحكومة الأمريكية مقابل دولارات النفط، ومقابل وعده لنا باستمرار تزويدنا بالنفط، ومقابل صفقة يتم بموجبها استغلال أرباح السندات في تأجير الشركات الأمريكية لتحسين أنظمة البنية التحتية في العراق، ولاستحداث مدن جديدة، وتحويل الصحراء إلى واحات خضراء. وسنكون راغبين في بيعه دبابات وطائرات مقاتلة، وفي بناء مصانعه الكيماوية والنووية، مثلما فعلنا من قبل في عدد كبير جدا من الدول، حتى لو كانت مثل هذه التقنيات يمكن أن تستخدم في إنتاجأسلحة متطورة[2].

أما عن أهمية العراق بالنسبة إلى الولايات المتحدة فيقول جون بيركنز العميل السابق في وكالة الأمن القومي في مذكراته:

كان العراق في غاية الأهمية لنا، بل أهم بكثير مما يبدو على السطح. وخلافا للرأي العام الشائع، لا يتعلق الأمر بالنفط فقط. بل يتعلق بالمياه وبالجغرافيا السياسية كذلك، ولأن نهري دجلة والفرات يجريان عبر العراق، فإن العراق، من بين كل دول ذلك الجزء من العالم، يسيطر على أهم موارد المياه ذات الأهمية المتزايدة إلى درجة حرجة. وخلال ثمانينات القرن الماضي، كانت أهمية المياه، السياسية والاقتصادية، تتضح شيئا فشيئا لمن يعملون منا في مجالي الطاقة والهندسة. وفي غمرة الاندفاع نحو الخصخصة، أصبح العديد من الشركات الرئيسية التي كانت من قبل تتطلع إلى القيام بمهام شركات الطاقة المستقلة الصغرى، يمد بصره نحو خصخصة أنظمة المياه في أفريقيا، وأمريكا اللاتينية، والشرق الأوسط.

وبالإضافة إلى النفط والماء، يحتل العراق موقعا استراتيجيا جدا. فهو يتاخم إيران والكويت والمملكة العربية السعودية والأردن وسوريا وتركيا،

(2) DALLIN, David J. Soviet Espionage. New Haven: Yale University Press, 2013, p.47.

وله ساحل على الخليج العربي. وهو على مسافة تسمح بإطلاق الصواريخ على "إسرائيل" وعلى الاتحاد السوفييتي السابق. ومن الشائع اليوم أن من يسيطر على العراق يملك مفتاح السيطرة على الشرق الأوسط. وفوق كل ذلك، كان العراق يشكل سوقا ضخمة للتكنولوجيا والخبرة الهندسية الأمريكية. وكونه يجلس فوق واحد من أعظم حقول النفط في العالم، يضمن انه في وضع يخوله تمويل برامج ضخمة تتعلق بالبنية التحتية والتصنيع. وكان كل اللاعبين الرئيسيين يمدون أبصارهم نحو العراق: شركات الهندسة والبناء، مزودوا أنظمة الحاسوب، أصحاب مصانع الطائرات والصواريخ والدبابات، وشركات تصنيع الأدوية والكيماويات[3].

غير انه كان من الواضح أن صدام في أواخر ثمانينات القرن الماضي لم يكن مقتنعا بسيناريو السفاحين الاقتصاديين. وكان ذلك يسبب خيبة أمل وضيقا عظيمين لإدارة بوش الأب. وبينما كان بوش يبحث عن مخرج لذلك، أوقع صدام نفسه بنفسه، حين غزا الكويت في أوت 1990 ورد بوش بإدانة صدام بخرق القانون الدولي.

وفي 3 أوت 1990 في الوقت الذي كان صدام قد غزا فيه لتوه أراضي الكويت، تلقي بندر بن سلطانالسفير السعودي مكالمة من الرئيس بوش الأب يدعوه فيها للحضور عصراً إلى البنتاغون حيث كان في انتظاره وزير الدفاع ديك تشيني، وبرفقته رئيس أركانه كولن باول ودخل الثلاثة حجرة مصفحة يطلقون عليها اسم (الدبابة) تحت الحراسة الدائمة ومجهزة بأنظمة تشويش تجعل من المستحيل التنصت على ما يدور من أحاديث، وفي هذا الاجتماع بيَّن وزير الدفاع تحركات الفرق العراقية نحو الحدود السعودية وعرض صورا داعمة التقطتها الأقمار الصناعية، ولكن السفير السعودي ذكرهم بحركة جيمي كارتر عندما اشتعلت المنطقة بفعل الحرب العراقية الإيرانية والذي اقترح حينذاك إرسال اثنتي عشرة طائرة "إف 15"

(3) DE PONCINS, Léon Espions Soviétiques dans le Monde. Paris: Nouvelles Editions Latines, 2014, p.122.

"مجردة من الأسلحة للدفاع عن السعودية وأضاف السفير اليوم لا يمكن إلا لمجنون أن يقبل مثل هذا العرض"[4]، وعندما دفع تشيني باتجاه بن سلطان بملف طالبا قراءته جيدا حتي يعرفوا مدي صدق عزمنا"... وبعد أن قرأ الملف ابتسم ابتسامة عريضة لتشيني وباول وأعرب عن إعجابه بضخامة هذه الاستعدادات، ووعد بندر بأن يتصل على الفور بالملك فهد ليشرح له تفصيلا الخطة الأمريكية.

ولم يكن الأمر مفاجئا، حين أمر الرئيس بوش الأب بشن هجوم عسكري شامل. وأرسل نصف مليون جندي أمريكي كجزء من قوة دولية. وخلال الشهور الأولى من سنة 1991 شن هجوم جوي كاسح على الجيش العراقي وعلى الأهداف المدنية[5].

CIA وانقلاب ضد صدام:

في صحيفة واشنطن بوست الصادرة في 16/ 5/ 2003. تحدث الصحافي ديفيد أيغناتيوس عن علاقة وكالة المخابرات الأميركية بانقلاب لم يتم في العراق يقول أيغناستون: لقد توقع عدد من المسؤولين في المخابرات الأميركية والبريطانية أن تقوم قوات عراقية بحجم فرقة بالاستسلام فور انطلاق القوات الأميركية لغزو العراق. لكن هذا الاستسلام لم يحدث ولم تلجأ وحدات بهذا الحجم إلى القوات الأميركية المحتلة. وشكل هذا التوقع الخاطئ ضربة حقيقية للمخابرات الأميركية في حرب العراق. وهناك من يرى أن هذه الضربة لم تكن الوحيدة للسي.آي.إيه خلال السنوات العشر الماضية في العراق. خصوصا في ميدان صنع انقلاب ضد صدام. ويكشف أيغناتيوس أن انقلابا أعدته ال: سي.آي.إيه قبل احتلال العراق باسم "دياشيليس" فشل أيضاً. وكان المسؤول عن إعداد وإدارة

(4) DERIABIN, Peter, and Frank Gibney The Secret World. Garden City: Doubleday & Company, Inc., 2014, p.541.

(5) MENNEVEE, Roger Les Services Secrets Soviétiques: Evolution et Méthodes d'Action (1917-1957). Paris: Les Documents Politiques, Diplomatiques et Financiers, 2013, p.33.

خطة الانقلاب الذي تقرر في عام 1996 تحت اسم دياشيليس هو ستيفين رختر الذي عينته السي.آي.إيه مسؤولا عن قسم الشرق الأدنى ومحطات التجسس الأميركية فيه. وتشجع رختر ومعه ضابط سابق في الجيش الأميركي تولى قيادة الوحدات العسكرية الأميركية التي ستلعب دورا في ترتيب الانقلاب وبعث بتقرير متفائل حول نجاح خطته. اجتمع رختر لهذا الغرض مع الجنرال محمد عبد الله شاواني وهو قائد سابق للقوات الخاصة العراقية من التركمان الذين يعيشون في الموصل. وكان لهذا الجنرال العراقي أبنان يخدمان في الجيش العراقي معه. وحين أعد السي.آي.إيه خطة السرية مع شاوني تدخلت المخابرات البريطانية وطلبت من مدير السي.آي.إيه، الاتصال بعراقي يعيش في الجيش العراقي ولم يقطع صلته بهم[6].

أرسلت السي.آي.إي ضابطا مساعدا لرختر هو بوب بائير في عام 1995 من أجل ترتيب العمليات السرية المطلوبة في شمال العراق بموجب ما تقوله صحيفة واشنطن بوست 16/ أيار 2003 وكان أحمد شلبي صاحب الارتباطات القديمة الجديدة مع المخابرات الأميركية أحد أعضاء هذا الفريق من الشمال. وفي آذار 1995 بدأ الفريق بتنفيذ خطة الانقلاب الذي تم كشفه من قبل صدام وإحباطه لأن المخابرات العراقية كانت قد اخترقت بعض المنفذين من أتباع شاواني.

وتقول الصحيفة أن أحمد الشلبي انطلق من شمال العراق بعد فشل الانقلاب وعاد إلى واشنطن للاجتماع بجون دويتش (رئيس الوكالة) ونائبه جورج تينيت في ذلك الوقت ليخبرهما أن المخابرات العراقية اعتقلت قبيل ساعة الصفر العميل المصري ضابط الاتصال السري مع شاواني وابنيه حين كان يحمل لهم إلى بغداد جهاز تلفون يعمل عبر الأقمار يطلق عليه "إينمارست" وعندما شك رئيس السي.آي.إيه بصحة ما قاله الشلبي استعان

(6) NOEL-BAKER, Francis The Spy Web: A Study of Communist Espionage. London: The Batchworth Press, 2013, p.694.

الأخير بصديقه ريتشارد بيرل لإقناع دويتش. وفي حزيران 1996 أعلن رسيما عن فشل الانقلاب حين قام صدام بإلقاء القبض على مئتي ضابط عراقي أعدم منهم 80 بينهم أبناء الجنرال شاواني. واتهم ضابط في السي.آي.إيه أحمد الشلبي بارتكاب أخطاء تسببت بالكشف عن الانقلاب رغم أنه حذر السي.آي.إيه بعد اعتقال العميل المصري[7].

وبعد أن استلم بوش الرئاسة الأميركية تكررت عملية استخدام شاواني الذي ظل يعيش في المنفى وكذلك أياد علاوي لإقناع ضباط عراقيين باللجوء إلى القوات الأميركية عندما تبدأ باختراق الأراضي العراقية لكن هذا لم يحدث أيضا في الأسبوعين الأولين للحرب الأميركية في العراق.

ويذكر ان ستيفين رخيتر من أكثر مسؤولي السي.آي.إيه وضباطها خبرة في المنطقة. فقد عمل في باكستان بين عامي 1973- 1976 وفي إيران عام 1976 وبقي مسؤولا عن ملف إيران حتى عام 1989 وعمل في الهند ثم في مصر عام 1986 وأصبح مسؤولا عن ملف العراق ومحطة السي.آي.إيه المختصة بالعراق منذ عام 1992 واتخذ من عمان مقراً له في ذلك الوقت بموجب ما تقوله نشرة نيم بيز Name base الأميركية الإلكترونية. لكن ضابط السي.آي.إيه بوب باير الذي تولى التنسيق في شمال العراق يقول في كتاب عرضت بعض نصوصه وكالة آب سي نيوز الأميركية وفي مقدمته: في نهاية عام 1994 وجدت نفسي أعيش في الطائرات مسافرا من مكان لأخر، فقد اعتدت على الوصول إلى عمان الأردن بعد الظهر لانطلق نحو الفندق واستحم ثم أمضى ليلة وأنا أتحدث مع عراقي منشق على صدام ومع آخر مثله حول ما يمكن القيام به ضده. وأحيانا أواصل الاستماع إلى هؤلاء العراقيين الى ما بعد منتصف الليل ثم تراني أعود إلى لانغلي فيرجينيا مقر السي أي أي وأدخل مكتبي وأظل فيه طوال النهار. لقد تعودت على هذه الحياة خلال عشرين عاما كنت أجول فيها في شوارع الشرق الأوسط بنفس السرعة.

(7) SMITH, Colonel Truman The Infamous Record of Soviet Espionage. In: Reader's Digest, 77: 36-42, August 2014, p.69.

المخابرات الأميركية تجند الدبلوماسيين العراقيين:

بعد وقت قصير من أحداث 9/ 11، بدأ نائب وزير الدفاع للشؤون السياسية، دوغلاس فيث، بتنسيق مخططات البنتاغون لتغيير النظام في العراق. كان التحدي الذي واجه فيث، المدني رقم 3 في الوزارة، هو صياغة سياسة عقلانية للهجوم. وفي الوقت نفسه، بدأت مجموعات فيث الأيديولوجية بالتخطيط لنقل "الحرب العالمية على الإرهاب"، ليس إلى العراق فقط، بل و إلى دمشق وطهران أيضاً[8].

شهدت الفترة التي سبقت اندلاع الحرب في العراق مواجهة من نوع آخر دارت رحاها في عالم المخابرات المظلم، وكان طرفاها الرئيسيين هما المخابرات الأميركية والبريطانية من جهة، والمخابرات العراقية من الجهة الأخرى. ولأن واشنطن ولندن تعتقدان أن المخابرات العراقية تتواجد في أغلب عواصم العالم تحت غطاء سفارات بغداد في تلك العواصم، وخلف أقنعة دبلوماسية متعددة، فقد تحدد ميدان المواجهة منذ وقت مبكر بنطاق السلك الدبلوماسي العراقي خاصة في أوروبا وآسيا. وفيما يلي جولات الحرب[9].

كانت المخابرات البريطانية والأميركية تأملان من تركيز اهتمامها على السفارات العراقية في بلدان القارتين إلى تحقيق مسلسل من الأهداف التي تحددت بوضوح منذ لحظة البدء. إذ يتعين أولاً تجنيد بعض الدبلوماسيين العراقيين ليصبحوا عيوناً داخل المخابرات العراقية تنقل ما يحدث بداخلها إلى واشنطن ولندن أولاً بأول.

فإذا تعذر ذلك فإن الخيار التالي تحدد في حث من يبدون تبرماً من النظام في بغداد على الانشقاق عن ذلك النظام، وطلب اللجوء السياسي

(8) U.S. CONGRESS. SENATE. COMMITTEE ON THE JUDICIARY Communist Forgeries. Hearing Before the Subcommittee to Investigate the Administration of the Internal Security Act and other Internal Security Laws. Eighty-seventh Congress, First Session. June 2, 2009. Washington: United States Government Printing Office, 2013, p.115.

(9) WHITE, John Baker Pattern for Conquest. London: Robert Hale Limited, 2014, p.55.

في أي دولة غربية يختارونها، إن كان من شأن ذلك أن يوجه لطمة معنوية لبغداد على الصعيد الإعلامي. إلا أن أحداث 11 سبتمبر أضافت هدفاً جديداً إلى تلك القائمة. فقد حاولت الـ CIA ايجاد صلة -لم تتأكد أبدا- بين بغداد ومحمد عطا قائد المجموعة التي قامت بالأحداث. وكان من شأنه إثبات ذلك تعديل أمور كثيرة خلال مرحلة الإعداد للمواجهة العسكرية مع بغداد. وسعت إلى استخدام تلك الحجة للحصول على دعم دول أوروبية غربية، ودول مؤثرة أخرى، لشن الحرب ضد العراق. إلا أنها عجزت دائماً عن أن ترد على السؤال الذي وجهته لها تلك الدول بإصرار:

هل لديكم دليل قاطع على وجود هذه الصلة ؟

ثم نشرت جريدة نيويورك تايمز القصة الكاملة لوقائع ضياع الدليل الذي يثبت أن محمد عطا التقى بالدبلوماسي العراقي في سفارة بغداد بمدينة براغ أحمد خليل العاني، وهي قصة تكشف الكثير مما دار في حرب المخابرات التي سبقت حرب المدافع. وتعود بنا القصة إلى ما حدث عقب انهيار النظام الشيوعي في تشيكوسلوفاكيا عام 1989[10].

فقد ترددت الحكومة الجديدة حول ما ينبغي عمله بشأن مكتب مكافحة الإرهاب في جهاز المخابرات الذي ورثته عن النظام الشيوعي المنهار. فبينما قال بعض مسؤولي النظام الجديد إنه يتعين حل المكتب وإعادة تشكيله من عناصر جديدة وذلك ضمن عملية إعادة بناء المخابرات التشيكية، فإن آخرين اعترضوا على ذلك. وفسر المعترضون رأيهم بأن هناك عدداً من مكاتب المخابرات القديمة يتعين الإبقاء عليها بسبب طبيعتها الخاصة. فقد أشرف ضباط هذه المكاتب على تكوين علاقات بعملاء في مواقع مختلفة، ومن المحتم أن يؤدي فصل هؤلاء الضباط من الخدمة إلى ضياع أجزاء واسعة من شبكة العملاء التي تكونت عبر تراكم عمل مكثف خلال عقود من الزمن.

(10) WOLIN, Simon, and Robert M. Slusser, editors The Soviet Secret Police. New York: Frederick A. Praeger, 2014, p.466.

ووافقت القيادة التشيكية الجديدة على هذا الرأي الأخير، أي رأي المعارضين، وصدر قرار بالإبقاء على عدد من أفرع جهاز المخابرات القديم مع تغيير توجهها، فبدلا من أن يكون الخط الناظم لهذه الأفرع هو مواجهة الغرب، فإن عليها أن تتعاون بدلاً من ذلك مع خصوم الأمس.وما لبث ذلك القرار أن أثمر بصورة فورية ربما، فقد قدم مكتب مكافحة الإرهاب القديم-الجديد في المخابرات التشيكية معلومات ثمينة إلى المخابرات البريطانية حول تورط عملاء ليبيين في حادث تفجير طائرة بان-أم 103 فوق لوكيربي باسكتلندا، وبدأ المكتب ينسق مع الأجهزة الغربية نتائج عمل رجاله وعملائه في صفوف المنظمات الشرق أوسطية التي كانت في السابق تعتبر أن براغ محطة صديقة مهمة تدعم عملياتها.

وبدا أن المخابرات البريطانية إم أي6 مهتمة بصفة خاصة بالمخابرات التشيكية الجديدة. فقد قدمت لندن منحاً تدريبية لعدد واسع من الضباط الجدد في الجهاز التشيكي، وأرسلت خبراء للإشراف على إعادة هيكلته. وأفضى هذا إلى تحول ذلك الجهاز إلى مؤسسة تشبه من حيث هيكلها وأساليب عملها المخابرات البريطانية وليست المخابرات الأميركية، رغم احتفاظها بعلاقات مفتوحة مع السي. آي.إيه.

إلا أن العلاقة بين الجهازين البريطاني والتشيكي تعرضت لانتكاسة مفاجئة في نهاية التسعينات بسبب واقعة محددة أدت إلى استياء بريطاني بالغ من مكتب مكافحة الإرهاب في براغ. ففي ذلك الوقت كان رئيس محطة المخابرات البريطانية في العاصمة التشيكية كريس هوران يعمل على تجنيد دبلوماسي عراقي يدعى جابر سليم يحتل الموقع الثاني في سفارة بغداد ببراغ.

كان لدى البريطانيين ما يفيد بأن جابر أبدى تبرمه من النظام العراقي خلال عدد من المناسبات. وأجرت المخابرات البريطانية مجموعة اختبارات أولية لمعرفة ما إذا كان بالإمكان تجنيد الدبلوماسي المتبرم، وما لبث تقييم العملية ان برهن على وجود احتمال كبير بنجاحها، وهكذا بدأ هوران ورجاله تنفيذها في براغ.

كان من المنطقي أن يحدث ذلك بالتنسيق مع المخابرات التشيكية، إذ يتعين مراقبة جابر خلال تحركاته في براغ، وقال هوران إن أهل المدينة أدرى بشعابها فضلاً عن أنهم محل ثقة بحكم العلاقات الخاصة التي تربط الجهاز التشيكي بنظيره البريطاني، وهكذا فقد قام الضابط البريطاني بإبلاغ التشيكيين بطلبه وضع مراقبة خاصة على الدبلوماسي العراقي.

وجاءت التقارير التشيكية لتؤكد أن استهداف جابر كان له ما يبرره، فقد تأكد انه لا يكفي عن انتقاد بغداد وسياساتها، وقررت لندن أن الموعد قد أزف بتجنيد الدبلوماسي العراقي، وإبلاغه بأن يكف عن انتقاد السلطات العراقية حتى لا يلفت الأنظار، وان يزود المخابرات البريطانية بما لديه من معلومات أولا بأول باستثمار موقعه الدبلوماسي المؤثر.

وحين بدأ رجا ل هوران في التحرك نحو جابر اختفى الدبلوماسي العراقي فجأة من براغ، بل ومن تشيكوسلوفاكيا كلها. كان الأمر محيراً، إذ لماذا اختفى جابر في هذا التوقيت بالذات؟، ثم كيف افلت من مراقبة المخابرات التشيكية هو وزوجته وأولاده الستة ؟، إنها أسرة كبيرة، والمفترض أن التشيكيين -استجابة لطلب بريطاني مسبق- يراقبون الرجل على مدار الـ 24 ساعة. كيف إنهم يقولون لهران أنهم لا يعرفون أين ذهب جابر سليم وأولاده؟.

وفيما كان البريطانيون يحكون رؤوسهم في محاولة لحل لغز اختفاء جابر وأسرته، تحت أعين المخابرات التشيكية، صدر بيان مقتضب من وزارة الخارجية الألمانية يعلن أن دبلوماسياً عراقياً وصل إلى العاصمة الألمانية مع أسرته وطلب اللجوء السياسي. وكان اسم ذلك الدبلوماسي جابر سليم.

كانت مفاجأة حقيقية للندن ذلك أن جابر قد يكشف أسرارا هامة تتعلق بما حدث، ولكنه فقد أي قيمة مستقبلية. فقد كانت خطة ام. آي. 6 هي تحويل جابر إلى مصدر دائم للمعلومات، خاصة وان عراقيين كثيرين كانوا يتوقعون له مواصلة الترقي حتى الوصول إلى موقع حساس في وزارة

الخارجية العراقية. أما الآن، وبعد أن طلب الدبلوماسي اللجوء في ألمانيا، فقد تقلصت مكاسب العملية بأكملها إلى حد بعيد.

وقابل ضباط بريطانيون جابر سليم في منزل بأحد ضواحي برلين لاستجوابه عما بجعبته من معلومات لقطف ما يمكن اقتطافه من ثمار بعد أن ضاعت الثمار الأكبر التي أملوا في جنيها، ثم استداروا بعد ذلك نحو المخابرات التشيكية لتسوية الحسابات حول ذلك التخبط غير المفهوم.

بدأ ذلك بإرسال مذكرة شديدة اللهجة إلى التشيكيين حول مسلسل الأخطاء الذي لا يغتفر الذي ارتكبوه في عملية جابر سليم، ثم بإرسال مذكرة ثانية تطالب بإجراء تحقيق داخلي في الجهاز التشيكي لرصد ما إذا كانت هناك اختراقات لأسباب سياسية أو لأسباب ترجع إلى الفساد المالي، وبإبلاغ لندن بنتائج التحقيق حيث انه يهدد أمن أجهزة مخابرات صديقة تتعامل مع براغ، فضلاً عن ضرورة معاقبة المسؤولين.

وحين حاول البريطانيون فهم ما حدث بأنفسهم، ودون انتظار نتائج التحقيق الذي طالبوا بإجرائه، اكتشفوا أن جهاز المخابرات التشيكي يعاني من انقسامات داخلية حادة بين تكتلات مختلفة. فهناك تكتل العناصر القديمة التي خدمت أثناء حكم الشيوعيين، وهناك تكتل البريطانيين، أو الضباط الشباب الذين تلقوا تدريبهم في بريطانيا، وهناك تكتل الفلوس، إن ذلك الذي لا يحفل إلا بتحقيق أكبر مكاسب مالية ممكنة إما عن طريق المشاركة في عمليات الفساد الداخلي أو عن أي طريق آخر، ثم هناك تكتلات إضافية تتبع مسؤولين بارزين في الحكومة، كل له فريقه.

واستنتج البريطانيون أنإحدى الفرق المعادية لمجموعتهم داخل المخابرات التشيكية ساعدت جابر على انتهاج الطريق الذي انتهجه، أي على الذهاب إلى ألمانيا قبل أن يطلب منه البريطانيون أن يعمل لحسابهم وان يبقى مع ذلك في سفارة العراق ببراغ، أو يعود إلى بغداد. فقد كان الخيار الأفضل للدبلوماسي العراقي -من زاوية مصلحته الشخصية ومصلحة أسرته- أن يتجه إلى برلين بسرعة.

وحين ألح البريطانيون في طلب معاقبة المسؤولين عما حدث في قصة جابر، بداية من إفلاته من المراقبة وصولاً إلى أسباب الانقسامات الداخلية في الجهاز، شعرت الجبهة المعادية لرجال ام.آي6, في براغ بأن البريطانيين يحاولون مهاجمتها وإجبارها على اتخاذ مواقف دفاعية، فردت هذه الجبهة بتسريب خبر إلى الصحف التشيكية بأن هوران منحرف أخلاقياً، وبأن هناك صوراً مشينة يمكن أن تثبت ذلك.وقررت لندن سحب هوران من براغ بعد أن تهدأ الضجة، إلا أن مثل هذه الجراح لا تندمل بسرعة، خاصة وان البريطانيين سيعرفون بعد ذلك أن خسارتهم لجابر سليم أدت إلى تخبط كبير في رصد دقائق اتصالات محمد عطا مع أحمد خليل العاني بعد ذلك بعام واحد، و إلى فقدان مصدر ثمين للغاية داخل السفارة العراقية في براغ.

ونقلت الحكومة البريطانية إلى أعلى المستويات السياسية في براغ تفاصيل ما حدث، وملامح صورة ما يدور في المخابرات التشيكية من صراعات، فتقرر نقل مدير تلك المخابرات كاريل فولترين من منصبه وتعيين جيري روزيك مدير جديد للمخابرات. إلا أن ذلك القرار أسفر بعد ذلك عن آثار عكسية تماماً.

ذلك أن روزيك كان ينتمي إلى كتلة الفلوس، أو هكذا يقول خصومه، فهو ثري بحكم استرداد عائلته- التي كانت ثرية قبل حكم الشيوعيين، لممتلكاتها ومنها مبان في قلب العاصمة التشيكية. فضلاً عن ذلك فإنه لم يكن يحب البريطانيين كثيراً، لا لشيء إلا لأنهم تمكنوا من تشكيل تكتل خاص بهم داخل الجهاز. ثم -بعد ذلك كله- فإن روزيك كان يكن كراهية شديدة لرئيس الوزراء ميلوس زيمان[11].

وميلوس زيمان اسم محير بحق في براغ وخارجها. فهو شخص ناري المزاج، يفتقد أي قدر من التروي الدبلوماسي. ويذكر له في هذا المجال انه قال إن ياسر عرفات يذكره بأدولف هتلر. ثم أن لزيمان علاقات قوية

---

(11) BIALOGUSKI, Michael The Case of Colonel Petrov. New York: McGraw-Hill Book Company, 2013, p.355.

بدوائر المحافظين المتشددين في الولايات المتحدة وبريطانيا. وهو متهم دائماً بأنه يمكن أن يحتد في أي نقاش فيقدم-كي يدعم وجهة نظره- معلومات يعلن أنها كاذبة.وهكذا احتدمت الخلافات مرة أخرى. روزيك ضد زيمن، وزيمن ضد المخابرات، خاصة وان الجميع يعرفون ان الرجل يُعد كي يصبح رئيساً للبلاد بعد وفاة الرئيس هافل، والمخابرات ضد بعضها البعض، ووزارة الداخلية ضد الجميع. وفي هذا المناخ المضطرب يقول البعض أن محمد عطا التقى العاني، على الخط الجانبي لمباراة ساخنة لا علاقة للاثنين بها، إذ يفترض أنهما كانا يعدان لمباراة أسخن... في نيويورك وواشنطن، أي في 11 سبتمبر.

مجموعة لندن قالت إن هناك معلومات كافية تشير إلى حدوث اللقاء. ففي صورة فوتوغرافية ملتقطة من بعيد للعاني بدا معه شخص يثبت التحليل الكمبيوتري انه محمد عطا. واندفع زيمن لإبلاغ واشنطن ولندن بالخبر، وحين طلبت المخابرات المركزية والمخابرات البريطانية من المخابرات التشيكية تقريراً حول الموضوع، قرر روزيك أن يصفي حساباته مع زيمن، وان يجعله يتعرض لأكبر حرج ممكن أن يتعرض له رئيس للوزراء، فوضع تقريراً يقول إن التحليل الكمبيوتري لم يسفر عن أي نتائج قاطعة بأن من كان مع العاني هو محمد عطا، وان فحص سجلات تأشيرات الدخول الممنوحة برهن على أن السلطات التشيكية لم تمنح شخصاً باسم محمد عطا أي تأشيرة لدخول البلاد، ثم ان فحص سجلات أسماء المسافرين على شركات الطيران التي وصلت إلى براغ اثبت أنه ليس بينهم أي شخص بهذا الاسم.

ونظراً لأهمية المسألة سياسياً فقد عادت واشنطن ولندن إلى الاتصال برئيس الوزراء التشيكي زيمن لسؤاله عما يحدث حقاً. وطلب رئيس الوزراء إمهاله بعض الوقت للتحقق من الأمر. وبعدها جاءت اللحظة التي انتظرها روزيك، فقد توجه إليه رئيس الوزراء -في مقابلة مباشرة- برجاء شخصي أن يعيد التحقيق في الأمر. ورد روزيك بهذه هل تريدني أن أفبرك

معلومات؟ إذا كنت قد تسرعت بإبلاغ واشنطن ولندن بأخبار غير مؤكدة فعليك وحدك أن تتحمل مسؤولية ذلك.

الدور المخابراتي في احتلال العراق:

قد تجلى الدور الآخر الذي لعبته السي.آي.إيه في مجال تسهيل مهمة قوات الغزو الأميركية ومساعدتها في إحكام السيطرة على أهم مراكز القوة في العراق بالسرعة الممكنة عن طريق عملائها واتصالاتها. ومن بينهم عدد مهم من قادة الجيش والنظام في العراق قبيل وأثناء الغزوالعسكري وإغرائهم بالاستسلام. ولم يكن استخدام القوة العسكرية المفرطة ونوعها وانتشارها على أكبر مساحة محيطة بالعراق يعود إلى تقديرات أميركية باحتمالات وقوع معارك طويلة وشرسة بقدر ما كان يعود إلى استعراض القوة الأميركية أمام دول العالم وانتشارها في العراق لصالح مخطط يتجاوز العراق والمنطقة أيضا. وكان فيل بريننان من المجلة الإلكترونية نيوز ماكس أيار 2003 قد ألقى ضوءاً على دور السي.آي.إيه المهم والمؤثر في اختصار المجابهة العسكرية العراقية الأميركية إلى عدة أسابيع ودون خسائر بشرية كبيرة من الجانب الأميركي. يقول بريننان: ولم يكن الانهيار غير المتوقع والسريع لنظام صدام وجيشه نتيجة للحظ الذي حالف واشنطن أو للقوة العسكرية البشرية الضخمة التي عرضتها على ساحة المعركة قدر ما كان معظم أسبابه نتيجة للدور الذي نفذته السي.آي.إيه واتصالاتها عبر أجهزة الهواتف الخلوية مع عملاء قاموا بدورهم بإقناع وإغراء العديد من قادة الجيش العراقي بالإستسلام مقابل فوائد شخصية كثيرة لهم ولعائلاتهم. وقد تضمن المخطط العسكري لغزو العراق إرسال عدد من العملاء العراقيين ممن ربطتهم صلات واتصالات مع بعض قادة الجيش والنظام إلى بغداد، مجهزين بهواتف خلوية للقيام بمهام كثيرة منها القيام بهذه المهمة أيضا. ويشير بريننان إلى صحة الأنباء التي نشرتها إحدى الصحف اللبنانية التي استندت إلى مصادر موثقة حول هذا الدور وتفاصيله ونتائجه.

ومنذ انطلاق قوات الغزو كانت عناصر المخابرات العسكرية الأميركية

تنسق مع السي.آي.إيه ورجالها في ترتيبات استسلام ولجوء الكثير من جنرالات الجيش العراقي من أجل تقليل عدد الضحايا الأميركيين الذي قد يسقطون في هذه الحرب. وفي24 آذار ذكرت الصحيفة الأميركية يو أي تودي أن مسؤولين في المخابرات الأميركية أجروا اتصالات مع عدد من الجنرالات العراقيين لوعدهم بالمحافظة على سلامتهم وإعطائهم حق اللجوء إلى الولايات المتحدة بل وإعادتهم إلى الحكم إذا ما تعاونوا مع قادة الجيش الأميركي وسلموا قواتهم وقاموا بانقلاب على صدام أثناء الحرب. وكشفت الصحيفة أيضا أن رجال السي أي ايه العراقيين والأميركيين تم إدخالهم سرا إلى العراق منذ كانون الأول عام 2002 للإعداد لهذه المهام والاتصالات. وذكرت مصادر في البنتاغون والسي.آي.إيه أن هذا النشاط تولد عنه تجنيد مسؤول مهم داخل حلقة حكم صدام نفسه زود قيادة الجيش الأميركي بمعلومات مهمة حول تحركات قادة العراق ونشاطاتهم. وكلفته المخابرات بوضع قائمة تشير إلى أسماء الضباط الكبار الذين يمكن أن يتعاونوا مع مخطط استسلام الجيش بعد الغزو العسكري. وذكرت الصحيفة الأميركية أن بوش أجل موعد شن الغزو بانتظار استكمال المعلومات المخابراتية حول هذا الدور الذي طلب من السي أيه أي القيام به. ففي البداية وقبل شن الحرب ظهرت ممانعة شديدة من بعض الضباط وقادة الجيش العراقي ثم تجددت الاتصالات مع هؤلاء العراقيين أثناء الغزو وبعد أيام ظهر تجاوب الكثير منهم. وكان رامسيفلد وزير الدفاع نفسه قد أشار إلى هذا الدور البارز في أواخر آذار حين رد على سؤال يتعلق بهذا الموضوع قائلا جرت اتصالات من هذا النوع قبل أسابيع وأصبحت مكثفة الآن.

وكشفت صحيفة "يو إس تودي" في الوقت نفسه أن المختصين بهذه المهمة من أميركيين وعراقيين لا يعرفون عددا من الجنرالات العراقيين الذي طلب منم التعاون فحسب بل يعرفون أرقام هواتف منازلهم ومكاتبهم في مختلف المواقع. ووزعت السي.آي.إيه عدداً كبيرا من أجهزة الهواتف الخلوية المرتبطة بالأقمار على العملاء لوضع قسم منها في خدمة من

يتعاون من الجنرالات وطمأنته على الامتيازات التي سينالها بعد تعاونه واستسلام قواته. وكان لبعض الجنرالات والمسؤولين العراقيين أقارب في الخارج جرى استخدامهم لهذا الغرض أيضا ونجح العديد منهم بترتيب صلة بينهم وبين مسؤولين في السي.آي.إيه. وهذا ما يقود إلى صحة المقال الذي نشره وليد رباح تحت عنوان الصفقة في نيسان الماضي في إحدى الصحف العربية وكشف فيه ما تعهدت القيادة العسكرية الأميركية بتقديمه إلى الحرس الجمهوري وقادته وعدد من قادة الفرق التي ترتبت عملية استسلامها والتخلي عن صدام.

وفي مستهل نيسان قبل سقوط بغداد الرسمي والمعلن ازدادت مخاوف قيادة الجيش الأميركي من احتمالات عدم توقف المعارك أو ازدياد مضاعفاتها على الجيش الأميركي. خصوصاً بعد عرض الأسرى الأميركيين والأثر النفسي والمعنوي السيئ الذي خلفته على القوات الأميركية داخل العراق. بالإضافة إلى هذا ظهر بعض التردد على بعض قادة الجيش العراقي الذين توقعت السي أي أي تعاونهم في تلك الفترة الحرجة. لذلك قررت وزارة الدفاع بالاتفاق مع المخابرات العسكرية و"السي.آي.إيه" إلى ابتكار عملية تعيد التوازن المعنوي للجيش الأميركي وتدفع الضباط العراقيين الذين ترددوا إلى التعاون مع قوات الغزو.

الفشل المخابراتي في العراق:

لقد أكدت الوقائع في العراق خلال 2003 أن التكنولوجيات التي طالما اعتمدتها أجهزة الاستخبارات الأمريكية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية لم تعد كافية. لقد أفاد تقرير اللجنة المستقلة المكلفة بالتحقيق في فشل أجهزة الاستخبارات الأمريكية حول أسلحة الدمار الشامل التي اتهم العراق بحيازتها بـأنأنظمة جمع الصور التي استخدمت للتصدي لجيش الاتحاد السوفيتي لم تعمل جيدا في برنامج الأسلحة التقليدية في العراق.

وقد حدث الأمر نفسه في أزمة الخليج التي كشفت عن فشل

الاستخبارات الأمريكية والإسرائيلية في توقع الاجتياح العسكري العراقي للكويت وتوقيته (انتقدت أمريكا فيما بعد معلومات المخابرات الإسرائيلية "الموساد" حول مواقع منصات الصواريخ كما فشلت مخابراتها هي في تحديد مواقع هذه المنصات مسبقا وحتى عدد الصواريخ الموجودة) لذلك ينبه استراتيجيون كثيرون الآن في الغرب إلى خطورة الاعتماد على الاستخبارات التقنية وحدها ويحذرون من التخلي عن عنصر الاستخبارات البشرية، والبعض يضيف تكلفة الاستخبارات التقنية العالية بالمقارنة بتكلفة الاستخبارات البشرية والبعض يشير الى خطورة حيادية الاستخبارات التقنية التي لا تستطيع فهم المعلومات.

على صعيد آخر وجّه بوتر غوس، رئيس لجنة الاستخبارات في مجلس النواب الأمريكي، انتقادات عنيفة إلى الوكالة، متهماً إياها بإهمال تعليم أفرادها لغات الشعوب الإسلامية، وعلى رأسها اللغة العربية.أهمية هذا الانتقاد تكمن في أن صاحبه من أشد أنصار أجهزة الاستخبارات في الكونغرس الأمريكي. هذا إضافة الى أنه يأتي في وقت تبدو فيه الحرب الأمريكية العالمية ضد الإرهاب وقد دخلت في طور الأزمة.فوزير الدفاع الأمريكي رامسفيلد نفسه سرّب إلى الصحف في أواخر شهر أكتوبر 2003 مذكّرة داخلية أثار فيها الشكوك حول من الرابح في هذه الحرب، داعيا للمرة الأولى إلى مواكبة الحرب العسكرية بجهد سياسي ثقافي لكسب القلوب والعقول في العالم الإسلامي (واسماها حرب الأفكار).والمرشحون الديمقراطيون للرئاسة باتوا بليغين باتهام الأجهزة الأمريكية، بما في ذلك أجهزة الاستخبارات، بالتضليل والتمويه حيال مسار الحرب في العراق وأفغانستان.وفوق هذا وذاك، تتكرس يوما بعد يوم الانطباعات لدى الرأي العام الأمريكي بأن السي. آي. ايه عاجزة عن فهم (ناهيك بالتعاطي) مع الشعب العراقي، أساسا بسبب حاجز اللغة. ولعل هذا بالتحديد هو ما دفع بوتر غوس إلى تفجير قنبلته السياسية الصغيرة في وجه أصدقائه الجواسيس.

الفصل الثاني

مفارقة الشرق الأوسط:
في التمازج بين النفط والدم

أولاً: في أسباب ودوافع نشر الفوضى بمنطقة الشرق الأوسط

أ. عيسات فضيلة*

مقدمة:

كان الشرق الأوسط دائما ولا يزال محورا أساسيا للتحالف والصراع بين مختلف القوى الأساسية والفرعية التي يتكون منها النظام الدولي، فقد عاش الشرق الأوسط ملابسات الحرب الباردة جميعها، كما عاش مفاعيل التناقضات السياسية والاقتصادية والعسكرية لقطبي النظام العالمي الذي سيطر طيلة فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية إلى غاية سقوط الإتحاد السوفياتي، ويعيش الآن تداعيات ومنعكسات غياب روسيا وانفراد الولايات المتحدة الأمريكية لقيادة العالم وسعيها سياسيا وعسكريا لفرض هيمنتها إقليميا ودوليا، في الوقت الذي تسعى فيه قوى إقليمية صاعدة كالصين وروسيا أو قوى تقليدية أوربية الإسهام في ملئ الفراغ الذي خلفه زوال الإتحاد السوفياتي، ما يبرز أن الشرق الأوسط كان وما زال ساحة منازلة دائمة لمختلف القوى الإقليمية والدولية.

وقد تزايدت أهمية الإقليم؛ لاعتبارات مختلفة أهمها أنه يمثل مصدراً لإنتاج أكثر من ربع بترول العالم، و60 % من احتياطياته المؤكدة، كما

* جامعة الشلف.

أنه، نظراً لاعتبارات تاريخية وسياسية متطورة، فإن مجموعة الدول الإسلامية وما يجاورها في منظومة الاتحاد السوفييتي السابق، بات التعريف يشملها أيضًا. كما وجدت القوى العظمى في هذا الفضاء مجالا لتمرير مشاريعها ومخططاتها ومن بين هذه المشاريع مشروع الشرق الأوسط الصغير ومشروع الشرق الأوسط الكبير، هذا الأخير الذي يجسد التطبيق الفعلي للسياسة الأمريكية في العالم الإسلامي عن طريق القضايا الإقليمية وقضايا الانتشار النووي وقضايا الديمقراطية وحقوقالإنسان، والتي قد تشكل أحد الفواعل الرئيسة لتأجيج الصدامات والفوضى في هذا الإقليم وفرض السيطرة على العالم، وذلك من خلال تبني فكرة الجيوبوليتكية القائمة على مبدأ تقسيم العالم إلى تكتلات سكانية.

انطلاقا مما سبق تطرح إشكالية هذه الورقة البحثية على النحو التالي:

إلى أي مدى يمكن لسياسة الفوضى تفسير الحركية السببية للاإستقرار في منطقة الشرق الأوسط في ظل تعقيد وتعدد الفواعل الدولية ؟

وسنتناول ضمن هذه الإشكالية العناصر التالية:

المحور الأول: التأصيل المعرفي والمفاهيمي للفوضى

المحور الثاني: البعد الخارجي للفوضى في منطقة الشرق الأوسط

المحور الثالث: البعد الداخلي للفوضى في منطقة الشرق الأوسط

أولا: التأصيل المعرفي والمفاهيمي للفوضى

يعتبر مصطلح الفوضى من بين المصطلحات شديدة التعقيد، وذلك في ظل تعدد التعاريف التي أشارت إليه. فهناك من يرى أنها حالة "جيوبوليتيكية"، تعمل على إيجاد نظام سياسي جديد فعَّال، بعد تدمير النظام القائم أو إعادة تَدْجِينه، في عملية تغيير تتسم بالسرعة والعنف والعدوانية؛ من أجل خلق تحالفات نفعية جديدة تدعم المصالح، وتدرُّ الأرباح على المستوى السياسي والاقتصادي.

وفي نفس السياق، تعرف الفوضى بأنها سياسة انتهاز الفُرَص، والاستفادة من حالة الهَرج الإقليمي في إعادة ترتيب الأوضاع، بما يخدم مصالح القوى الكبرى، كمحاولة لتجنُّب التدخل العسكري وتلافي الخسائر البشرية والمادية التي تقتضيها الحروب.

من هذا المنطلق، يمكن أن نتلمس مفهوم الفوضى في كتابات **نيقولا ميكافيلي** في كتابه الأميرإذ اعتبر أن النظام ينشأ من الفوضى وان الفوضى تحدث الخراب الذي تقام على أنقاضه النظام، غير انه لم يشأ إحداث الفوضى للوصول إلى النظام بقصد، أي انه لم ينظر إلى الفوضى كسياسة تخلق النظام وإنما وضعها ضمن تسلسل طبيعي يحدث في المجتمعات فالفوضى عنده نتاج الراحة الذي هو نتاج السلم في حين أن الفوضى تنتج الخراب الذي ينتج بدوره النظام.

كما ناقش عالم الاقتصاد النمساوي **جوزيف شامبيتر** في كتابهالرأسمالية والاشتراكية والديمقراطية الذي أصدره عام 1942 أطروحة التدمير الخلاق، إذ اعتبر وبحسب المفهوم الرأسمالي أنإزاحة القديم هي التي تفرز الجديد والتطور حيث قال: "ليس القديم بالرأسمالية هو الذي يفرز الجديد، بل إن إزاحته التامة هي التي تقوم بذلك".

وبهذا دخلت الفوضى كفرع جديد من فروع العلم، التي تعنى بدراسة ظواهر الاضطراب والاختلال واللانظام واللاخطية، في مختلف المجالات، كالمناخ، وأجهزة الجسم عند الإنسان، وسلوك التجمعات

الحيوانية، فضلاً عن الاقتصاد والتجارة وحركة الأسواق المالية، تطوراً نحو حركة المجتمعات الإنسانية والسياسة.

ثم بعد ذلك تم نقل فلسفة الفوضى إلى التنظير والأبحاث الاجتماعية والسياسية والدولية، حيث مثلت مناهج الفكر التقليدية الأساسية الثلاث الآتية **(منهج هوبز - منهج غروتيوس - مذهب كانت)** قراءات متقاربة لتاريخ الفكر الخاص بالمجتمعات والعلاقات الدولية وبكل ما تطور به هذا الفكر داخل أوروبا بدءاً من القرن الخامس عشر، وعلى الرغم من اختلاف هذه المناهج في بعض ما أتت به حول مفهوم المجتمع الفوضوي، فإن هذه المناهج تعلق أهمية كبيرة على أهمية التاريخ والمنهج التاريخي، والحاجة إلى إرجاع صلب المجتمع الدولي إلى التاريخ.

بينما لم يتجه "**الواقعيون**" إلى إبرازأهمية القوى المنهجية، إلا في القرن العشرين، بعد أن ساد الاعتقاد بأن فكرة المجتمع الفوضوي أمر عفا عليها الزمن، وساد الاعتقاد كذلك، بأن **الفيلسوف كانت** ما هو إلا مجرد منظر ديمقراطي للسلام، وأنه من المؤمنين بمذهب التدخل لمصلحة الديمقراطية.

ويبدو إن أهم الأفكار التي ظهرت في خلق فكرة المجتمع الفوضوي، هي ناجمة عن إدراك المدى الذي وصل إليه النظام العالمي من فشل بالسيطرة من منظور واحد. لذا كان برأي مؤيدي الفكرة أن العوامل الفاعلة كالأثر الواضح لعملية العولمة الاقتصادية، ونشر الديمقراطية السياسية، والأهمية المتزايدة للمجتمع المدني المتخطي للحدود القومية وتعاظم كثافة المؤسسات الدولية ونطاقها ومداها، والمشكلات المتعددة والمتراكبة الناجمة عن تفكك الدول وتعاظم المطالبة بالكيانات الإثنية وحقوقها، قدتطورت إلى حد جعل التركيز على مجتمع الدول قاصرا.

وكان أكبر منتقدي المجتمع الفوضوي المفكر **هيدليبول** بما له من مكانة مرموقة في ميدان دراسة المجتمعات والعلاقات الدولية. وكان رأي**بول**: أنه لا بد من وجود عرضاً نموذجياً للأسلوب الذي ينبغي أن

نصوغ بموجبه آراءنا حيال المطالب بإحداث التغيير، فهو لم يتجاهل التغيير، لكنه دعا إلى التأني في تحليل عملية التغيير، وكان ثابتاً في رأيه، بأن الاتجاهات والمظاهر المعاصرة التي تبدو من نماذج الحداثة والتي تتراوح بين الشركات متعددة الجنسيات، وخصخصة العنف على شكل جماعات إرهابية أو أمراء حروب، ستظهر لنا مألوفة بدرجة أكبر حين ندرسها من خلال "منظور تاريخي" طويل المدى بشكل كاف، وأنه يمكننا أن نكسب كثيراً من مقارنة الحاضر بحق بسابقة من التغيير.

ويعد **مايكل ليدين**العضو البارز في معهد "أمريكا انتربرايز" أو لم نصاغ مفهوم **الفوضى الخلاقة أو الفوضى البناءة أو التدمير البناء** في معناه السياسي الحالي وهو ما عبر عنه في مشروع **التغيير الكامل في الشرق الأوسط** الذي أعد عام 2003، ارتكز المشروع على منظومة من الإصلاحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الشاملة لكل دول المنطقة وفقًا لاستراتيجية جديدة تقوم على أساس الهدم ثم إعادة البناء.

تعتبر نظرية "الفوضى الخلاقة " أحد أهم الأفكار التي أنتجها العقل الاستراتيجي الأمريكي في التعامل مع قضايا العالم العربي؛ حيث تمت صياغة هذا المصطلح بعناية فائقة من قبل النُّخب الأكاديمية، وصُنّاع السياسة في الولايات المتحدة، فعلى خلاف السائد في المجال التداولي لمفهوم الفوضى المُثقل بدلالات سلبية من أبرزها عدم الاستقرار، أضيف إليه مصطلح آخر يتمتع بالإيجابية وهو الخلق أو البناء، ولايخفى على أحد خبث المقاصد الكامنة في صلب مصطلح "الفوضى الخلاقة"، بغرض التضليل والتمويه على الرأي العام العربي والعالمي.

وتمثل الأطروحة الرئيسية لنظرية الفوضى الخلاقة على اعتبارالاستقرار في العالم العربي عائقًا أساسيًا أمام تقدُّم مصالح الولايات المتحدة في المنطقة؛ ولذلك لا بد من اعتماد سلسلة من التدابير والإجراءات تضمن تحقيق رؤيتهاالتي تطمح إلى السيطرة والهَيْمنة على العالم العربي، الذي يمتاز بحسب النظرية بأنه عالم عقدي وغني بالنفط،

الأمر الذي يشكل تهديدًا مباشرًا لمصالح الولايات المتحدة.

وينادي أقطاب نظرية الفوضى الخلاقة باستخدام القوة العسكرية لتغيير الأنظمة كما حدث في أفغانستان والعراق، وتبني سياسة التهديد بالقوة، التي تساهم في تفجير الأمن الداخلي للعالم العربي، وتشجيع وتأجيج المشاعر الطائفية، وتوظيفها في خلق الفوضى، كما هو الحال في التعامل مع الوضع اللبناني والسوري والعراقي.

وتلخص وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة "**كوندوليزا رايس**" عملية الفوضى الخلاقة في الشرقال أوسط بقولها: "إن الولايات المتحدة سعت على مدى ستين عامًا إلى تحقيق الاستقرار في الشرق الأوسط على حساب الديمقراطية، ولم تحقق أيًا منهما، وتتبنى الآن نهجًا مختلفًا.

ثانيا: البعد الخارجي للفوضى بمنطقة الشرق الأوسط

يتفق الجميع أن القوى الاستعمارية تستغل تناقضات المجتمعات الذاتية والبينية وتوظِّفها من أجل إنهاك المجتمعات وتركيع أنظمتها. فهي كما تستغل وتوظف الخلافات الحدودية، تستغل أيضاً التباينات الطبقية والمذهبية في المجتمع، وتُفاقِمها إلى أن تصبح انشقاقات سياسية ذات آلية مدمِّرة تتيح للقوى الاستعمارية فرصة التدخل المباشر وتوجيه حركة الصراع بينها بما يخدم مصالحها الخاصة في النهاية .

وفي هذا السياق، طوّرت القوى الدولية وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية هذا النهج، وصاغته في نظرية تعامل استراتيجي يعفيها من اللجوء إلى العمل العسكري المباشر إلا مضطّرة، فكانت نظرية الفوضى الخلاقة التي تستهدف استحداث حالة فوضى في مواقع الصراع بين أطراف محلية، تتيح للولايات المتحدة الأمريكية ركوب موجة الفوضى هذه وتوجيهها لمصلحتها خاصة في منطقة الشرق الأوسط التي شهدت ولازالت موجات عديدة من الفوضى وذلك وفق للبعد الجيو-استراتيجي والذي أنتج تنافس دولي في المنطقة مزعزعا بذلك الاستقرار ومنتجا للفوضى.

أ - أسباب التنافس الدولي في منطقة الشرق الأوسط:

قبل التطرق للتنافس الدولي على المنطقة الشرق الأوسط، لا بد من التطرق إلى أسباب الجذب والدفع لهذا التنافس، ونتطرق إلى الأسباب العامة للتنافس الدولي، وهي عوامل دفع متعلقة بالقوى الغربية والوضع العالمي بعد الحرب الباردة، ثم ننتقل إلى أسباب جذب هذا التنافس، والمتعلقة أساسا بالمنطقة الشرق أوسطية، والتي تدور بين موقعها الاستراتيجي، وغناهاالطبيعي بالموارد الاقتصادية وهو ما سنتناوله بالتفصيل.

وإذا كانت الجيو-استراتيجية تُعنى بالبحث في المركز الاستراتيجي للدولة أو الوحدة السياسية، سواء في الحرب أو السلم، فتتناوله بالتحليل استناداً إلى عناصره أو عوامله، بمعنى أنها تهتم بدراسة الموقع الاستراتيجي للدولة أو المنطقة الإقليمية، ومدى تأثير هذا الموقع وتلك المنطقة في العلاقات السلمية والحربية.

وبالحديث عن الجغرافيا السياسية للشرق الأوسط فقد تناولتها بالتوصيف دراسات عديدة آخذة بعين الاعتبار تدرج القوة والتماسك بدءا من المركز وصولا إلى الأطراف، فالشرق الأوسطه وعبارة عن ثلاث دوائر متداخلة، تتمثل **الدائرة الأولى** في قلب الشرق الأوسط أو المجال الحيوي يضم العراق، سوريا، لبنان، الأردن، فلسطين ومصر. أما**الدائرة الثانية** فتضم السعودية والسودان وليبيا وإيران، أما الدائرة الثالثة فتضم بلاد المغرب العربي: تونس، الجزائر، المغرب وموريتانيا وليبيا.

وهناك امتدادان أيضاً آسيوياً يضم باقي دول شبه الجزيرة العربية وتشمل: اليمن، الكويت، قطر، البحرين، الإمارات وسلطنة عمان. والثاني مثل دولتين إفريقيتين هما الصومال وإثيوبيا. وهناك أيضا امتداداً أوروبياً شرق أوسطياً يشمل قبرص واليونان. وامتداد آسيوي شرقاً شمل: باكستان، أفغانستان والجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى والقوقاز.

لذلك فإن تباين التوصيفات في كتابات الكثير من المفكرين ومختلف

مراكز الدراسات الاستراتيجية لذلك يكون أمراً طبيعياً بسبب تباين الكثير من العناصر الجيواستراتيجية في العديد من وحداته في العناصر أو المفردات المكونة للجيو-استراتيجية ذاتها وهي الجيو-سياسية والجيو-اقتصادية والجيو-عسكرية والجيو-معلوماتية. وعليه فإن دراسة المحددات المتحكمة في الفوضى في منطقة الشرق الأوسط تبين لنا أهمية ومكانة الموقع الاستراتيجي في إثارة الفوضى في المنطقة تجسيدا لمقولة **نيكولا سسبيكمان** "من يسيطر على قلب منطقة الشرق الأوسط يسيطر على العالم".

وفي خضم هذه الأهمية الجيو-استراتيجية برز التنافس الدولي في المنطقة وبالخصوص بين الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا وكذا كلا من الاتحاد الأوروبي والصين وذلك للأسباب التالية:

* احتلت مسألة تأمين النفط جانباً كبيراً من اهتمامات القوى الدولية والإقليمية خاصة في منطقة الشرق الأوسط، نظراً لما يشكله النفط من مصلحة أساسية في المكانة الدولية في هرمية النظام الدولي بسبب وجود احتياطيات بترولية ضخمة ومؤكدة، سهلة الاكتشاف، ومنخفضة التكاليف مقارنة بّأية منطقة أخرى في العالم.

* تحتوي المنطقة على ثروات استراتيجية والتي تعد حيوية لاقتصاد الدول الغربية الصناعية. حيث تعتبر منطقة الشرق الأوسط محوراً أساسياً في الاستراتيجية الأمريكية ويعود ذلك لأهمية المنطقة باعتبارها مزود أساسي للطاقة حيث تمثل 66% من الاحتياطي النفطي العالمي إضافة إلى اعتبارها سوق استهلاكية واسعة للمنتجات الأمريكية والصينية وكذا الأوروبية.

* اعتبارها ملتقى لقارات العالم القديم وكذا احتوائها على النفط والغاز في الخليج العربي وكذا منطقة بحر قزوين، وهو ممر استراتيجي ورئيسي للسفن إلى أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية عبر قناة السويس ومضيق جبل طارق وهو بمثابة الشريان الحيوي للتجارة العالمية.

وقد برز التنافس الدولي في منطقة الشرق الأوسط من خلال طرح مجموعة من المشاريع السياسية والاقتصادية أهمها **الشراكة الأورو-متوسطية ومشروع الشرق الأوسط الكبير**، هذا الأخير الذي بلورته الإدارة الأمريكية، ثم جرى الاتفاق على مضمونها في اجتماع قمة الدول الثماني الصناعية في سيايلاند بالولايات المتحدة في 2004. وتقوم فكرة هذه المبادرة في أهدافها العلنية إلى مساندة دول الشرق الأوسط في التقدم نحو الديمقراطية وبناء اقتصاديات السوق التي تنتج أكبر فرص عمل للمنطقة من خلال تمكين القطاع الخاص على أخذ الريادة في المجال الاقتصادي، وتنفيذ إصلاحات في المجال الاجتماعي، خاصة التعليم وحقوق المرآة.

وقد جاءت مبادرة الشرق الأوسط الكبير تأسيساً على تشخيص عربي لمظاهر الأزمة العربية التي تتمحور أساسا حول نقص الحريات العامة والحرية في المجال السياسي على وجه الخصوص. ومن ثم فان مضمون المشروع ينطلق من حقيقتين أساسيتين، الأولى تقول أن عناك تدهورا كبيرا في الأوضاع العربية بمختلف مجالاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية مما يدفع إلى ضرورة البدء بإصلاح، أما الحقيقة الثانية فهي تبين أن الأوضاع المترهلة تشكل مجالا خصبا لنمو الإرهاب والجريمة المنظمة والتطرف مما يتطلب ضرورة وضع حد لتنامي هذه الظواهر. لكن بالرجوع إلى خلفية طرح المشروع يمكن اكتشاف مجموعة من النوايا الخفية التي تبني عليها الولايات المتحدة الأمريكية مشروعها تأتي في مقدمتها محاولة تفكيك العالم العربي والإسلامي. بالإضافة إلى محاولة **إطلاق الصراع العرقي** في منطقة الشرق الأوسط، إذ تقوم سياسة الفوضى على بث الشرخ العرقي الحاد في الدول التوافقية القائمة على التوازن بسبب تركيبها العرقي. كما لجأ التدخل الأمريكي في العراق إلى هذا الدرس في أعقاب حرب الخليج الثانية، حيث سُلِخ، سياسياًوعسكرياً، الشمال الكردي من البلاد، على أساس عرقي فضلا عن تأجيجه للصراع الطائفي والعرقي في العراق بعد احتلاله عسكريا وفي جنوب السودان تم تغذية نوازع الانفصال العرقية

والدينية، حتى توج ذلك بتقسيم السودان لدولتين: شمال مسلم عربي في أغلبيته، وجنوب مسيحي في أغلبيته.

ب - التحديات الأمنية التي يطرحها التنافس الدولي:

لقد شكل التنافس الدولي في منطقة الشرق الأوسط أكبر الأبعاد الجيو -استراتيجية المؤججة للصراع في المنطقة وذلك من منطلق طرح مشاريع مزدوجة المعايير من ناحية وكذا غرس الكيان الإسرائيلي الذي عرقل مسارات السلام وطرح مجموعة من التحديات الأمنية التي عرقلة مسار السلام وزادت من حدة الانشقاقات الداخلية بين قوى إقليمية واقعة في المنطقة.

ثالثاً: البعد الداخلي للفوضى في منطقة الشرق الأوسط:

وفي هذه النقطة سوف نركز على الأوضاع الداخلية للأنظمة والمجتمعات التي تقع في منطقة الشرق الأوسط سواء كان على مستوى الدولة، الفرد أو المجتمع لمعرفة الأوضاع الداخلية التي كانت سبب مباشر في إثارة الفوضى في المنطقة والمتمثلة في:

أ - الأوضاع السياسية:

تميزت الأنظمة السياسية في منطقة الشرق الأوسط بفقدان الشرعية ونقص شعور المواطنين بعدالة حكم النظام واستبداد الحاكم، كما أن معظم الدول العربية في المنطقة الشرق الأوسطية تفتقر إلى سياسة التداول على السلطة وكذا غياب الانتخاب الحرة النزيهة وهذا ما أثار غضب الشعب ومن ثم إثارة الفوضى في المنطقة.

ب - الأوضاع المجتمعية:

أبرز نقطة في هذا السياق هو صراع العصبيات، وذلك عبر ضرب الدولة بجميع مؤسساتها، واستبدالها بولاءات حزبية أو عشائرية مجتزأة،

قائمة على انتماءات قبلية، كتلك التي شهدتها العراق بعد دخول الجيش الأمريكي إلى بغداد.

ولقد استندت هذه الرؤية إلى التراث الاستشراقي لـ«**برنارد لويس**» هذا التراث الذي لا يستطيع أن يرى الوطن العربي إلا بكونه تجمعاً لأقليات دينية وعرقية. وحتى إذا كان الشعار هو الديمقراطية، فإن تحقيقها يرتكز على الاستخدام الصريح للطائفية، بهذا يصبح التنوع الطائفي والديني والإثني الموجود في المنطقة في حالة تناقض مُستحكَم، في تحولالت نوع إلى كارثة.

إن الفرد والمجتمع في الدول العربية والمنطقة الشرق أوسطية تتوزعهما وتنازعهما ثلاثة أبعاد متباينة للولاء والهوية والانتماء، وهذه الأبعاد الثلاث أو المركب الثلاثي للهوية الفردية والجماعية يتمثل في:

1. البعد العقائدي والثقافي والحضاري.
2. البعد العصبوي نسبة إلى العصبية.
3. البعد السياسي السلطوي.

والإشكال الذي طرح في منطقة الشرق الأوسط في ظل التنوع العرقي والديني والثقافي هو صعوبة التعايش وإعادة صهر الجماعات المختلفة فيها وتشكيل وحدة وطنية واحدة ومنسجمة، إلا أنها في واقع الأمر تحولت إلى عوامل مشجعة ومنتجة للعنف والفوضى في المنطقة خاصة في ظل تنافس القوى الإقليمية الصاعدة المتمثل في كلا من تركيا وإيران.

من هذا المنطلق، يندرج التقسيم الطائفي عادة تحت عنوان الأقليات، ولكن الشرخ الذي يتم رسمه منذ عقود في الشرق الأوسط بين السنة والشيعة والذي أخذ حالة تصاعدية حادة وشرسة في السنوات القليلة الماضية، بات يفصل الفريقين عن بعض سياسياً وفكرياً ومشاعرياً، في عملية أشبه ما تكون بمحاولة لاستيلاد أمة الشيعة مقابل أمة السنة ! مما ينذر بخطر شديد لاسيما مع تحول العلاقة من تشنج فكري وتوتر عصبي

واشتباك إعلامي إلى حالة صراع أمني وعسكري دموي كما هو الحال في العراق وسوريا ولبنان والبحرين واليمن.

ج - الأوضاع الأمنية:

سوف نتطرق هنا إلى الانعكاسات التي أفرزتها الثورات العربية على الوضع الإقليمي في منطقة الشرق الأوسط وذلك من خلالتناول الأسباب المؤدية إلى تبني خيار الثورة ومن ثم انعكاساتها الداخلية والإقليمية.

إن الشعوب العربية تنادي بالحربة والديمقراطية لأنها تريد أن يكون لها دور حقيقي في مواجهة المخاطر الخارجية متمثلة في العدوان المستمر على شعوبها عسكريا كان أو سياسيا، أو المخاطر الداخلية المتمثلة في الفقر والفساد والعجز الاقتصادي وكذا الأزمات الاجتماعية.

فإذا بدأنا بالأسباب، فقد ارتبطت الثورات تاريخيا بمجموعة من الأسباب في مقدمتها الأسباب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والمتمثلة في النقاط التالية:

■ **الأسباب الاجتماعية**: حيث يعيش معظم سكان منطقة الشرق الأوسط في ظل نظام اجتماعي متخلف يعتمد على علاقات القرابة ونواتها الأساسية هي القبيلة والذي يتحرك بدافع العرف والعادات والتقاليد القديمة، وللخرافات الدينية أيضا دور محوري في تأصيل هذا النظام المتخلف.

■ **الأسباب الاقتصاد**: حيث تعاني معظم دول الشرق الأوسط من التخلف الاقتصادي خاصة الدول العر بية، فهي غالباً ما تعتمد على واردات النفط أو السياحة والمعونات الخارجية في حين تغيب التنمية الحقيقية بسبب صعوبات تتمثل في ارتفاع معدل تزايد السكان في الدول العربية، نقص الكوادر الوطنية، التفاوت في مستوى التطور الاقتصادي والاجتماعي، انخفاض مستوى الادخار. وفي ظل هذا الوضع المتردي فأن دخل الفرد سيكون متدني.

وفي نفس السياق، تطرح إشكالية التربية والتعليم، حيث وصل عدد سكان العالم العربي عام 2011 نحو 335 مليون نسمة بينهم 100 مليون نسمة من الأميين وتبلغ نسبة الأمية حوالى 30%، وإرتفاع نسبة الأمية يشكل فجوة عميقة تؤثرعلى تطور المجتمع العربي، وتترتب عليها نتائج سياسية واجتماعية خطيرة.

كماأن السياسة التعليمية في الشرق الأوسط ماعدا إسرائيل تسير بشكل تقليدي في التلقين وعدم إعطاء الطالب فرصة للتفكير المفتوح، وهناك عدمال اهتمامب البحث العلمي في الجامعات مما يعني أن أزمة البحث العلمي في العالم العربي تعني التخلف العربي عن ركب الحضارة و النهضة العلمية، والملاحظ أن نسبة الإنفاق على البحث العلمي بالنسبة إلى الناتج المحلي الإجمالي لم تتعد 1,5% في الأقطار العربية كافة لعام 2009، بينما في إسرائيل فأن الإنفاق على البحث العلمي عدا العسكري حوالى 9,8 مليارات "شيكل" يوازي 2,6% من الناتج القومي.

■ **الأسباب السياسية**: معظم بلدان الشرق الأوسط هي ذات نظم تسلطية واستبدادية يقع بعضها في جغرافية العالم العربي، وبالتالي في ظل هذه الأنظمة تنعدم مظاهر التعددية السياسية والتداول السلمي للسلطة وحرية التعبيروالإعلام، وبالتالي كلهاأسباب أدت إلى اندلاع ثورات الربيع العربي ومنه إثارة الفوضى الداخلية.

وفي ظل هذه الأوضاع أصبح الهدف الأساسي هو ضرب الاستقرار الأمني وإطالة أمد الاختلال الأمني بحيث يشعر الناس أن لا مجال للعودة إلى الحالة التي كانت سائدة قبل الحرب. وبالفعل لقد اتّسقت الأهداف العليا لأمركة العالم مع إرهاصات الثورات العربية على أساس أنه إذا كانت البنى الإقليمية غير مهيأة للقيام بالوظيفة المطلوبة أمريكياً، يصبح إخراجها من دائرة الفعل بتدميرها وإدخال مقدراتها في عملية نزف مفتوحة بما يترتب على بث الفوضى كخيار بديل من الاستقرار الذي لا يتسق وديناميكيات الخطط المرسومة للجغرافيا السياسية العالمية.

وفي نفس السياق، وحينما تفجرت الثوارت العنيفة وبشكل متتابع في تونس ومصر واليمن ثم سوريا، كان الهدف الرئيسي منها هو إسقاط النظم الاستبدادية التي حكمت تلك الدول والتي كان الهدف من ورائها إقامة نظم جديدة إلا أن المفارقة التي شهدناها هي انتشار الفوضى في المنطقة بعيداً عن تجسيد الاستقرار وأبرز مثال على ذلك ما يحدث في ليبيا وسوريا ومصر.

الخاتمة:

إن حالة اللاإستقرار والفوضى في منطقة الشرق الأوسط في القرن الواحد والعشرين قد أملتها ظروف داخلية تتمثل في غياب التوزيع العادل للثروة، غياب التداول السلمي للسلطة والأكثر من ذلك ما بعرف بثورات الربيع العربي التي أثبتت من خلال مسارها منذ بدايات 2011 إلى غاية 2015 فشلها في إستعاب المطالب الشعبية وتجسيد دولة الديمقراطية والمشاركة السياسية الفعالة لأنها كرست نفس بنية الأنظمة السابقة. كما أن المتغيرات الخارجية من تدخل أجتبي في المنطقة عبر طرح مشاريع لا تتماشى ومتطلبات المجتمعات في الشرق الأوسط.

كشف تقرير للبنك الدولي انه بعد ثلاث سنوات على الربيع العربي، لا تزال اقتصاديات منطقة الشرق الأوسط تعاني من أوضاع اقتصادية كئيبة، فالاضطرابات السياسية في كل من مصر وتونس، والحرب الدائرة في سوريا وتمددها إلى لبنان والأردن قد اضعف النشاط الاقتصادي للدول التي تستورد النفط.و كشف التقرير أن الناتج المحلي في مصر انكمش بنسبة 3,2% على أساس سنوي في الربع الثاني من العام 2013، وتراجع النمو في السنة المالية من 2,3 العام 2012 إلى 2,0 في العام 2013.وانكمش الإنتاج الصناعي في الدول المستوردة للنفط بنسبة 36% على أساس سنوي في الأشهر الثلاث الأولى حتى شهر تشرين الأول 2013.أما بالنسبة للدول المصدرة للنفط فقد انخفض إنتاج النفط بنسبة 8,5% العام 2013، مما

يعكس حالة البلاد التي تعاني من انتكاسات أمنية ومشاكل في البني التحتية في كل من الجزائر، والعراق، وليبيا، والعقوبات الدولية على إيران. وفي ظل هذه الأوضاع سوف تستمر الفوضى في منطقة الشرق الأوسط.

قائمة المراجع:

1. حسنين توفيق إبراهيم، **النظم السياسية العربية: الاتجاهات الحديثة في دراستها**، ط3، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2011.
2. جيرمي سولت، **تفتيت الشرق الأوسط: تالايخ الاضطرابات التي يثيرها الغرب في العالم العربي**، (تر: نبيل صبحي الطويل)، دمشق: دار النفائس للنشر والتوزيع، 2011.
3. رمزي المنياوي، **الفوضى الخلاقة (السيناريو الامريكي لتفتيت الشرق الاوسط والنظرية الصهيونية التي تبنتها امريكا لشرذمتة)**، دمشق: دار الكتاب العربي، ، 2012.
4. مصطفى البكري، **الفوضى الخلاقة ام المدمرة (مصر في مرمى الهدف الامريكي)**، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2005.
5. زيبغينو بريجينسكي، **الفوضى: الاضطراب العالمي على مشارف القرن الحادي والعشرين**، (ترجمة: مالك عباس)، عمان: الاهلية للنشر والتوزيع، 1998.
6. ماريما اوتاواي، "سباسة ادارة بوش في الشرق الأوسط"، **المستقبل العربي**، العدد 338، مركز دراسات الوحدة العربية، أفريل 2008.
7. معيد حداد، "في الفوضى الخلاقة على الطريقة الامريكية"، **شؤون الأوسط**، العدد 139 صيف 2011، مركز الدراسات الاستراتيجية.
8. مهدي أبوبكر رحمة، " الشرق الأوسط والربيع العربي آفاق ومستقبل "، **الحوار المتمدن**، العدد 3615 بتاريخ 22 يناير 2012.

ثانياً: النفط عقيدة غربية
والإرهاب ورشة استخباراتية

■ أ. رابح زاوي

قد يبدو للوهلة الأولى عند قراءة العنوان أن الجمع ما بين النفط والإرهاب هو أمر غير مطروح إطلاقا، لا لسبب سوى كون الموضوعين منفصلين إلى حد ما، لكن عند محاولة قلب الموضوع رأسا على عقب ومحاولة الغوص اكثر في تفاصيل الأمور سوف يقودنا التحليل إلى مصدر واحد، وهو الغرب، الغرب المتنمر/ المسيطر على دقائق الأمور وتفاصيلها. الغرب الذي كان ومازال النفط يشكل بالنسبة له عقيدة راسخة غير قابلة للتفاوض أو التغيير، وأن الإرهاب هو ورشة استخباراتية مفتوحة إلى أجل غير مسمى.

النفط، مصدر للطاقة، الثروة وحتى الأزمات، حتى أنه قد أصبحت لفظة (العربي) في الغرب الرأسمالي مرادفة للفظة (النفط)، وكذلك للفظة (الاوبك) وحتى للفظة (الإسلام)، واستخدمت هذه اللفظة المتعددة المعاني من قبل وسائل الإعلام الجماهيرية في الغرب الرأسمالي لترويج كل السموم التي تبثها الرأسمالية الغربية اليوم ضد العالم العربي والإسلامي كشعب. ولا شك أن هذا الموقف له أسبابه الاقتصادية والحضارية وحتى السياسية، التي هي في نظرنا جزء من الصراع الذي تمر به المجتمعات العالمية في فترة اندحار الاستعمار، ولاشك أن هناك أصواتا في الغرب -ضعيفة ولكنها

موجودة - تتوخى عرض الصورة الحقيقية لمسألة النفط والطاقة، لكنها ضائعة في خضم الأصوات العالية ذات المصلحة في استمرار(العلاقات القديمة - الجديدة)، علاقات السيد بالتابع.

لقد كان (العربي) هو كبش الفداء في كل ذلك، فهو صاحب آبار النفط، وهو المتحكم في الاقتصاد العالمي، وهو (ناهب) خيرات العالم الصناعي والعالم الفقير أيضا، وهو أخيراً (طفل) العالم الذي وجد ثروة أسطورية فجأة ولا يعرف كيف يتصرف بها، فلا بأس إذن من الحجر عليه إن أمكن[1].

و بناء عليه تتوجه الاستراتيجية الغربية إلى العمل على إحباط الجهود العربية الرامية إلى تأكيد على سيادة العرب على ثرواتهم النفطية التي تشكل ما يزيد على 60% من واردات الولايات المتحدة الأمريكية منها. وهو الأمر ذاته الذي يدفع الأخيرة للتضامن مع الحلفاء والشركاء في الهدف والمصلحة لاحتواء الإرادة العربية بإشعال الحروب، واستمرار الاحتلال الإسرائيلي والأمريكي للأراضي العربية، وإذكاء الصراعات الإقليمية، وتكريس التجزئة.

بدأ النفط، أولا كقوة استراتيجية، مصدر للسيادة الوطنية، وللثروة الأكيدة والسريعة، يغذي الصراع من أجل امتلاكه، وانتاجه بأية وسيلة وفي أي موقع يتوفر فيه، ومن هذا المنطلق تدافعت الشركات الغربية الكبرى، و على رأسها الرويال دوتش شل " أنه لا يجب أن يسبقنا أحد في هذا الصراع للحصول على مناطق جديدة يتوفر فيها النفط". وعليه تمكنت شركات النفط الأمريكية في صراعها من السيطرة على النفط المكتشف في المكسيك، والذي شكل مصدرا لأكثر من 20 % من احتياجات الولايات المتحدة الأمريكية من النفط في فترة الحرب العالمية الأولى.

---

(1) محمد الرميحي، النفط والعلاقات الدولية، عالم المعرفة، العدد: 52، أفريل 1982، ص12.

وبسبب أهمية النفط كمصدر للطاقة وكمادة أولية للصناعات الجديدة المتطورة المبنية على الكيمياء، أصبح النفط عامل أساسي في السياسة الدولية، فلو القينا نظرة شاملة على صناعة النفط الاستخراجية نجد أنها بدأت عام 1859 في ولاية بنسلفانيا في الولايات المتحدة الأمريكية، ونظراً لكون النفط المنتج مادة أولية ذات محتوى عالي للطاقة وسهل النقل لكونه سائل ورخيص، فقد بدأت الشركات التي اكتسبت خبرة ودراية في هذا المجال بعد أن لمست فائدته النوعية والمادية تعمل على زيادة سيطرتها على الحقول النفطية، فتوسعت داخل وخارج الولايات المتحدة الأمريكية واتجهت إلى الخارج وخاصة الأقطار العربية وإيران واندونيسيا وفنزويلا والمكسيك ...الخ، متعاونة بذلك مع شركات تجارية عالمية احتكارية، ومع مرور الزمن حصلت الشركات الكبرى على امتيازات بشروط خاصة في معظم الدول والمناطق التي تتمتع باحتمالات نفطية عالية وانخفاض الاستثمارات اللازمة للبرميل المنتج وكلفة الإنتاج.

1 - النفط والغرب: احتكار التنقيب والهيمنة على الإنتاج

في الوطن العربي وبالتدقيق في منطقة الشرق الأوسط، يشير التاريخ إلى أنه بينما كانت شركة تشارلز كراين، أشهر المنقبين الأمريكيين عن المياه، تبحث بطلب من الملك الراحل عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل أل سعود عن المياه في الأراضي السعودية، وبعد جهود مضنية، أعلنت أنه لا توجد مياه، ولكن ثمة أفاق واعدة للنفط في الإحساء. ووقعت المملكة اتفاقية مع شركة النفط الأمريكية ستاندر أويل أف كاليفورنيا بتاريخ 29 ماي 1933 منحتها امتيازا للتنقيب عن النفط، وبعد ثلاث سنوات، تدفق النفط وبغزارة مذهلة في الدمام، وهو ما جعل شركات اليابان وألمانيا وإيطاليا للحصول على امتيازات، إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية أحبطت كافة المحاولات.

امتلاك منطقة الخليج العربي لحوالى 80% من الإنتاج العالمي للنفط

جعلها تحتل محورا استراتيجيا، مع ملاحظة أن الصراع احتدم بين كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية على نفط الخليج، ولكن بريطانيا أذعنت في الأخير للإرادة الأمريكية كما قررها الرئيس الأمريكي روزفلت بقوله الموجه إلى تشرشل: **"إن النفط الفارسي لكم ونحن مشاركون في نفط العراق والكويت، أما نفط السعودية فلنا"**[2].

بعد الحرب العالمية الأولى والثانية وكذا الحروب الإقليمية والدولية التي تلتها، خاصة تلك التي عرفتها منطقة الشرق الأوسط، لعب النفط فيها دورا محوريا، حيث إن احتلال العراق للكويت في آب/أوت 1990 جعل الغرب يتكتل لأول مرة في التاريخ القديم والمعاصر في مواجهة العراق، طرحت بحدة امكانية أن يصبح الأخير أكبر دولة مصدرة للطاقة من خلال هيمنته على نفط الخليج العربي، ثم التحكم بأسواقه.

تبرز أهمية النفط في كونه واحداً من أهم السلع الاقتصادية المتفردة في تأثيراتها على حركة الاقتصاد العالمي، وبالتالي لم يعد فقط سلعة اقتصادية فحسب، بل سلعة استراتيجية ذات أبعاد إقتصادية وسياسية وعسكرية متداخلة. وقد شهدت الأسواق النفطية الدولية منذ خمس سنوات تطورات ملحوظة في مؤشراتها الرئيسية، وبخاصة ظاهرة أسعار النفط التي سجلت ارتفاعات قياسية وعلى مستويات غير مسبوقة مما شكل صدمة ثالثة لأسعار النفط في الأسواق العالمية[3].

وتنعكس تداعيات هذه الظاهرة على الدول المنتجة للنفط باتجاهين:

---

(2) هاني حبيب، النفط استراتيجيا وأمنيا وعسكريا وتنمويا مصدر الثروة والطاقة والأزمات، بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2006، ص14.

(3) جرى أول تسعير للنفط في العالم حوالي سنة 1860 بحوالي 9 دولارات للبرميل، أما ما يطلق عليه بالصدمة النفطية الأولى فكانت سنة 1973 أين قفزت أسعار النفط من 2,6 دولار إلى أكثر من 40 دولار، لتأتي الصدمة الثانية في بعد توقف تصدير النفط الإيراني في أعقاب الثورة الإسلامية في إيران في 1979 أين سجل النفط أسعار متراوحة ما بين 20-30 دولار للبرميل، اما الصدمة الثالثة فجاءت بعد الاحتلال الأمريكي للعراق في 2003 أين عرفت أسعار النفط ارتفاعا سريعا.

الأول إيجابي من خلال زيادة العائدات المالية للدول المصدرة للنفط ومن ثم ازدهار الحياة الاقتصادية فيها في كافة الميادين، والثاني سلبي من حيث زيادة الصراع والتنافس الدولي على المناطق المصدرة للنفط لضمان التحكم في كميات النفط المصدرة للأسواق العالمية.

ولعل من أهم الأسئلة المطروحة في إشكالية النفط ما بين الدول المنتجة / المستهلكة وكذا الشركات الكبرى المستثمرة في هذا المجال، هو إلى أي مدى نجحت الدول المنتجة للنفط في خلق علاقة تميزها المساواة والتكافؤ مع الشركات الكبرى على أساس قاعدة كاسب - كاسب؟ وبما يحقق للدول المنتجة كذلك إيرادات عادلة ومستقرة ؟

الإجابة قد تكون صادمة في جوانب عدة، من بينها أن حكومات تلك الدول ضيعت على نفسها كثيرا من إيرادات النفط لصالح الشركات النفطية الكبرى، كما عجزت حتى في أن تلزم تلك الشركات بالمساعدة على توطين هذه الصناعة كما فعلت دول أخرى، وهو الأمر الذي جعل العلاقة بين تلك الحكومات والشركات النفطية الكبرى تتميز بعدم التكافؤ، ويعود هذا إلى الأسباب التالية[4]:

أولاً: شرعية النظم السياسية في الدول المنتجة.

ثانياً: درجة ما يتوفر لها من معارف وخبرات حول النفط.

ثالثاً: درجة الشفافية التي تطبع علاقاتها مع تلك الشركات النفطية الكبرى.

إن الحيث عن تاريخ النفط العربي، يقودنا إلى الحديث عن البدايات أو الاكتشافات الأولى للنفط في الوطن العربي، بدء بالسعودية ووصولا إلى الجزائر، وهذا الأمر لا يتم بدون الإشارة بطبيعة الحال إلى الدور

(4) يوسف خليفة اليوسف، مجلس التعاون الخليجي في مثلث الوراثة والنفط والقوى الأجنبية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2011، ص126.

الغربي في تلك الاكتشافات وكذا هيمنته على انتاجه وتوزيعه، وانتهاء بالعائدات المالية الضخمة التي يستفيد منها.

ففي المملكة العربية السعودية تشير الدراسات المتوفرة إلى أن الملك الراحل عبد العزيز كان أول من أفسح المجال للسيد تشارلز كراين أحد أهم ملوك أنابيب المياه الامريكيين بالقيام بعمليات تنقيب عن المياه في المملكة، تلك العملية التي لم تسفر عن نتائج طيبة ولكنها أفرزت عن وجود ثروة هائلة سرعان ما اثمرت عن اتصالات مع شركة ستاندرد أويل أف كاليفورنيا انتهت بتوقيع اتفاقية بين الطرفين في ماي 1932، حصلت بموجبها الشركة الغربية على امتياز التنقيب عن النفط مقابل حصول المملكة العربية السعودية على 35000 جنيه دفعة مقدماً بالذهب وعلى 30000 جنيه كقروض، وكذا عن 5000 جنيه كعائدات للسنة الأولى دفعت مقدما[5]. ومما يلفت الانتباه هو حق الامتياز الذي يمتد إلى ثلاثين سنة، إلى جانب أن الملحق السري للاتفاقية الموقعة أعطى للشركة الأفضلية في التنقيب واستغلال النفط وهو الأمر الذي أحبط من مساعي الشركات الأخرى على غرار الألمانية والإيطالية واليابانية في الاستفادة من هذا الاكتشاف الذي غير صورة المنطقة والعالم فيما بعد.

وفي فترة الحرب العالمية الثانية، انضم في عام 1943 إلى العاملين في حقول النفط السعودية جيولوجي امريكي وهو إيفرت دي غولير الذي كان أحد المساعدين في إدارة نفط الحرب الامريكية، والذي اشار في التقرير الذي أعده فيما بعد إلى أن الاحتياطات المثبتة والمحتملة للمنطقة تبلغ حوالي25 مليار برميل، لدى السعودية وحدها نحو 30%. وهو ما شكّل تحولا بالغ الأهمية في الاستراتيجية الأمريكية الهادفة إلى الإبقاء على تربعها لعرش الدول المنتجة للنفط والطاقة في العالم، وهو الأمر الذي جعلها رفقة بريطانيا تتوصلان إلى النتيجة نفسها، وهي أن منطقة الشرق

---

(5) هاني حبيب، المرجع السابق، ص42.

الأوسط سوف تتحول إلى محور ومركز السياسة الدولية وبالتالي المصالح الخاصة بالدولتين.

ومع تزايد حاجة المملكة العربية السعودية للدعم من أجل استكمال عمليات الإنتاج والتنقيب عن النفط، توجهت الولايات المتحدة بعد استشعارها بأهمية مصادر الطاقة تلك إلى إمتلاك 51% من شركتي سوكال وتكساكو. وقد بدأ انتاج النفط يتطور أكثر مع إنشاء شركة أرامكو، وهي شركة النفط العربية - الأمريكية المشتركة بين سوكال وتكساكو، وكإستجابة للشروط السعودية بأن تكون الشركات المساهمة أمريكية الجنسية حصرا، أنشأت أرامكو شراكة مساهمة مع كل من شركتي جرسي وسوكوني الأمريكيتين في النفط السعودي.

شركة أرامكو التي تعتبر حاليا أكبر شركة وطنية للبترول في العالم من حيث الإنتاج ومن حيث القيمة السوقية، قامت السعودية بتأميمها 1988، وتعمل في عمليات التنقيب واستخراج وتسويق النفط والغاز، إضافة إلى بعض المشاريع البتروكيماوية. إذ يشكل إنتاجها نحو 13% من إجمالي إنتاج النفط بالعالم، وعدد حقول الشركة حوالي 121، وتنتج حوالي 11.5مليون برميل يوميا من النفط، إلى جانب حوالي 13,2 مليار م^3 غاز يوميا، هذا دون تجاهل احتياطاتها التي تبلغ 260,2 مليار برميل كاحتياطي النفط، و288,4 تريليون م^3 احتياطي الغاز[(6)].

ويعود تاريخ شركة أرامكو إلى 29 ماي 1932، ففي ذلك التاريخ فضل عبد العزيز آل سعود منح امتياز البترول في بلاده للأميركيين بدلاً من البريطانيين، ورجح عرض شركة (ستاندرد أويل أوف كاليفورنيا) الأمريكية على العرض الذي تقدم به (تشارلز كراين) على عرض شركة بترول العراق الذي تقدم به (لونجرج).

---

(6) "من هي أكبر 7 شركات تنتج النفط في العالم؟"، تاريخ الاطلاع: 9 سبتمبر 2014، على الرابط التالي:

http://orient-news.net/?page = news_show&id = 81009.

ويعتبر (تشارلز كراين) رائد حركة ومنظمات الشباب والكشافة العربية، وكان أحد مستثمري الذهب في المملكة العربية السعودية. وقد ساعده في الحصول على امتياز النفط العميل البريطاني (جون فلبي) والد (كيم فلبي) الجاسوس المزدوج.وفي سنة 1948 حصلت شركتان أخرتان من شركات النفط الأمريكية الكبرى على حصص في أرامكو، فأصبحت حصة (سوكال)، بموجب الترتيب الجديد 30%، وحصة كل من (أكسون) و(تكساكو) 30%، وحصة (موبيل) 10%، وفي عام 1973 م وبعد اتجاه دول الأوبك إلى تصحيح العلاقات غير المتكافئة مع شركات النفط، حصلت الحكومة السعودية على 25 % من حقوق الامتياز وملكية المرافق والانتاج، وزادت حصتها إلى 60% سنة 1974.

في نفس الفترة وفي ماي 1973، عقد حوالي 84 من كبار رموز السياسة والمال في الغرب اجتماعاً لهم في فيلا عائلة والنبيرغ Wallenburg المالية اليهودية المتنفذة في السويد، والتي تملك القرار والحصص في مؤسسات مالية وتجارية تجاوز حجم مبيعاتها السنوية عام 1997 حوالي 112 مليار دولار، الرقم الذي يزيد على إجمالي المبيعات النفطية لسائر الدول الأعضاء في منظمة أوبك، وكان من بين الحضور **هنري كيسنجر** وزير الخارجية الأمريكية السابق ممثلا للبيت الأبيض، وعدد من كبار مديري الشركات النفطية الأميركية والأوروبية والمصارف والمؤسسات المالية العالمية، للبحث في زيادة أسعار النفط في المستقبل القريب، وكيفية إعادة تدوير تدفقات الدولارات النفطية إلى البنوك الأميركية والبريطانية، فعملت على ترتيب حرب السادس من أكتوبر بين مصر وسوريا من جهة، وإسرائيل من جهة أخرى [7].

وتحققت النتيجة الرئيسية بالنسبة لمخططيها وهي رفع أسعار النفط

(7) ابراهيم غرابية، قراءة في كتاب يحي زلوم "حروب البترول الصليبية والقرن الأمريكي الجديد"، تاريخ الاطلاع: 15/ 10/ 2014، على الرابط التالي:
http://www.neelwafurat.com/itempage.aspx?id=lbb140569-100985.

بنسبة 400% طبقاً لما تم الاتفاق عليه في اجتماع مجموعة والنبيرغ في ماي 1973، وكان الرابحون الرئيسيون من خطة كيسنجر هم وول ستريت وبنوك نيويورك ولندن والشركات النفطية العملاقة، أما الدول النامية الأشد تأثراً فقد أوقعتها آثار الصدمة في مصيدة الديون.

فعلى الرغم من أن الإتفاق الجديد الموقع بين المملكة العربية السعودية والشركات الأمريكية المساهمة الموقع في 1976 سمح لها بالإستيلاء على كل أصول وحقوق أرامكو السعودية، مقابل استمرارها بالعمل مقابل 21 سنت للبرميل مقابل خدماتها، وتولي تسويق 80 % من النفط السعودي، كل هذا لا يهمل أن شركة أرامكو بموجب هذا الإتفاق الجديد تحولت إلى مجرد مقاول بعقود مشاركة في الإنتاج، وبرزت علاقة جيدة فبدل أن تكون صاحبة امتياز ذات حقوق ملكية على النفط في باطن الارض أعطتها الاتفاقية حقوقا في الإنتاج والخدمات.

كما أن الحديث عن النفط في العراق هو حديث عن شخصية رجل النفط **كالوستي غولبنكيان** الأرميني الجنسية، وهو الذي أعد بحثا بصفته مهندسا في النفط، أشار إلى أن هذه المنطقة تنام على احتياطات نفطية كبيرة. ولم يسلم العراق من تزاحم وتدافع الشركات الغربية عليه في محاولة السيطرة والاستفادة القصوى من امكاناته، بدءا بالشركة التركية ووصولا إلى الإهتمام البريطاني والاحتلال الأمريكي للعراق في 2003. وحول هذا الحدث الهام تشير دراسات عديدة إلى أن الهدف من الاحتلال لم يكن السيطرة على النفط وامداداته من العراق والمنطقة فحسب، والذي يظل عاملا حاسما في اتخاذ قرار الغزو والاحتلال، بل أكثر من ذلك، نجد العمل على رفع أسعار النفط في سبيل ايجاد قاعدة لتجديد البحث عن حل سياسي لمشكلة الشرق الأوسط، على أساس أن إتاحة دخل مالي كبير للأقطار المنتجة للنفط في المنطقة، يعطي تلك الأنظمة العربية أمانا اقتصاديا يجعلها قادرة على قبول حل وسط للصراع العربي - الإسرائيلي، وبالتالي تحقيق استقرار طويل الأمد في المنطقة، أما الهدف الثاني فهو

عدم القدرة التنافسية الأمريكية في مقابل الصناعات الناشئة في حال حصولها على مصادر الطاقة بأسعار رخيصة، وبالتالي فالرفع من أسعار الطاقة ينشط قدراتها الصناعية من جهة ويوازن ميزان مدفوعاتها من جهة ثانية، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن معظم الشركات النفطية الكبرى هي شركات أمريكية.

ربما من المفارقات الهامة التي يمكن ملاحظتها عند البحث في موضوع النفط هو كيف يشكل هذا الأخير عاملا حاسما في التكافل والتضامن الغربي - الصهيوني، حيث وفي عهد الرئيس الأمريكي السابق ترومان، حصلت الحركة الصهيونية على قرار الجمعية العامة لمنظمة الأمم المتحدة تحت رقم 181 بتاريخ 26 نوفمبر 1947 القاضي بتقسيم فلسطين تنفيذا لمخططها المعتمد في مؤتمر بالتيمور، وتحول إلى عنصر جوهري في السياسة الخارجية الأمريكية، و هو ما يعبّر عن تبني أمريكا لإسرائيل، وسرعان ما أدركت الولايات المتحدة الأمريكية من خلال الحرب العالمية الثانية والدور الذي لعبه النفط في إدارة الحرب، مدى خطورة الثروة النفطية العربية على مصالح الغرب ومستقبل تطوره، سواء اقتصاديا وحتى استراتيجيا، و أن اسرائيل بإمكانها أن تشكل الضامن الأكبر لإستمرار واستقرار تدفق النفط العربي، وكان هذا وراء اعتراف الولايات المتحدة الأمريكية الفوري بإعلان إنشاء الكيان الصهيوني.

كما يمكن ملاحظة كيف أنه وكلما واجهت المنطقة العربية مشكلة سياسية مع الغرب تتكرر الدعوة لاستخدام النفط كسلاح استراتيجي. ربما نجاح هذه الآلية - كأحد أدوات إدارة العلاقات الدولية مع العالم الغربي- في عام 1973 هى السبب وراء تلك الدعوات المتكررة. لكن تطورات سوق الطاقة العالمي في العقود الثلاثة الماضية أكدت أن اللجوء لهذا البديل لم يعد ممكنا، وأن البديل الآن لدى الدول المنتجة هو "وطنية الطاقة"[8].

---

(8) خديجة عرفة محمد، "بين استخدام النفط كسلاح استراتيجي ووطنية الطاقة"، =

ولنبدأ أولا بالحديث عما يطلق عليه الأزمة النفطية الأولى، والتي ارتبطت بالتوقف المفاجئ في إمدادات النفط من الشرق الأوسط، وذلك بعد اجتماع وزراء البترول العرب في 17 أكتوبر 1973 لتتفق على تخفيض الإنتاج الكلى للبترول العربي بنسبة 5%، مع زيادة التخفيض بالنسبة ذاتها كل شهر وذلك حتى تنسحب إسرائيل إلى ما قبل خطوط يونيو 1967، كما قررت ست دول بترولية رفع سعرها بنسبة 70%، وقررت بعض الدول العربية حظر تصدير البترول كلية إلى أي دولة يثبت تأييدها لإسرائيل بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية.

ورغم أن تلك الأزمة لم تكن المرة الأولى التي يستخدم فيها النفط كسلاح استراتيجي- فتاريخ القرن العشرين ملئ بالاستخدام السياسي للنفط في إدارة العلاقات الدولية - إلا أن أزمة 1973 كانت الأكثر تأثيرا، ليس لكونها جاءت بالأساس من دول ليست غربية أو مهيمنة في النظام الدولي، أو حتى لكونها استمرت لتسعة أشهر، أو حتى لدورها في رفع أسعار النفط من 3 دولار للبرميل (1973) إلى 10-12 دولار للبرميل (1974)، أو حتى لدورها في إجبار الدول المستوردة للنفط العربي على دعم القضية الفلسطينية. لكن الأهم هو إصرار -ونجاح-الدول الغربية وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية على إلغاء أي إمكانية لاستخدام النفط كسلاح استراتيجي في المستقبل من خلال عدة استراتيجيات أهمها خلق تواجد لها في الدول الرئيسية المنتجة للنفط وخاصة الخليج.

وبالتالي فإنه إذا ما استثنينا جانباً أزمة تأميم المكسيك لنفطها عام 1938، وأزمة الدكتور مصدق في إيران عام 1951، اللتين جرى عزل أثارهما عن السياق العالمي لإمتدادات الطاقة -والنفط على وجه الخصوص-، الأولى بسبب انشغال العالم كله بإندلاع نيران الحرب العالمية الثانية في سبتمبر 1939، والثانية بسبب عزل وحصار حكومة

= تاريخ الاطلاع: 20/ 12/ 2014، على الرابط التالي:
http://minbaralhurriyya.org/index.php/archives/1254.

مصدق، ثم التآمر بتدبير انقلاب عسكري ضدها بقيادة الجنرال زاهدي عام 1953، وهنا نستطيع التأكيد أن تلك الأزمات الدولية أثرت على التفكير الاستراتيجي الغربي في التعامل مع قضايا النفط، لتأتي أزمة قناة السويس والعدوان الثلاثي على مصر في 1956 إلى الدفع بالدول الأوربية لوضع سياسات بعيدة المدى تستهدف[9]:

1. تكوين احتياطات كبيرة للمخزون النفطي داخل أوربا ذاتها.
2. توفير درجة أعلى من المرونة في وسائل نقل النفط عبر الطرق البديلة.
3. تنويع مصادر إمدادات النفط سواء من إفريقيا، أو عبر بحر الشمال وألاسكا وغيرها.
4. التشاور والتخطيط المتبادل عن طريق الحكومات الغربية والشركات الغربية الكبرى.

أما الاحتلال الأمريكي للعراق في 2003، فجاء ليؤكد على النزعة الغربية في السيطرة على مصادر الطاقة، وكذا حماية إمداداتها، و في هذا السياق تحتفظ الآن بقواعد عسكرية وتتحكم في طرق شحن النفط بدءاً من الخليج وانتهاء بالصين، ولن تشعر بالقلق تجاه التقدم الحاصل في الحركة الصناعية لكل من الصين والهند ما دامت تسيطر على حقول نفط الشرق الأوسط وتسيطر على إمدادات النفط لهذه الدول[10] ولهذا أعدت استراتيجية إمبريالية جديدة للسيطرة على المنطقة التي تتحكم في إمدادات الطاقة العالمية، لأن الإنتاج الأميركي بدأ رحلة التراجع في وقت مبكر، ويعود إلى عام 1970 حسب رأي الخبراء الجيولوجيين مثل كينغ هوبارد.

ففي عام 1992 أعد ولفويتز بتكليف من وزير الدفاع تشيني وثيقة

(9) عبد الخالق فاروق، احتلال العراق ومستقبل الطاقة والنفط، القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 2006، ص15.

(10) وكان احتلال منابع النفط العربية فكرة قديمة لهنري كيسنجر، كما أن الإدارة الأميركية ترى في نفط العراق مصدراً متاحاً لأنه الأقل تكلفة في الإنتاج على المستوى العالمي.

حول الاستراتيجية العسكرية الأميركية باسم دليل "التخطيط الدفاعي للسنوات 1994-1996"، رسم فيها صورة جديدة لعالم فيه قوة عظمى وحيدة، هدفها الرئيسي منع منافس جديد أو محتمل من القيام بأي دور إقليمي أو عالمي، ومنع أي قوة معادية من السيطرة على منطقة تملك من المصادر ما يكفي لتغذية ولادة قوة إقليمية، وتشمل هذه الأقاليم كلاً من أوروبا الغربية وشرق آسيا، ودول الاتحاد السوفياتي السابق وجنوب غرب آسيا.ويكشف بريجنسكي في كتابه "رقعة الشطرنج العظيمة " كيف أن المؤامرة الأمريكية للسيطرة على العالم تطلبت حدثاً بحجم ما حصل يوم 11 سبتمبر 2001.

وتأتي إيران وسوريا في المرحلة القادمة من الحرب على الإرهاب تحت شعار مبادرة الشرق الأوسط الكبير من أجل الديمقراطية وفرض الإصلاحات الاقتصادية، وتقوم بتنفيذها "القيادة المركزية USCENTCOM"، وهي واحدة من أربع ممالك عسكرية عالمية تم توزيع العالم عليها في المخطط الأميركي. وتضم هذه الممالك عشرين بلداً تتباين من النواحي السياسية والاقتصادية والثقافية والجغرافية، وتنتمي لقارات أوروبا وآسيا وأفريقيا، وتشكل مهداً للأديان الثلاثة . وهذه البلدان هي: "أفغانستان، البحرين، جيبوتي، مصر، إرتيريا، إثيوبيا، الأردن، إيران، العراق، كينيا، الكويت، عُمان، باكستان، قطر، السعودية، سيشيل، الصومال، السودان، الإمارات العربية المتحدة واليمن".

2 - انهيار أسعار النفط: دورة عادية أم لعبة دولية:

لأول مرة منذ أكثر من سنتين تنهار أسعار النفط إلى مستويات قياسية بلغت في نهاية سنة 2014 أقل من 60 دولار للبرميل، و هي سابقة يعتبرها الخبراء غير طبيعية، لكونها لم تعد متصلة فقط بتطورات السوق النفطية فحسب، بل في وجود عوامل عدة تلعب دورا حاسما في مثل تلك التقلبات والتحولات.

تشير تقديرات وتوقعات الوكالة الدولية للطاقة لحجم الطلب العالمي والتي جرى لأول مرة مراجعتها لأكثر من ثلاث (03) مرات في سنة 2014، إلى أن الطلب العالمي بلغ حوالي 680 ألف برميل يوميا وهو أدنى مستوى استهلاك منذ حوالي خمس (05) سنوات، ليقدر في حدود 92,4 مليون برميل يوميا مقابل فائض في العرض المقدر بأكثر من 93 مليون برميل يوميا. كما ترتقب الوكالة أن تكون زيادة الإستهلاك أو الطلب العالمي في 2015 بحوالى 1,1 مليون برميل يوميا ليقدر بحوالي 93,5 مليون برميل يوميا، مع بقاء العرض أكبر من الطلب، حيث يقدر بحوالي 93,8 إلى 945 مليون برميل يوميا[11].و الشكل التالي يبين الطلب العالمي على النفط خلال سنة 2014 وتوقعات سنة 2015[12]:

Graph 2: World oil demand and non-OPEC supply growth, y-o-y

—World oil demand —Non-OPEC supply

E = estimate and F = forecast.
Source: OPEC.

ربما يظل عامل التجاذب القائم بين أكبر الفاعلين في سوق النفط عاملا مؤثرا في أسعار النفط، لكن في الوقت نفسه هناك عوامل أخرى، أولها وجود حديث عن إتفاق ضمني بين الولايات المتحدة الأمريكية والسعودية، حيث تم الحديث عن كون الأخيرة بدأت تفقد تدريجيا حصصا

(11) حفيظ صواليلي، لهذه الأسباب تنهار أسعار البترول، الخبر30، نوفمبر 2014.
(12) OPEC Monthly Oil Market Report, December 2014, P.03.

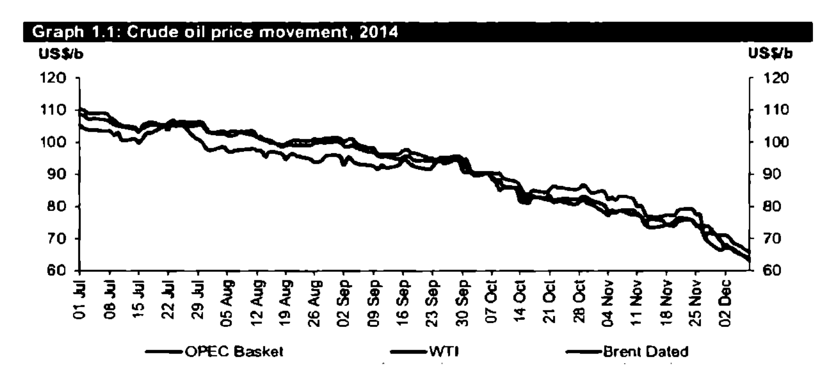
هامة في السوق النفطية، خاصة إذا ما أخذنا بعين الاعتبار تطوير الولايات المتحدة الامريكية للنفط الصخري بلغ إنتاجه حاليا بها حوالى 8,5 مليون برميل يوميا، ويرتقب ان يصل إلى حدود 9,6 مليون برميل يوميا خلال سنة 2015. ومضمون هذا الإتفاق ذو الخلفية السياسية، وهو قريب جدا من سيناريو سنة 1986 وقبله، ويضمن تقاطع مصالح الرياض وواشنطن، تعمل أسعار النفط المتدنية على معاقبة كل من روسيا، الصين واستنزافهما إقتصاديا، إلى جانب إيران المنافس الأول للمملكة العربية السعودية في المنطقة. ولعل ما يعزز من هذا الموقف هو مسارعة الأخيرة إلى مراجعة معدلات النفط المعتمدة في ميزانيتها، تم مراعاة سعر برميل يتراوح ما بين 70 و80 دولار للبرميل، إلى جانب رفضها أي دعوة لإجتماع منظمة " الأوبك" قبل موعدها، ورفضها تحمل أعباء الإنخفاض كونها الدولة الوحيدة التي تمتلك قدرات إنتاجية عالية[13].

أما العامل الثاني فيتمثل في عدم الإنضباط، خاصة مع إلغاء نظام الحصص وعدم تجاوز سقف الإنتاج من خلال تجاوز إنتاج عدد من الدول على غرار السعودية التي كانت تعوض نقص إمدادات كل من إيران وليبيا ونيجيريا.و يذهب العامل الثالث إلى التأكيد على أن المعادلة الجديدة للنفط لم تعد تحمل فاعلا واحدا فقط وإنما شهدت صعود فواعل جيدة وبمتغيرات متعددة، أبرزها أن موازين القوى القائمة داخل منظمة الأوبك لم نعد تسمح لدول من شاكلة الجزائر، فنزويلا وغيرها من التأثير على قرارات المنظمة على الرغم من كونها من أكبر المتضررين من انخفاض

---

(13) سبق وأن نشر المعلق الأمريكي جاك أندرسن Kack Anderson في صحيفة واشنطن بوست، في العاشر من نوفمبر 1974 أن شركة النفط الأمريكية الاحتكارية أرامكو ARAMCO التي تستغل النفط السعودي هي التي شجعت النظام السعودي على زيادة أسعار النفط الخام. وصرح أن هناك وثائق سرية تابعة للشركة الأمريكية سبق له الاطلاع عليها، وأنه نتيجة لدراسة قامت بها الشركة اتضح أن زيادة أسعار النفط الخام تزيد من دخل الشركة أرباحها. لهذا لجأت هذه الشركات إلى تنقيص الوقود داخل الولايات المتحدة الأمريكية، وأوروبا الغربية واليابان. وهذا سعياً وراء رفع الأسعار وزيادة الفوائد.

الأسعار[14]. والشكل التالي يبين حركة تطور أسعار النفط خلال سنة 2014[15]:



كما يظل ارتفاع صرف عملة الدولار الأمريكي مقابل الأورو الأوربي والجنيه الإسترليني وحتى الين الياباني، عاملا مساهما كذلك في تدني أسعار النفط بصورة أكبر في منطقة الدولار، حيث إن استغلال الغاز الصخري في الولايات المتحدة الأمريكية يتطلب تفادي الرفع من نسب الفوائد، فضلا عن كون إقتصادها يتميز بالتنوع، وهو ما يضمن لها هامشا اكبر عكس دولة مثل روسيا التي تخسر معدلا يقارب 100 مليار دولار جراء إنهيار الأسعار والحصار الإقتصادي.أما بالنسبة للجزائر فإن انتاج النفط يعجز عن تغطية إحتياجات الحكومة، فحسب بيانات وزارة المالية فإن تقديرات الإغلاق لسنة 2014 تشير إلى إرتفاع مستوى الواردات إلى حوالي 60 مليار دولار مقابل صادرات إجمالية لا تتعدى 66 مليار دولار، أي أنها أنفقت 69 مليار دولار على وارداتها مقابل ريع نفطي بحوالي 66 ملياردولار، حتى في حالة الوصول إلى تسجيل ارتفاع في قيمة الصادرات

(14) قامت الجزائر بالدعوة لعقد قمة البترول والغاز لدول شمال إفريقيا في 7 ديسمبر 2014 والتي جاءت للتعامل مع النتائج المخيبة لاجتماع منظمة الأوبك وتواصل انهيارأسعار النفط إلى مستويات متدنية، للمزيد انظر في: سمية يوسفي، "بعد عجزها عن التأثير على أعضاء منظمة الأوبك الجزائر تتوقع عودة ارتفاع أسعار البترول"، الخبر، 8 ديسمبر 2014.

(15) Ibid, P.05.

خارج قطاع المحروقات بمعدل 35 % فإنه يبقى رقما ضعيفا دون المستوى المرتقب[16].

كل تلك العوامل المشار إليها تلعب دورا هاما في حركة صعود وانهيار أسعار النفط، ويظل الرابح الوحيد والاكبر من وراء كل تلك الدورة التي تكون في بعض الأحيان عادية وأحيانا كثيرة متعمدة هي الشركات النفطية الكبرى والدول المالكة لها.

(16) سمية يوسفي، "إنتاج النفط يعجز عن تغطية احتياجات الحكومة الجزائرية"، الخبر، 15 ديسمبر 2014.

ثالثاً: الإرهاب... بين العنف المتعمد والموجه: رمد الاستخبارات الغربية

■ أ. رابح زاوي

حقا عقيدتا الحرب متضادتان، تأملوا معي ما يلي: ما تأمر به العقيدة الإسلامية، وبالأدق الأمر القرآني بالحرب، يقول المولى عز وجل في القرآن الكريم: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ﴾[1].

أما في العقيدة المسيحية، فالأمر التوراتي جاء على السياق التالي: "وإذا دفعها الرب الهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل مافي المدينة، كل غنيمتها، فتغنمها لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك. هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا. وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما"[2].

من الطبيعي جدا و إلى حد كبير أن تنظيم القاعدة لم يكن ليصل إلى ما وصل إليه بنفسه ودون معونة أحد، بل كان لهذا التنظيم حلفاء وتمتع بمساعدة قوية من مصادر غير محتملة ليس أقلها الولايات المتحدة

(1) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآيات 190-191.

(2) الإنجيل، سفر التثنية 20، 13-16.

الأمريكية.بل كذلك لكونه مشبع بإفتراضها المعتاد الخاص بالصلاح الأخلاقي الخاص القابل للتصدير عالميا، وبهذا مهدت الولايات المتحدة الأمريكية الطريق بسرعة للقاعدة كي تنتشر في أرجاء العالم الإسلامي وخارجه.

تصاعد الأحداث بدأ تدريجيا في الجبال والصحاري جنوب وسط آسيا في أواخر سبعينات القرن العشرين، وكانت الدولة الهدف أفغانستان، حيث وفي عام 1978 سقطت في أيدي الحكم الشيوعي عندما أطاح انقلاب عسكري بمحمد داود وعين بدله محمد تراكي، وهذا الأخير أطيح به وقتل على يد اشتراكي آخر وهو حفيظ الله أمين، الذي قيل إن وكالة الاستخبارات الأمريكية تدعمه.و مع الدخول السوفياتي لأفغانستان في 1979 كانت وكالة الاستخبارات الامريكية أول من شجّع وسلّح المقاتلين الراغبين في الإنضمام إلى القوى المقاومة للاحتلال[3].

لقد كان جهاز الاستخبارات التابع لأحد أبرز حلفاء الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب على الإرهاب - برئاسة الأمير تركي الفيصل، الذي أصبح فيما بعد السفير السعودي في الولايات المتحدة الامريكية - هو الوسيط. وكان يتردد على نطاق واسع أن الأمير تركي موّل ارسال العديد من المجاهدين، كي يتدربوا على التكتيكات الإرهابية ويتلقوا توليفة قتالية من الإيديولوجيا السياسية المتشددة بواسطة حليف أمريكي آخر، هو باكستان - وكانوا بعد ذلك يزوّدون بالمعدات ويرسلون إلى أفغانستان لمحاربة الغزاة الروس- وكل ذلك تحت إشراف مدير وكالة الاستخبارات المركزية في تلك الفترة وليام كيسي William Casey[4].

من الناحية العينية شارك في الحرب السوفياتية ما بين 250 ألف و300 ألف متطوع مسلم، كان من بينهم 35 ألف إسلاميون متشددون

---

(3) جين وهيك، عندما تتصادم العوالم، ترجمة: أحمد محمود، أبوظبي: كلمة، 2010، ص140.

(4) المرجع نفسه، ص143.

وحوالي 25 ألف "عرب أفغان" وهي فرقة متعددة الجنسيات من ثلاثة وأربعين بلدا مختلفا، و لعل وصف مدير المكتب الأفغاني لجهاز الاستخبارات الباكستانية البريجادير محمد يوسف هو أفضل ما يمكن أن يعبّر عن تلك العملية، حيث يقول:

"كانت مهمة وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية في أفغانستان هي شراء الأسلحة والمعدات ونقلها إلى باكستان، وتوفير الأموال لشراء المركبات والنقل داخل باكستان وأفغانستان، وتدريب المعلمين الباكستانيين على انظمة الأسلحة والمعدات الجديدة، وتوفير خرائط الأقمار الصناعية والصور الفوتوغرافية من اجل التخطيط العملياتي، وتوفير كل معدات اللاسلكي والتدريب، وتقديم المشورة بشأن الأمور التقنية عند طلبها. وكان التخطيط كله الخاص بالحرب، وكل أنواع تدريب المجاهدين، وتخصيص الأسلحة والإمدادات وتوزيعها مسؤولية جهاز الاستخبارات الباكستاني وحده"[(5)].

بالنسبة للمملكة العربية السعودية، وفي ظل الغزو الروسي لأفغانستان الذي أتى بعد حوالي ثلاثة أسابيع فقط من انتفاضة الحرم المكي، كان توقيت هذه القضية الجهادية ملائما إلى حد كبير لتشتيت انتباه دعمهم السياسي الأصولي، والواقع أنه دعما لهذه الأنشطة أصدر مفتي المملكة العربية السعودية فتوى محتواها أن الجهاد في أفغانستان يعتبر "فرض كفاية".

وحتى الولايات المتحدة الأمريكية ظلت لفترة طويلة تنظر إلى الوهابية كحليف مهم في اللعبة الكبرى التي تخوضها ضد القطب الشيوعي، ومن أجل تعزيز الدعم السعودي لجأت الولايات المتحدة الأمريكية إلى خطوة هامة تمثلت في تجنيد طالب سعودي ثري تربطه صلات بالعائلة الملكية،

---

(5) المرجع نفسه، ص147.

هو أسامة بن لادن، من أجل تمويل التمرد في أفغانستان والإشراف عليه[6].

حتى أسامة بن لادن وفي مقابلة معه، صرّح قائلا: "لمواجهة الروس الكفار، اختارني السعوديون ممثلا لهم في أفغانستان... وبذلك استقريت في أفغانستان في منطقة الحدود الأفغانية. وهناك استقبلت المتطوعين الذين جاءوا من المملكة العربية السعودية ومن كل أنحاء العالمين العربي والإسلامي. وبعد ذلك أقمت أول معسكراتي حيث كان يدرب هؤلاء المتطوعين ضباط باكستانيون وأمريكيون، وكانت الأسلحة يوفرها الأمريكيون، بينما يوفر السعوديون المال"[7].

وجعل هذا التعاون من الولايات المتحدة، فيما بعد، متهما أول بإطلاق شيطان الجهاد الإسلامي المسلح، إلا أن كثيرا من السياسيين الأمريكيين رأوا في التعاون فكرة عبقرية لا يقلل منها وجود آثار جانبية مثل ميلاد تنظيم القاعدة، وهو ما عبّر عنه بريجنسكي، مستشار الرئيس الأمريكي كارتر لشؤون الأمن القومي، ذات مرة لصحيفة «نوفيل أوبسارفتور»، التي سألته: «هل تشعر بالندم على رعاية الجماعات الإسلامية أثناء حرب أفغانستان؟»، فأجاب: كيف أندم على فكرة ممتازة؟! وما أهمية مقارنة «طالبان» بـ«سقوط إمبراطورية الاتحاد السوفياتي»؟! وما أهمية وجود بعض المسلمين الغاضبين مقارنة بتحرير وسط أوروبا وإنهاء الحرب الباردة؟!

وإذا كان تحالف الإسلاميين ووكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية في أفغانستان قصة معروفة، فما لا يعرفه كثيرون أن بريطانيا والولايات

---

(6) 1 للمزيد من التوضيح حول الموارد المالية والقواعد الجيو-مصرفية لمعسكرات لقتال للأفغان العرب / لواء ابن لادن، انظر في: نسيم بلهول، العقيدة السلفية القتالية الجهادية من الجهاد السلفي الإقليمي إلى الأممية السلفية الجهادية، الجزائر: ابن النديم للنشر والتوزيع، بيروت: دار الروافد الثقافية ناشرون، 2013، ص47.

(7) جين وهيك، عندما تتصادم العوالم، المرجع السابق، ص149.

المتحدة هما من سهلا لاحقا إيفاد كثير من هؤلاء المجاهدين للمشاركة في حروب البلقان وجمهوريات الاتحاد السوفياتي السابق في آسيا الوسطى، والمناطق الإسلامية في الصين، بدعم سخي من حليفهم الغني السعودية، التي كانت أيضاً الممول الرئيس لحرب إدارة «ريجان» السرية لدعم المجالس العسكرية القمعية في أمريكا اللاتينية، مقابل أن تغض أمريكا الطرف عن جهودها في نشر المذهب الوهابي الذى تعتبره المملكة أحد أسلحتها لمواجهة دعوات الإصلاح وتداول السلطة في الداخل.

وفي كتابه «لعبة الشيطان... كيف أطلقت أمريكا الأصولية الإسلامية»، الصادر عام 2006، يتحدث مؤلفه روبرت دريفوس، عن وجود فصل غير مكتوب في تاريخ الحرب الباردة، يتناول خطة الولايات المتحدة الأمريكية المجهولة لدعم وتمويل -سرا وأحيانا علنا- الإسلاميين المتشددين، هذه الخطة المجهولة، التي نفذت على مدار ستة عقود، مسؤولة جزئيا عن ظهور الإرهاب الإسلامي كظاهرة في جميع أنحاء العالم، بل إن الامبراطورية الأمريكية في الشرق مصمّمة وتقوم على عدة دعائم إحداها الإسلام السياسي.

ويضيف «دريفوس» أن الولايات المتحدة أنفقت عقودا في رعاية الإسلاميين ودعمهم، والتلاعب بهم وخداعهم، باستخدامهم كحلفاء لها في الحرب الباردة، لكن السحر انقلب على الساحر بعد أن تحول هؤلاء الأئمة والملالي والدعاة لوحوش، ليس فقط ضدّ الولايات المتحدة، بل ضدّ حرية الفكر والعلوم الإنسانية القومية واليسار وحقوق المرأة. بعضهم إرهابيون، لكن أكثرهم متعصبون لأفكار تعود للقرون الوسطى ويتمنون العودة للقرن السابع الميلادي.

ويبرّر روبرت مالي، مستشار سابق للرئيس الأمريكى للشئون العربية الإسرائيلية بين أعوام 1998 و2001، هذا التحالف في دراسة له بعنوان «ليست ثورة »، بأن «الإسلاميين جاهزون دائما بصفقة يرونها مُرضية للغرب: المساعدات الاقتصادية والدعم السياسي من الغرب، مقابل عدم

تهديد ما يعتقدون أنها مصالح غربية أساسية، أي الاستقرار الإقليمي، والحفاظ على السلام مع إسرائيل، ومكافحة الإرهاب، وتدفق الطاقة، وعدم شن أي حروب تجارية، والمواجهة مع الدولة اليهودية يمكن أن تنتظر، ففي مخططات الإسلاميين لا وجود لدولة يهودية لكن مشكلة إسرائيل ستظل دائما آخر قرار يتخذه الإسلاميون، بل يمكن ألا يتخذه أحد أبدا»[8].

مسألة الدعم اللامحدود للجماعات الإرهابية لا يتوقف في كثير من الأحيان عند الدول الغربية التي تبقى هي الأخرى في دائرة الإتهام، ولكن حتى بعض الدول العربية تقوم بدعم مثل تلك الأنشطة وتوجيهها في كثير من الأحيان، حيث كتب باتريك كوكبيرن في صحيفة الإندبندنت البريطانية تحت عنوان "أصدقاؤنا السعوديون يمولون القتل الجماعي في الشرق الأوسط!!"، تناول لعب السعوديون لدور أساسي في تأسيس جماعات تكفيرية وفي الحفاظ عليها لأكثر من ثلاثين سنة، كما أشار إلى أن السعودية دربت جيشاً من السنّة يبلغ تعداده من 40 إلى 50 ألف مقاتل لمواجهة الشيعة في المنطقة، ويشير الكاتب نفسه إلى أن الأميركيين قاوموا بشدة فرض ضغوط على السعوديين لوقف تمويل التكفيريين لأن هدف الغالبية العظمى من التكفيريين هو الطائفة الشيعية وليس الولايات المتحدة[9].

حتى برنارد سكاوارسيني الرئيس السابق للإدارة المركزية للاستخبارات الفرنسية الداخلية في كتابه الحامل لعنوان "الاستخبارات الفرنسية: الرهانات الجديدة"، أشار فيه وبتحليل مستفيض إلى الأدوار

---

(8) سيد جبيل، "دراسات غربية: الإخوان والسلفيون لعبة المخابرات الغربية"، تاريخ الاطلاع: 15/ 10/ 2014، على الرابط التالي:
http://www.elwatannews.com/news/details/125714.

(9) مصطفى الحسيني، "رؤساء استخبارات غربيين سابقين يكشفون الدعم والتمويل السعودي للإرهاب في سوريا ودول المنطقة"، تاريخ الاطلاع: 20/ 11/ 2014، على الرابط التالي:
http://www.qanon302.net/news/2013/12/31/8417.

السعودية والقطرية، حيث يتولى بندر بن سلطان رئيس جهاز المخابرات السعودي عملية دعم الجماعات التكفيرية، في قوس الأزمات الممتد من أفغانستان فالمتوسط السوري اللبناني، مصر، شمال أفريقيا. فدولة قطر الشريك التجاري والسياسي الكبير لفرنسا متهمة بتمويل إذا لم نقل بتسليح الجماعات المقاتلة في إفريقيا، ضدّ الجيش الفرنسي، وهي تستخدم الجمعيات غير الحكومية، لإخفاء وتمرير الدعم اللوجستيكي وتجنيد وتدريب الجماعات التكفيرية[10]. حتى إيف بوني الرئيس السابق لنفس المخابرات أشار إلى نفس الدور لكل من قطر والسعودية في عملية تمويل التكفيريين في كل من سوريا والجزائر وتونس وحتى مالي.

وكان ساسة بريطانيا يعتبرون الإسلاميين مفيدين من خمسة أوجه، أولها تقويض العلمانية والتيارات القومية فى العالم العربي وجنوب آسيا، وثانيها استخدامهم كـ«قوات صاعقة» لزعزعة استقرار الحكومات المناوئة، وثالثها العمل عند الضرورة كقوات عسكرية لخوض حروب نيابة عنها كما حدث في إندونيسيا في الخمسينات، وأفغانستان في الثمانينات، ورابعها استخدامهم كـ«أدوت سياسية » لإحداث التغييرات من جانب الحكومات المستهدفة، مثل إيران، ضد محمد مصدق عام 1953، وخامسها تقويض النظم القومية والعلمانية ودعم الأنظمة الموالية للغرب، خصوصا في السعودية وباكستان.

كما لا يمكن بأي حال من الأحوال عدم الإشارة إلى أحدث التنظيمات الإرهابية الموجودة حاليا، والمقصود هنا "تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام" أو ما يعرف إعلاميا بـ"داعش" كاختصار للتسمية السابقة، فهذا التنظيم الذي نما مثل الفطر بعد يوم ممطر، حيث لم يمضي على بروزه كقوة مهددة للاستقرار في منطقة الشرق الأوسط سوى

---

(10) "رئيس استخبارات فرنسا السابق يفضح دعم قطر والسعودية للإرهاب"، تاريخ الاطلاع: 09/ 11/ 2014، على الرابط التالي: http://www.alalam.ir/news/1542947.

أشهر معدودة حتى لا نقول سنوات، ومما يثير الإنتباه أكثر هو القدرة التنظيمية والجاهزية القتالية لعناصره، وكذا القدرات اللوجيستيكية التي يحوزها والتي سمحت له بالإتساع والتمدد في المنطقة، مما دفع بالمجتمع الدولي إلى التحرك والعمل على ما أطلق عليه تسمية "التحالف الدولي" من اجل مجابهته والتصدي له.

الشيء الملاحظ وانطلاقا من تقارير رسمية للإدارة الأمريكية أن أمير تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام "داعش"، أبو بكر البغدادي، قد سبق اعتقاله من قبل القوات الأمريكية، في وقت سابق من عام 2004 وكان يمكث في سجن معسكر "بوكا"، ولكن تم الإفراج عنه في وقت لاحق من عام 2009 في ظل إدارة الرئيس الأمريكي باراك أوباما.

ومما يؤكد هذا التوجه هو تصريحات الموظف السابق في وكالة الأمن القومي الأمريكية إدواردسنودن، من أن وكالة الاستخبارات الأمريكية وبالتعاون مع نظيرتيها البريطانية ومعهد الاستخبارات والمهمات الخاصة للموساد الإسرائيلي مهدت لظهور تنظيم دولة العراق والشام المعروفة بـ"داعش"، حيث أكد على تعاون أجهزة الاستخبارات الثلاث على إيحاد تنظيم إرهابي قادر على استقطاب المتطرفين من جميع أنحاء العالم في مكان واحد، في عملية يرمز لها بعش الدبابير وهي خطة بريطانية قديمة لحماية إسرائيل، تقضي بإنشاء تنظيم شعاراته إسلامية يتكون من مجموعة من الأحكام المتطرفة التي ترفض أي فكر آخر أو منافس له[11].

لكن ألا ينبغي لنا هنا التساؤل: هل نحن هنا أمام تراخي / غض

(11) " تقرير استخباراتي روسي يكشف علاقة امير تنظيم داعش بالموساد والمخابرات الامريكية"، نقلا عن موقع جريدة الشروق التونسية، تاريخ الاطلاع: 20/ 09/ 2014، على الرابط التالي: http://www.alchourouk.com/60833/566/1/.html.

كما كشفت تسريبات عن موقع "ذي إنترسيبت" "أن البغدادي خضع لدورة مكثفة استمرت عام كامل خضع فيها لتدريب عسكري على أيدي عناصر في الموساد بالإضافة لتلقيه دورات في فن الخطابة ودروس في علم اللاهوت".

النظر عن تنامي هذا التنظيم أم عن مساعدة ودعم الاستخبارات الغربية وعلى رأسها الأمريكية؟

تشير بعض المعطيات المتوفرة عن أن الاستخبارات الأمريكية كانت تمتلك منذ يونيو/حزيران 2014 معلومات بالغة الدقة عن تنظيم "الدولة الإسلامية" وشبكات القاعدة في سوريا والعراق، ولكنها لم تقدمها للبيت الأبيض اعتقادا منها بأن الرئيس باراك أوباما لا يرغب بشن عمليات عسكرية لمواجهتها. لكن الواضح أن هناك شبه إجماع لدى الغرب على أن استمرار العمليات العسكرية في المنطقة يبقى على نقاط التقاطع الحاصلة على مستوى السياسة الخارجية لكل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، إلى جانب كل من السعودية وقطر وغيرهما، فالأهداف التي يتعقبها تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام تتوافق مع توجهات السياسة الخارجية للدولتين، وهو ما يقودنا للتساؤل عن العلاقة الموجودة بين اتساع منطقة عمليات التنظيم الإرهابي "داعش" وضرب استقرار دول بعينها على غرار الحالة السورية.

كما لا يمكن تجاهل الدور الذي يقوم به الإعلام الغربي في كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وغيرهما، من التركيز على تصوير بعض الأنظمة العربية في المنطقة على غرار النظام السوري في صورة النظام الديكتاتوري المضطهد لشعبه، وكيف أن عناصر ما يطلق عليه "الجيش الحر" المتكون من عناصر مدنية تسعى للإطاحة بالنظام القائم والتأسيس لدولة ديمقراطية وغيرها من الشعارات المتبناة.

في المقابل يمكن ملاحظة كيف أنه في الحالة السورية نادراً ما تتشابك قوات الجيش النظامي السوري مع عناصر «الدولة الإسلامية في العراق والشام»، وتفضل بدلاً من ذلك التصدي للفصائل الأكثر اعتدالاً. وفي الواقع، لم يتمكّن النظام السوري من الانتقال إلى موقع الهجوم في غرب سوريا إلا بمساعدة كل من «حزب الله» اللبناني والميليشيات الشيعية العراقية، و«قوة القدس» الإيرانية. وعندما يتوقّف دعم الجماعات الأخيرة

للنظام، قد تتغير المعادلة الموجودة، حيث وعلى سبيل المثال، عندما تمّ استدعاء عناصر الميليشيات الشيعية العراقية مؤخراً من الحدود اللبنانية السورية لمحاربة «داعش» في العراق، عاودت قوى المعارضة السورية الظهور بسرعة، واستعادت السيطرة على جزء من المنطقة، واستمرت في شنّ هجمات الكرّ والفرّ ضدّ النظام[12]. وبعبارة أخرى، يمكن القول أن كل من النظام السوري وقوى المعارضة يقفان حالياً أمام طريق مسدود، وفي حالة عدم إيجاد الغرب (الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا) وحتى حلفائهم من الأنظمة العربية تكتيكاً جديداً، فإن الصراع مرشح للاستمرار لفترة أطول.

ربما قد يبدو دعم الجماعات المعتدلة في الجنوب السوري من قبل الاستخبارات الغربية أحد تلك التكتيكات المطروحة، وهو ما يفسّر إلى حد ما عدم استوطان تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" في تلك المنطقة، كما يشكّل سكان سوريا الأكراد في شمال شرق البلاد حصناً بوجه التنظيم نفسه وغيره من الجماعات المماثلة. حيث سبق وأن تَوحّد الأكراد منذ عامين تحت راية "الهيئة الكردية العليا"[13]. وتضم هذه الجماعة الحزب الراديكالي "الاتحاد الديمقراطي السوري"، الذي هو الفرع السوري لـ"حزب العمال الكردستاني"، والمجموعة الأكثر اعتدالاً "المجلس الوطني الكردستاني"، وهو تحالف يضم 15 حزباً كردياً. وعلى الرغم من التوترات بين أعضائه، تمكّن التحالف من محاربة الجهاديين على مدى غالبية العامين الماضيين. ومثلهم مثل نظرائهم العرب، ينتظم الأكراد أيضاً في اتحادات قبلية واسعة تمتد عبر الحدود إلى العراق وتركيا.

من خلال العناصر السابقة والتي تم فيها التعرض لثنائية النفط

---

(12) أندرو جيه. تابلر، " ضمان السيطرة على الشام "، دراسة سبق نشرها في مجلة السياسة الخارجية، تاريخ الاطلاع: 20/ 10/ 2014، على الرابط التالي:
http://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/securing-al-sham.

(13) المرجع نفسه.

والإرهاب، يتضح لنا وبشكل جلي الدور الغربي في جعل منطقة الشرق الأوسط منطقة يمتزج فيها النفط الأسود بالدم الأحمر، وكيف تشكل الاستخبارات الغربية وقدرتها على التغلغل في التنظيمات الراديكالية - الإرهابية تارة وخلقها تارة أخرى، إلى جانب المساهمة في جاهزيتها التكتيكية وزيادة قدرتها اللوجيستكية.

كان ومازال النفط على الرغم من السعي الغربي الدائم لمحاولة الترويج لبدائل أخرى على غرار الغاز الصخري، عصب الحياة الصناعية، وما المحاولة الدائمة والدؤوبة من طرف الشركات الغربية الكبرى السيطرة على منابع النفط، وتأمين خطوط وأنابيب نقل الطاقة سوى دليل على أن النفط كان ومازال صناعة غربية بإمتياز، مصدرا للثروة والصناعة وكذا منبعا للتوتر والأزمات.

أما فيما يتعلق بصعود التنظيمات الإرهابية وعلى رأسها تنظيم القاعدة وتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام، وجبهة النصرة، وغيرها، فإن الاستخبارات الغربية تلعب دورا حاسما في دعمها والسماح لها بالتمدد والإنتشار طالما أن أهدافها تتقاطع إلى حد كبير مع عمل تلك التنظيمات.

رابعاً: إرهاب من أجل الإحتواء...
مرتزقة باسم المقدس

■ أ. رابح زاوي

ليست المرة الأولى التي تعرب فيها الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية من مخاوفها ازاء تزايد أعداد المقاتلين الأجانب في صفوف التنظيمات الإرهابية وعلى رأسها "تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام" وغيرها من التنظيمات المتطرفة في الشرق الأوسط. لكن مصرع المواطن الأمريكي دوغلاس أرثر ماكين في سوريا حينما كان يقاتل في صفوف "داعش"، أثار مخاوف الغرب من هاجس عودة هؤلاء المقاتلين إلى الديار على اعتبار أنهم يشكلون قنابل موقوتة قابلة للانفجار في أي لحظة.

فكلما ارتفع عدد المقاتلين الأجانب المنخرطين في القتال الدائر في سوريا والعراق، وزادت محاولات إلتحاق المزيد بهم كلما تعاظم قلق الغرب من عودتهم، وهو الذي يحاول حاليا بكل الوسائل منع التحاق مواطنيه بتلك التنظيمات.

هنا يبرز لنا سؤالان جوهريان:

الأول: ما الذي يدفع بهؤلاء المقاتلين الأجانب على اختلاف جنسياتهم ومعتقداتهم إلى الإلتحاق بتلك التنظيمات المتطرفة والمشاركة في جبهات قتال متعددة؟

الثاني: في حالة إذا ما صدقنا بعلم الاستخبارات الغربية بوجود مواطنيها في تلك التنظيمات وتزايد أعدادهم ألا يشكل هذا تناقضا مع التحرك العلني والمروج له والهادف إلى محاولة الحد من انتشار تلك التنظيمات؟ أم أنه عندما يتعلق الأمر بالمصالح الغربية فإن كل الوسائل تبقى متاحة بما فيها دعم ما يمكن أن نطلق عليهم تسمية "مرتزقة من أجل المقدس"؟

ما بين عملية توجيه وتنظيم التحاق المقاتلين الأجانب بالتنظيمات الجهادية في منطقة الشرق الأوسط، وما بين تعدد جنسياهم وتوجهاتهم العقائدية، وكذا تعدد الأسباب التي تجعلهم يغادرون أوطانهم من أجل الدفاع عن قضايا يصعب في كثير من الأحيان تعزيز المواقف المؤيدة لتواجدهم في مثل تلك التنظيمات، نجد أنفسنا مجبرين على الغوص أكثر في جوانب الموضوع من أجل محاولة الوصول إلى تفسير مقبول يرضي شغفنا وفضولنا المتنامي حول الموضوع.

1 - أفغانستان: الأفغان العرب والتأسيس للأممية السلفية الجهادية

شكلت أفغانستان في فترة الاحتلال السوفياتي سابقا في 1979، نقطة مرجعية في التأسيس لمفهوم الجهاد الأممي العابر للأوطان، صحيح أن تسمية " الأفغان العرب" قد لازمت الكثير من التحليلات التي تتناول ظاهرة العائدين من الجهاد في أفغانستان، فالأمر لم يقتصر فقط على مجموع شباب مسلم جاء من كل فج عميق لتلبية نداء الجهاد في أفغانستان، وإنما كذلك مسألة الرعاية الخاصة والإمتيازات التي لطالما تمتعوا بها من طرف بعض الدول والحكومات، العربية والغربية. شباب ذهب للجهاد فحمل تسمية "المجاهد" و"المرابط"، ولكن في العودة كلام آخر، حيث أصبحوا مجرّد "أفغان عرب". كانوا في حرب ضد الشيوعية، وأصبحوا في حرب ضدّ الإسلام، عايشوا بلا وعي ما سمي لاحقا "نهاية

التـاريـخ" وهـاهـم يـفـجـرون بـلا وعـي أيـضـا مـا قـد سـمـي "صـراع الحضارات"[1].

إن الحديث عن الهوية الجيو - عسكرية للمقاتلين الأفغان العرب، هو حديث عن فعل يتميز بالحركية والنشاط المستمر، انطلاقا من أفغانستان وصولا إلى البوسنة التي شكلت محطة هامة في التأسيس للجهاد العالمي.و عليه فهويتهم تلك تنبثق من مسألة الإغاثة ونصرة الإخوة المسلمين في أي منطقة يستطيعون الوصول إليها، وبهذا فهم يشكلون قوة ذات تأثير في الأزمات والصراعات التي قد يكون المسلمون أحد أطرافها مثلما يشير إلى ذلك علاء طاهر[2].

من الضروري الإشارة إلى الملامح والعناصر الأساسية للتربية القتالية للأفغان العرب، حتى نقوم فيما بعد بمقارنتها بتلك الموجودة حاليا لدى "تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام" وكذا "تنظيم القاعدة"، حيث هي كالتالي[3]:

1. تعتبر الحكومات القائمة في جميع بلدان العالم العربي والإسلامي أنظمة كافرة وغير شرعية، توالي أعداء الإسلام من اليهود والنصارى، وتعادي شريعة الإسلام والذين يدعون إلى تطبيقها.
2. يعد القتال هو الوسيلة الأساسية لتغيير هؤلاء الحكام والحكومات، وهو فرض عين على جميع المسلمين حتى يتم تغييرهم.
3. يجب رفض التعامل مع مؤسسات الدولة، مثل دخول البرلمان، أو إقامة أحزاب سياسية، لأن في ذلك تدعيم لدولة الكفر.

---

(1) نسيم بلهول، العقيدة السلفية القتالية الجهادية من الجهاد السلفي الإقليمي إلى الأممية السلفية الجهادية، الجزائر: ابن النديم للنشر والتوزيع، بيروت: دار الروافد الثقافية ناشرون، 2013، ص9.

(2) علاء طاهر، العالم الإسلامي في الاستراتيجيات العالمية المعاصرة، ط.1، باريس: مركز الدراسات العربي-الأوربي، 1998، ص32.

(3) نسيم بلهول، المرجع السابق، ص63-66.

4. الإيمان لدى بعض الفصائل بالإنقلاب العسكري للإستيلاء على السلطة.
5. مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قضية محورية في تربية الأفغان العرب.
6. الإختلاف في تحديد العدو الرئيسي لدى فصائل الأفغان العرب، ففيما تراه بعض الفصائل في الأنظمة الحاكمة، تراه فصائل أخرى في اليهود والنصارى، فيما يراه طرف ثالث في أية منطقة يتم فيها عملية محاربة المسلمين أو الأقليات المسلمة.
7. يرفض الأفغان العرب الوطنية والقومية باعتبارهما روابط أرضية جاهلية، وأنه لا جنسية للمسلمين إلا في عقيدتهم.

هذه العناصر هي على سبيل الذكر لا الحصر، وغيرها كثير، والملاحظ هو أن هذه الأفكار تكاد تكون مشابهة لتلك التي تقوم عليها بعض الحركات الإسلامية المسلحة، وهو أمر طبيعي لأنهم امتداد لتلك الحركات.

تعامل الأفغان العرب مع الوضع في العالم العربي والإسلامي على أساس أنها دار ردّة قامت على أنقاض دولة الخلافة الإسلامية، وهو ما يدعو إلى ضرورة تغييرها والإطاحة بتلك الأنظمة القائمة، لتبقى مسالة وطريقة تحقيق هذه الاخيرة مسألة خلاف بين الجماعات والفصائل، بين من يدعوا إلى التغيير الحاد والمجابهة المباشرة انطلاقا من كون الجهاد في مثل هذه الحالات هو فرض عين، وبين من يتبع طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وهنا تبرز مسألة غزو دار الإسلام عند الأفغان العرب، يكون الجهاد هو الطريقة الأنسب لتطهير أرض المسلمين من الطواغيت والكفّار، دون الدخول في تفاصيل أن الديار التي يعيش فيها المسلمون كانت من قبل دار إسلام وأمان، وانقلبت بعدها إلى دار كفر وردّة، لأنها بكل بساطة حكمت

من قبل المرتدّين.و في هذه الحالة قتال هذه الطوائف المرتدة وعدم موالاتها أو نصرتها.

أما بالنسبة لموجبات القتال عند المقاتلين الأفغان العرب، فكانت كالتالي:

1. إقامة دولة الخلافة الإسلامية الضائعة.
2. يرى أبو أنس الحجازي "أن طرح الجهاد كمشروع وحيد لإحياء الأمة هو الواجب، لأن الجهاد هو الإطار الذي يحرر المسلم من أهواء نفسه، ومن مخلفات مجتمعه ومن انحرافات مذاهب البدع، لأن الجهاد هو الحامل لروح التمرد على كل ما هو فاسد في داخلنا"[4].

من المفارقات العجيبة التي يشير إليها الدكتور نسيم بلهول أن الجماعات الإسلامية المسلحة متفقة على مجموعة من الأعداء... ولكنها لم تتفق أبدا على بمن تبدأ... ومن تحيد... اللهم إلا في الفترة الأخيرة حينما وحّد العدو صفه وتكشفت الأقنعة والحجب وبانت الوجوه الكالحة...[5].

فيما تتجه الطائفة السلفية الأفغانو - عربية لتسويق خطة للعمل القتالي على صنفين من الأعداء، ومنها[6]:

1. القتال ضد الأنظمة الحاكمة.
2. القتال ضد النظمة الدولية العالمية.

ومابين الصنفين تتعدد تصنيفات تلك الجماعات والتنظيمات الجهادية، فتتفق على أبعاد ومواقف معينة وتختلف في مواقف أخرى كثيرة.

---

(4) أبو جندل الأزدي، تحريض المجاهدين الأبطال على إحياء سنة الاغتيال، ط.1، سوريا: دار الرسالة، 1993، ص42.

(5) نسيم بلهول، العقيدة السلفية القتالية الجهادية من الجهاد السلفي الإقليمي إلى الأممية السلفية الجهادية، المرجع السابق الذكر، ص255.

(6) نمر بن سهاج البقمي، نصرة وإنقاذ الأمة، الجزء الأول، ط.2، قطر: دار الفتح للنشريات الإسلامية، 1423 هجري، ص58.

2 - من تنظيم القاعدة إلى تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" : استمرارية أم تأسيس لبنية إيديولوجية جديدة

يكمن الخطأ الفادح في الحديث عن صعود تنظيم "الدولة الإسلامية في العراق والشام" أو ما يعرف بداعش بمعزل عن السياق السياسي العام في المنطقة، فعنف التنظيم وسلوكه الحاد ليس نشازًا، بل هو جزء من "العنف البنيوي" الراهن، الذي يجتاح العديد من الدول والمجتمعات العربية.

وعليه فمن الضروري أن تتم قراءة هذا التنظيم المتطرف في إطار مقاربة شاملة، دون اغفال أهمية العنف السلطوي، سواء كان ذا طابع طائفي، مثل الحالة العراقية والسورية، أو استبدادي، كما هي الحال في مصر والجزائر والدول العربية الأخرى، وفي إطار الأزمات البنيوية التي تعاني منها الدول العربية، وتخلق مشاعر شعبية جامحة للتهميش والإقصاء وغياب الأفق السلمي والظروف الاقتصادية والاجتماعية الطاحنة. ومن الضروري، كذلك، النظر إلى صعود تنظيم الدولة في سياق الفوضى الطاحنة في ليبيا، والفراغ السياسي ونمو الجماعات المرتبطة بالسلفية الجهادية هناك، وفي صحراء سيناء، وفي اليمن مع سيطرة الحوثيين على صنعاء، ومع الأزمة البحرينية والأزمات الداخلية العربية، فهنالك اليوم حالة جديدة متنامية من تفكيك المجتمعات وانهيار السلطة الأخلاقية للدولة، والعودة إلى الأشكال الأولية من التعبير عن الهوية.

الملاحظ هو أن مثل هذه المناخات تخلق جاذبية لنموذج الدولة الإسلامية وقابلية استنساخه وتطبيقه في العديد من المجتمعات، طالما أن المسارات البديلة مغلقة إلى حد الآن، فليست خطورة هذا التنظيم أنه اجتاز الحدود وأقام كيانًا عابرًا لها، ومتوحشًا في سلوكه مع الخصوم، بل أنه أصبح نموذجًا للوعي الشقي السلبي ولحالة المجتمعات العربية والمسلمة.

ولعل الحديث اليوم عن إنهاء وجود تنظيم الدولة الإسلامية في

العراق والشام في حملة عالمية تقودها الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها، يقودنا للقول وكأن هذا التنظيم قد أصبح قوة دولية عظمى تتطلب كل هذا التحالف الدولي، وهو ما يطرح عديد التساؤلات عن الغايات غير المعلنة التي تتجاوز السيطرة والقضاء على هذا التنظيم، خاصة وأن هذا الأخير كان متوقعا ظهوره في مناطق محصورة وتتميز بوجود دول فاشلة على شاكلة العراق وسوريا. لكن مع تتطور نوعية العمليات التي يقوم بها وتمدده واتساعه، إلى جانب سيطرته على أبار النفط، وإعلانه للخلافة، دون اغفال محاولة توطين أقدامه في مناطق أخرى على غرار شمال افريقيا بمساعدة الجماعات الإرهابية التقليدية التي تمده بالدعم اللوجيستيكي والمعلوماتي وهو ما سهل من توغله في منطقة الساحل الصحراوي.

تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام هو الوجه الجديد والمتطور لتنظيم القاعدة - ولو أن هناك نقاط خلاف واضحة بينهما- وينتمي للجيل الرابع من الإرهاب، فعقيدة كليهما هي العنف والقتل والتدمير من جهة، والتوسع في أكبر الدول العربية من جهة اخرى واقامة ما يسمى بدولة الخلافة على أساس مذهبي طائفي، وهو الأمر الذي يدفع نحو إعادة رسم الحدود الإقليمية الراهنة[7].

لا يخرج تنظيم الدولة عن منظومة فكر الجهاد العالمي الذي يقوم على أصول وفروع، فالأصل الذي تُجمِع عليه تنظيماته كافة يتلخص في تحكيم "شرع الله"، وإقامة "الحكم الإسلامي" المتمثل في الخلافة / الدولة الإسلامية، ولا يتحقق ذلك إلا بالجهاد، وتقدِّم الجدالات الشفوية والمكتوبة بين تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام وتنظيم القاعدة مادة نموذجية للتحليل، فهي تُظهر الاتفاق أكثر مما تُظهر الخلاف، فالتصريحات تُظهر اتفاقهم على إقامة مشروع "الدولة الإسلامية في الشام"

(7) حكيم غريب، "داعش صناعة أمريكية ووسيلة لتنفيذ الاستراتيجية الغربية في المنطقة"، الخبر، 20 نوفمبر 2014.

ثم إعلان "الخلافة" -كما في تصريح الظواهري- وأن هذا المشروع يواجه مشروعين: مشروع إقامة دولة مدنية ديمقراطية وهو مشروع علماني، ومشروع إقامة دولة محلية وطنية تسمى إسلامية، وحقيقته أنه مشروع دولة وطنية تخضع للطواغيت في الغرب يَهدف إلى حَرْف مسار الجهاد كما يقول العدناني، والجميع متفقٌ على أن العلمانية والقومية والوطنية والديمقراطية "كفر بَوَاح مناقض للإسلام مُخرج من الملة"[8].

وتكشف المساجلات بين العدناني والظواهري شكل العلاقة بين تنظيم الدولة والقاعدة[9]، ووجود مراسلات مستمرة بينهما حتى الشهر الأول من عام 2014، وتفيد بأن تنظيم الدولة تابع للقاعدة وقدَّم لها البيعة والتزم بأوامرها في شؤون الجهاد -كما يفيد الظواهري- ولكن "خارج حدود الدولة" على الأقل كما يوضح العدناني، ولكن انشقاق تنظيم الدولة عن القاعدة وقع لأسباب منهجية، فالقاعدة لم تَعُد قاعدة الجهاد، بل باتت قيادتها مِعولاً لهدم مشروع الدولة الإسلامية والخلافة القادمة.

إذا يمكن القول بوحدة الجذور الأيديولوجية لتنظيمي القاعدة وتنظيم الدولة الإسلامية، فكلاهما ينتميان بجذورهما الدينية إلى التيارات "الجهادية " المهاجرة التي تضم طيفًا واسعًا من المجموعات والشخصيات التي ترمز القاعدة إليها وتمثل فكرها، وما تنظيم الدولة إلا انشقاق أو نتوء

(8) معتز الخطيب، "تنظيم الدولة الإسلامية": البنية الفكرية وتعقيدات الواقع"، مركز الجزيرة للدراسات الاستراتيجية، نوفمبر2014، ، ص10.

(9) يتكرر هذا المعنى في التصريحات والكتابات المختلفة، انظر مثلاً: متن "عقيدة تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين"، (مع شرحه: نور اليقين، لأبي مارية القحطاني)، (د.م: دار الجبهة للنشروالتوزيع، د.ت)، ص25، وتسجيلاً للبغدادي بتاريخ 9 أفريل2013 يقول فيه: "إياكم أن تتخلصوا من ظلم الديكتاتورية لتذهبوا إلى ظلم الديمقراطية"، وتسجيلاً للجولاني بتاريخ 25 فيفري2014 يتحدث فيه عن جماعات وقعت في ردة وكفر؛ كحال هيئة الأركان والائتلاف السوري ومن يقوم على مشروع "الجيش الوطني"، وفي مقابلة معسامي العريدي فقيه جبهة النصرة بتاريخ 28 أكتوبر2013 حصر الحكم في نوعين: رباني وجاهلي، وأن أكثر الفصائل تريد تحكيم شرع الله وإقامة دولة الإسلام، أما الفصائل التي تريد إقامة دولة مدنية علمانية فهي قليلة وندعوهم إلى الرشد والاتعاظبغيرهم.

من القاعدة من وجه، لكنه حتمًا تطور طبيعي لها من وجه آخر.

إلى هذا الحد قد يمكن تلخيص الإطار الأيديولوجي العام لفكر التنظيم لكنه لا يكشف عن خصائصه، لاسيما وأن مساره العملي يُظهر تباينات واضحة مع القاعدة، واستطاع ببعض العناوين الدينية والجهادية التي تميزه أن يتوسع وأن يجذب عشرات الألاف المقاتلين إلى صفه، وهو ما لم تنجح القاعدة به أو لم تعمل به على الأقل[10].

والجدول التالي يبيّن أهم أسباب انشقاق تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام عن تنظيم القاعدة، وكذا أهم مواطن الخلاف الإيديولوجي والتنظيمي بينهما:

أسباب انشقاق تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام عن تنظيم القاعدة.	الخلاف الإيديولوجي لتنظيم الدولة مع القاعدة	الخلاف التنظيمي لتنظيم الدولة مع القاعدة
1. لاف منهجي يتناول المسائل التنظيمية والإجرائية.	1. تتهم القاعدة تنظيم الدولة بالمبالغة في التكفير وعدم أهليته لتنزيل الأحكام الشرعية موضعها.	1. قبول الظواهري عمليا بلديمقراطية التي هي كفر بواح حسب تنظيم الدولة.
2. عدم توافق حنكة وخبرة القاعدة مع صدامية تنظيم القاعدة.	2. تتهم القاعدة تنظيم الدولة بأنه يكفر عمليا مخالفيه من التنظيمات الجهادية الأخرى بسبب الإختلاف معهم.	2. وقوف الظواهري إلى جانب الرئيس المصري المعزول محمد مرسي الذي قبب بالديمقراطية.
3. القاعدة لم تعد قاعدة للجهاد وابتعاد الظواهري عن ساحات القتال	3. ترى القاعدة أن البغدادي أعلن الخلافة من دون تمكين، وأنه اقتصر على بيعة بعض من تنظيمهم.	3. تلبس القاعدة بمذهب الإرجاء والجهمية لعدم تكفيرها من وجب تكفيره من المسلمين.

(10) هناك من يقول بأن مسألة التكفير واستحلال الدماء وتأسيس الجهاديات وتفرعاتها ومشتقاتها، مسألة هامة تحتاج إلى التوضيح، لأن الفهم الخاطئ والسطحي للنصوص يقود بما لا شك فيه إلى انشاء جاهلية على شاكلة داعش وغيرها، و كما تقول أسماء بن قادة فإن تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام ليست ظاهرة سياسية تجري محاربتها من خلال غرف العمليات بميكيافيلية مباشرة أو بمقامرة غبية، ولكنها ظاهرة فكرية بالدرجة الأولى، تتطلب سؤالا =

3 - "داعش" وأخواتها: النمو والتمدد في مقابل الاستقطاب

الخليط غير المتجانس للتنظيمات القائمة في المنطقة شرق أوسطية وفي مقدمتها تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام "داعش"، أطلق عليه مجازا تسمية "دولة "، دولة وتجربة جديدة واستثنائية، وحديثة كونها تطرح تحديًا فريدًا على وسائل القياس والتقصي التي دأبت أنواع المعرفة على اعتمادها في اشتغالها على هذا النوع من الجماعات، فالبعد المشهدي مثلاً، وهو بُعد جوهري في أداء التنظيم وفي نشاطه وطبيعته، هو عامل لا يمكن استبعاده في السعي إلى تفسير تنظيم الدولة "داعش" ولفهم أشكال اشتغاله. وهو بُعد متصل إلى حد كبير بمروحة الانهيارات التي رفدت "التنظيم" وشكّلت بنيته.

لقد شاهدنا كيف جاء ال"داعشي" الأوروبي محملاً بخبرات كبيرة على صعيد إنتاج الصورة، فوجد في الصحراوي ابن عشيرة الأنبار كثيف الشعر وأسوده، وجهًا يُخاطب وعيًا سينمائيًا هوليووديًا، فيما تولى المهندس التونسي إعداد عناصر الصورة ورفدها بمجموعة من الأردنيين واللبنانيين، وأُجبر صحافي غربي مختطَف على إعداد تقرير عن المشهد استعمل فيه كل مهاراته في الأداء التليفزيوني[11].

من الصعب الإمساك بخيط هذه "الدولة" المتوهمة؛ ذاك أن "داعش" اتسعت لانهيارات لا يمكن أن تضبطها فكرة واحدة، وهي انهيارات شديدة التفاوت وعديمة التشابه ومختلفة المصادر، في الأردن تغذى التنظيم من الشقاق الاجتماعي الناجم عن انفصام الهوية الوطنية وعن ضعفها، أما في لبنان كان للصدع الشيعي-السني وظيفة حاسمة في تفشّي

= على استعجال حول أي منظومة فكرية ولدت ذلك المنطق الذي يجعل من خمسين ألف شاب حول العالم ينضمون إلى داعش في سوريا؟، للمزيد انظر في: أسماء بن قادة، سيد قطب وداعش: جاهليات بالمقلوب، الخبر، 24/ 08/ 2014.

(11) Mariano Castillo and Brian Todd, "Who is the English speaker in ISIS video 'Flames of War'?", September 19, 2014,at:http://edition.cnn.com/2014/09/19/world/meast/isis-flames-of-war-video.

المزاج الداعشي في البيئة السنّية. وفي العراق، منشأ التنظيم ولبنة هويته ونواته، تقاطعت العوامل المذهبية مع مزاج عشائري محبط وغاضب، عند الرغبة البعثية الانتقامية.

أمّا التوجه غربًا بدءًا بالمغرب العربي ووصولاً إلى أوروبا، فلنا هناك مع التنظيم نفسه قصص مختلفة تمامًا. فتونس مثلاً، وهي أكثر الدول غير المحاذية لجغرافيا "الخلافة" المستجدة رفدًا للتنظيم بالجند وبدعاة صغار العمر، كما خلّف انهيار نظام زين العابدين بن علي ركامًا اجتماعيًّا ونفسيًّالم يتسع الوقت لدولة "ما بعد الثورة" أن تستوعبه، فكانت "دولة الخلافة" بديلاًووجهة لهجرة جهادية مريرة . وفي أوروبا حمل "المجاهدون" مع هم من هنا كملامح مختلفة هذه المرة، فهم خليط من شبان وشابات لا تقتصر مصادره معلى مجتمعات الدياسبورا المسلمة في المدن الأوروبية، إذ إن من بينهم عشرات من أصول مسيحية، وهم في معظمهم من غير فقراء القارة العجوز[12].

لقد لاحظنا كيف ارتفعت أعداد الذين ينتمون إلى التنظيم بصورة مضاعفة، بعد السيطرة على الموصل في العراق وإعلان الخلافة، وهو أمر يمكن اعتباره طبيعيا، ويرتبط بعامل القوّة والهيمنة والنفوذ، فمن المعروف أن التنظيم عندما يسيطر على أية محافظة أو ناحية يطلب من الأهالي مبايعة الخليفة، ويقوم بحملة تجنيد ودعاية مكثفة، ولديه الكثير من الأجهزة التعليمية والإعلامية والدعوية والقضائية، ما يجعل نسبة كبيرة من أهالي تلك المناطق يدخلون في التنظيم، إما خوفًا من عقوبات شديدة لمن يرفض ذلك، أو التحاقًا بالطرف القوي المسيطر.

من أين يأتي التنظيم وغيره بالمقاتلين؟، تساؤل يطرح نفسه بإلحاح، خاصة مع تزيد أعداده وكذا تنوع جنسياتهم، وهو ما يؤشر على وجود عمل

---

(12) حازم الأمين، عن "داعش" ومجتمعاتها: اللعب خارج السوسيولوجيا، مركز الجزيرة للدراسات الاستراتيجية، نوفمبر2014، ص45-46.

منظم وممنهج في استقطاب المقاتلين، حتى أن فئة النساء هي الأخرى أصبحت حاضرة بقوة. صحيح أن الأوضاع في الشرق الأوسط، وسوريا تحديدا، ولدت حالة من الشعور بالتهميش والإقصاء لدى المسلمين السنّة الذين بات بعضهم يعتقد بوجود حرب تستهدف النيل من الإسلام السني، وكذا التأجيج الطائفي والميليشيات الطائفية الشيعية مثل لواء بدر وكتائب أهل الحق وغيرها، وتدخل إيران، إلى جانب سنوات من ممارسات سياسية إقصائية بحق المكون السني، كلها عوامل أدت إلى ظهور تهديد وجودي للسنّة وليس تهديدا سياسيا فقط، ما أعطى داعش جاذبية كبيرة، إلى جانب وجود أسباب عقائدية تتعلق بأحلام السلفيين بالعيش تحت راية دولة إسلامية[13].

فيما يضيف خبراء أمنيون، أن الحملة الفرنسية "سرفال" في شمال مالي 2013، لم تكن لتنجح لولا حملة التجنيد الواسعة للجهاديين ونقلهم إلى سوريا، حيث لو لم تقم جبهة النصرة في سوريا بتجنيد الجهاديين لتنقل المئات منهم إلى شمال مالي لإزدادت مهمة القوات الفرنسية في سرفال تعقيدا. فعبد المالك دروكدال أمير تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، أدرك أن ذهاب الجزائريين للقتال في سوريا لا يعني فقط استنزاف مخزون الجهاديين في الجزائر فقط، بل يعني أيضا حصول هؤلاء على تدريب قتالي وأمني عالي المستوى، وتقلّد بعضهم لمناصب مهمة في جبهة النصرة وتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام في سوريا سوف يهدد بما لا شك فيه موقعه التنظيمي في شبكة المنظمات الإرهابية التابعة للقاعدة[14].

(13) بديعة منصوري، "من أين يأتي داعش بالمقاتلين؟"، تاريخ الاطلاع: 20/ 09/ 2014، على الرابط التالي:
http://www.alhurra.com/content/isis-foreign-fighters-/257849.html.

(14) محمد بن أحمد، "القصة الكاملة للجهاديين الجزائريين في سوريا والعراق"، الخبر 24، / 08/ 2014.

كما أن سيطرة التنظيم على المناطق النفطية مكنته من الحصول على المال الناتج من عائدات تسويقه، مما سهل استخدامها لاستقطاب المسلحين والمقاتلين الأجانب، فالرواتب المغرية التي يوفرها تنظيم الدولة للمقاتلين، إلى جانب الخدمات منحته أفضلية وفرصة استقطاب المقاتلين بما يتخطى تنظيمات أخرى تعاني من قلّة الدعم، مما رفع حجم الإقبال على الانضمام إلى صفوفه، وهو ما سهّل سيطرته على عدد كبير من المناطق السورية، ودفع ألوية عسكرية معارضة للقتال إلى جانبه.

4 - المقاتلون الأجانب: التنوّع في الجنسيات لا يساوي الوحدة في الهدف

سبق للرئيس الأميركي باراك أوباما أن صرّح بناء على تقارير استخباراتية أمريكية أن عدد المقاتلين الأجانب في «تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام» بلغ حوالي خمسة عشر ألفا، غير أن تقريرا بريطانيا عرض على مجلس العموم في سبتمبر 2014 أشار الى أن عددهم يفوق الستة عشر ألف (16337)، مقتصرا على سوريا فقط دون تقديم احصائية عن المتطوعين منهم في العراق[15]. وهذا الرقم يصبح بحاجة الى تحديث مستمر، فتقارير الرصد تقول إنهم يزدادون بين 500-700 مجنّد كل شهر قادمين من 85 دولة وليس أقل من ذلك، وأن أغلب هؤلاء يأتون من دول الشرق الأوسط وإفريقيا ووسط وشرق آسيا، وبالدرجة الثانية من دول أوروبا وأميركا ودول البلطيق وبحر قزوين.

وتنشط منظمات موالية لـ «داعش» في عدّة دول في عملية تجنيد مقاتلين في معسكرات تدريب، ثم يتم ارسالهم إلى العراق وسوريا بشكل نجدات منظمة، كما يعتبر الشيشانيون والباكستانيون والأفغان والفلسطينيون

---

(15) زهير الدجيلي، "المقاتلون الأجانب في داعش أعدادهم.. جنسياتهم.. نوعياتهم.. ومن الذي يجنّدهم؟"، تاريخ الاطلاع: 18/ 12/ 2014، على الرابط التالي:

http://www/.alqabas.com.kw/node/919514.

المتدفقون على «داعش» أكثر المجندين من حيث العدد والخبرة القتالية، نظرا لمشاركتهم السابقة في حروب عصابات مماثلة.

من خلال الدراسات المنشورة هنا وهناك، نجد أن من ضمن البيانات والإحصائيات التي تتضمنها، يمكن ملاحظة أن منطقة شمال إفريقيا تمثل خزّان المقاتلين بما يفوق 5800 مقاتل تتنوع جنسياتهم ما بين التونسيين في المرتبة الأولى بحوالي 3000 مقاتل، المغرب 1500 مقاتل، ليبيا 600، والجزائر بحوالي 200 مقاتل، ربما يمكن تعليل تأخر الجزائر بالعودة إلى دور السلطات الأمنية الجزائرية وخبرتها في التعامل مع شبكات التجنيد[16]. تليها منطقة الشرق الأوسط بحوالي 5200 مقاتل، تتنوع جنسياتهم ما بين السعوديين أولا بحوالي 2500 مقاتل، الأردن 1500 مقاتل، ولبنان بحوالي 900 مقاتل.

أما فيما يتعلق بالدول الغربية فتأتي روسيا أولا بحوالي 800 مقاتل، وفرنسا 700، ثم كل من بريطانيا وألمانيا وتركيا بحوالي 400 إلى 500 مقاتل، كما لا ينفي هذا وجود جنسيات أخرى على غرار الباكستانيين والبلجيكيين وكذا الهولنديين وحتى الأستراليين والألبانيين، في تمازج ربما يحدث لأول مرة في تاريخ الحركات الجهادية.

البيانات الواردة في التقرير أعلاه ربما لا تختلف كثيرا عن تلك التي جاءت في التقرير الحامل لعنوان "المقاتلون الأجانب في سوريا" Foreign Fighters in Syria، من إعداد ريتشارد بارات Richard Barrett، والصادر عن مجموعة سوفان The Soufan Group في جوان 2014، حيث تضمن

---

(16) مطاردة شبكات التجنيد حسب المعلومات المتوفرة تتم بالشراكة والتعاون بين 9 دول معنية بمكافحة نشاط تجنيد وتهريب الجهاديين للقتال في سوريا، وهذه الدول هي: الجزائر، المغرب، تونس، فرنسا، ألمانيا، اسبانيا، بريطانيا، الولايات المتحدة الأمريكية وإيطاليا. ويمكن ارجاع سبب التنسيق بين هذه الدول إلى كون طريقي الهجرة من دول غرب أوربا والمغرب العربي إلى سوريا والعراق يتقاطعان معا. كما تشكل ليبيا محطة اجبارية لحوالي 90% من الجهاديين الحالمين بالوصول إلى ساحات القتال.

التقرير احصائيات حول وضعية المقاتلين الأجانب في سوريا وحتى العراق وكذا جنسياتهم، حيث أشار إلى وجود ما يقارب 12 ألف مقاتل أجنبي في النزاع الدائر منذ ما يزيد عن ثلاث سنوات، وتتنوع جنسياتهم ما بين 81 دولة، وحوالي (03) ثلاث ألاف منهم أتوا من أوربا الغربية.

وتوجد ثلاثة تنظيمات جهادية مستقطبة لهؤلاء المقاتلين الأجانب، وهي أحرار الشام، جبهة النصرة، وتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام "داعش". وهذه التنظيمات لها القدرة على التحسّن في الجانب التنظيمي، واللوجستيكي وحتى المالي، وهو ما يساهم في توسيع المناطق التي تسيطر عليها وكذا في زيادة أعداد المقاتلين الذين تستقطبهم.

كما يشير التقرير إلى الدور الذي لعبته ومازال مواقع التواصل الإجتماعي في الترويج لفكر تلك الجماعات وأنشطتها، وكذا في عملية تجنيد المقاتلين الجدد، على غرار الفايسبوك والتويتر، واستخدام لغات متعددة اضافة إلى اللغة العربية، خاصة بالنسبة لتنظيمي جبهة النصرة وتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام.

تشير كثير من التوقّعات حول وضعية المقاتلين الأجانب في الجماعات الجهادية الموجودة إلى انقسامهم إلى نوعين أو مجموعتين، الأولى تقاتل في صفوف جماعات معتدلة نوعا ما، والثانية في صفوف جماعات متطرفة[17]. ولو أنّ هذه الأخيرة هي أكثر استقطابا للمقاتلين الأجانب من الأولى لعدة اعتبارات أهمها، ليس فقط أعداد مقاتليها الكبير وإنما مواردها المالية الجيدة، قتالها العنيف والمنظم، أكثر تنظيما وانضباطا، ومحفّزة بشكل أقوى من غيرها، وهو ما يمنحها تلك الأفضلية.

---

(17) انظر على سبيل المثال في:
Zelin, A. Y. et al. (2013), ICSR Insight: Up to 11,000 Foreign Fighters in Syria; Steep Rise AmongWestern Europeans, The International Centre for the Study of Radicalisation, 17 December,at: http://icsr.info/2013/12/icsrinsight-11000-foreign-fighters-syria-steep-rise-among-western-europeans/;and Hegghammer, T. (2013),Syrias ForeignFighters, Foreign Policy, 9 December. http://mideastafrica.foreignpolicy.com/posts/2013/12/09/syrias_foreign_fighters.

بالنسبة لأهم الدول التي تشير التقارير الصادرة عن مؤسساتها الأمنية بوجود أشخاص توجهوا للقتال في سوريا، وبالطبع التوقعات المشار إليها تعطي فقط مجرد توقعات حول امكانية وجودهم على قيد الحياة من عدمه[18]:

البلد	العدد	الجهة المصرحة	التاريخ
الجزائر	حوالي 200	مصادر رسمية	ماي 2014، العدد موجود في سوريا
استراليا	حوالي 250	ASIS	أفريل 2014
بلجيكا	حوالي 250	مصادر رسمية	أفريل 2014، 200 منهم في سوريا
كندا	30	CSIS	فيفري 2014
الدانمارك	100	PET	ماي 2014
فنلندا	30	Supo	مارس 2014
فرنسا	700	مصادر رسمية	أفريل 2014، 275 منهم في سوريا
ألمانيا	270	BfV	جانفي 2014، ثم ارتفع العدد إلى 300 في مارس
كوسوفو	100-120	OSCE report	مارس 2014
هولندا	120	وزارة العدل	مارس 2014
المغرب	1500	مصادر رسمية	أفريل 2014
روسيا	800	FSB	أفريل 2014
السعودية	2500	مصادر رسمية	ماي 2014، 1200 في سوريا
تونس	3000	مصادر رسمية	أفريل 2014
تركيا	400	توقعات رسمية	أفريل 2014
بريطانيا	400	توقعات رسمية	مارس 2014

تشير البيانات الوردة في الجدول أعلاه إلى أهم الجنسيات المساهمة بعدد كبير من المقاتلين، وهذا لا ينفي وجود جنسيات أخرى تم التصريح من قبل جهات رسمية بها عن وجود مواطنيها في سوريا ضمن الجماعات الجهادية هناك، ونذكر هنا السويد، اسبانيا، الولايات المتحدة الأمريكية، النرويج، ايرلندا...

(18) Richard Barrett, Foreign Fighters in Syria, the Soufan Group, June 2014, P.13.

الأغلبية المشكّلة لجماعات المقاتلين الأجانب تنتمي للعالم العربي خاصة منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، ويضاف إلى ذلك ما أكده غيلس كيرشوف Gilles de Kerchove منسق مكافحة الإرهاب على مستوى الاتحاد الأوربي في أفريل 2014 بوجود ما يزيد عن 2000 شخص توجهوا لسوريا من 28 دولة المشكلة للاتحاد الاوربي. كما لا يخفي هذا العدد طبيعة عدم التجانس الموجودة في جنسيات المقاتلين الموجودين، إلى جانب غياب معلومات وبيانات رسميّة مؤكدة حول عددهم وجنسياتهم، وفي كثير من الأحيان يتم تقديم أرقام سرعان ما تتزايد بشكل ملحوظ، حيث وعلى سبيل المثال بالنسبة لروسيا الفدرالية صرح فلادمير كوتليار Vladimir Kotlyar مسؤول في وزارة الخارجية الروسية في أفريل 2013 عن وجود ما بين 600 إلى 6000 روسي توجه للقتال في سوريا، وفي غضون عام فقط صرّح ألكسندر بورتنيكوف Alexander Bortnikov رئيس مصلحة الأمن بوجود توقعات بوجود أكثر من 800 روسي، لكن هل يدخل ضمن هذا العدد القوات الروسية الموجودة للقتال إلى جانب النظام السوري مثلما يتم الترويج له؟، الإجابة تستحق البحث.

5 - من يذهب للقتال في تلك المناطق وضمن تلك الجماعات؟

سؤال ربما من الصعب إيجاد إجابة دقيقة وواضحة له، ويعود ذلك بالدرجة الأولى إلى غياب دراسات وبيانات أكثر دقّة وميدانية بالتحديد، لكن الملامح الكبرى تشير إلى أن الخصائص العمرية لهؤلاء المقاتلين تتراوح ما بين 18-29 سنة، وهذا لا يمنع من وجود أخرين تتراوح أعمارهم ما بين 15-17 سنة، ربّما هذا ما يصنع الفرق مع جماعات المقاتلين في الحرب في أفغانستان الذين كانت تتراوح معدلات أعمارهم ما بين 25-35 سنة.

الخاصية الثانية، هي أنهم حديثو العهد بالإسلام ومسيحيون أخرون اعتنقوا الإسلام، حيث إن نسبة كبيرة من المقاتلين ينتمون للنوع الأول،

حتى أن بعضهم لم يقرأ القرآن الكريم من قبل، أو يحفظ سورا منه تعينه على فهم الإسلام الصحيح، وهناك نسبة منهم مسيحيون تحولوا الى الإسلام كضرورة من ضرورات التحاقهم بالتنظيمات الموجودة[19]. وأقام التنظيم لمثل هؤلاء دورات تعلّمهم بعض أصول الدين الإسلامي، غير أن هذا التعليم لم يكن ضروريا لأولئك الذين تم تجنيدهم كمحاربين مرتزقة لمهاراتهم العسكرية والتقنية. فبعض الذين تم تجنيدهم من ايطاليا وفرنسا والشيشان وباكستان، وبعض بلدان بحر قزوين كانوا محاربين سابقين في جيوش نظامية، ويمتلكون مهارات القتال وقيادة الدبابات واستخدام الأسلحة الثقيلة، وحتى ابتداع وسائل جديدة لصنع القنابل والمتفجرات، يتم تدريب الآخرين عليها.

عملية تجنيد هؤلاء تقوم بها عدة أطراف وجهات ووسائل، أهمها الإنترنت، وشبكات التواصل الاجتماعي، كما يقوم دعاة متطرفون في المساجد وبين الجاليات الإسلامية في المجتمعات الأوروبية والأميركية والآسيوية بتغذية الشخص بالفكر المتطرف، وحشو عقله بنمط من الأكاذيب بذريعة العمل لـ«تطهير» الروح والوصول الأكيد الى الجنة. وتتولى الخلايا المحلية المتطرفة ومتطوعون موالون بعمليات إيصالهم الى سوريا والعراق. من هذه الخلايا «جماعة المهاجرين في بريطانيا»، و«مجموعة فرسان العزة في فرنسا»، و«جماعة ملة إبراهيم في ألمانيا»، و«خلية شريعة في بلجيكا»، ومثلها في اسبانيا ودول أخرى[20].

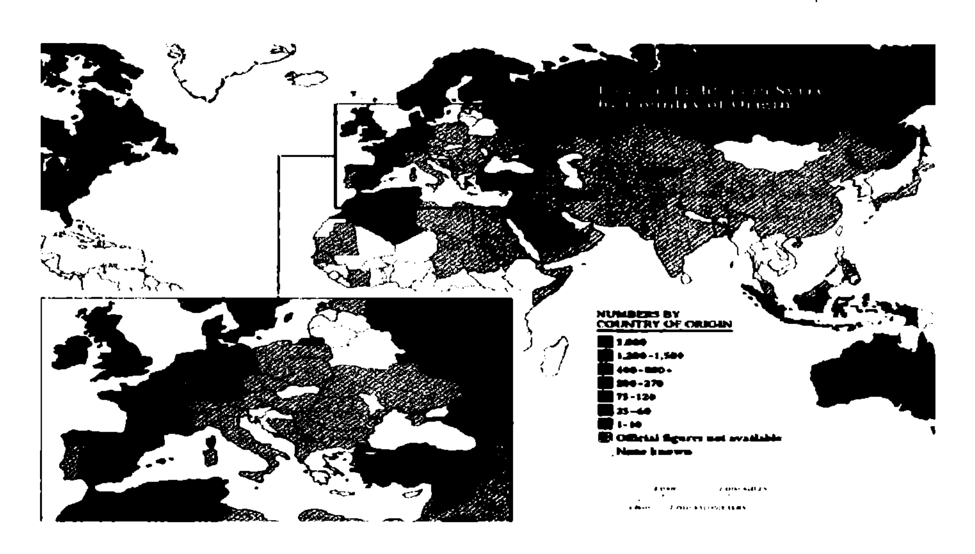
إذا كان الحديث عن الدوافع الاقتصادية والسياسية كسبب محفّز لذهاب هؤلاء إلى القتال في سوريا مستبعدا بالنظر إلى الظروف التي تميّز مناخ العيش في الدول الأوربية، هنا يتم الترويج لوجود عوامل أخرى على

---

(19) تشير الإحصائيات إلى أن حوالى 6% من المقاتلين الأجانب القادمين من دول الاتحاد الأوربي اعتنقوا الإسلام بمجرد التحاقهم بالتنظيمات المقاتلة في سوريا والعراق.

(20) زهير الدجيلي، " المقاتلون الأجانب في داعش أعدادهم.. جنسياتهم.. نوعياتهم.. ومن الذي يجنّدهم؟"، المرجع السابق.

غرار الانفصام في الشخصية، وأن الثقافة الغربية وقيمها أصبحت غير جاذبة لمعظم هؤلاء، ووجود تفكك أسري وغربة نفسيّة عائلية، هذا فضلا عن توافر روح المغامرة والمراهقة والرغبة في اثبات الذات بأعمال مثيرة للدهشة. وكمثال على ذلك تأملوا تصريح المقاتل أبو مهاجر، بريطاني الجنسية، حيث يقول حول العوامل التي دفعته للقتال في سوريا: "هناك أسباب عدة دفعتني لترك حياتي والتواجد هنا (سوريا)، السبب الأول هو عقائدي خالص والمتمثل في وجوب مساعدة الإخوة المسلمين وحماية الدم المسلم خاصة في ظل الاعتداء الخارجي، أما السبب الثاني فهو انساني محض، حيث من خلال قتالي هنا تمكنت من تقديم المساعدة لكل من طلبها"[21]. والخريطة التالية تبين توزيع المقاتلين الاجانب في سوريا وجنسياتهم الأصلية[22]:



(21) Cuffe, J, Who are the British Jihadists in Syria?, BBC News, 15 October 2014, [Online]: http://www.bbc.co.uk/news/uk-24520762.

(22) Richard Barrett, Foreign Fighters in Syria, the Soufan Group, June 2014, P.15.

6 - لماذا لا تستهدف تلك الجماعات الجهادية ومقاتليها الأجانب إسرائيل والمصالح الامريكية ؟

سبق لمركز ديان الإسرائيلي للدراسات أن نظّم في 2007 ندوة تحت عنوان "الدولة والمجتمع العربي سيتقوضان"، جمع فيه العديد من المفكرين، وتوقعوا من خلاله أن العالم العربي مقبل على انهيار شامل، وهو ما حدث مع بداية 2011 ومسلسل ما عرف بثورات الربيع العربي، وبالإضافة إلى هذا يعتبر هنري كيسنجر وزير الخارجية الامريكية السابق أوّل من ساهم في انشاء البذرة الأولى لنشوء الحركات الجهادية، حينما اعتبر أن الحرب العربية - الإسرائيلية في 1973 هي أخر الحروب العربية ضد اسرائيل، وأبلغ كيسنجر زعماء الحركة الصهيونية حسب ما جاء في كتاب "المحاضر السرية لهنري كيسنجر" من تأليف يعقوب هيرتز أن هناك ساحات قتال سيتدافع إليها الشباب العربي. لتكون هذه الساحات أفغانستان، وغيرها فيما بعد.

ربما يعود بنا الأمر في محاولة الإجابة عن السؤال المطروح إلى البدايات الأولى، حيث إن عبد الله عزام الذي يعتبر الأب الروحي للأفغان العرب، والذي كان يعيش في قرية لا تبعد سوى بحوالي 8 كيلومتر عن الخط الأخضر ومع ذلك لم يقاتل العدو الإسرائيلي، بل توجه للجهاد في أفغانستان، بل وحتى عند اجتياح اسرائيل للعاصمة اللبنانية بيروت في 1982 لم يتوجه متطوعون كثر للقتال هناك، بل جاء متطوعون من عدة دول من العالم.

كيسنجر نفسه اتصل برئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو قبل الاندلاع الفعلي للأزمة السورية في 2011، ليذكره بالاستراتيجية التي وصفها بـ"تعريب الصراع"، أي بدل أن يتعرض اليهود لمحارق على يد العرب، فإن هذه المحارق ستكون في الدول العربية، وربما هذه الاستراتيجية هي نفسها التي تجعل شباب من الدول العربية يتوجهون للقتال

في سوريا والعراق وغيرهما من البلاد العربية، ولا يقاتلوا العدو الإسرائيلي[23].

هناك من يرجّح وجود علاقات تعاون ما بين ألوية شهداء اليرموك وإسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية والمنتشرة على الحدود مع الجولان (بين سوريا والكيان الصهيوني)، و حتى تعيين رئيس شعبة الاستخبارات الإسرائيلية عين على رأس المنطقة العسكرية الشمالية (الحدود مع سوريا ولبنان) لكونه يمتلك صلات مع جبهة النصرة وتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام وجماعة أحرار الشام وألوية شهداء اليرموك. كما أن هناك قاعدة أمريكية - أوروبية - إسرائيلية في منطقة "إربد" الأردنية، قامت بتدريب حوالي ثلاث ألاف عنصر من ألوية شهداء اليرموك، لكنهم فور عودتهم إلى سوريا أعلنوا انضمامهم إلى تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام. كما سبق لرئيس شعبة الاستخبارات الإسرائيلية الجنرال الأسبق عاموس يادلين وهو رئيس مركز أبحاث الأمن القومي أن اعلن في ندوة أن "داعش لن تقترب من إسرائيل، وأن إسرائيل ليست الهدف الأول ولا الثاني للتنظيم، وتقاتل وستقاتل داخل الدول العربية لمدة قد تمتد إلى عقدين"[24].

هل يمكن الحديث عن اختراق أمريكي وإسرائيلي لتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام؟، ربما حتى في حالة عدم امكانية التحقّق من ذلك لكن الوقائع الموجودة تثبت أن أجندة الأطراف الموجدة تتطابق إلى حد كبير، وحتى ما يجري حاليا من قصف جوي لما يطلق عليه "التحالف الدولي" على مواقع التنظيمات هي من قبيل منع تمددها وليس القضاء عليها.

---

(23) حوار مع د. حليم عبد الكريم الزعبي رئيس المركز العربي للدراسات، "3 ألاف مقاتل سوري دربتهم أمريكا وإسرائيل انضموا إلى داعش"، حاوره مصطفى دالع، الخبر، 28/ 12/ 2014.

(24) المرجع نفسه.

من خلال ما سبق يمكن ملاحظة كيف يتحول الإنسان الغربي إلى مقاتل يدافع إلى جانب تنظيمات متطرفة، على اختلاف جنسياتهم، توجهاتهم، معتقداتهم، وحتى تكوينهم الإيديولوجي، وهو الأمر الذي يؤسس لدياسبورا متنوعة، فسيفساء من المقاتلين الأجانب، ربما هي المرة الاولى منذ عقود خلت يمكن ملاحظة هذا التنوع في تلك التنظيمات المتطرفة، وكذا في نسيجها البشري المكون لها.

الفصل الثالث

الجهادية والجهاديون والجهاد المضاد...
في نظرية الهدف المتحرك

أولاً: في صناعة الجريمة العابرة للفضاءات
(إنقلاب على الدولة وجناية على الجغرافيا)

أ. يحي بوزيدي

مقدمة:

تشكل الجريمة والأمن متلازمة متضادة كثنائية الخير والشر تشغل الحياة الإنسانية، وتحدد مصيرها ومساراتها. فقد كان ولا زال الأمن بمختلف مستوياته وأنواعه أحد المطالب الأساسية في حياة الإنسان، ويعد من أبرز أسباب تطور المجتمعات الإنسانية، وتشكل الأنظمة السياسية التي عرفت نماذج مختلفة تطورت من العشيرة إلى الدولة الحديثة، ولازالت مستمرة في البحث عن حياة أفضلا يبقى أساسها الأمن والوقاية من الجريمة. وهو محور العقد الاجتماعي بين الدولة والمجتمع الذي يكمن في قيام الأخيرة بتأمينه من الجريمة بصفة عامة، مقابل التنازل عن البعض من حرياته، وقبول استعمالها للعنف الشرعي في هذا الإطار.

غير أن هذه الغاية تكتنف عملية تحقيقها الكثير من التحديات التي تتزايد بشكل مستمر مع التعقيدات والتشابكات التي تعيشها المجتمعات الإنسانية سواء على المستوى الفردي أو الدولتي. فقد ساهمت التطورات الحديثة في بروز ظواهر جديدة تهدد الأمن وتعيقه، إذ لم يقتصر التطور على الجانب الإيجابي فقط، وإنما الجوانب السلبية في المجتمعات الإنسانية هي الأخرى استثمرت في هذه التحولات، وتكيفت مع التغيرات الجديدة من أجل استمراريتها.

فكما تتنوع الجريمة بتنوع مختلف الأنشطة الاجتماعية، فإنها تتطور أيضا تبعا للتطورات الحاصلة في المجتمعات الإنسانية، لدرجة أصبح التطور في المجال الأمني ملحق بالتطورات التي يشهدها عالم الجريمة. ولعل أبرز تجلياتها والتي أصبحت تجتمع فيها جل أنواع الجرائم ما بات يصطلح عليه بالجريمة المنظمة العبر وطنية، وتقاطعها مع الإرهاب الظاهرة الثانية التي لا تقل عنها خطورة وتشغل العالم، وأكثر من هذا كله بروز ما بات يصطلح عليه أيضا، بدول وحكومات المافيا، حيث أصبحت الجريمة المنظمة تسيطر على بعض الحكومات أو تتعاون معها بشكل كبير جدا.

الجريمة كسلوك إنساني أصيل:

تقترن الجريمة بالإنسان إلى درجة جعلت منها بعض النظريات سلوك متأصل فيه. فقد ذهبت النظرية البيولوجية إلى ربطها بسمات خلقية محددة، حيث قالت أن للمجرم نمط بيولوجي معين يختلف عن غيره من الناس، فهو يتصف ببعض الخصائص المميزة أو بشذوذ في تكوينه الطبيعي، وتلك الخصائص البيولوجية تؤثر في شخصيته، وتحدد سلوكه الإجرامي[1]. وإن عزت العلوم الاجتماعية أسباب الجريمة إلى الأوضاع التي يعاني منها الفرد من بطالة، وفقر، وتفكك أسري وغيرها من الظروف التي تدفع الإنسان الذي يعيشها إلى امتهان الجريمة كمصدر رزق، فإن العلوم النفسية هي الأخرى أرجعت السلوكيات الإجرامية إلى الأمراض النفسية والعصبية التي يعاني منها الإنسان، وغير بعيد عنها نظرت المدرسة الواقعية في العلوم السياسية إلى الحروب والصراعات بوصفها نتاج للشر والأنانية والعدوانية، الكامنة في الطبيعة الإنسانية[2].

---

(1) أسحق إبراهيم منصور، موجز في علم الإجرام والعقاب، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، 1991، ص21.

(2) كينث والتز، الإنسان والدولة والحرب: تحليل نظري، ترجمة عمر سليم التل، أبو ضبي: كلمة هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، ط1، 2013، ص52.

تعدد وتباين أسباب الظاهرة يدلل على القدر الكبير من التعقيد الذي يكتنفها، ما يجعل من مواجهتها عملية لا تقل تعقيدا وتشابكا خاصة لما يؤخذ بعين الاعتبار مختلف أنواع الجريمة، سواء كانت فردية أو جماعية، اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية، محلية أو عابرة للحدود. وبغض النظر عن مدى صحة كل نظرية من النظريات التي حاولت تفسير ظاهرة الجريمة، فإن الثابت منها أنه لا يمكن القضاء نهائيا عليها، وأقصى ما يمكن فعله في هذا الجانب الحد منها بأكبر قدر ممكن.

الجريمة المنظمة العابرة للحدود: التحدي المتنامي

تمثل الجريمة المنظمة العابرة للحدود أكبر التحديات الأمنية التي تواجه المجتمعات الإنسانية، كونها تشتمل على جميع أشكال الجريمة، وتتعدد أسبابها، بل ترتبط بأكثرها خطورة، والمقصود بذلك الجريمة السياسية، ومن هنا تأتي صعوبة مواجهتها. فعلى سبيل المثال الاتجار بالبشر له أسباب اقتصادية واجتماعية وهو مرتبط بالمخدرات المرتبطة بغسيل الأموال، والتهريب المرتبط الأنواع السابقة إضافة إلى بالحركات الإرهابية، هذه الأخيرة لها علاقة وطيدة بتجارة الأسلحة التي تحيل مباشرة إلى الأزمات السياسية، والحروب الأهلية، وهذه بدورها مرتبطة بالمصالح الدولية، وعبر هذه الحلقات تتشابك خيوط أجهزة الاستخبارات، فضلا عن تورط السياسيين في الجرائم السابقة، وعملية غسيل الأموال ومختلف الأشكال تواجهها عقبات قانونية لذلك ترتبط بالفساد بمختلف أشكاله أيضا.

وهكذا نجد حلقة لا متناهية من الأسباب المتشابكة والمترابطة التي لا تتم على المستوى الفردي، وإنما تتجاوزه إلى مجموعات كبيرة، وأكثر من ذلك لا تبقى محصورة في إطار محلي وإنما تنتقل عبر الحدود. هذه الخصائص المميزة للجريمة المنظمة العابرة للحدود جعلتها من أخطر أشكال الإجرام التي تواجه المجتمعات الإنسانية، حيث وصفها المدير التنفيذي لمكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة "أنطونيو

ماريا كوستا" بالقول: "لقد تعولمت الجريمة المنظمة وتحولت إلى قوة في مقدمة القوى الاقتصادية والمسلحة في العالم"[3].

فمتابعة الظاهرة كشفت أنها تستخدم العديد من مزايا العولمة، مثل سهولة الاتصالات وسرعتها والتحركات المالية والسفر الدولي، للاضطلاع بالأنشطة الإجرامية واستغلال الأفراد والحيوانات والنباتات البرية والبيئة واستغل النقاط الضعف في النظم القانونية والرقابية وسرقة عائدات الحكومة سعياً لتحقيق الربح[4]. فمن الملاحظ أن أعضاء الجريمة المنظمة يستخدمون التكنولوجيا الحديثة في تنفيذ عملياتهم، بالاعتماد على عناصر متخصصة ومتدربة تدريبا عاليا بشأن استخدام التقنيات الحديثة، وهي تمتلك القدرة على استقطاب هذه العناصر وتجنيدها في صفوفها، كما أن البعض منها لديها إمكانيات وقدرات تنظيمية وتسليحية عالية، تدعم قدرتها على تحدي السلطات واختراق الأجهزة والمؤسسات في الكثير من الحالات[5]. وقد كانت المنظمات الإجرامية من أوائل من اتبع وسائل جديدة في نقل المخدرات، مثل «غواصات تهريب المخدرات» وهي غواصات شبه مغمورة لا تلتقطها أجهزة الرادار أو السونار أو الأشعة تحت الحمراء. وفي الأعوام الأخيرة، استفادت المنظمات الإجرامية أيضا من شبكة الإنترنت، مما أدى إلى تزايد مذهل في الجرائم الإلكترونية، التي كلفت الاقتصاد العالمي نحو 114 مليار دولار عام 2011، وفقا لشركة أمن «الإنترنت سيمانتك[6].

---

(3) دائرة الأمم المتحدة للإعلام، "عولمة الجريمة المنظمة وتحولها إلى خطر يداهم الأمن"، الأمم المتحدة، فيينا 17/ 06/ 2010، ص01.

(4) الأمانة العامة للأمم المتحدة، مؤتمر الأطراف في اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية، الدورة السادسة، البند4 كم من جدول الأعمال المؤقت، التعاون الدولي مع التركيز خصوصا على تسليما المجرمين والمساعدة القانونية المتبادلة والتعاون الدولي لأغراض المصادرة، وإنشاء السلطات المركزية وتعزيزها، فيينا، 15-19 أكتوبر، 2012، ص02.

(5) محمد السيد عرفة، تجفيف مصادر تمويل الإرهاب، الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الامنية، ط1، 2009، ص89.

(6) موسى نعيم، الجريمة المنظمة تتولى السلطة، مجلة المجلة، 29/ 06/ 2012، =

وتبقى المجالات القانونية والأسواق الشرعية، والثقافة غير الواعية بهذه المخاطر القاعدة الخلفية التي تستند عليها الجريمة المنظمة العابرة للحدود، فإضافة إلى ما يقوم به على سبيل المثال جيش المجرمين من ذوي الياقات البيضاء - أي جحافل المحامين والمحاسبين وسماسرة العقارات والمصرفيين - الذين يوّفرون لهم الغطاء ويغسلون لهم عوائد نشاطهم[7] يتعامل أيضا الملايين من المواطنين مع السلع الاستهلاكية الصينية المقلدة، وفي أفغانستان في تجارة المخدرات، وملايين آخرون في الغرب يتناولون الماريغوانا بانتظام، ومئات الآلاف من المهاجرين الذين يستعينون بمجرمين من أجل تهريبهم إلى أوروبا، والموسرون في مناطق مثل مانهاتن وميلانو، الذين يوظفون مهاجرين غير شرعيين كمربيات أو مديرات منزل. مثل هؤلاء الأشخاص العاديين يشكلون جزءا لا يتجزأ من بيئة العمل الإجرامي[8] على سبيل المثال أيضا ووفقا لتقرير «الفساد في أفغانستان: الرشوة كما يروي عنها الضحايا» فإن أحد الأرقام الصارخة التي وردت في التقرير هو مبلغ 2,5 مليار دولار من الرشاوى التي يدفعها الأفغان على مدار 12 شهرا. وبذلك تبلغ نسبة دفع الرشاوى نحو 25 في المائة من إجمالي الناتج المحلي[9].

= على الرابط:
http://www.majalla.com/arb/2012/06/article55236349/%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%B1%D9%8A%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D8%B8%D9%85%D8%A9-%D8%AA%D8%AA%D9%88%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%84%D8%B7%D8%A9.

(7) دائرة الأمم المتحدة للإعلام، المرجع السابق، ص03.

(8) موسى نعيم، المرجع السابق.

(9) المجلة، الفساد في أفغانستان.. يتحول من داء إلى دولة، مجلة المجلة، 13/ 09/ 2010، على الرابط:
http://www.majalla.com/arb/2010/09/article55136723/%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B3%D8%A7%D8%AF-%D9%81%D9%8A-%D8%A3%D9%81%D8%BA%D8%A7%D9%86%D8%B3%D8%AA%D8%A7%D9%86-%D9%8A%D8%AA%D8%AD%D9%88%D9%84-%D9%85%D9%86-%D8%AF%D8%A7%D8%A1-%D8%A5%D9%84%D9%89-%D8%AF.

وعلى عكس الاقتصاديات الوطنية التي تتأثر سلبيا بالأزمات السياسية والاقتصادية، فإن الأخيرة تشكل بيئة مناسبة لانتعاشها وتطورها. فبفضل ضعف الاقتصاد والتداعيات التي خلفتها الأزمة الاقتصادية العالمية، استطاعت المنظمات الإجرامية الثرية السيطرة بأسعار زهيدة، على شركات تعاني من صعوبات مالية، ولكنها مستقبلا ذات قيمة محتملة. وأجبرت إجراءات التقشف المالي الحكومات في كل مكان على تخفيض ميزانيات أجهزة تنفيذ القانون ونظم المحاكم. كما تم تسريح ملايين العاملين الذين أصبحوا أكثر عرضة لارتكاب ما يخالف القانون. وأضافت الأعداد الكبيرة من الخبراء العاطلين في مجال التمويل والمحاسبة وتكنولوجيا المعلومات والقانون واللوجيستيات إلى المواهب العالمية المتاحة للمنظمات الإجرامية[10].

وكانت أهم النتائج التي توصل إليها تقرير للأمم المتحدة حول تأثيرات الجريمة المنظمة العابرة للحدود في 2012 تتمثل في مايلي[11]:

1 - يقدر أن في أوروبا وحدها يوجد 140000 شخص من ضحايا الاتجار بالبشر لأغراض الاستغلال في الأنشطة الجنسية، ويدر هؤلاء الضحايا على من يستغّلونهم سنوياً إيرادات مجملها 3 بلايين دولار أمريكي.

2 - يدر المهاجرون على المهربين 6,6 بلايين دولارأمريكي.

3 - أوروبا هي أكبر أسواق الهيروين الإقليمية من حيث القيمة 20 بليون دولار أمريكي، بينما روسيا هي أكبر مستهلك وطني وحيد للهيروين في العالم (70 طناً).

4 - يشحن الكوكايين على طول ساحل الأطلسي لأمريكا اللاتينية لينقل إلى أوروبا عبر أفريقيا، وبعض بلدان غرب أفريقيا باتت عرضة للتحول إلى دول فاشلة تحت تأثير هذه الهجمة.

---

(10) موسى نعيم، المرجع السابق.

(11) دائرة الأمم المتحدة للإعلام، المرجع السابق، ص02-03.

5 - تجارة الكوكايين في أمريكا الشمالية وأوروبا التي تبلغ قيمتها 72 بليون دولارأمريكي، يحقق حوالى 70 في المائة من الأرباح المتاجرون من المستوى المتوسط في البلدان المستهلكة وليس في منطقة الأنديز.

6 - يقدر حجم السوق العالمية للأسلحة النارية غير المشروعة بما يتراوح بين170 و320 مليون دولار أمريكي سنويا، أي ما يتراوح بين 10 و 20 في المائة من السوق المشروعة.

7 - ارتفع عدد البضائع المقلّدة التي تكتشف على حدود أوروبا إلى عشرة أضعاف على مدار العقد الماضي بقيمة سنوية تربو على 10 بلايين دولارأمريكي. وقد تبين أن ما يصل إلى نصف كم الأدوية التي خضعت للاختبار في أفريقيا وجنوب شرق آسيا مقلّد ومن نوعية متدنية.

8 - ارتفع عدد هجمات القراصنة قبالة القرن الأفريقي بمقدار الضعف من 111 في 2008 إلى 217 في 2009، وما زال يواصل الارتفاع. ومن بين الدخل السنوي المحقّق من الفدية المأخوذة والذي يربو على 100 مليون دولار أمريكي، لايحصل القراصنة إلا على الربع والباقي يذهب إلى جماعات الجريمة المنظمة.

9 - يتعرض أكثر من 5,1 بليون شخص سنوياً إلى سرقة هويتهم، ممايؤدي إلى خسائر اقتصادية تقدر ببليون دولارأمريكي، وفي الوقت نفسه، تهدد الجريمة السيبرانية أمن الدول: حيث تتعرض شبكات الكهرباء والحركة الجوية والمنشآت النووية إلى الاختراق.

جدلية المكافحة والتوظيف:

لا تنفك مختلف الحكومات والدول من التصريح عن حرصها على محاربة الجريمة المنظمة العابرة للحدود، وتجسد ذلك من خلال الانضمام للاتفاقيات الدولية المشتغلة على هذا المجال، وتحديث أنظمتها القانونية بما يمكن من الحد من الظاهرة، فضلا عن تطوير أجهزتها الأمنية لمواكبة التطورات الحاصلة في هذا العالم. ولكن المنحى التصاعدي للجريمة

المنظمة وتمددها الأفقي والعمودي يدلل على وجود اختلالات عميقة تتهم الدولة التي يفترض أنها معنية بمعالجة المرض، بالقيام بممارسات تساهم في تفشيه لدرجة بتنا أمام ظاهرة جديدة أصطلح عليها بـ"دولة المافيا".

ففي تقرير نشرته مجلة "المجلة " عرض الكثير من الشواهد عن مدى استفحال الظاهرة في بعض الحكومات التي بدلا من القضاء على العصابات الإجرامية ذات النفوذ، أصبحت تجري عمليات غير مشروعة خاصة بها. إذ يعمل مسؤولو الحكومة على إثراء أنفسهم وعائلاتهم وأصدقائهم مع استغلال المال والقوة والنفوذ السياسي والعلاقات الدولية بالمنظمات الإجرامية لتعزيز سلطتهم وتوسعة نطاقها. ولم يعد المجرمون المحترفون فقط هم من يحتلون المناصب العليا في أكبر المؤسسات غير الشرعية في العالم، بل ويتولاها أيضا مسؤولون حكوميون رفيعو المستوى ومشرعون ورؤساء مخابرات وقادة شرطة وعسكريون، وفي بعض الحالات رؤساء دول أو أفراد من عائلاتهم[12].

وغالبا ما يعمل مسؤولو الحكومة والمجرمون معا، من خلال مجموعات تجارية قانونية ذات صلات وثيقة مع كبار القادة وعائلاتهم وأصدقائهم. إذ تتواتر التقارير الإعلامية عن علاقة مسؤولين حكوميين وعسكريين بعالم الجريمة المنظمة، مثل المافيا الروسية وعلاقتها بالحكومة، أو أفغانستان حيث اتهم كبار مسؤولي الحكومة وحكام الأقاليم - ومن بينهم أخو الرئيس حميد كرزاي غير الشقيق أحمد والي كرزاي، الذي اغتيل - ليس فقط بالتآمر مع شبكات الاتجار في المخدرات، ولكن بقيادتها. أو رئيس وزراء كوسوفو هاشم تاتشي وحلفاءه السياسيين الذين لديهم «نفوذ كبير على تجارة الهيروين وأنواع أخرى من المخدرات» ويحتلون أهم المناصب في «الهياكل التنظيمية للمنظمات الإجرامية التي تشبه المافيا في كوسوفو». أو العلاقة بين الدولة والجريمة المنظمة في

---

(12) موسى نعيم، المرجع السابق.

بلغاريا التي تجاوزت كل الحدود إلى المشاركة السياسية المباشرة ـ على عكس الرشوة ـ فهي «تملك» عددا من المجالس المحلية وأعضاء مستقلين في البرلمان، فضلا عن تقديم تبرعات إلى جميع الأحزاب السياسية الكبرى، هذا الواقع الذي عبر عنه تاناس أتاناسوف عضو البرلمان البلغاري ورئيس مكافحة التجسس السابق بالقول أن «الدول الأخرى لديها مافيا، ولكن في بلغاريا المافيا لديها دولة»[13].

وقد صنفت الحكومة الأميركية رسميا عثمان كونتي ابن الرئيس الغيني الراحل لانسانا كونتي عام 2010 كواحد من "أكبر تجار المخدرات". واعتقل رينيه سانابريا، الجنرال المتقاعد الذي رأس جهاز مكافحة المخدرات البوليفي، على يد عملاء فيدراليين أميركيين في بنما، واتهم بالتخطيط لشحن مئات الكيلوغرامات من الكوكايين إلى ميامي. واعترف سانابريا بجريمته وحُكم عليه بالسجن 14 عاما. كذلك دخلت مجموعة من الجنرالات الذين تقلدوا رئاسة مكافحة المخدرات في المكسيك إلى السجن، بسبب مشاركتهم في الجريمة ذاتها، وفي 2010، عين الرئيس هوغو شافيز الجنرال هنري رانغيل سيلفا قائدا أعلى للقوات المسلحة الفنزويلية، ثم أصبح وزيرا للدفاع. ولكن في 2008، أضافته وزارة الخزانة الأميركية على قائمتها لكبار تجار المخدرات، حيث اتهمته بتقديم «مساعدة فعلية لأنشطة الاتجار في المخدرات». كما أطلقت هذه الصفة على عدد من المسؤولين الفنزويليين من بينهم خمسة ضباط عسكريين رفيعي المستوى، ومسؤول في الاستخبارات وعضو بارز في الكونغرس متحالف مع شافيز[14].

ويؤكد المحقق الإسباني جوزيه غريندا، على أنه في العديد من الحالات يصبح من المستحيل بالنسبة له ولزملائه، التمييز بين مصالح المؤسسات الإجرامية ومصالح الدول المضيفة لها. فدائما ما يواجه مسؤولو

---

(13) المرجع نفسه.

(14) المرجع نفسه.

تنفيذ الأحكام الإسبان جماعات إجرامية تعمل وكأنها ملحقة بحكومات روسيا البيضاء وروسيا وأوكرانيا. وفي ملاحظات سرية تناقلتها المراسلات الدبلوماسية الأميركية التي نشرها موقع «ويكيليكس»، أوضح غريندا مخاوفه بشأن «النفوذ الهائل» الذي تمارسه ما وصفها بـ«المافيا الروسية » على عدد من القطاعات الاستراتيجية في الاقتصاد العالمي، مثل الألومنيوم والغاز الطبيعي. ويشير غريندا إلى أن هذا النفوذ أصبح ممكنا بفضل حجم التعاون الذي يقدمه الكرملين للمنظمات الإجرامية الروسية[15].

مكافحة الجريمة المنظمة العابرة للحدود: بين الآليات الوطنية والدولية:

أضحت الجريمة المنظمة العابرة للحدود من مظاهر عولمة العلاقات الدولية، وتتطلب مكافحتها تعاونا دوليا إذ يصعب على أي دولة مهما أوتيت من إمكانيات مادية وبشرية أن تسيطر عليها بمفردها، نظرا لامتداد النشاط الإجرامي عبر العديد من الدول من ناحية، وضخامة تكاليف المكافحة وحاجتها لاستخدام وسائل علمية وتكنولوجية من ناحية أخرى[16].

وقد ألح النمو المتزايد للظاهرة وانتشارها في كل الدول، واستشرائها في مختلف الأجهزة كما أشرنا إليه سابقا على ضرورة تكاتف الجهود الوطنية والدولية لمحاربتها. وتبذل في سبيل محاربتها جهود دولية كثيرة تحاول وضع أطر قانونية وسياسية للحد منها، فقد عقدت الكثير من المؤتمرات الدولية حول أنجع طرق التعاون الدولي لمواجهة خطر الجريمة المنظمة، كان أهمها اتفاقية الأمم المتحدة الدولية لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية التي اعتمدت وعرضت للتصديق والتوقيع والانضمام في 15 نوفمبر 2000. وقد ارتفع مستوى الانضمام إليها وبروتوكولات، إذ سُجِّل، قبل ستة أشهر من حلول الذكرى العاشرة لبدء نفاذ الاتفاقية، وجود

---

(15) المرجع نفسه.

(16) محمد السيد عرفة، المرجع السابق، ص94.

175 دولة طرفًا فيها، و154 دولة طرفًا في بروتوكول منع وقمع ومعاقبة الاتجار الأشخاص، وبخاصة النساء والأطفال المكمِّل لها، و135 دولة طرفًا في بروتوكول مكافحة ريب المهاجرين عن طريق البر والبحر والجو أيضا، و97 دولة طرفًا في بروتوكول مكافحة صنع الأسلحة النارية وأجزائها ومكوِّنا أو الذخيرة والاتجار بها بصورة غير مشروعة(17).

وتوّفر اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية للدول الأعضاء، في جملة أمور، فرصة طلب تسليم المجرمين والمساعدة القانونية المتبادلة والتعاون الدولي لأغراض المصادرة من عدد كبير من الشركاء ضمن الدول الأطراف في الاتفاقية دون ما حاجة إلى اتفاقات ثنائية في كل حالة(18). كما يقوم مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة، بالتشاور مع الدول الأعضاء وبالتعاون مع معاهد شبكة برنامج الأمم المتحدة لمنع الجريمة والعدالة الجنائية، بتعزيز العمل على جمع وتحليل بيانات عن اتجاهات وأنماط الجريمة المنظَّمة تتَّسم بالدقَّة والموثوقية والقابلية للمقارنة والإبلاغ عنها، وفقًا لأحكام المادة من اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظَّمة عبر الوطنية، مما يمكن أن يساعد الدول الأعضاء على تحليل الاتجاهات بشأن الجريمة المنظَّمة عبر الوطنية، بما يشمل، في جملة أمور، الصلات التي يحتمل أن توجد في بعض الحالات بين الأنشطة الإجرامية المنظَّمة عبر الوطنية والأنشطة الإرهابية(19).

غير أن أهم إشكالية تواجه هذا المجال هي القدرة على التنسيق بين الآليات الوطنية والدولية، حيث تحاول كل دولة الحفاظ على سيادتها من جهة، وتعزيز أمنها الذي يستلزم إحاطة المعلومات حول النشاط الإجرامي

(17) لجنة منع الجريمة والعدالة الجنائية، تقرير عن أعمال الدورة الثانية والعشرين، 7 ديسمبر، 2012/ 26 أبريل 2013، والأمم المتحدة، نيويورك، 2010، ص72.

(18) الأمانة العامة للأمم المتحدة، المرجع السابق، ص01.

(19) لجنة منع الجريمة والعدالة الجنائية، المرجع السابق، ص77.

خاصة لما يكون له بعد سياسي بقدر من السرية يستحيل الالتزام بها في حالة تنسيق الجهود مع دول أخرى التي لا بد أن تبدأ من تبادل المعلومات المتوفرة لدى الأجهزة الأمنية لكل طرف.

فهنا تدخل جملة من الاعتبارات أهمها "أزمة الثقة" حيث تعيق هذه القضية كل إمكانيات التعاون عبر الوطني، على عكس الجريمة المنظمة التي ليس لها أي مشكلة في تنسيق علاقاتها مع أطراف أخرى، بل توثيق تلك العلاقات يأتي في مقدمة الأولويات نظرا لطبيعة نشاطاتها التي تقتضيه، والمردود المادي المترتب عنه. فالجريمة المنظمة العبر وطنية تسعى للدخول في تحالفات استراتيجية تمكنها من التعاون مع المنظمات الإجرامية المحلية الراسخة بدل منافستها، مما يعزز قدرتها على الالتفاف على إنفاذ القانون، وتيسير تقاسم الأخطار، واستخدام قنوات التوزيع القائمة، والاستفادة من تباين هوامش الأرباح بين الأسواق المختلفة[20].

ولا شك أنه من الصعوبة بما كان أن يحدث هذا الترابط بين المنظمات بعيدة عن الأجهزة الأمنية والاستخباراتية، المحلية والدولية، التي تستغل هذه العمليات لتوظفها في خدمة أجندتها السياسية. وبشكل خاص الاتجار بالأسلحة بطرق غير شرعية، فهذا المجال المرتبط غالبا بمناطق النزاعات والحروب الأهلية حيث تتقاطع وتتضارب المصالح الدولية يستحيل أن يتم دون دعم مباشر أو غير مباشر من الحكومات، أقله غض النظر عنها. فكثيرا ما تستعين الحكومات ووكالات التجسس، بما فيها تلك الدول الديمقراطية، بمجرمين من أجل تهريب أسلحة إلى متمردين متحالفين معها في دول أخرى، أو من أجل اغتيال أعدائها في الخارج (ولعل من أشهر الأمثلة على ذلك المحاولة التي قامت بها وكالة «سي.آي.إيه» للاستعانة برموز المافيا الأميركية لاغتيال فيدل كاسترو في 1960[21].

---

(20) محمد السيد عرفة، المرجع السابق، ص95.

(21) موسى نعيم، المرجع السابق.

وفي إطار التعاون الدولي لمكافحة الجريمة المنظمة العابرة للحدود تشكل الانتربول" الآلية الدولية الأبرز في محاربة الجريمة المنظمة إضافة إلى مكاتب الأمم المتحدة لمحاربة المخدرات، حيث يوجد داخل كل بلد من البلدان الأعضاء في منظمة الانتربول مكتب مركزي وطني يصل الشرطة الوطنية بالشبكة العالمية. ويتخذ هذا المكتب عادة شكل شعبة من شعب وكالة الشرطة الوطنية أو دائرة تحقيق تعمل بمثابة حلقة وصل بين جميع أنشطة الإنتربول في الميدان. ويشغل هذه المكاتب أفراد شرطة عالون التدريب، وهي تعتبر الشريان الحيوي للإنتربول حيث إنها تساهم في قواعد بياناتها الجنائية وتتعاون في ما بينها في مجال التحقيقات والعمليات وإجراءات التوقيف العابرة للحدود[22].

غير أن هذا الجهاز لم يسلم هو الآخر من الظاهرة، ويعاني من نفس المشاكل "السياسية" التي تحد من قدرته على مواجهة الظاهرة، وأولى هذه المشاكل أزمة الثقة بين مختلف الأجهزة الشرطية، التي لخصها أحد المسؤولين رفيعي المستوى في جهاز مكافحة الجريمة المنظمة في المملكة المتحدة، بالقول: «الحقيقة المحزنة، هي أنني لن أطلع أجهزة الشرطة الروسية أو المكسيكية على أفضل وأدق المعلومات المتوفرة لدي». وعلى الرغم من أن المنظمة قطعت أشواطا كبيرة من أجل ضمان سرية المعلومات التي تطلع عليها أجهزة الشرطة في الدول الأعضاء، فإن أجهزة تنفيذ القانون الوطنية في الواقع ما زالت قلقة بشأن الإفشاء عن كثير من المعلومات[23]. وما يفاقم المشكلة أكثر الفساد الذي طال المنظمة بحد ذاتها بل وأكبر مسؤول فيها حيث أدين رئيس الإنتربول "جاكي سليبي" ، قائد الشرطة الوطنية في جنوب أفريقيا في عام 2010 بقبول رشوة قدرها 156 ألف دولار من مهرب مخدرات. وهو الآن يقضي حكما بالحبس مدته

---

(22) الانتربول، التقرير السنوي 2009، ص16.

(23) موسى نعيم، المرجع السابق، .

15 عاما[24]. فلا تستطيع أجهزة الأمن الوطنية الوثوق في الأجهزة الأخرى ما دام المسؤولون رفيعوا المستوى وفي كل الدول والأجهزة حتى الأنتربول متورطون في ذلك.

الجريمة المنظمة وسيادة الدول:

سبق الإشارة إلى علاقة الجريمة المنظمة ببعض الحكومات وكيف أصبحت متغلغلة في الأجهزة الإدارية والسياسية لدرجة باتت حسب رئيس مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة تهدد ليس السلام والتنمية، فقط بل حتى سيادة الدول، فالمجرمين لا يستخدمون فحسب الأسلحة والعنف، بل يستعينون أيضاً بالمال والرشوة لشراء الانتخابات والساسة والسلطة - بل حتى الجيش[25]. ومثل هذه المظاهر التي تشهدها بعض الدول المتقدمة بدرجة ما فإنها في حالة الدول المتخلفة موجودة بدرجات أكبر، حيث تساهم جملة الاختلالات البنيوية التي تعيشها هذه الدول في تعزيز نفوذ الجريمة المنظمة وتمكين عناصرها من التغلغل داخل الأجهزة الحكومة. وفي هذه الحالة تتأثر سيادة الدول بمدا مصداقيتها لدى الأطراف الدولية الأخرى، حيث لا يتم الارتكان في التعاملات إلى الأجهزة الحكومية الرسمية، فضلا عن عدم إشراكها في البرامج الدولية لمكافحة الظاهرة، ولربما حتى المساعدات الدولية.

ومن جانب آخر فإن الدول الأجنبية لا تسعتى غالبا إلى مساعدة تلك الدول في رسم سياسات واستراتيجيات للخروج من هذا المأزق، مع عدم نفي وجود بعض المحاولات التي لا تهدف لمعالجة تلك الاختلالات، ولكن منطق العلاقات الدولية الذي يحتكم فيه إلى المصالح يجعل منها محاولات هامشية لربما تكون جزأ من "غسيل السياسات" إن صح التعبير فكما تتواجد عناصر الجريمة المنظمة في الأنشطة الخيرة وتقدم تبرعات

---

(24) المرجع نفسه.

(25) دائرة الأمم المتحدة للإعلام، المرجع السابق، ص01.

بسخاء للجمعيات العاملة في هذا المجال، تقوم بعض الدول هي الأخرى بتقديم برامج ومساعدات واقتراحات لمساعدة الدول في تجاوز العقبات التي تعيق تطورها، ولكنها في الواقع الحقيقي تقوم بنقيض ذلك تماما، فهي لا تتوقف عند عدم التعامل مع أعضاء الجريمة المنظمة، ولكن على العكس من ذلك فإنها تستثمر في تلك الأوضاع بما يخدم مصالحها، فتتحول مقدرات الشعوب ومصير أقليات إلى مورد مادي تتقاسمه الجريمة المنظمة من جهة والمصالح الدولية من جهة أخرى، وبينهما نخبة سياسية فاسدة.

وتشكل المناطق الحدودية الفضاء المناسب لانتعاش الجريمة المنظمة وازدهارها، حيث التهميش وتردي الأوضاع المعيشية، والفراغات السياسية الناجمة عن ضعف الولاء للدولة باعتبار الحدود مناطق عبور كثيرا ما لا تنسجم مع الطبيعة المجتمعية، والأنماط الثقافية والنشاطات الاقتصادية. ومهما سعت الدول لتأمين حدودها فإنه إضافة إلى المعوقات الطبيعية التي تصعب من عملية المراقبة بالرغم من تطور الوسائل التقنية في هذا المجال، فإن الروابط المجتمعية كثيرا ما تحول دون الحد من هذه القضايا، خاصة لما ترتبط بإشكاليات ذات أبعاد سياسية[26].

---

(26) لمساعدة البلدان الأعضاء في تعزيز الإجراءاتال تي تتخذه الصون أمن حدودها وإشراك البلدان المجاورة في الجهود التي تبذلها في هذا المجال، ينسق الإنتربول أنشطة ميدانية، ويوفر فرص تدريب، ويقيم الشراكات مع المنظمات الدولية لضمان سلامة جميع الحدود الوطنية وأمنها. وقد جُمعت هذه الجهود تحت راية فرقة عمل الإنتربول المعنية بالإدارة المتكاملة للحدود التي تؤدي دور جهة اتصال مركزية تُعنى بتنسيق جميع الأنشطة التي ينفذها الإنتربول لضمان أمن الحدودو إدارتها. وتتولى فرقة العمل هذه ما يلي:

1 - تخطيط وتنسيق السياسات العامة لإدارة أمن الحدود.

2 - تعزيز قدرات البلدان الأعضاء في إدارة أمن الحدود.

3 - إقامة الشراكات مع المنظمات الدولية والقطاع الخاص.

4 - تخصيص الموارد في الميدان للمبادرات المتعلقة بأمن الحدود.

لتفاصيل أكثر حول الموضوع انظر: إدارة الحدود، الانتربول، COM/FS/2014-03/GI-08، ص01-02.

وفي هذا السياق فإن لتنظيمات الجريمة المنظمة قدرة على الاستثمار في الأنساق المجتمعية المتواجدة بين الحدود والتي تساهم أوضاعها الاجتماعية من جهة وثقافتها من جهة ثانية في لعبها دور الوسيط أو على الأقل المسهل للعبور، فمثل هذه الأنشطة من الصعوبة بما كان إقناع ممتهنيها أنها "جريمة".

والأخطر من هذا لما تكون هنالك نزاعات حدودية أو خلافات سياسية يستغل أحد الأطراف عناصر الجريمة المنظمة لتحقيق أهدافه منها، وقد يتجاوز الأمر إلى طرف دولي تكون لديه مصالح في المنطقة، وهذا الوضع الذي تعاني منه الكثير من الدول الإفريقية والشرق أوسطية بشكل خاص، حيث تتواجد مجموعات إرهابية تنتهج العنف المسلح لتحقيق أهداف سياسية، تضيف بعدا آخر يعمق أكثر هذه الإشكاليات، خاصة في ظل التعاون بين الطرفين الذي تجاوز كل الفروقات الموضوعية التي يفترض مبدئيا معها استحالة حصول أدنى مستوى من التنسيق بينهما. فوفقاً لـ "إدارة مكافحة المخدرات"، فإن تسعة عشر منظمة، من بين ثلاث وأربعين منظمة تم تصنيفها كمنظمات إرهابية أجنبية، ترتبط قطعاً بتجارة المخدرات العالمية، وما يصل إلى 60 في المائة من المنظمات الإرهابية ترتبط بصناعة المخدرات غير المشروعة. فعلى سبيل المثال، إن تفجيرات قطار مدريد في 2004 التي قتل فيها 191 شخصاً، تم تمويلها بصورة جزئية من مبيعات الحشيش[27].

تواطؤ الأضداد: الجريمة المنظمة العابرة للحدود والإرهاب

لا تهدد الجريمة المنظمة العابرة للحدود السيادات فحسب، وإنما كيانات الدول بحد ذاتها، خاصة لما تجتمع الإرهاب، فقد تواترت التقارير

---

(27) تعقب الشبكات الإرهابية المرتبطة بالمخدرات اقتفاء أثر الأموال، معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى، شتاء 2010، على الرابط:
http://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/tracking-narco-terrorist-networks-the-money-trail.

عن العلاقة الوطيدة التي ربطها الطرفان بين بعضهما البعض في الكثير من الحالات. من هناك كان لزاما التطرق إلى الموضوعين في محور مستقل يوضح مدى تأثير الظاهرتين على الدول.

تجدر في البداية الإشارة إلى أن الظاهرتين تجمعهما مميزات مشتركة لعل أبرزها[28]:

1 - صفة الفاعلان عاقلان، وإنتاج ضحايا، واستخدم تكتيكات متماثلة مثل الاختطاف والاغتيال، والعمل في الخفاء. وتجريم النظام الحاكم والتخندق ضد الدولة. فكلاهما يعارض سيادة الدولة، ويعمل على أفضل وجه في الأماكن التي لا تطالها سلطة القانون.

2 - يعتمد الاثنان على وسطاء مشبوهين مزدوجين.

3 - كلاهما لا يولي اعتباراً لحقوق الإنسان، ويعتمد على السمات المميزة للجريمة المنظمة مثل الفساد والتخويف والعنف.

4 - كليهما يتصف بكونه من المنظمات فائقة الدقة التي تستعين بأحدث التقنيات.

5 - غالباً ما تعتمد المنظمات الإرهابية الأجنبية وكارتلات المخدرات على نفس الجهات التي تقوم بتبييض الأموال ولديها القدرة على تجديد نفسها كلما وجهت إليها ضربة، وغالباً ما تعاود الظهور في شكل جديد أو يصعب التعرف عليه.

أما أوجه الاختلاف فتتمثل فيما يلي:

1 - تقتصر الأهداف السياسية للجريمة المنظمة على حصة أكبر من الأسواق غيرالمشروعة. أما الإرهاب فيهدف إلى تغيير الأنظمة السياسية والحلول محلها.

---

(28) فريدومسي أونوهاود. جيرالد إي إز ريم الحناشي، غرب إفريقيا: الإرهاب والجرائم المنظمة العابرة للحدود، الجزء الأول، الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، 24/ 07/ 2013، ص04.

2 - الإرهابيون يميلون أكثر من المجرمين إلى عدم التميز بين ضحاياهم.

3 - الإرهابيون يعلنون مسؤوليتهم عن أعمال العنف ويستخدمون وسائل الإعلام لنشر قضيتهم، في حين أن المجرمين عادة ما يتجنبون وسائل الإعلام.

4 - الإرهابيين يستنكفون عن وصمهم بأنهم مجرمون عاديون.

5 - الإرهابيين يقدمون إطارا يبررون من خلاله أفعالهم وهو ما يمكن أن يتجلى في رواياتهم وخطاباتهم السياسية أو الأيديولوجية أوالدينية. أما جماعات/عصابات الجريمة المنظمة فلا تهمها الحكومات القائمة ما دامت سلطات الدولة لا تتدخل أو تعطل أنشطتها الرامية لتحقيق الاستفادة والربح الماديين.

6 - يميل الإرهابيون إلى تبني رؤية خاصة بهم تحدد ما يجب أن يكون عليه النظام الديني والسياسي والإيديولوجي الذي ينبغي له -حسب رؤيتهم- أن يوجه المجتمع، بينما لا توجد مثل هذه الرؤية لدى العصابات الإجرامية[29].

لكن أوجه التشابه هذه والاختلاف لا تنفي هامش من التناقض والتعارض يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار، فالعلاقات بين الشبكات الإرهابية والمنظمات الإجرامية غالبا ما تتسم بالميوعة والتغير المستمر تبعا للبيئة التي يتم التفاعل فيها بين الطرفين. لكن بغض النظر عن ما إذا كانت العلاقة بين الاثنين دائمة في بعض السياقات ومتحولة وسريعة الزوال في سياقات أخر، تظل الحقيقة الثابتة أن تجليات الجريمة المنظمة والإرهاب سواء منفصلين عن بعضهما أو منسقين فيما بينهما تقوض الاستقرار والأمن والتنمية الحقيقية على الصعيدين الإقليمي والدولي[30].

ولعل من النقاط المشتركة الهامة التي يمكن إضافتها والتي لها علاقة

(29) المرجع نفسه، ص04.

(30) المرجع نفسه، ص05.

بموضوع الدولة والسيادة تتمثل في أن كلا الظاهرتين تشكلان مجالا خصبا لعمل الأجهزة الاستخباراتية، فلا يمكن تصور وجود جريمة منظمة عابرة للحدود أو تنظيم إرهابي بعيد عن تأثير أجهزة الاستخبارات بشكل مباشر أو غير مباشر، ولعل نقطة تلاقي الطرفين تشكل العقدة المحبوكة بأيدي الأجهزة الاستخباراتية التي تجمع بين المصالح المالية والسياسية على حد سواء، ومهما ادعت التنظيمات الإرهابية من استقلالية فإن مجرد دخولها في تحالفات أو تعاون ولو كان استثنائي أو مؤقت مع تنظيمات الجريمة المنظمة فإنه يدلل على قابليتها للاختراق والتوظيف من طرف الأجهزة الاستخباراتية، هذا إذا لم تكن البعض منها في الحالتين صنيعة تلك الأجهزة جزئيا أو كليا، خاصة إذ أخذنا في الاعتبار ظاهرة دول وحكومات المافيا.

الخاتمة:

لا تستثني الجريمة أي مجتمع من المجتمعات، ومن المفارقات الغريبة في هذا المجال أن مجتمعات الرفاهية التي تكثر فيها الجريمة تعد أكبر المستهلكين للمخدرات، بالتالي الممول الأهم للجريمة المنظمة العابرة للحدود، وإن كان اتجاه الظاهرة من الشمال نحو الجنوب يعيب عل المجتمعات المتخلفة ما تراه دول الشمال "تصدير التهديدات الأمنية " فإن مجتمعات الشمال ودوله تصدر هي الأخرى تهديدات أمنية لا تقل خطورة هذا إذا لم نقل أن الدول الغربية هي من يشتري تلك التهديدات بأمواله في سياق نهبه لمقدرات مجتمعات الجنوب.

هذه الجديلة تأكد توزع المسؤولية في انتشار الظاهرة على كل الدول والهيئات والمجتمعات. وتعدد أشكال الجريمة المنظمة وتشابكها يجعل من احتوائها أمر صعبة للغاية خاصة في ظل التطورات التقنية في مجال الاتصال، ومن الدلائل على المستوى الكبير من التنسيق الذي وصلت إليه الجريمة العابرة للحدود استخدام الطائرات في عمليات التهريب.

هذا فضلا عن المعوقات المتعلقة بتباين المنظومات القانونية في الدول، واتساع شبكات المستفيدين، والأزمات العالمية الكثيرة التي تنعش الجريمة المنظمة، وتورط الكثير من السياسيين والمسؤولين الحكوميين والعسكريين في هذه الجرائم. فضلا عن اصطدام الجهود الدولية للحد من الظاهرة بعقبة المصالح السياسية، إذ لا يخلوا الواقع من استثمار مثل هذه الأشكال لخدمة أهداف محددة تتراوح من جهة بين الاستفادة المباشرة بالتورط كسبا للمال، وهذا ما يحصل في كثير من الدول التي ثبت تورط مسؤولين سياسيين وعسكريين في أنشطة الجريمة المنظمة العابرة للحدود. ومن جهة أخرى الاستثمار لتحقيق مكاسب سياسية أقلها افتعال أزمات واستغلال الجريمة المنظمة لتحقيق تلك الأهداف، وبذلك تصبح وسيلة لا يمكن الاستغناء عنها وأبرز الأمثلة سوق الأسلحة وكيف تتورط دول وشركات كبرى في هذا المجال.

وفي المقابل فإن الأزمات السياسية وما يترتب عنها من مشكلات إنسانية تشكل بيئة مناسبة لنشاط الجريمة المنظمة العابرة للحدود، ولكون الأخيرة من حيث أصلها خروج عن القانون، وحالة مرضية، وبحكم المصالح الشخصية التي تحرك المشتغلين بها، فضلا عن الاعتبارات النفسية والاجتماعية التي تحدثت عنها نظريات علم الإجرام كما سبق الإشارة فإن ضبط سلوك هذه التنظيمات الإجرامية أمر غاية في الصعوبة في حالة التوظيف، فضلا على استعدادها للعمل مع أي طرف والقيام بأي شيء بحثا عن الربح المادي كونه المحرك الأساسي لنشاطها.

كما أن سعيها الدائم والمستمر على الدمج بين أعمالها الإجرامية ونشاطات قانونية، أو ما يسمى بجرائم غسيل الأموال، وأيضا إفساد بعض الأجهزة الحكومية السياسية والأمنية، بما في ذلك القضاء سواء بالرشاوى أو التهديد بالقتل وغيرها من الوسائل التي تتقنها المنظمات الإجرامية. يضاعف من صعوبات الحد منها فضلا عن القضاء عليها إذا ما عدنا لفكرة أصالة الجريمة في السلوك الإنساني.

ثانياً: العنف باسم الفضاءات البائدة والسيادات المقسمة

أ. بوزيدي يحي

مقدمة:

تعيش جل الدول العربية منذ نيل استقلالها حالة عدم استقرار سياسي اتسمت بممارسة للعنف بدرجة كبيرة جدا تدلل عليه الأرقام المسجلة في عدد ضحايا النزاعات والحروب الأهلية في مختلف الأقطار. وتباين الأسباب وتعددها يتمحور حول فكرة واحدة هي محل صراع بين مختلف الأطراف تتمثل في موضوع "الدولة". وبينما كان النزاع بعيد الاستقلال ينطلق من خلفية "قومية" حيث سعت بعض الاثنيات إلى تأسيس كيانات خاصة بها على غرار الأكراد في كل من العراق وتركيا وسوريا وإيران، محاكاة لفكرة "القومية العربية" التي بنيت عليها شعارات جل الأنظمة السياسية في تلك المرحلة، إلا أنه ابتداء من عقد السبعينات برزت تنظيمات إسلامية سعت بدورها لتجسيد تصوراتها حول فكرة "الدولة"، بين من ينادي بإزالة الحدود بشكل نهائي وتأسيس الخلافة الإسلامية، ومن يعترف بها (أي الدولة) ولكن يجادل بوظيفتها والتي يجب أن تكون في خدمة الشريعة الإسلامية، كما تعددت الوسائل فتراوحت بين العنف المسلح أو المشاركة السياسية الرسمية.

وقد برزت إلى السطح في المرحلة الأخيرة ظواهر جديدة خاصة بعد

أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 في الولايات المتحدة الأمريكية واحتلال العراق، ثم الانتفاضات الشعبية التي تشهدها المنطقة العربية منذ 2011 وما ترتب عنها من تداعيات كان أبرزها الحجم الكبير من العنف الذي تمارسه كل الأطراف. ومما ساهم في تعقيد الأوضاع أكثر ذلك التمازج الذي حصل بين الإشكاليات القومية العالقة ممثلة في الطوارق والأكراد على سبيل المثال لا الحصر، والحركات الجهادية التي أصبح لها دور أكبر مما سبق. التداخل بين كل هذه القضايا إضافة إلى المشكلات التقليدية ممثلة في الاستبداد، وانعدام الديمقراطية، والفقر، وغيرها من مظاهر التخلف، فضلا عن العولمة وانعكاساتها، والتدخلات الخارجية وتأثيراتها، نجم عنها أنماط جديدة من السلوكيات السياسية التي تتقاطع دائما حول فكرة الدولة انطلاقا من أحد أبعادها الثلاثة (الإقليم، الشعب، السيادة) حيث يحاول كل طرف من أطراف النزاع الحصول على عنصر مفتقد باستغلال آخر يمتلكه.

1 - الأنظمة السياسية والاستثمار في السيادة: العنف وجدل الشرعية

تميزت الانتفاضات الشعبية الأخيرة في بدايتها باعتماد "المظاهرات" كآلية للتغير السياسي ومن هنا امتلكت في الحالتين التونسية والمصرية جاذبيتها، وجعلت الشباب في دول أخرى يسارعون لمجاراتهما، وكانت الانتفاضة اليمنية ضد نظام الرئيس على عبد الله صالح تفاخر كيف أنها استطاعت إزاحة الرئيس من السلطة دون الدخول في حرب أهلية على عكس جل التوقعات التي كانت ترجح انحراف البلد نحوها نظرا لحجم التسلح الكبير والبنية القبلية للمجتمع اليمني[1]، وبذلك كان "اللاعنف"

(1) تشير التقارير والدراسات إلى الحجم الكبير من الأسلحة بمختلف أنواعها وما يترتب عنها من عنف كبير، فعلى سبيل المثال لا الحصر وفق تقرير العنف في اليمن خلص التقرير الذي رصد حالات العنف بين شهري سبتمبر 2008 وأوت 2009 إلى أن العنف السياسي مسؤول عن نحو ثلثي (64 في المائة) حالات الوفاة التي وثقتها جميع وسائل الإعلام والناجمة عن العنف المسلح، وكذلك مسؤول عمّا يقرب من ثلاثة أرباع) 71 في المائة (جميع الإصابات العنيفة خلال =

هو المعيار الذي تقاس عليه شرعية الانتفاضات والأنظمة على حد سواء[2]. فقد تجلى ذلك لاحقا في ليبيا وسوريا حيث خسرت المعارضة والأنظمة قدر من الشرعية كلما توجهتا أكثر نحو العنف، هذا الأخير الذي بقي في جل الحالات (باستثناء الحالة التونسية) الخيار الأهم في حسم النتائج السياسية كما حصل في الانقلاب العسكري بمصر، وسوريا، واليمن، وليبيا حتى بعد سقوط نظام معمر القذافي. وفي كل هذه البلدان جدل بين مختلف الأطراف حول "شرعية" استخدام العنف[3].

وبحكم الشرعية الدستورية في ممارسة العنف فإن السلطات الحاكمة في مختلف الدول وجدت نفسها في مأزق خطير جدا أوقعها فيه الطابع السلمي للحركات الاحتجاجية الذي ترفده الطفرة في وسائل الإعلام، والسرعة في نقل الخبر لحظة حدوثه، حيث جعلت الحراك الشعبي يستند لمعايير شرعية أخرى بدورها تتمثل في "الديمقراطية" التي أضحت مطلبا داخليا وخارجيا. بل على العكس أصبحت الأخيرة معيار أو مؤشر على مشروعية الأنظمة، فلا مناص من الإصلاح السياسي المفضي للديمقراطية

= الفترة المدروسة. وكان العنف الاجتماعي، في الوقت ذاته، مسؤولاً عن 23 في المائة من جميع حالات الوفيات المسجلة والناجمة عن عنف مسلح. لتفاصيل أكثر انظر: تقرير العنف المسلح في اليمن، العدد1، ماي 2010، 17/ 08/ 2014 ص06.

(2) تزايد دور الاهتمام بموضوع اللاعنف في العلوم السياسية، ودور الحركات اللاعنفية في إحداث تغييرات سياسية وتجنب الصراعات الدولية، لتفاصيل أكثر حول الموضوع انظر: غليند بيغ، عِلم السياسة واللاعنف الكوني، ترجمة فيصل عودة الرفوع، عمان: (بدون دار نشر)، ط1، ديسمبر 2007.

(3) بعد الحرب العالمية الثانية حسمت الصراعات الداخلية في المجال الغربي، بعد نزاعات وتدافعات وحروب أهلية، وأصبحت الدولة تمثل التيار الرئيس، وتعبر عن وجهة نظر الأغلبية، في الدول القومية الراسخة، ولم تعد الدولة هناك بحاجة إلى توظيف أساليب القوة والبطش والقمع المباشر لتحقيق سيطرة الدولة، لذلك أصبحت العلاقة بين الدولة ومؤسساتها وبين قوى المجتمع علاقات تدافع غير عنفي في معظمها. أما في المجال العربي والإسلامي فلم يحسم هذا التدافع بين مختلف التوجهات الفكرية والاجتماعية والسياسية، ولم تنجح هذه الدول في بناء الإجماع الداخلي، لا بالوسائل السلمية ولا العنيفة. لتفاصيل أكثر انظر: مازن النجار، الإسلاميون وقضايا التحديث والعلمنة والدولة، مؤسسة الدراسات والأبحاث مؤمنون بلا حدود، ص08.

لاستيعاب مختلف المكونات المجتمعية، وللقبول أيضا في المجتمع الدولي.

وقد وجدت الأنظمة صعوبة في القدرة على التوفيق بين الخيارات العنفية التي اعتادت عليها في تجاوز الأزمات السياسية، وبين الحالة الطارئة الجديدة، لذلك كان الاضطرار للتراجع خطوة إلى الوراء تسمح بالخروج من التمثيل الرسمي في مؤسسات الدولة تجسدت في هروب الرئيس التونسي زين العابدين بن على أو استقالة الرئيس المصري حسني مبارك، أو تسليم الرئيس اليمني السلطة لنائبه عبد ربه هادي منصور، ثم العودة مجددا بشكل غير مباشر من خلال استخدام أدوات ما بات يصطلح عليه بالدولة العميقة، ممثلة في المؤسسات السياسية التي حافظت على ولائها لأشخاص الحكام السابقين بدرجات متفاوتة من قطر لآخر إلى جانب المستفيدين من رجال مال وإعلام، ووظفت مرة أخرى "العنف الشرعي" لإعادة الأوضاع إلى سابق عهدها أو على الأقل المحافظة على مصالحها بالمراهنة على عنف الأطراف المعارضة لتبرير خياراتها[4].

وفي سياق استعادة السلطة أو المحافظة عليها كانت ورقة السيادة هي أبرز ما وظفته الأنظمة المترنحة حيث راحت تصف المظاهرات بأنها شأن سياسي داخلي لا يحق التدخل فيه، وأنها تعرف كيفية التعامل معه، ولا تقبل إملاءات خارجية بما يجب عليها فعله اتجاهها، وفي الوقت نفسه لم تنفك عن وسم تلك الانتفاضات بالمؤامرة الخارجية، واجتهد إعلامها كثيرا في اختلاق أو تضخيم علاقة قيادات المتظاهرين بالخارج، وغيرها من الحجج.

---

(4) تجلى هذا في الحالة المصرية التي راهن الانقلابيون فيها على لجوء الإخوان المسلمون والتيار الإسلامي بشكل عام للعنف، وكانت مطالبة السيسي بتفويض شعبي لمواجهة الإرهاب ومحاولة وسم المظاهرات بذلك، فضلا عن تصنيف جماعة الإخوان المسلمين كمنظمة إرهابية كلها تصب في هذا الاتجاه، وتعكس الاستراتيجية التي يستند عليها النظام لإرساء شرعيته، غير أن التيارات الجهادية لم تلجأ للعنف.

ويعتبر النظام السوري أبرز الأنظمة التي وظفت السيادة بطرق متناقضة كانت في أحد أوجهها نتيجة ارتباك موقفها من "الانتفاضات الشعبية" التي هلل لها لما بدأت في تونس ومصر، لكنه عاد بعدما انتقلت إلى سوريا ليعتبرها مجرد مؤامرة تستهدف نهجه السياسي المعادي للكيان الصهيوني والولايات المتحدة، وانتهج الخيار الأمني في التعامل مع المظاهرات، لتتحول الانتفاضة السلمية إلى الخيار العسكري بانشقاق بعض الجنود والضباط من الجيش الذين أسسوا لاحقا ما أصبح يعرف بالجيش السوري الحر، كما تشكلت في الكثير من المدن والأرياف تجمعات عسكرية وإن اجتمعت على هدف إسقاط نظام الأسد إلا أن خلفياتها الفكرية تباينت وكانت في مجملها مشكلة من ثلاث تيارات أساسية: ليبرالية، وإسلامية وطنية، وجهادية أممية كجبهة النصرة، والدولة الإسلامية بالعراق والشام[5].

وقد وفّر الخيار العنفي الذي انتهجته المعارضة -بغض النظر عن مبرراتها- فرصة سانحة للنظام لطالما بحث عنها لتبرير خيارته العُنفية، وكانت العمليات التي يقوم بها "تنظيم الدولة الإسلامية بالعراق والشام" أهم الحجج التي استند عليها، ومن هنا يرجح ذلك التكامل الوظيفي بين الطرفين (في مرحلة أولى على الأقل)، ولكن في المقابل فإن أبرز التجليات الجديدة التي ظهرت في خضم هذه الأحداث هو ذلك التحالف بين النظام السوري والتنظيمات الشيعية اللبنانية والعراقية، وفي مقدمتها "حزب الله" و"لواء أبو الفضل العباس"[6]، حيث أوكلت لنفسها كما

---

(5) لتفاصيل أكثر حول أبرز التنظيمات المسلحة في المعارضة السورية وخلفياتها الأيديولوجية انظر: مروان قبلا، المعارضة المسلحة السورية: وضوح الهدف وغياب الرؤية، الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ماي 2013. أما بالنسبة للإسلاميين فيميز الباحث محمد أبو رمان بين خمسة أجندات: الأجندة الإخوانية، السلفية، السلفية الجهادية والقاعدة، الأجندة المشيخية-الصوفية، والوسطية العامة. لتفاصيل أكثر انظر: محمد أبو رمان، الإسلاميون والدين والثورة في سورية، عمان: مؤسسة فردريش أيبرت، ط1، حزيران 2013، ص51- 56.

(6) هناك العديد من المليشيات الشيعية التي تقاتل إلى جانب الأسد تحت قيادة إيران =

أعلنت قياداتها حماية الأماكن الشيعية المقدسة داخل سوريا، أو حماية بعض المناطق حيث تتواجد أقليات شيعية، ثم التدرج لرفع شعار محاربة الجماعات التكفيرية. ليأخذ التحالف بين دولة وحزب سياسي تابع لدولة مجاورة تنتهج حكومتها خيار النأي بالنفس عن الأزمة، وتنظيمات أخرى "تحت دولتية" بعضها معترف به رسميا، والبعض الآخر بشكل غير رسمي، ويتبع دولة أخرى في القيادة والتوجيه، ممثلة في إيران، طابعا علنيا متصادما بذلك مع أسس "السيادة" و"الشرعية" التي لا يستقيم معها إسناد مهمات أمنية لتنظيم شبه عسكري خارجي غير رسمي فضلا عن خلفيته الأيديولوجية الدينية الطائفية، وتوجيهه من دولة ثالثة.

ولم يكن هذا التحالف الفسيفسائي غير المنسجم السلوك الوحيد في الحالة السورية وإنما رافقه في مرحلة تالية مظاهر أخرى، ودائما في إطار تبرير "العنف" والبحث عن "الشرعية الخارجية" التي تآكلت كثيرا في المرحلة الأولى للانتفاضة الشعبية عندما راحت بعض الدول تسحب اعترافها بالنظام السوري، كان أبرزها موقف الجامعة العربية، وفي نفس الوقت الاعتراف بالائتلاف السوري المعارض ممثلا للشعب السوري[7]. في ظل هذه الأجواء راح النظام السوري يطالب في سياق مواجهة "الإرهاب" إشراكه في محاربة تنظيم الدولة الإسلامية بالعراق والشام

= أبرزها حزب الله اللبناني، لواء أبو الفضل العباس، لواء ذو الفقار، كتائب القدس، لواء صعدة، كتيبة قمر بن هاشم، لواء اللطف، لواء المعصوم، كتائب حيدر الكرار للقناصة، كتائب حزب الله العراقية، لواء أسد الله، لتفاصيل أكثر حول الموضوع انظر: الميليشيات الشيعية في سوريا.. القصة بالدماء والأرقام، العربية نت، 08/ 06/ 2014، على الرابط:

http://www.alarabiya.net/servlet/aa/pdf/91386c1f-1dbd-4a80-bafa-3215baac6f8b.

(7) الجامعة تعترف بالائتلاف السوري ممثلا شرعيا، الجزيرة نت، 13/ 11/ 2012، على الرابط:

http://www.aljazeera.net/news/arabic/2012/11/12/%D8%A7%D9%84%D8%AC%-D8%A7%D9%85%D8%B9%D8%A9-%D8%AA%D8%B9%-D8%AA%D8%B1%D9%81-%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%A7%-D8%A6%D8%AA%D9%84%D8%A7%D9%81-%D8%A7%D9%84%-D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A-%D9%85%D9%85%D8%AB%D9%84%-D8%A7-%D8%B4%D8%B1%D8%B9%D9%8A%D8%A7.

كمقابل ليغض النظر عن انتهاك سيادته، متعارضا مع ما كان يقوله واستمر فيه لاحقا من علاقة تلك التنظيمات بالأطراف الخارجية التي يفترض أنها أنشأتها وتموّلها، ثم يطلب منها بعد أن أعلنت عزمها على محاربة التنظيم دمجه في التحالف، هذا الأخير الذي مضى في خطته دون الالتفات إلى تلك المطالب، ولكن مع التراجع عن فكرة إسقاط النظام التي كانت واردة في السابق، وعلى العكس من ذلك جرى الحديث تاليا عن ضرورة الوصول لحل سياسي بإشراك الرئيس الأسد والنظر إليه كجزء من الحل وليس المشكلة.

وفي ظل هذه المعطيات والتحولات لم تعد علاقات دول أجنبية بتنظيمات سياسية ومجتمعية من دول أخرى محل جدل سياسي وقانوني كما في السابق، وتحديدا في الدول التي تعيش أزمات تجعلها أقرب إلى الدول الفاشلة، التي عمقت الإرباكات في العلاقات بين الدولة والمجتمع الناجمة عن عملية تجسيد مشروع الدولة عربيا. إذ تؤدي سيطرة الدولة على إقليمها واحتكارها لوسائل القوة والعنف، وهيمنتها على مختلف مناشط الحياة والاجتماع والاقتصاد إلى تقويض استقلال الجماعات الأهلية التقليدية، الدينية والاثنية والثقافية، وإضعاف أو اندثار المؤسسات الوسيطة بين الفرد والمجتمع من جهة والدولة من جهة أخرى[8]. وفي المجال العربي هيمنة أجهزة الدولة على جميع مفاصل المجتمع ومؤسساته الاجتماعية والثقافية والسياسية، وسيطرت أجهزتها الأمنية على المشهد السياسي، فأنتجت هذه الدولة ثقافة استلابية و"عنفية" ذات أشكال مادية ومعنوية[9].

نتيجة لذلك تعاني المجتمعات العربية والإسلامية من افتراق أيديولوجي وانفصام سياسي واسع، وتوترات بل وحروب، وسيطرة وسيادة

(8) مازن النجار، الإسلاميون وقضايا التحديث والعلمنة والدولة، مؤسسة الدراسات والأبحاث مؤمنون بلا حدود، ص06.

(9) مصباح الشيباني، خطاب دولة الخلافة وأزمة الحكم في البلاد العربية والإسلامية، مؤسسة الدراسات والأبحاث مؤمنون بلا حدود، ص08.

مفروضة بالعنف والقمع، وفقدان ثقة بالدولة، وعدم اكتراث بمؤسساتها وقوانينها، بل وبمصيرها ككل، مما يجعل من شبه المستحيل قيام نظام تداولي سلمي على الحكم. كل هذا مؤشرات صارخة على زواج مأزوم بين الأمة والدولة الحداثية، وإخفاق الأخيرة في تحقيق وعود التنمية والاستقلال والرفاهية، وصيانة الهوية وإقامة العدل يهدد باستفحال عنف الدولة ثم انفجاره عنفا أهليا لا يبقي دولة ولا مؤسسات[10].

وقد تجلت مظاهر العنف في حجم الصراعات الجارية، وانتشارها الواسع، إضافة إلى الامتداد الزمني الذي يصعب التنبؤ به. ومن بين السلوكيات السياسية التي يتمظهر فيها تجاوز سلطة الدولة وعدم الاكتراث بها كما سبق الإشارة، العلاقات التي تبرمها المؤسسات الاجتماعية التقليدية مع مختلف الأطراف الدولية وغير الدولية، ومن نماذج ذلك قيام القبائل في المناطق النائية المتاخمة لسوريا بإبرام اتفاقات عدم اعتداء مع التنظيمات الجهادية تصاغ في صورة عقود محلية[11]. كما أصبحت العشائر السنية في العراق تفاوض وتقدم مطالب بشكل مباشر لدول الجوار والولايات المتحدة الأمريكية للتعاون في محاربة التنظيم بإجبار الحكومة المركزية تلبية مطالبها، كما تدفقت المساعدات الغربية على إقليم كردستان دون المرور على الحكومة المركزية. وفي ليبيا هناك محاولات حثيثة أيضا لاستجلاب التدخل الخارجي من أجل بسط السيطرة والنفوذ بين التيارين الرئيسيين المتنازعين، رغم المؤشرات التي تؤكد استحالة حسم الصراع بالقوة لجملة من العوامل الاجتماعية والسياسية في البلد[12]، ولكن تبقى

---

(10) مازن النجار، المرجع السابق، ص09.

(11) مايكل نايتس، إعادة بناء قدرات مكافحة الإرهاب في العراق، معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى، 31/ 07/ 2013، على الرابط:
http://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/rebuilding-iraqs-counter-terrorism-capabilities.

(12) لتفاصيل أكثر حول الموضوع انظر: تقرير مجموعة الأزماتالدولية، المحافظة على وحدة ليبيا: التحديات الأمنية في حقبة ما بعد القذافي، تقرير الشرق الأوسط، رقم 115، 14/ 12/ 2011.

"السيادة " أداة في يد الطرفين توظف في الصراع حيث تطالب الحكومة الموجودة بطبرق والتي يمثل جناحها العسكري الجنرال المتقاعد خليفة حفتر بالتدخل الأجنبي إلى جانبها، وأيدت الضربات الجوية التي قام بها الجيش المصري داخل ليبيا بعد قيام جماعة متطرفة تدعي تبعيتها لتنظيم الدولة الإسلامية باغتيال مصريين أقباط كانوا يعملون في البلد. وفي المقابل ترفض الحكومة التي تتخذ من العاصمة طرابلس مقرا لها ويسندها المؤتمر الوطني العام سياسيا وقوات غرفة عمليات ثوار ليبيا عسكريا التدخل الأجنبي العسكري، وأدانت الضربات الجوية المصرية متهمة مخابرتها بفبركة عملية الاغتيال لتبرير تدخلها[13].

2 - الحركات الجهادية: ملء الفراغات الجغرافية

تمتلك التنظيمات الجهادية تصورا عن فكرة الدولة تختصره في "تطبيق الشريعة الإسلامية"، لذلك فإن ما ينقصها هو فقط إسقاط "الدول الكافرة" والحدود، وإعلان الدولة الإسلامية على منهاج الخلافة كما تفهمها هي ومتداول في أدبياتها وبين منظريها. ولذلك لا يخلوا ما قام به تنظيم الدولة الإسلامية من إزاحة الحواجز الترابية بين الحدود السورية العراقية عند إعلانه (دولته) من دلالات رمزية توحي لربما بفكرة تحطيم جدار برلين، ولكنها في نفس الوقت تعكس البساطة في تصور المشاريع السياسية الكبرى التي تختصرها في إعلان "مجهول" في رسالة صوتية نفسه خليفة للمسلمين، وجرف بعض الأكوام من التراب[14].

وما يجدر الوقوف عنده ضمن هذا السياق أن التنظيمات الجهادية لم

---

(13) تجدر الإشارة إلى أن وجود قواعد أمريكية وغربية في الدول الخليجية يعكس ضعف هذه الدول وعدم قدرتها على حماية أمنها القومي وهو من بين أشكال التراجع عن السيادة بمفهومها الويستفالي.

(14) أثارت طريقة إعلان البغدادي تأسيس دولة إسلامية جدلا بين منظري التيار الجهادي نفسه، وردا على تلك الانتقادات ظهر بعد فترة يخطب يوم الجمعة بمسجد في مدينة الموصل العراقية.

تعد تسعى بالضرورة لإسقاط الأنظمة ثم إقامة دولة إسلامية على أنقاضها كما كانت تهدف إليه في السابق، إذ إن تنظيم الدولة الإسلامية بالعراق والشام الذي يفترض به إقامة الدولة بعد سقوط نظام الأسد في دمشق والحكومة العراقية التي يسيطر عليها الشيعة في بغداد قفز فوق كل هذه الخطوات وأعلن دولة الخلافة، وطالب بالهجرة إليها بعدما تمدد في بعض الأقاليم، وتحديدا محافظة الموصل في العراق والرقة في سوريا[15]. فالملمحال أبرزللسلفية الجهادية الوافدة والسلفية المح لية المستحدثة في العراق كان رفضها القاطع للاحتلال الأميركي للعراق وماتبعه من تحولات جذرية في بنية الدولة. وتركز مشروعها الأساسي في "مقاومة" المحتلين، و"معاقبة" العراقيين الذين اشتركوا في العملية السياسية، أو الذين قبلوا بسلطة الدولة وعملوا في مؤسساتها المختلفة، وخصوصًا القوات الأمنية[16]. وإعلان الدولة جاء متأخر بثلاث سنوات بعد الاحتلال حيث أعلن مجلس شورى المجاهدين عن قيام "دولة العراق الإسلامية" في 09 أكتوبر 2006 هذا أولا، والملاحظة الثانية أنه كان يقتصر على الحدود العراقية فقط كما يتضح من اسم الدولة.

وبغض النظر عن الأبعاد الفكرية للتنظيمات الجهادية إلا أن أهم ما يمكن استخلاصه منها، هو جهوزية المشروع وبساطته التي تحتاج فقط لأرضية يجسد عليها قد لا يهم فيها حتى الوعاء الشعبي والإمكانيات المادية والبشرية. ويتضح هذا من إعلان بعض الجماعات الصغيرة، والتي لا تمتلك تأثير ميداني يمكن التعويل عليه في بعض الدول بيعتها لأبي بكر

---

(15) يجب عدم إغفال دور الصراعات الداخلية في الدفع باتجاه اتخاذ هذه الخطوات حيث أن خطوة البغدادي بإعلان الدولة الإسلامية كانت في سياقها الداخلي محاولة التفاف على تنظيم القاعدة الأم الذي سحب غطاءه عن جناح البغدادي وطالبه بالالتزام بالعمل داخل العراق، وأعطى تمثيله في سوريا لتنظيم جبهة النصرة. لتفاصيل أكثر انظر: حسن أبو هنية، الدولة الإسلامية في العراق والشام تتمرد على القاعدة (2)، عربي21، 05/ 01/ 2014.

(16) يحيى الكبيسي، السلفية في العراق: تقلبات الداخل وتجاذبات الخارج، الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، 06/ 05/ 2013، ص09.

البغدادي، وتأسيس إمارات أو ولايات اعترف ببعضها ولم يعترف بالبعض الآخر. فمنذ إعلان الخلافة في جوان 2013 قام عدد من الأفراد والجماعات المختلفة وغير المتجانسة بـ "مبايعة" البغدادي. بيد أنه لم يعترف في الرسالة الصوتية التي أُذيعت في الثالث عشر من نوفمبر 2014 سوى بـ "تمدد الدولة الإسلامية إلى بلاد الحرمين (السعودية) واليمن وإلى مصر وليبيا والجزائر". والجماعات الجهادية في الدول الثلاثة الأخيرة هي ("أنصار بيت المقدس") في شبه جزيرة سيناء، و("مجلس شورى شباب الإسلام") في ليبيا، و("جند الخلافة ") في الجزائر[17]. فالتنظيم الذي أعلن الأمن الجزائري عن قتل زعيمه في أواخر ديسمبر 2014 هو مجرد فصيل صغير جدا منشق عن تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي، وبالنسبة لليبيا فلا يمكن الحديث عن قوة كبيرة للتنظيم إذ أعربت «كتيبة شهداء ابوسليم» - الفصيل الرئيسي إلى جانب بعض السكان المحليين - عن عدم رضاها عن إعلان «مجلس شورى شباب الإسلام»، بقولها أنها لن تعلن "البيعة" مطلقاً إلى أي شخص خارج ليبيا[18].

ومن منظور جغرافي فإن أهم تطور حصل داخل التنظيمات الجهادية يتمثل في الانتقال من شغل حيز جغرافي ضيق يتسم بحرب العصابات، واستوطان المناطق الجبلية والأرياف أو حتى مدن ولكن على شكل خلايا سرية، إلى السيطرة على نطاقات جغرافية واسعة، وبسط سلطتها من خلال فرض النموذج الإسلامي الذي تعتقد به حتى باتت توصف بدولة الأمر

---

(17) هارون ي. زيلين، أرخبيل ولايات الدولة الإسلامية، معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى، 14/ 11/ 2014، على الرابط:
http://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/the-islamic-states-archipelago-of-provinces.

(18) هارون ي. زيلين، أول مستعمرة للدولة الإسلامية في ليبيا، معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى، 10/ 10/ 2014، على الرابط:
http://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/the-islamic-states-first-colony-in-libya.

الواقع[19]. ثم العمل الحثيث والاستماتة في محاولة التمسك بتلك الأقاليم الجغرافية ومن ثمة محاولة التمدد نحو الأقاليم المحاذية، وهذا ما تشهده بعض المدن السورية، وتحديدا مدينة الرقة، التي كانت القاعدة التي انطلق منها التنظيم لبسط نفوذه على المدن المجاورة ثم السيطرة لاحقا على الموصل، ومن خلالها على مدن عراقية أخرى، وأبرز ما قام به التنظيم في هذا المجال فتحه جبهات عديدة في مختلف الاتجاهات واستماتته في التمدد نحو مدينة "كوباني" الكردية على الحدود السورية التركية ثم التمسك بها والمقاتلة هناك لأكثر من أربعة أشهر ما يدلل على سعي حثيث لإرساء حدود الدولة.

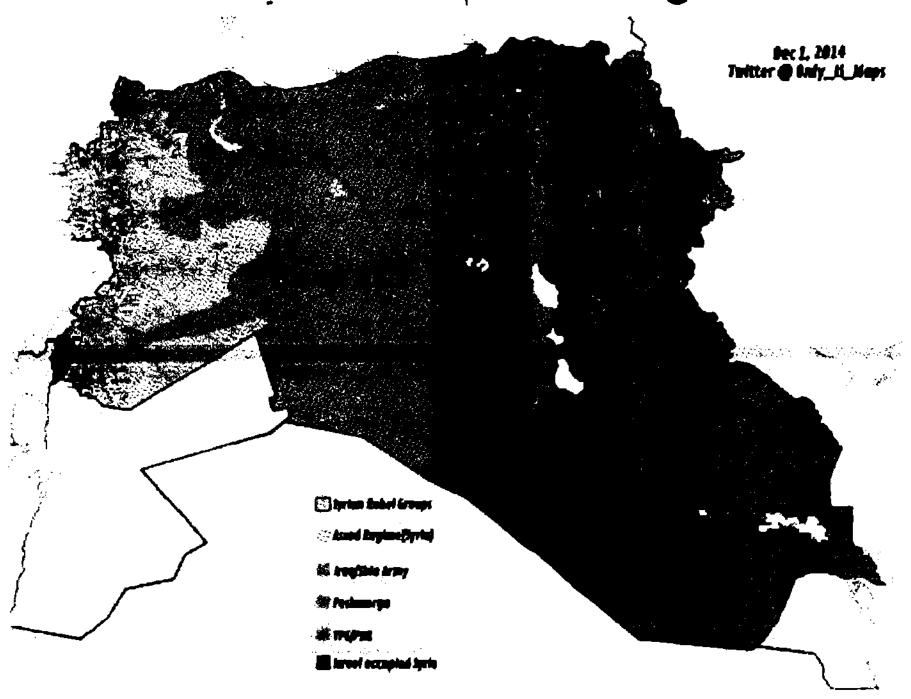
ويتبين حجم انتشار التنظيم من خلال محافظته على المناطق التي استولى عليها بالرغم من الحشد العسكري الكبير الموجه ضده، خاصة وأن المساحات التي يسيطر عليها ليست بالهينة، فوفق الكثير من التقارير تقدر المساحة التي يسيطر عليها بحوالي 40 ألف كيلومتر مربع في العراق وسوريا، وهو ما يساوي مساحة دولة بلجيكا. ويقدر آخرون أن الدولة الإسلامية تسيطر على ما يقرب من 90 ألف كيلومتر مربع، وهو ما يقرب من مساحة الأردن. وتضم تلك المساحة مدن الموصل، وتكريت، والفلوجة، وتلعفر في العراق، والرقة في سوريا. كما يسيطر التنظيم على آبار بترول، وسدود، وطرق رئيسية، ومعابر حدودية . ويعتقد أن حوالي ثمانية ملايين شخص يعيشون في المناطق التي تخضع سواء كليا أم جزئيا لسيطرة الدولة الإسلامية[20].

---

(19) حسن أبو هنية، برنامج العالم هذا المساء، بي بي سي عربي، 01/ 02/ 2015.

(20) ما هو تنظيم الدولة الإسلامية؟، بي بي سي عربي، 05/ 09/ 2014، على الرابط:
http://www.bbc.co.uk/arabic/middleeast/2014/09/140905_what_is_islamic_state.

خريطة توضح مناطق انتشار تنظيم الدولة الإسلامية في العراق وسوريا



نظر للتواصل الجغرافي بين سورية والعراق فإن الأمر قد يبدوا طبيعيا (في سياق الحرب) ولكن تنظيم «الدولة الإسلامية» كما سبق الإشارة توسع بطريقة تشمل أراضٍ غير متجاورة خارج قاعدته ويمتلك الآن سلطة على جماعات تابعة له وإن بعيدة عنه جغرافياً[21]. من زاوية فكرية لا يوجدا ما يستدعي التعجب حيال هذا، فالأفكار عامة لم تحدها مطلقا حدود، ولطالما انتقلت عبر تواصل الإنسان مع البيئات المختلفة، وفي زمن العولمة وتطور وسائل التواصل أصبح الأمر غاية في السهولة. والعلاقات الدينية هي أكثر الأفكار عبورا للحدود، ولا يقتصر ذلك على ديانة أو أخرى، فضلا عن كون التيارات من نفس الديانة. ففي المجال الديني الإسلامي تنتشر أفكار مختلف التوجهات في كل البلدان تقريبا (السنة والشيعة، الصوفية، السلفية، الإخوان، وغيرها).

---

(21) هارون ي. زيلين، أرخبيل ولايات الدولة الإسلامية.

وفي حالة التنظيمات الجهادية تعتبر التجربة الأفغانية إبان الاحتلال الصوفياتي في الفترة الممتدة بين 1979 إلى 1989 المرحلة التي تشكلت فيها التنظيمات الجهادية بعدما تبلورت أفكارها لتميزها عن بقية التوجهات التي كانت تتقاطع معها في الكثير من الجوانب، حيث بدأ يبرز منظرين للتيار، وظهرت تنظيمات في مختلف الدول تتبنى هذا الفكر، وتعلن عدائها الصريح للاتجاهات الأخرى بلغ حد التكفير والقتل. وأهم ملامح تجاوز الحدود في هذه المرحلة تأثير تلك القيادات على تنظيمات في دول أخرى حيث شكل أبو قتادة المقدسي وغيره المرجعية الفقهية للجماعات الجهادية المسلحة في الجزائر في التسعينات، ورغم صعوبة التنقل والاتصال لم يكن ذلك مانع يحول دون تواصل معتنقي الفكر الجهادي بمن يعتبرونهم مرجعياتهم، فعلى سبيل المثال كان التواصل بين السلفية الجهادية العالمية والأردنية يتم بسهولة ويسر، فقد زار المقدسي في السجن "عبد العزيز المعثم" أحد منفذي تفجيرات العليا في الرياض عام 1996 واستفتاه حول عدد من القضايا، كما كانت الأموال تصل من جهاديي أوروبا عن طريق أبو قتادة في لندن، وأحد الإسلاميين في الدنيمارك، وأبو الدحداح زعيم خلية القاعدة في إسبانيا[22].

ومع التطور المستمر في وسائل الاتصال استثمرت هذه التنظيمات في التطور التكنولوجي بما يخدم مشاريعها، حيث حافظت على التواصل بين معتنقي فكرها في كل أرجاء العالم، وتطويره إلى خلايا سرية، كما وفرت مادة إعلامية للاستقطاب والتجنيد للقيام بعمليات فردية بعد التضييق الذي حصل لها عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 والضربات التي ألحقت بتنظيم القاعدة عقبها، غير أن كل ذلك لم يمنع من استمرار هذا الفكر والتنظيمات التابعة له بشكل مباشر أو غير مباشر، لدرجة أصبحت

(22) محمد أبو رمان وحسن أبو هنية، السلفية الجهادية في الأردن بعد مقتل الزرقاوي: مقاربة في الهوية، أزمة القيادة وضبابية الرؤية، عمان: مؤسسة فردريش أيبرت، ط1، حزيران 2009، ص25.

فيها فروع تنظيم القاعدة أقوى من المركز في أفغانستان، وذلك نظرا للظروف السياسية التي ساهمت في دعم وجودها. فنتيجة الحد بدرجة كبيرة من قدرة تنظيم القاعدة على التواصل مع خلاياه وبؤره في جميع أنحاء العالم. تحول التنظيم جزئياً من نموذج القيادة المباشرة إلى نموذج القيادة بالوكالة في السنوات الأخيرة[23]. وقد شكلت وسائل التواصل الاجتماعي (فيسبوك وتويتر) أهم وسائل التجنيد لتنظيم الدولة الإسلامية بالعراق والشام. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد فحسب بل أصبحت تلك العناصر عند عودتها لبلدانها خلايا نائمة لدعم التنظيم ماديا وحتى القيام بعمليات هناك.

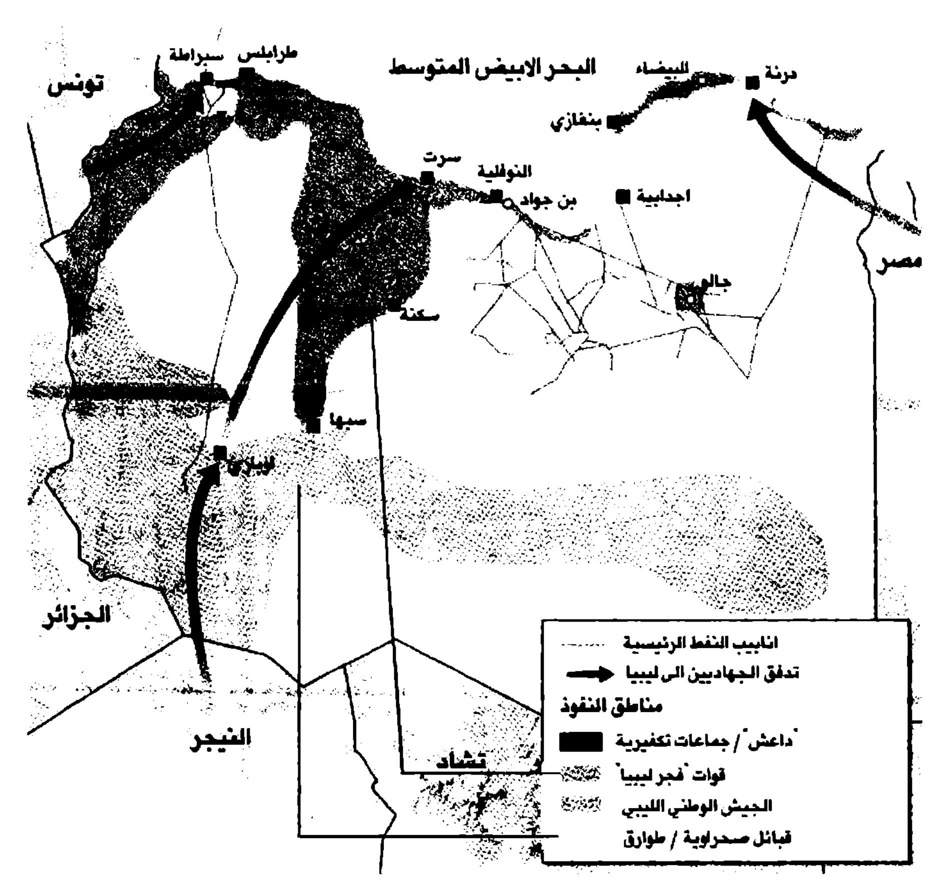
وبالعودة إلى المنظور الجغرافي مرة أخرى فإن الجماعات التي أعلنت تأييدها ودعمها للتنظيم، والرغم من محدودية قدراتها العددية والعسكرية إلا أنها بات هي الأخرى تسعى للسيطرة على نطاقات جغرافية حيث ما توفرت أدنى الظروف لذلك، خاصة في المناطق الحدودية، وذلك نظرا لما تتميز به هذه المناطق من عوامل تسهل حركتها كمحدودية التطور الاقتصادي، وانقطاع شبكة المواصلات والاتصالات، أكثر المتضرر من الصراعات والحروب[24]، حتى أصبحنا أمام حالة يمكن وصفها ب(الجزر الجهادية)، كما هو حال أنصار بيت المقدس في شبه جزيرة سناء المصرية الذي تصاعدت وتيرة أعماله مؤخرا[25]. وليس بعيدا عنه أنصار الشريعة في ليبيا الذي بعد إعلانه عن تأسيس إمارة في مدينة درنا استطاع النجاح في السيطرة على ميناء السدرة في 10/ 02/ 2015.

---

(23) الاتجار بالمخدرات والجماعات الإرهابية في الشرق الأوسط: صلة متنامية؟، معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى، 25/ 07/ 2008، على الرابط:
http://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/drug-trafficking-and-middle-eastern-terrorist-groups-a-growing-nexus.

(24) لتفاصيل أكثر حول الموضوع انظر: قاسم الدويكات، الجغرافيا السياسية، إربد: مطبعة البهجة، ط1، 2002، ص234.

(25) حول خلفيات وأسباب ذلك، يشير الباحث في الحركات الإسلامية حسن أبو هنية إلى أن أبرزا لجماعات الجهادية التي تنتمي إلى فضاءالسلفية الجهادية دون الارتباط المباشر =



ولا يختلف الأمر كثيرا بالنسبة لتنظيم بوكو حرام في نيجيريا الذي يسعى هو الآخر للسيطرة على مناطق وجعلها مركزا للانتشار باتجاهات مختلفة تجاوزت نيجيريا إلى التوسع باتجاه تشاد والكاميرون، ساعده في

= بالقاعدة تتواجد في سيناء ، فقد قدمت الجغرافيا والديمغرافيا بيئة مثالية حاضنة للحركات الجهادية بسبب سياسات التهميش والإهمال التي مارستها الدولة المصرية منذ أكثر من أربعة عقود؛ فقد شهدت سيناء في عهد مبارك ثلاث هجمات ضخمة، استهدفت مواقع سياحية في منتجعات طابا أكتوبر 2004، وشرم الشيخ في 23 جويلية 2005 ، ودهب في إبريل 2006، وقد أعلنت "جماعة التوحيد والجهاد" عن مسؤوليتها عن الهجومين الأول والثالث، كماأعلن تنظيم القاعدة في بلاد الشام وأرض الكنانة كتائب الشهيد عبد الله عزام" عن مسؤوليته عن الهجوم الثاني. لتفاصيل أكثر انظر: حسن أبو هنية، مصر..خيبة رهانات عنف الإسلام السياسي، الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، 01/ 10/ 2013، ص05.

ذلك تواجده في الشمال الشرق على الحدود مع البلدين. فالمنطقة الحدودية الجبلية مع الكاميرون، التي يسهل اختراقها، سمحت لبوكو حرام بتنفيذ هجمات في نيجيريا ثم عبور الحدود لقضاء فترة من النقاهة في أمان نسبي[26]. خاصة مع تواجد قبائل الهوسا المسلمة التي شكلت البنية الأساسية للحركة، وهذا ما يفسر تمددها إلى النيجر والكاميرون، حيث تتواجد هذه القبائل في الأجزاء المحاذية لنيجيريا من الدولتين، ليتطور التنظيم من جماعة محدودة العدد والنشاط محصورة في مدينة "مايدوجوري" بشمالي نيجيريا إلى تنظيم مسلح عابر للحدود، تشمل عملياته أجزاء من الكاميرون والنيجر، وبات مصدر قلق في المنطقة، وعامل تهديد لاستقرارها، بعد أن تمدد جغرافيا، وتزايدت قوته[27]. فقد ظل التنظيم تهديدًا محليًا، وكانت أعمال العنف أيضًا محصورة إلى حد كبير في شمال شرق نيجيريا، وإن كانت هناك هجمات في أبوجا كما طالت أحيانا ممثلية الأمم المتحدة[28]. لكن هناك تطور كبير في قدراته إذ تزايدت قوة الجماعة -التي تقود تمردا منذ نحو عشر سنوات- مع تقدمها ميدانيا وبسط سيطرتها على ثلاثين بلدة وقرية في غضون سنة، وأتاح هذا التقدم للمجموعة أن تقيم ملاذا آمنا تشن منه عمليات متطورة وهجمات في منطقة أوسع نطاقا[29]. وهذا ما حصل لاحقا حيث قام التنظيم بعمليات في البلدين سرّعت من التحالف الدولي ضده هو الآخر.

---

(26) ازاد عيسى، التهديد الإقليمي لـ"بوكو حرام" واحتمال التدخل الغربي لاحتوائه، الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، 17/ 08/ 2014 ص04.

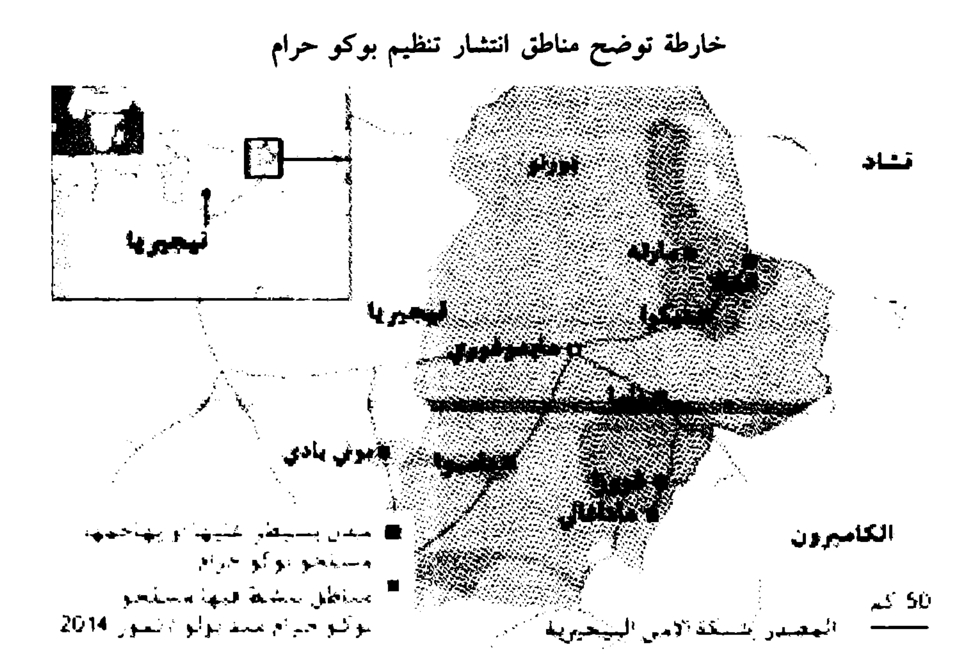
(27) أحمد أمين، بوكو حرام الدولة الإسلامية السمراء، الجزيرة نت، 10/ 02/ 2015، على الرابط:

http://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/2015/2/10/%D8%A8%D9%88%D9%83%D9%88-%D8%AD%D8%B1%D8%A7%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%84%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%85%D8%B1%D8%A7%D8%A1.

(28) ازاد عيسى، المرجع السابق، ص04.

(29) تقديرات أمريكية ترصد قوة جماعة بوكو حرام، الجزيرة نت، 07/ 02/ 2015، =

خارطة توضح مناطق انتشار تنظيم بوكو حرام



3 - التنظيمات الشيعية: التمدد داخل الدولة

على عكس التنظيمات الجهادية السنية والتي أضحت تسعى للسيطرة على فضاءات جغرافية، ومباشرة فرض قوانينها، والتوجه نحو إسقاط الدول الكافرة كما تناولناه سابقا، فإن التنظيمات الشيعية والتي هي الأخرى تمارس أهداف دينية تتجاوز فكرة الدولة الوطنية إلى نمط أممي آخر وهو "دولة المهدي المنتظر" وفق الرؤية الشيعية، لكنها تمارس الهدف في إطار الدولة ذاتها حيث تسعى إلى التمدد داخل السلطة السياسية نفسها دون السعي لإسقاطها، من خلال السيطرة على أهم مؤسسات صنع القرار فيها،

= على الرابط:
http://www.aljazeera.net/news/international/2015/2/7/%D8%AA%D9%82%-D8%AF%D9%8A%D8%B1%D8%A7%D8%AA-%D8%A3%D9%85%-D9%8A%D8%B1%D9%83%D9%8A%D8%A9-%D8%AA%D8%B1%D8%B5%D8%AF-%D9%82%D8%AF%D8%B1%-D8%A7%D8%AA-%D8%AC%D9%85%D8%A7%D8%B9%D8%A9-%D8%A8%D9%88%D9%83%D9%88-%D8%AD%-D8%B1%D8%A7%D9%85.

وتجييرها لخدمة أهدافها، وتشكل الحالة اليمنية واللبنانية النموذج الأمثل لذلك.

يعتبر حزب الله نموذج أقدم لنشأته التاريخية القديمة -نسبيا- والتي لا يفصلها عن تأسيس الجمهورية الإسلامية في إيران إلا سنتين، وقد وضع في البداية مثله مثل التنظيمات الجهادية الأخرى في أولوية أهدافه إسقاط الدولة وإعلان بدلا منها جمهورية إسلامية في لبنان تابعة للولي الفقيه في إيران كما نصت عليه الوثيقة الأولى للحزب التي صدرت سنة 1986. غير أن طبيعة المجتمع اللبناني والتعدد الكبير للطوائف فضلا عن الموقع الجغرافي ومجاورته للكيان الصهيوني وانخراط الحزب في الحرب الأهلية، إلى جانب حربه ضد الاحتلال الصهيوني وبشكل خاص في جنوب لبنان، جعلت الحزب وبعد خبرة طويلة يتراجع عن أهدافه بصيغتها السابقة، ويرضى بالعملية السياسية اللبنانية ولكن دون التسليم الكامل بقواعدها، حيث ضل يمارس عملية التمدد بداخلها حتى أصبح ينعت بـ"الدولة داخل الدولة" وعلى هذا الأساس كانت مطالب تيار المستقبل وحلفاؤه بنزع سلاحه[30]. وموقف الحزب من الأزمة السورية ودخوله في الحرب إلى جانب نظام الأسد، وعدم الالتزام بموقف الحكومة التي رفعت شعار "النأي بالنفس"، ودفع الجيش اللبناني لمعارك على الحدود اللبنانية السورية مع تنظيمات من المعارضة المسلحة التي قامت بأعمال داخل التراب اللبناني ردا على ممارسات حزب الله، ومواقف بعض الوزراء في الحكومة، وحتى بعض القرارات الحكومية تدلل مجتمعة على مدى قدرة الحزب على تقويض سلطة الدولة بالرغم من استمراره العمل داخلها.

وقد كان موقف الحزب في مدينة القصير السورية والتي تقع على الحدود مع لبنان أبرز السلوكيات المتجاوزة للدولة وما يفترض أن تمارسه

---

(30) لتفاصيل أكثر حول الموضوع انظر: طلال عتريسي، سلاح حزب الله: اشتباك داخلي وإقليمي، الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، 24/ 03/ 2014. وأيضا وسام سعادة، هالة المقاومة التي نسجها حزب الله حول سلاحه، الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، 24/ 03/ 2014.

السلطة من أعمال تعبر عن سيادة الدولة، حيث حمل الحزب على عاتقه دون تكليف من الحكومة مهمة حماية اللبنانيين هناك التي اتخذها مبرر للتدخل المباشر بقوات كبيرة في سوريا بعد فترة طويلة من التكتم عن ذلك والحديث فقط عن أعداد بسيطة جدا من مقاتلي الحزب تقوم بحماية بعض المراقد الشيعية المقدسة على غرار مقام السيدة زينب في دمشق[31].

انتقل الحزب لاحقا للحديث عن مؤامرة كونية ضد محور المقاومة والممانعة الذي ينتمي له وأنه تأخر في الدخول إلى سوريا كما صرح أمينه العام حسن نصر الله في الكثير من خطاباته، كما انخرط الحزب فيما اعتبره مواجهة للتنظيمات الجهادية التكفيرية. وبغض النظر عن كل هذه المبررات فإن ما تشترك فيه جميعها هو كيفية قيام حزب سياسي أو تنظيم مقاوم يصنف ضمن الفواعل غير دولتية، يحمل مشروع عابر للأوطان والحدود بتوظيف انتمائه للدولة في خدمة مشروع سياسي يصطدم معها جوهريا، وشكلت مواقف الحزب وسلوكياته مبررا إضافيا للتنظيمات المعارضة اللبنانية الأخرى القيام بأعمال تستهدف الحزب أو حلفاءه وبشكل خاص المصالح الإيرانية التي تعرضت سفارتها لهجمات عديدة ما أوقعه في مآزق استراتيجية لن تقتصر تبعاتها عند مجرد خسارة صورته في العالم العربي والإسلامي فحسب وإنما تزايد الضغوط على بيئته الشيعية الحاضنة التي أصبحت هي الأخرى تشعر بعدم الأمان الناجم عن انخراط الحزب في الحرب السورية، وبين هذا وذاك يبقى تزايد العنف هو الملمح الأبرز سواء كفعل أو رد فعل[32].

---

(31) تمكن حزب الله من اكتساب دور قيادي بارز بشكل متزايد في قيادة قوات الجيش العربي السوري أثناء هجمات القوات الحكومية الأساسية في سوريا. خلال هجوم القصير في 2013، حيث اضطلعت القوات الخاصة التابعة للحزب بدورقيادي للمرة الأولى، وحازعناصر الجيش العربيالسوري على أهمية ثانوية. تشارلز ليستر، الأزمة المستمرة: تحليل المشهد العسكري في سوريا، الدوحة: مركز بروكونجز الدوحة، موجز السياسة، ماي 2014، ص09.

(32) لتفاصيل أكثر حول الموضوع انظر تقرير مركز الجزيرة للدراسات: حزب الله: الحسابات التكتيكية والأثمان الاستراتيجية، الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، 03/ 06/ 2013.

أما الحالة الحوثية في اليمن والتي تعتبر في الكثير من تجلياتها الخطابية والإعلامية وحتى السلوكية محاولة استنساخ لتجربة حزب الله، إذ أصبح هذا التنظيم بدوره يمارس تقريبا كل ما كان يقوم بحزب الله في لبنان، ويبدو أنّ هدف الحوثيين في اليمن يتطابق وأهداف حزب الله اللبناني، لا منجهة السيطرة على الدولة بصورة ظاهرة، ولكن لجهة تشكيل دولة داخل الدولة، بحيث يستفيدون من مزايا السلطة، دون أن يتحمّلوا مسؤوليتها[33].

فمع الانتفاضة الشعبية وخروج على عبد الله الصالح من رئاسة الجمهورية استغل التنظيم الفراغ داخل مؤسسات الدولة والتناقضات بين مختلف مكونات العملية السياسية هناك للتمدد داخل الدولة من خلال محاولة إيصال أعضاء منتمين له أو شخصيات سياسية مؤيدة له إلى مناصب سياسية هامة من وزارات ومؤسسات عسكرية، ومحافظات ودمج البعض من أفراد مليشياته داخل الجيش.

هذا العمل جاء بعدما سيطر الحوثيون على العاصمة اليمنية صنعاء وقبلها الكثير من المحافظات التي سقطت تحت سلطتهم، حيث تمّكنت الجماعة في 21 سبتمبر 2014 من السيطرة بسهولة نسبية على مفاصل رئيسة في العاصمة بما في ذلك البرلمان، والبنك المركزي، وديوان مجلس الوزراء، ومقر القيادة العامة للقوات المسلحة. واقتحام قيادة الفرقة الأولى مدرع التي كان يقودها اللواء على محسن الأحمر، خصم الحوثيين الأبرز، وقاموا بجمع ما غنموه فيها وفي غيرها من المواقع بما فيها الحماية الرئاسية، والقيادة العامة للقوات المسلحة، من دبابات ومدافع وعربات مدرعة وأسلحة خفيفة. وشرعوا في إرسالها إلى معاقلهم شمال العاصمة[34]

---

(33) محمد جميح، المشهد اليمني بعد سقوط صنعاء بيد، الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، أكتوبر 2014، ص11.

(34) وحدة تحليل السياسات بالمركز العربي، ماذا يعني سقوط صنعاء بيد الحوثيين؟، الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، سبتمبر 2014، ص01.

وتعود أسباب نجاح الحوثيين في التمدد داخل الدولة بهذا الحجم الكبير الذي جعلهم أقوى منها إلى ما يلي[35]:

1 - ضعف حكومة محمد سالم باسندوة، وعدم تماسكها وتعدد الولاءات السياسية لأعضائها، وسعي المحيط الخليجي إلى إضعافها بعدم مد يد العون لها اقتصاد وعسكريا.

2 - ضعف الرئيس هادي أمام الفرقاء السياسيين وعدم قدرته على الاستناد إلى قوة عسكرية مضمونة الولاء له لتنفيذ قراراته.

3 - غياب التماسك وتعدد الولاءات في القوات المسلحة اليمنية وانحياز بعض قياداتها إلى جماعة الحوثي ليس لأسباب مذهبية بل بسبب تضرر مصالح بعضها، وعدم رضا بعضها الآخر عن عملية إعادة" هيكلة القوات المسلحة والحرس الجمهوري السابق، بعد رحيل على عبد اهلل صالح عن السلطة.

4 - تردّي الأوضاع الاقتصادية والمعيشية، وارتفاع نسبة البطالة والفقر لأغلب شرائح المجتمع اليمني، ما ولد حالة عامة سائدة لا تتعاطف مع النظام السياسي الحالي، لا سيما أنّ الحوثي اتخذ من قضايا مطلبيةً ومعيشية غطاء" لتحركه ضد الدولة.

والبعد الخارجي لا يغيب عن الحالة الحوثية ممثلة في علاقتهم بإيران التي تعتبر المزود الأساسي لهم بالأسلحة، كما أن ذلك التشابه في الاستراتيجية بينه وبين حزب الله، يدلل على أن مصدر التخطيط الاستراتيجي للطرفين من مركز واحد، أو بتنسيق بين الأطراف الثلاثة. ولا حاجة للاستطراد في المؤشرات التي تبين علاقة الحوثيين بإيران كونها خارج نطاق الدراسة، ولكن ما يتضح في هذا المجال هو كيف استطاع فاعل تحت دولتي الاستقواء على الدولة حيث انتقل التنظيم من "مطالب مناطقية " ظل لقرابة العقدين يحارب الدولة من أجلها، ودخل في ستة

---

(35) المرجع نفسه، ص03.

حروب مع نظام على عبد الله صالح ثم ينتقل إلى الحديث عن تصور للدولة اليمنية وإملاء شروطه الخاصة بذلك، وفرضها على كل أطراف بما في ذلك خارجية منها.

ومن الانعكاسات التي ترتبت عن تطورات المشهد اليمني تعزيز ما فعله الحوثيون دور العوامل تحت دولتية في العملية السياسية على حساب مؤسسات الدولة، فبعد إعلان الحوثيين عن تأسيس مجلس رئاسي وحل البرلمان كانت ردود الفعل المناهضة تأتي من القبائل، هذه الأخيرة التي لها دور كبير في العملية السياسية اليمنية والعربية بشكل عام، وهو في تزايد مستمر مع تراجع الدولة بحد ذاتها، بل أصبحت الأخيرة تحتمي بها، وما يدلل على ذلك هو تراجع الرئيس اليمني عن قراره بالاستقالة بعد فراره من العاصمة صنعاء إلى عدن ومطالبته في رسالة إلى البرلمان سحب استقالته، وقبل ذلك تحذير قبائل الصبيحة للحوثيين من تعرض وزير الدفاع اليمني اللواء محمد الصبيحي إلى أي خطر بسبب محاصرته في منزله من طرفهم، وهددت بحشد قواتها والتوجه إلى صنعاء لتحريره، وفي مختلف مراحل الأزمة أعربت العديد من القبائل اليمنية عن رفضها لتمدد الحوثيين وكل الخطوات التي قاموا بها.

الخلاصة:

أضحى العنف يرتكن على المنازعة للاستحواذ على ركن من أركان ثلاثية الدولة الإقليم والشعب والسيادة، وفي ظل الإشكاليات التي تعتري مشروعية "عنف الدولة" فإن الاختلالات في الأبعاد الثلاث التي سبق الإشارة إليها تتجلى في أكثر من موقع وموضع، غير أن الصراع يبقى في غالبه الأعم محصور بين الإقليم والسلطة ويبقى الشعب نتيجة لذلك الصراع فقط تتقاذفه مختلف الأطراف التي يميل إليها ميزان القوة، وقدرة أحدها على استمالة جزأ منه مستثمرا في أخطاء الطرف الآخر وتوظيفها لتحقيق مشروعه.

والتحولات التي أفرزتها الحركات الاحتجاجية في المنطقة العربية عمقت من دور الفواعل غير دولتية حيث عززت من حضور التنظيمات دينية والعشائر والقبائل. وفي ظل ما تعانيه الدول العربية من مشاكل بنيوية جعلتها في مقدمة الدول المهددة بالفشل كما سبق الإشارة إضافة إلى أنها تدلل على استمرارية للعنف بهذه المستويات الكبيرة فإنها في نفس الوقت تؤشر على استمرار هذه الفواعل في لعب دور كبير في العملية السياسية منافسا للدولة بحد ذاتها ولربما أكثر منها، وما يعزز هذا الدور قواعد العلاقات الدولية التي تحتكم إلى المصلحة ولا تلتفت إلى الأطر القانونية الناظمة للعلاقات بين الدول، وبناءا على هذا فإن تغير خرائط دول الشرق الأوسط في ظل هشاشة المجتمعات العربية بات أكثر من وارد.

وأهم ما ظهر للسطح العلاقات المتشابكة بين الدول والتنظيمات المسلحة، والتي كانت في المراحل السابقة لا تظهر للعلن، حيث دعم القوى الإقليمية والدولية للأطراف المتصارعة لا يقتصر على التعاون السري بل تعداه إلى التصريح العلني بتلك العلاقة لا يخلوا من بعض أشكال التبريرات الأخلاقية. ولكن يبقى هذا نتيجة لاختلالات الدولة العربية ونتيجة لها، فحيث تضعف سلطة الدولة وشرعيتها ومشروعيتها على حد سواء تتمدد التنظيمات العبر وطنية، وهذا ما يظهر من خلال تتبع مناطق نفوذ التنظيمات الجهادية المختلفة، وأدوار التنظيمات الشيعية في العملية السياسية في الكثير من البلدان وعلاقتها المباشرة بإيران.

ثالثاً: القاعدة: التورط الاستخباراتي والبحث عن كبش فداء

(الحركات الجهادية في منطقة أزواد شمال مالي)

أ. عبير شليغم

ملخص الدراسة:

تهدف هذه الدراسة لتسليط الضوء على الحركات الجهادية في منطقة أزواد شمال مالي، تلك المنطقة التي عرفت العديد من النزاعات بسبب التهميش المنتهج من قبل الحكومات السياسية المتعاقبة على دولة مالي على أقلية الطوارق، المتواجدة في إقليم أزواد الذي يضم كلا من غاو، كيدال وتمبكتو، وهي المدن الكبرى شمال مالي، فضلا عن الطبيعة الصحراوية الصعبة والجافة.

وانطلاقا مما سبق؛ سيتم التعرض للواقع الجيوبوليتيكي لمنطقة أزواد من الطبيعة الجغرافية وحتى الديمغرافية وما تعرض له الطوارق من تهميش في شتى المجالات، فضلا عن تناول أهم الحركات الجهادية شمال مالي، ومن ثم الحركات الجهادية العابرة للحدود.

الكلمات المفتاحية: الحركات الجهادية، منطقة أزواد، شمال مالي، الساحل الإفريقي، الإرهاب، الحركة الوطنية لتحرير أزواد، حركة أنصار الدين، تنظيم القاعدة في المغرب العربي.

مقدمة :

شهدت منطقة الساحل الإفريقي بما فيها مالي وشماله على الأخص نمو وتطور عدد من الجماعات الجهادية والحركات الإسلامية الإرهابية، مرد ذلك لتوفر البيئة الخصبة والمناسبة لتنامي وازدهار التطرف الديني عن طريق الجمعيات السلفية والإرهاب، فضلا عن ضعف الإمكانات وحتى العتاد العسكري إلى جانب شساعة الرقعة الجغرافية، وكذا لضعف الفعالية الاقتصادية التي أدت لتفشي الفقر والفساد، وكل ذلك سيجعل ويبقي المنطقة الخلايا بيئة مناسبة لبقاء الخلايا الإرهابية النائمة، للتدريب، للتنسيق الإرهابي عبر الوطني، وكذلك لتطوير إرهاب أفرو-مغاربي.

وبناءا على ذلك؛ عرفت دولة مالي مجموعة من التّنظيمات على غرار النزاعات المسلحة التي تدار بين السلطات المالية من جهة والمتمردين الطوارق في منطقة أزواد من جهة أخرى، وتميزت بين حركات داخلية وطنية وأخرى عابرة للحدود، تضم الأولى الحركة الوطنية لتحرير أزواد MNLA إلى جانب حركة أنصار الدين، فيما تضم الثانية كلا من تنظيم القاعدة في المغرب الإسلامي "al Qaeda in the Islamic (AQIM) «Maghreb»، ومعها "حركة التوحيد والجهاد لغرب إفريقيا «The Movement for the Unicity (Tawhid) and Justice in West Africa» (MUJWA)." وبالرغم من اختلاف الفصائل فلكل فصيل من هؤلاء توجهاته وأهدافه إلا أنها تعاونت في إسقاط الحاميات النظامية للجيش المالي في" تيساليت وكيدال وجاو وتومكبتو"، فضلا عن تعاون وتناسق بعض الحركات الوطنية مع حركات أخرى عابرة للحدود.

في ضوء ما تقدم، وبناء عليه تستدعي طبيعة الموضوع صياغة **الإشكالية** على النحو الآتي:

كيف أثرت الطبيعة الجغرافية وتهميش الطوارق على تنامي الحركات الجهادية في منطقة أزواد؟

أما فيما يتعلق **بالتساؤلات الفرعية**: لدراسة ومعالجة هذه الإشكالية يتطلب الأمر الإجابة على التساؤلات التالية:

- ما هو واقع الطبيعة الجغرافية لمنطقة أزواد شمال مالي؟
- فيما تتمثل الحركات الجهادية في منطقة أزواد شمال مالي؟
- ما هي أشكال الجماعات الجهادية العابرة للحدود في منطقة الساحل الإفريقي؟

بناءًا على ما سبق؛وبهدف احتواء كل جوانب الموضوع المتشعبة والمتداخلة ارتأينا لتقسيم الدراسة وفق ثلاثة محاور على النحو التالي:

المحور الأول: الأهمية الجيوبوليتيكية لمنطقة أزواد شمال مالي؛

المحور الثاني: الحركات المتمردة شمال مالي؛

المحور الثالث: الجماعات الجهادية العابرة للحدود؛

خاتمة

المحور الأول: الأهمية الجيوبوليتيكية لمنطقة أزواد شمال مالي:

تُعاني منطقة أزواد شمال مالي من الفقر والتهميش، والذي يرجع لسببين أساسيين أولاهما ما تعلق بالأسباب الطبيعية من جفاف هذا ناتج عن الطبيعة الصحراوية ومميزاتها هذا من جهة، إلى جانب تلك الأسباب المفتعلة التي تجسدت بعدم استفادة الطوارقالسكان الأصليين للمنطقة من الطاقات الحديثة ومختلف الموارد والإمكانات الباطنية التي تزخر بها الدولة التي ينتمون لها والتي تستفيد من ذلك مجموعات محددة على حساب أخرى[1].

---

(1) ملاح السعيد، تأثير مشكل الطوارق على استقرار منطقة الساحل الإفريقي، العالم الاستراتيجي، (الجزائر: مركز الشعب للدراسات الاستراتيجية العدد 7، نوفمبر 2008)، ص28.

أولاً: الطبيعة الجغرافية لمنطقة أزواد شمال مالي:

تقع جمهورية مالي في غرب إفريقيا عاصمتها باماكو، تحدها «الجزائر» شمالاً، «موريتانيا» غرباً، «غينيا»، «السنغال» من الجنوب الغربي، «ساحل العاج» جنوباً، «بوركينا فاسو» من الجنوب الشرقي، «النيجر» شرقاً، خضعت مالي منذ القدم لعدة حضارات منها إمبراطورية غانا التي ضمت أيضاً جزءاً من السنغال وموريتانيا، وصولا للاحتلال الفرنسي عام 1896، وفي عام 1920 عُرفت المستعمرة باسم «السودان الفرنسي»[2]. أما إقليم أزواد فهو يضم المدن الكبرى شمال مالي: "كيدال، وغاو وتمبكتو"، وهي المنطقة التي يعيش فيها ما يقرب من ثلاثة ملايين شخص من القبائل العربية والطوارقية، والتي تعادل مساحتها مساحة فرنسا وبلجيكاً مجتمعين، والتي يعتبرها الكثيرون مهد الطوارق المنتشرين في دول الساحل الأفريقي، وتحديداً في مالي، النيجر، ليبيا، الجزائر وموريتانيا.

أدت جغرافيا الإقليم إلى نشوء وضعين سياسيين متباينين تماما: أقلية من الرعاة في الشمال الصحراوي القاحل، وغالبية السكان في الجنوب الذي يتلقي أمطارا تكفي لنشوء الزراعة وتوطن المزارعين، دفع ذلك لمطالبة الطوارق بالانفصال عن حكوماتها المركزية والتمتع بقدر من الاستقلال الذاتي، أو السعي للانفصال[3].

إضافة لذلك فقد لعبت العوامل الطبيعية دورا لا يستهان به في تدهور الوضع الاقتصادي لقبائل الطوارق* مما ساهم في تصعيد حدة الخلافات

---

(2) عبد الوهاب الكيالي (وآخرون)، موسوعة السياسة، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ج 5، 1979)، ص686.

(3) محمد عاشور مهدي، التعددية الإثنية: إدارة الصراعات واستراتيجيات التسوية، (الأردن: المركز العلمي للدراسات السياسية، ط1، 2002)، ص57.

(*) شعب الطوارق هم مجموعة أمازيغية من البدو الرحل الذين يقطنون الصحراء، إسمهم مشتق من الكلمة الأمازيغية Targa التي تعني الساقية أو منبع الماء، كما يطلق عليهم إسم =

بين هذه الأخيرة والدول التي تنتمي إليها وبشكل خاص في كل من مالي والنيجر، إذْ شهدت منطقة الساحل الإفريقي بشكل عام حالة من الجفاف امتدت منذ 1975 إلى غاية 1983 قضت على الكثير من المناطق الرعوية في شمال البلدين، مما دفع المئات بل الآلاف من الطوارق للجزائر هربا مما حدث[4].جدير بالذكر الإشارة أنّ أقلية الطوارق لا تنتشر في دولة مالي فحسب وإنما في خمس دول إفريقية أساسية إلى جانب مالي كما هو موضح في(الخريطة رقم 1)، حيث يتمركز أغلبهم في دولة النيجر بما يقارب النصف أما البقية يتوزعون بين مالي بـ 400000 نسمة و500000 نسمة في ليبيا أما بوركينافاسو3500 نسمة وأخيرا حوالي2500 نسمة في الجزائر[5]، من خلال هذه التقديرات نخلص أن الطوارق يتمركزون أكثر في كل من مالي والنيجر، حيت تعتبر هذين الدولتين **"قلب عالم الطوارق"** يمثلون أربعة أخماس السكان، وُزّعت بشكل رئيسي في الشمال (بالضبط في جبال الجوية، والعرق أرواد، Tenere الصحراء)[6]، يتحدثون لغة التمشق (tamasheq) وهي لغة بربرية والتي تكتب وفق نظام هجائي متميز يعرف بـ "تيفيناغ (tifinagh) مؤلفة من 24 حرفا، شبيهة بالعلامات الهندسية[7].

= الملثمين أو الرجال الزرق، نظرا لطغيان اللون الأزرق على لباسهم وقيامهم بتغطية وجوههم لحمايتها من العواصف الرملية وتقلبات الطقس إلا أنهم يفضلون تسميتهم بـ إيماجيغن" أو "إيموهاغ" ومعناها بالعربية "الرجال الشرفاء الأحرار"، غالبيتهم يدين بالإسلام السني.

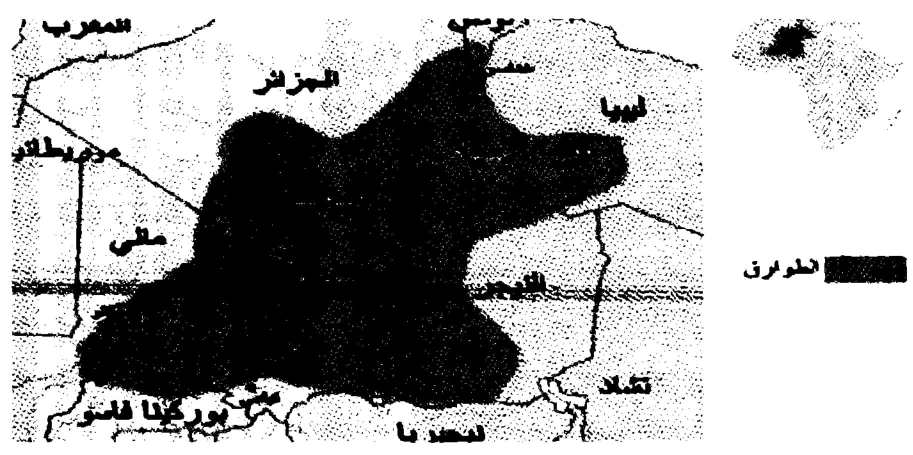
(4) حسين بوقارة، مشكلة الأقلية الترقية وانعكاساتها على الإستقرار في منطقة الساحل الإفريقي، العالم الاستراتيجي، (الجزائر: مركز الشعب للدراسات الاستراتيجية، العدد 7، نوفمبر 2008)، ص8.

(5) بوقارة حسين، نفس المرجع، ص7.

(6) Mehdi,Tadje, sécurité et stabilité au Sahel Africain, Collège de Défense du NATO, occasionnel paper, N°.19, Décembre 2006, p 62.

(7) التينبكتي، الطوارق: عائدون لنور، منشورات منظمة تامابنوت، ب س ن، ص16.

الخريطة رقم 1
خريطة: تبين مناطق انتشار قبائل الطوارق



Source: http://revfacts.blogspot.com/2012/04/blog-post_13.html:

ثانياً: الطوارق الأقلية المهمشة:

تعمّد رؤساء مالي المتعاقبين على تهميش الطوارق وعدم دمجهم في العملية السياسية وحتى إبعادهم عن المشاركة في القرار السياسي، وهذا ما أدى إلى الصراع الدائم بين المنطقة الشمالية والجنوبية، ذلك ماعبّر عنه "**روبرت غار**" بـ نظرية العنف السياسي والتي تعني وجود أشكال من العنف ليست مرتبطة بالجوع والفقر بل بوجود جماعات سياسية تتميّز بلجوئها إلى العنف لتحقيق مصالح غير اقتصادية، إضافة لكون مالي تعاني من أزمات سياسية مركبة تمثّلت فيأزمة الهوية، أزمة الشرعية أزمة العدالة التوزيعية أزمة المشاركة السياسية نُحاول إيضاحها كالتالي:

* أزمة الهوية:

التنوّع الإثني وهيمنة إثنية واحدة على مقاليد الحكم منذ الاستقلال، ما عزّز الشعور بعدم الانتماء لدى الطوارق والأقلّيات الإثنية الأخرى في الشمال التي أصبحت تنظر إلى الدولة كممثّلة لمجموعة إثنية أو قبيلة تهيمن على باقي الإثنيات والقبائل، فالدولة بالنسبة إليهم ليست سوى إثنية

"البامبارا" Bambara المسيطرة على مؤسّسات الحكم منذ استقلال البلاد في عام 1960[8].

* أزمة الشرعية:

تميّز النظام السياسي منذ الاستقلال بالدكتاتورية القائمة على شخصنة السلطة وإقصاء الطوارق من الحقل السياسي مما كرّس الخوف كركيزة للنظام والعنف كوسيلة لترجمة الأهداف والفساد السياسي والإداري كظاهرة مألوفة في مالي[9].

هذا بالإضافة إلى طغيان مفهوم الدولة البوليسية غير المراقبة في صلاحياتها وغير المحترمة لحقوق مواطنيها، وبناء على ذلك تم تكريس الانقلابات العسكرية كآلية للتداول على السلطة وأكبر دليل الانقلاب الأخير الذي شهدته البلاد في 22 مارس 2012.

* أزمة العدالة التوزيعية:

تجاهل السلطات المالية المتواصل لطموحات سكان الإقليم المشروعة في تسيير شؤونهم الذاتية واحترام خصوصيتهم الاجتماعية، هويتهم الثقافية وتلبية مطالبهم في تنمية وتطوير إقليمهم في مختلف مجالات الحياة[10].

---

(8) عزمي بشارة، أزمة مالي والتدخل الخارجي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، تاريخ دخول الموقع: (12-2-2015)، من الرابط:
http://www.dohainstitute.org/release/afe68c3a-2d7c-48cf-acab-40491fd0f9ad.

(9) نبيل بويبة، المقاربة الجزائرية تجاه التحديات الأمنية في منطقة الصحراء الكبرى، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، تخصص دراسات مغاربية، جامعة الجزائر3، 2011، ص40.

(10) محمد الأمين ولد الكتاب، تداعيات حرب الشمال المالي على الأوضاع في موريتانيا، المجلة الإفريقية للعلوم السياسية، تاريخ دخول الموقع: (12-2-2015)، من الرابط:
http://www.bchaib.net.

كما احتلت دولة مالي المرتبة 105 من جملة 174 مرتبة في مؤشر الفساد* عام 2012، حسب تصنيف منظمة الشفافية الدولية، علّق ديكو قائلا: "حكومتنا ضعيفة جدا، وديمقراطيتنا سطحية ومزيفة للغاية"[11].

فضلا عن ذلك؛ يقيم الطوارق في الامتداد الجغرافي الأكثر فقرا والأقل تنمية في الصحراء الكبرى بشكل عام وشمال مالي على الأخص حيث تمثّل كل من "تمبوكتو وغاو وكيدال" أهم مدنه، أما جنوبه فتقع فيه العاصمة باماكو وتتركز فيه الأنشطة الاقتصادية الأساسية في البلاد، إذْ تشهد مناطق الشمال المالي غياب برامج التنمية (عدم وجود طرق، مياه شرب، سدود...).

وعليه ينعكس هذا التخلف الاقتصادي لشمال مالي في العديد من المؤشرات مثل: تدني معدلات النمو الاقتصادي، المستويات العالية للفقر إذْ أنّ أكثر من 60 % من سكان مالي يعيشون تحت مستوى واحد دولار أمريكي في اليوم[12]، إضافة لتفاقم الديون، وتدني متوسط دخل الأفراد حيث بلغ معدل الدخل الفردي في مالي 1200 دولار سنويا وهي تقع في المرتبة 208 عالميا بعد أوغندا (1300 دولار)، وقبل رواندا (1100 دولار)[13]، وحتى تدني مستوى البنية التحتية... إلخ.

(*) راجت في الآونة الأخيرة إشاعة مفادها أن أحد هؤلاء المرتشين المقربين من الرئيس "أمادو توماني توري" قد صرف أثناء زيارة لأوروبا في سبتمبر 2011 نقودا مشبوهة تمثلت في أوراق نقدية سبق للحكومتين الألمانية والفرنسية أن احتفظت بأرقامها لكونها دفعت ضمن فدية لتحرير رهائن كان يحتجزهم تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، وقبل ذلك عام 2010 أعلن مكتب الرقابة العامة، وهو جهاز رقابة مستقل أنشأه الرئيس أمادو توماني توري عام 2004، عن اختفاء 380 مليار فرنك إفريقي من أموال الدولة، لمزيد من التفاصيل راجع: مادي إبراهيم كانتي، الأزمة السياسية في مالي، آفاق أفريقية، المجلد 10، العدد 36، 2012، ص113.

(11) ألكسي يريمينكو، جذور الأزمة في مالي، أنباء موسكو، تاريخ دخول الموقع: (7-2-2015)، من الرابط: http://anbamoscow.com/russia/20130207/379979826.html.

(12) برقوق أمحند، الساحل الإفريقي بين التهديدات الداخلية والحسابات الخارجية، العالم الاستراتيجي، (الجزائر: مركز الشعب للدراسات الاستراتيجية، العدد 7، نوفمبر 2008)، صص 2-3.

(13) عبد الجليل زيد المرهون، مستقبل القاعدة في مالي، جريدة الرياض، العدد 15873، الصادرة بتاريخ (9-12-2011)، ص8.

وبناء على ما تقدم نخلص إلى أن مشكلة الأزواد تُصنّف حسب الخبراء السياسيين بأنها من النزاعات المجمدة أي أنها موجودة وخامدة ولكن عندما تجد البيئة المواتية تطفو على السطح، لذا يمكن تلخيص ما يجري في مالي على أنه ضعف بناء دولة مركزية في الساحل، وضعف إدماج الهويات المنفصلة عن مشاركتها في السلطة[14].

المحور الثاني: الحركات المتمردة شمال مالي:

عرفت دولة مالي مجموعة من التّنظيمات على غرار النزاعات المسلحة التي تدار بين السلطات المالية من جهة والمتمردين الطوارق من جهة أخرى، وصولا لأهم تلك الحركات الداخلية التي لعبت دورا بارزا في تأجيج وإشعال نار الأزمة في شمال مالي من جديد نتطرق لأبرزها فيما يلي:

أولاً: الحركة الوطنية لتحرير أزواد "MNLA"

هي واحدة من حركات عديدة ظهرت في العقود الماضية، حيث تأسست مطلع العام (01/ 01/ 2010)، وتتشكل بالأساس من "توماستيين" (نسبة إلى كلمة توماست وتعني القومية باللغة الطوارقية) وليبراليين ومستقلين، وغيرهم[15].

وقد أدمجت في صفوفها حركات تمرد يسيطر عليها متمردون سابقون من الطوارق من أشهرهم **إبراهيم أغ باهنغا***، وحاولت الحركة الجديدة أن

---

(14) مصطفى صايج، اللوبي الفرنسي عاقب الرئيس المالي لأنه تعاون مع الجزائر، حاوره محمد سلطاني، جريدة البلاد، الصادرة بتاريخ: (6-4-2013).

(15) أحمد عمرو، طوارق مالي وسيناريوهات حل الأزمة، مجلة قراءات إفريقية، تاريخ دخول الموقع: (13-02-2015)، من الرابط: .http://www.qiraatafrican.com/view/?q=572

(*) تُوفي زعيم ثوار الطوارق "إبراهيم أغ باهنغا" في شهر سبتمبر سنة 2012، وفي ظروف مشبوهة شمال شرق مالي، فقد قُتل يوم26 أوت إثر"حادث سير"على بعد كيلومترات من القاعدة العسكرية تيناسالك ودُفن يوم27من نفس الشهر.

تشرك بعض القيادات من العرب والسونغاي والفلان[16]، ولكن قيادتها العسكرية بقيت في يد أحد أبرز زعماء الطوارق هو "**محمد آغ ناجم**" Mohamed AgNajme، الذي عرف بأنه ضابط سابق في الجيش الليبي، وجندي مخلص للعقيد الراحل معمر القذافي[17]، كما تضم في صفوفها مئات المقاتلين العائدين من ليبيا، فضلا عن عشرات الضّباط والجنود المنشقّين عن الجيش النّظامي في مالي[18].

خلال فترة ما بين شهري جانفي وأفريل 2012 اجتاحت الحركة بالتنسيق مع جماعات إسلامية أخرى مناطق شاسعة من الشمال الشرقي والشمال الغربي من البلاد، مثل مدن "منيكا وتساليت" على الحدود مع النيجر، ومدينة "ليرة " على الحدود مع موريتانيا، فكان أوّل هجوم لها في17 جانفي 2012 بعد عودة المتمردين الطوارق من ليبيا بأشهر[19]، وقد ساعد في ذلك أيضا أوضاع ما بعد الانقلاب الذي أطاح بالرئيس "**أمادو توماني توري**" في 22 مارس 2012.

رفعت الحركة من سقف مطالبها لإقامة دولة لهم شمال البلاد قد تكون نموذجا يحتذى به في دول الجوار الأخرى "الجزائر، النيجر، بوركينا فاسو"، ففي وقت سابق كانوا يسعون للحصول على الحكم الذاتي[20]. وقد تم ذلك في السادس أفريل 2012 إذْ أعلنت الحركة رسميا

---

(16) الشيخ محمد، الطوارق شكلوا أنصار الدين والعرب اختاروا التوحيد والجهاد و"القاعدة" وقفت بين الاثنين حكما، جريدة الشرق الأوسط، العدد 12469، الصادرة بتاريخ: (17-1-2013)، ص15.

(17) Peter Benenson House, Mali Retour sur cinq mois de crise, Amnesty International, Royaume-Uni, London, AFR 01/2012, May 2012, www.amnesty.org, p10.

(18) محمد محمود أبو المعالي، الحرب بين مالي والطوارق هل يحرق شررها المنطقة برمتها؟، تاريخ دخول الموقع: (10-2-2015)، من الرابط:

http://www.swissinfo.ch/ara/detail/content.html?cid=32098800.

(19) International Crisis Group, "Mali: Avoiding Escalation", Crisis Group Africa Report, Dakar/Bruxelles, nº 189, 18July 2012, p 10.

(20) بدر حسن الشافعي، هل يفتح إنقلاب مالي الطريق أمام الربيع الإفريقي؟، تاريخ دخول الموقع: (18-2-2015)، من الرابط: .http://rcssmideast.org

باسم أمينها العام "**بلال أغ شريف**" استقلال "أزواد" وإقامة دولة أزواد في شمال مالي، فكان موقف الأطراف الإقليمية والدولية الرفض، بيد أنها تراجعت عن طلبها حينما فقدت سيطرتها السياسية والعسكرية على المنطقة، وسرعان ما تم تهميشها من قبل حركات إسلامية غير مطالبة بالانفصال[21]، ويمكن تلخيص أهم قادة الحركة في الجدول التالي:

الجدول رقم 1:
جدول يوضح أهم قادة وعناصر MNLA

الإسم	الوظيفة	حياته
بلال آغ شريف Bilal Ag Cherif	الأمين العام للحركة	- ولد سنة 1977. - رئيس دولة أزواد.
محمود آغ غالي Mahmoud Ag Ghali	رئيس المكتب السياسي	- مدرّس سابق ورجل أعمال.
محمد آغ نجم Mohamed Ag Najme	رئيس أركان MNLA	- عقيد سابق في الجيش الليبي - ولد في أواخر 50. -إستقر في ليبيا.
موسى آغ طاهر Moussa ag taher	المتحدث باسم MNLA	- كاتب وصحافي - لديه الجنسية الفرنسية

المصدر: الباحث بالتصرف

ثانياً: حركة أنصار الدين:

أما الفصيل الثاني فهو "حركة أنصار الدين"، التي تهدف لإقامة الشريعة الإسلامية وإعادة الاعتبار للدين فضلا عن إيجاد مجتمع إسلامي وفقا للرؤية السلفية الجهادية، ولا تقتصر أهداف الحركة على إقامة الشريعة الإسلامية في أزواد وإنما في سائر أراضي مالي، وما تصل إليه أيدي الجماعة في المستقبل.

(21) Reuters, "Islamists declare full control of Mali's north, en ligne:,http://www.trust.org/alertnet/news/islamists-declare-full-control-of-malis-north/, consulté le: (18-2-2015).

كما تعد أكبر الجماعات في شمال مالي وأهمها، إذْ يمكن اعتبارها بمثابة حركة طالبان في أفغانستان نظرا لأنها حركة محلية معظم قياداتها ومقاتليها من أبناء مالي(22)، تمكنت من بسط سيطرتها بشكل كامل على مدينة **تمبكتو*** الأثرية شمال غرب مالي، فعملت على هدم أضرحة الصوفية والعتبات الدينية -التي أدرجتها اليونسكو** Unesco على لائحة التراث العالمي عام 1988-وهو ما لاقى ردود فعل شديدة على المستوى الدولي ولدى منظمة اليونسكو فأعادت هذه المشاهد للأذهان ما قامت به حركة طالبان في عام 2001(23) من تفجير لتمثال بوذا في**باميان**، فقد اتبعت الجماعات المتشددة المسلحة شمال مالي نفس البداية التي تعتمد عليها كافة الجماعات المسلحة التي تريد تطبيق الشريعة الإسلامية وتعطى بذلك مبرّرا لتدخل القوى الأجنبية.

وتضم "حركة أنصار الدين" في صفوفها العشرات من المقاتلين الطوارق العائدين من ليبيا بكميات كبيرة من الأسلحة والذخيرة بالإضافة لعناصر أزوادية كانت تُقيم هناك(24)، ويرجع تأسيسها في نوفمبر2011 إلى زعيم المتمرِّدين الطوارق السابق "**إياد أغ غالي**" Iyad Ag Aghaly*** الذي

---

(22) محمد الشافعي، الجماعات الجهادية في مالي أشهرها حركة أنصار الدين وتعد بمثابة طالبان، جريدة الشرق الأوسط، العدد 12470، الصادرة بتاريخ: (18-1- 2013)، ص4.

(*) القبلة السياحية التي تعد بوابة الصحراء على بعد 800 كم شمال شرق العاصمة باماكو.

(**) اليونسكو هي منظمة الأمم المتحدة للتربية والتعليم والثقافة، تهدف إلى المساهمة في إحلال السلم والأمن برفع مستوى التعاون بين دول العالم في مجالات التربية والتعليم والثقافة، ولمزيد من المعلومات حول المواقع المعرضة للتهديد في تومبكتو) مالي (انظر في:

http://Whc.unesco.org/en/list/119.

(23) أميرة محمد عبد الحليم، الحرب في مالي إلى أين؟، تاريخ دخول الموقع: (22-2-2015)، من الرابط: http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx?Se.

(24) محمد محمود أبو المعالي، الحرب بين مالي والطوارق هل يحرق شررها المنطقة برمتها، تاريخ دخول الموقع: (10-2-2015)، من الرابط:

http://www.swissinfo.ch/ara/detail/content.html?cid=32098800.

(***) إياد آغ غالي من أبناء قبائل الإيفوغاس الطوارقية التي اشتهرت بالقوة والزعامة في المنطقة، لا يُعرف بالضّبط أين تلقى تعليمه ولا نوع دراسته سوى أنه عاش في شبابه حياة =

يعمل على نشر الشريعة الإسلامية وتطبيقها على كامل التراب المالي إذْ يرفض بذلك تقسيم البلاد وانفصال الشمال المالي[25]، إلا أنه لم يدم مطلبها طويلا فقد تراجعت الحركة عن سعيها لفرض الشريعة في كافة أنحاء البلاد لكنها طالبت بتطبيقها في معقلها الوحيد في مدينة **"كيدال"** بشمال البلاد[26] "حمادة آغ بيبي" Ahmada Ag Bibi أحد أفراد وفد من أنصار الدين موجود في واغادوغو قائلا: «نعدل عن تطبيق الشريعة في كافة أنحاء مالي باستثناء منطقة كيدال حيث ستطبق الشريعة مع أخذ واقعنا في الاعتبار»[27].

وقد دشن الزّعيم **إياد غالي** نشاطه العسكري بالهجوم على مدينة "أغلهوك" في أقصى الشمال المالي غرب كيدال في أواخر شهر جانفي2012، حيث سيطر على قاعدة عسكرية محصّنة تابعة للجيش المالي، ثم ما لبث أن هاجم قاعدة "تساليت" العسكرية وتمكن من اقتحامهاواستولوا على كميات كبيرة من الأسلحة والآليات العسكرية[28].

= ماجنة مليئة بالموسيقى والشعر، أحب السياسة واشتغل فيها، بيد أنّ حياته بدأت تتغيّر مع ثمانينيات القرن الماضي عندما ضرب الجفاف منطقة الساحل والصحراء، مُنهيا بذلك حياة الرغد التي عرفها، وشدوا الرحال إلى ليبيا وبعض الدول المجاورة، وهناك تلقى تدريبا عسكريا في صفوف الكتيبة الخضراء التي شكّلها القذافي من الطوارق، واختاره ليكون ضمن البعثة التي أرسلها إلى لبنان للمشاركة في القتال مع الجانب الفلسطيني ضد الميليشيات المسلحة من الإسرائيليين، فكانت أول تجربة عسكرية حقيقية له، أصبح بعدها رفيقا للرئيس الفلسطيني الرّاحل ياسر عرفات ومن رجال القذافي المقربين، كما كان قائد تمرد الطوارق في مالي لعام 1990، وشارك في حركات التمرّد سنوات1996، 1995 و2006، عُيّن مستشارا في القنصلية المالية بالمملكة العربية السعودية في جدّة، قبل أن يتم ترحيله في 2010 لاتهامه بعلاقاته مع تنظيم القاعدة، وبعد هزيمة القذافي ونجاح الثورة الليبية عاد مع أعداد كبيرة من الطوارق إلى مالي حاملين أسلحة ضخمة.

(25) Peter Benenson House, op.cit, p10.

(26) Julia Dufour et Claire Kupper, Groupes armés au nord-Mali:état des lieux, Groupe De Recherche et Dinformation sur LaPaix et la Sécurité(GRIP), P 5,en ligne: www.grip.org,consulté le:(14-2-2015).

(27) أنيس نواري، الأمم المتحدة تدعو لاجتماع دولي لحل أزمة مالي سلميا، جريدة النصر، العدد 14148، الصادرة بتاريخ: (14-12-2012)، ص12.

(28) أحمد عمرو، مرجع سابق.

دخلت "جماعة أنصار الدين" في تنسيق مباشر مع تنظيم القاعدة AQMI، كما استطاعت أن تدخل معها في نفس التنسيق "حركة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا MUJWA" التي انشقت حديثا عن تنظيم القاعدة، وهو التنسيق الذي أشار إليه **إياد غالي** في أول خطاب يوجهه إلى سكان تمبكتو في الرابع من شهر أفريل2012 بعد سيطرة قوّاته عليها، حيث قال: "...اجتمع إخوانكم من المجاهدين ومن جماعة أنصار الدين وتعاهدوا على نصرة الحق وإقامة الدين ورفع الظلم عن المظلومين، وجمع شمل المسلمين، وتوحيد كلمتهم على كلمة التوحيد، لا إله إلا الله محمد رسول الله"[29].

لم تكتفي حركة أنصار الدين بهذا الحد من التنسيق بين التنظيمات بل وسعت ذلك أيضا مع الحركة الوطنية لتحرير أزواد MNLA من خلال توقيعهما على اتفاق في 26 ماي 2012[30] يقضي على إقامة اتحاد بينهما تحت مسمى "المجلس الانتقالي لدولة الأزواد الإسلامية"، لكن خلافات حالت دون تنفيذ هذا الإتحاد، وفيما يلي نلخص أهم قادة الحركة:

الجدول رقم 2:
جدول يبين أهم قادة حركة أنصار الدين

الإسم	الوظيفـة	حياتـه
إياد آغ غالي Iyad Ag Aghaly	-شيخ أنصار الدين - قائد أيديولوجي وعسكري	- واحد من القائدين في تمرد الطوارق لسنة 1990. - دبلوماسي مالي في المملكة العربية السعودية - هو إبن عم حمادة آغ حمادة. - أسس أنصار الدين في أوائل عام 2012.

(29) محمد محمود أبو المعالي، القاعدة وحلفاؤها في الساحل والصحراء، تاريخ دخول الموقع: (18-2- 2015)، من الرابط: .http://studies.aljazeera.net/reports

(30) خالد عبد العظيم، الجوار المالي "التداعيات الإقليمية لانفصال أزواد في مالي"، مجلة السياسة الدولية، العدد 189، جويلية 2012، ص113.

أحمد آغ بيبي Ahmada Ag Bibi		- كان المتحدث باسم التحالف الديموقراطي من أجل التغيير (إبراهيم آغ باهنغا) .-يعيش في تمنراست .-يزود أنصار الدين بالوقود.
الشيخ آغ عويسي Cheikh Ag Awissa	مستشار إياد آغ غالي	- واحد من رجال إياد آغ غالي. - تلقى تدريبا عسكريا في ليبيا وشارك في الحرب مع لبنان سنة 1980. - شارك مع تمرد الطوارق عام 1990.
دايتي آغ سيدامو Deity Ag Sidamou		- معروف بأكبر تجار المخدرات في المنطقة. - كان منظم لـ MNLA قبل إنضمامه لحركة أنصار الدين. - متواجد في الجزائر ويعمل على توفير الوقود
نبيل الجزائري Nabil JAZAIRI	- رئيس أنصار الدين في منطقة كيدال. - قائد مخيمات دورات تدريبية للمنظمة.	- واحد من أكثر الشخصيات تأثيرا في أنصار الدين. - كان في تنظيم القاعدة بالمغرب العربي. - عسكري جزائري سابق.

Source: Les enjeux du conflit de l'Azawad, Compagnie Méditerranéenne d'Analyse et d'Intelligence Stratégique, en ligne: www.cmais-strat.com, consulté le: (14-2-2014).

صنفت الولايات المتحدة حركة أنصار الدين في شهر مارس 2013 كمنظمة إرهابية أجنبية، عقب شهر من إدراج زعيمها **إياد آغ غالي** على لائحة الإرهابيين" في شهر فيفري لنفس السنة بمقتضى المادة 219 من قانون الهجرة والجنسية، وكتنظيم إرهابي عالمي بمقتضى المرسوم الرئاسي رقم 13224 الذي يستهدف الإرهابيين وأولئك الذين يقدمون الدعم للإرهابيين أو الأعمال الإرهابية(31).

بالإضافة لما سبق؛ يجذر بنا الإشارة لبعض التنظيمات السابقة في مالي وهي: **الحركة الشعبية لتحرير أزواد**: MPLA "تأسست سنة 1990" فهي التنظيم الرئيسي الأول الذي مثّل-تاريخيا- إطارا جامعا لنضال الطوارق السياسي والعسكري ضد تجاوزات الحكومة المركزية في باماكو،

(31) ح. سليمان، واشنطن تصنف 'أنصار الدين' كمنظمة إرهابية، الخبر، الصادرة بتاريخ: (23-3-2013)، ص5.

وكان هذا التنظيم يخضع لقيادة الزعيم المؤثر إياد آغ غالي.

- **الجبهة الشعبية لتحرير أزواد (FPLA)** تأسست سنة 1991 'يقودها السيد "عيسي آغ محمد" ولم توقع اتفاقية مع الحكومة المالية، ولذلك يحظى قائدها باحترام كبير في أوساط السكان، عرف بمهاجمته للجبهة العربية الإسلامية التي يتهمها بأنها تمثل مجموعة قليلة من السكان ذوي الأصول العربية، وهم في الأصل مهاجرون طارئون على الإقليم ولم يكونوا يوما من السكان الأصليين.

- **الجبهة العربية الإسلامية لتحرير أزواد FLAA**: تأسست في 27 جوان 1988 'في موريتانيا: وهي إطار سياسي يعكس الهوية العربية الإسلامية للإقليم خصوصا بقيادة أحمد ولد سيدي محمد ولد عبد الوهاب وهو دبلوماسي من مدينة أروان في الشمال المالي المجاورة للشرق الموريتاني، يقيم أحمد في العاصمة نواكشوط، وقد عمل في الرئاسة الموريتانية بديوان الرئيس "المختار ولد داداه"، وهو ذو توجه إسلامي تأثر بفكر الإخوان المسلمين أيام دراسته بالأزهر في الستينيات، شاركت الجبهة في انتفاضات التسعينيات كما شاركت في توقيع معاهدات السلام مع الحكومة المالية.

- **الجيش الثوري لتحرير أزواد AELA**: أنشئ سنة 1991 'وهو فصيل مسلح حمل السلاح في وجه الحكومة المركزية يقوده هذا التنظيم عبد الرحمن قلة، وهو دبلوماسي يعمل بسفارة باماكو بالرياض وله علاقات وطيدة بالجالية الطوارقية في العالم العربي، خصوصا في العربية السعودية والإمارات.

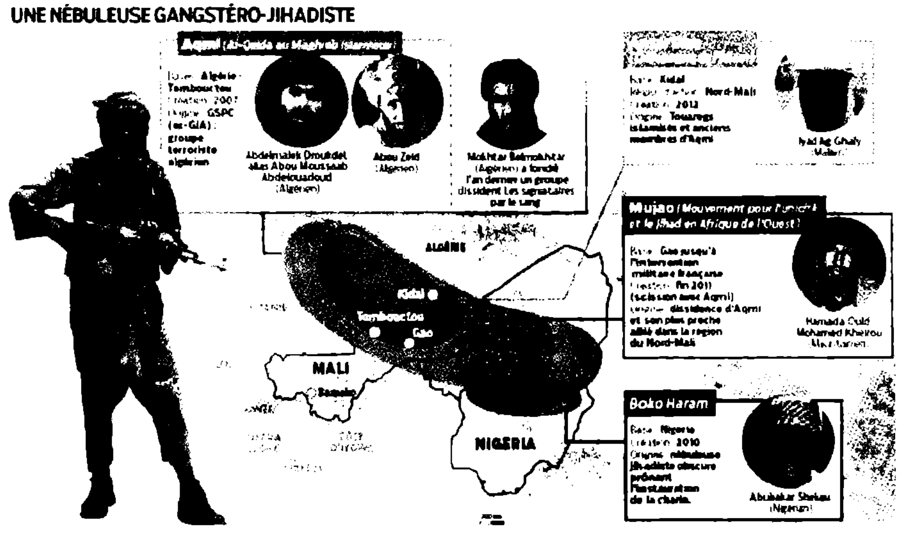
المحور الثالث: الجماعات الجهادية العابرة للحدود:

تؤكد عدد من الدراسات خاصة الأمريكية منها، أن منطقة الساحل الإفريقي بما فيها شمال شمالي سوف تصبح مجالا خصبا لنمو وتطور إرهاب إفريقي خاصة مع بروز مجموعة من المؤشرات الخاصة بتنامي

التطرف الديني عن طريق عدد من الجمعيات السلفية والإرهابية، التي يرجع سبب انتشارهاالضعف الإمكانات وشساعة الرقعة الجغرافية وكذلك أيضا لضعف الفعالية الاقتصادية التي أدت لتفشي الفقر والفساد، وهذا ما سوف يجعل من هذه المنطقة بيئة مناسبة لبقاء الخلايا الإرهابية النائمة، للتدريب، للتنسيق الإرهابي عبر الوطني، وكذلك لتطوير إرهاب أفرو-مغاربي مهدد لكل المنطقة[32] والموضحة في الخريطة رقم 2، نتعرض له فيما يلي:

الخريطة رقم 2

خريطة توضح توزيع الجماعات الإرهابية في مالي ومنطقة الساحل الإفريقي



Source: http://www.leparisien.fr/international/sahel-qui-sont-les-heritiers-de-ben-laden-19-01-2013-.php

(32) برقوق أمحند، الساحل الإفريقي بين التهديدات الداخلية والحسابات الخارجية، المرجع السابق، ص3.

أولاً: تنظيم القاعدة في المغرب الإسلامي "AQMI":

برزت الظاهرة الإرهابية بشكل عام مع مطلع الألفية الجديدة في أعقاب الحوادث الإرهابية التي وقعت في منطقة الساحل الإفريقي عامة وأزواد على وجه الخصوص، وكان من أهمها اختطاف 32 سائحا أوروبيا في صيف عام 2003 في الصحراء الجزائرية من قبل الجماعة السلفية للدعوة والقتال (GSPC) الناشطة بالجزائر والتي ولدت من رحم الجماعة الإسلامية المسلحة[33] سنة 1998 من قبل مؤسّسها "حسان حطاب"* مع مجموعة ممن أخذوا على الجماعة الإسلامية "منهجها التكفيري" وقد عين حطاب أميراً مؤقتا على الجماعة السلفية حتى أفريل 1999 تاريخ تولي "عبد المجيد ديشو" المدعو "أبو مصعب" قيادة التنظيم المسلح، وبعد مقتل" ديشو" في أوت من السنة نفسهااعتلى حسان حطاب هرم القيادة وظل يتزعمها إلى غاية صيف 2003.

كان ذلك جراء الضغط الأمني والحصار العسكري الكبير الذي واجه الجماعة السلفية في الجزائر فعملت على نقل نشاطاتها الإرهابية إلى منطقة الساحل الإفريقي والصحراء الكبرى، وقد تلازم ذلك مع تغيير اسمها لتعرف تحت مسمى: تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي[34] «al Qaeda in the Islamic Maghreb» (AQIM)، تهدف لإقامة دولة إسلامية في المغرب العربي من المغرب حتى ليبيا لذلك فهو التنظيم المسلح الأقدم في المنطقة والأكثر خبرة، وأيضا الأقدم في التواصل وإقامة العلاقات مع شيوخ القبائل هناك؛ إذْ يرتبط التنظيم الذي يتزعمه أبو مصعب عبد الودود

---

(33) Annette Lohmann, Qui sont les Maîtres du Sahara?, Friedrich-Ebert-Stiftung, Abuja, Nigeria, June 2011, p 9.

(*) حسان حطاب هو أبو حمزة من مواليد عام 1968 بحي بن زرقة ببلدية برجالكيفان في الضاحية الساحلية الشرقية للجزائر العاصمة نشأ في ظروف اجتماعية جد صعبة وبعد أن فشل في تخطي عقبة شهادة البكالوريا التحق بصفوف الخدمة العسكرية كمجند في الجيش.

(34) Modibo Go?ta, West Africas Growing Terrorist Threat: Confronting AQIMs Sahelian Strategy", Africa Security Brief, No. 11, February 2011, p.2.

"**عبد المالك دروكدال**"* بعلاقات متشابكة مع سكان المنطقة من الطوارق والعرب، ويحتفظ بعلاقات قوية معهم(35)، وقد أرجع **جاك روسيليه** Jacque Roussellier هذا التحول في توجه الجماعة السلفية كان بدافع تحقيق مستوى جديد من التأثير وجلب الانتباه الدولي(36).

يضم التنظيم تحت لوائه العديد من العناصر ومن مختلف الجنسيات أغلبهم جزائريين، بالإضافة لدول أخرى من أبرزها موريتانيا، ليبيا، المغرب، تونس، مالي ونيجيريا(37)، إذْ يعتمد لتحقيق أهدافه في العمليات الإرهابية على عدّة أساليب أبرزها: العمليات الانتحارية، الاغتيالات، زرع القنابل، الاختطافات واحتجاز الرّهائن(38) ومن تم الحصول على الفدية، إضافة لمصادر تمويل الجريمة المنظمة في الساحل ولما لها علاقات بأنشطة مهربي المخدرات(39).

(*) عبد الملك درودكال زعيم "القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي" الذي ولد عام 1970في قرية "زَيان" التابعة لبلدية مفتاح بولاية البليدة (الجزائر العاصمة) وتحصل على شهادة البكالوريا شعبة الرياضيات سنة 1989 قبل أن يلتحق بجامعة البليدة فرع التكنولوجياوفي ديسمبر 1993 التحق رسمياب النشاط المسلح ونظرالطبيعة دراسته أسندت إليه مهمة صنع المتفجرات بمجرد صعود الجبل، إلتحق بإمارة الجماعة السلفية سنة 2001 ممثلا عن المنطقة الثانية في مجلس أعيان الجماعة حتى سنة 2003، وكان درودكال العقل الذي دبر التحاق "جماعة الدعوة والقتال" السلفية بـ"القاعدة" والتي أصبح اسمها "القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي" في عام 2007 وعين عبد الملك درودكال أميرا لها، فقد ترأس تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي في عام 2004، تشير المعلومات إلي أنه قاتل في أفغانستان وقد تأثر بأيمن الظواهري، الرجل الثاني في تنظيم "القاعدة"، والأردني أبو مصعب الزرقاوي، ويحمل درودكال أيضا لقب أبو مصعب عبد الودود، وهو مسئول عن جملة من الاعتداءات الإرهابية منها الهجوم علي مبني الأمم المتحدة في الجزائر العاصمة في 11 ديسمبر 2007.

(35) محمد الشافعي، الجماعات الجهادية في مالي أشهرها حركة أنصار الدين وتعد بمثابة طالبان، جريدة الشرق الأوسط، العدد 12470، الصادرة بتاريخ: (18-1-2013)، ص6.

(36) Jacques Roussellier,"Terrorism in North Africa and the Sahel: Al-Qaidas Franchise or Freelance", Middle EastInstitute, August 2011, p.4.

(37) حنان فهمي، أمريكا تلعب وراء الستار واليورانيوم كلمة السر في الحرب، تاريخ دخول الموقع: (22-2-2015)، من الرابط: http://www.alwafd.org.

(38) حسينة. د، الإرهاب في الساحل الإفريقي، نظرة جزائرية، تاريخ دخول الموقع: (22-2-2015)، من الرابط: http://algerian-vision.com.

(39) الجزائر ومنطقة الساحل قضية شرف، نظرة جزائرية، تاريخ دخول الموقع: (17- 2-2015)، من الرابط: http://algerian-vision.com.

ومما يوضح خطورة العمليات التي ينفذها التنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، هو دقتها من ناحية، ومردوديتها على التنظيم، حيث تعود عليه بأموال طائلة، خصوصا عندما يتعلق الأمر باختطاف رعايا غربيين، لذلك عمل التنظيم على استهداف الرعايا الغربيين، بالاختطاف[40]. حيث يقول خبراء الأمن إن تنظيم "القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي" بات يملك ثروة طائلة بفضل الفديات التي دفعت له للإفراج عن كثير من الرهائن الأجانب الذين خطفتهم في مالي والنيجر والجزائر ومن مختلف عمليات التهريب المحلية. فمن خلال خطف 80 سائحاً غربيا، وقبض فديات بقيمة 183 مليون يورو، تمكن تنظيم القاعدة من بناء قاعدة كبيرة في المنطقة الصحراوية التي تمتد على حدود الجزائر ومالي وموريتانيا والنيجر حيث يستغل سهولة التسلل عبر الحدود وضعف الوجود الأمني ووجود شبكات تهريب المخدرات[41]. يتوزع تنظيم القاعدة في المغرب الإسلامي على مجموعة من **الفصائل** لعل أبرزها مايلي[42]:

1 - كتيبة الملثمين "الموقعين بالدم":

أميرها مختار بلمختار، "**مسعود عبد القادر أو إلياس أبو العباس**" أو "**الأعور**"* قائد كتيبة "الملثمون" ولد بلمختار عام 1972 في ولاية غرداية الواقعة جنوب شرق الجزائر، متزوج منذ سنوات من ابنة عائلة مرموقة من طوارق مالي، إذْ يعيش في ترحال دائم، حيث سافر سنة 1991 وعمره

---

(40) الحافظ النويني، إشكالية التدبير الأمني في منطقة الساحل والصحراء، المجلة الإفريقية للعلوم السياسية، ، تاريخ دخول الموقع: (18-2-2015)، من الرابط: http://www.bchaib.net.

(41) توفيق المديني، الجيوبوليتيك الجديدة في الصحراء تسقط نظام مالي، المستقبل، العدد 4304، أفريل 2012، ص19.

(42) محمد مقدم، القاعدة في المغرب الإسلامي تهريب باسم الإسلام، (الجزائر: دارالقصبة للنشر، 2010)، ص139-152.

(*) حيث فقد إحدى عينيه أثناء تعامله مع المتفجرات إبان قتاله في أفغانستان، قبل أن يشارك في الحركة الجهادية في الجزائر في التسعينات، ويسمي أيضا "السيد مالبورو" كونه يشرف علي عمليات تهريب السجائر والمخدرات والأسلحة.

آنذاك 19 سنة إلى أفغانستان وتلقى تدريبات هناك، وكذا قاتل إلى جانب الجهاديين العرب الأفغان قبل أن يعود بعد ثلاث سنوات إلى بلده للالتحاق بصفوف الجماعة الإسلامية المسلحة GIA، ذاع صيته في الجزائر لقيامه بقتل رجال الجمارك وحرس الحدود خلال قيامه بعمليات تهريب عبر الحدود، حيث يذكر أن له علاقات طيبة وقوية بالسكان المحليين وحتى جماعات المهربين والمتمردين في أنحاء المناطق الصحراوية، الذين يوفرون له الحماية ويسهلون نشاطه في التهريب منذ أكثر منن 15 عاما وخاصة شمال مالي وفي موريتانيا.

شهدت السنوات السبعة عشر الأخيرة بروز بلمختار كقائد عسكري للقاعدة في شمال مالي والنيجر، وتأسيسه لكتيبة الشهادة وبعدها كتيبة الملثمين. وبقي الأعور المرجع الأهم للجماعات المسلحة في شمال مالي لسنوات عديدة. وتشير اغلب التقارير أن له دورا كبيرا في تأسيس جماعة التوحيد والجهاد، وفي تسليح جماعة أنصار الدين، وفي العمليات العسكرية التي نفذتها الجماعة للاستيلاء على مدن شمال مالي. حيث شنت كتيبة الملثمين برئاسة مختار بلمختار هجوما على محطة ضخ الغاز في عين أميناس النفطية في **منطقة تيقنتورين*** بولاية إيليزي جنوب شرق الجزائر بتاريخ 16 جانفي 2013، وجاء هذا انتقاما من فتح الجزائر أجواءها أمام الطيران الفرنسي لقصف شمال مالي(43). وقد تم احتجاز 132 عاملا أجنبيًّا من العاملين في حقول "**عين أمناس**" جنوب الجزائر كرهائن من جنسيات أجنبية عديدة إذْ ينتمون إلى عشر دول هي: وفرنسا والولايات المتحدة وبريطانيا ورومانيا وكولومبيا وتايلاند والفلبين وأيرلندا واليابان وألمانيا،

(*) وجب الإشارة لتصحيح كلمة تيقنتورين لأن العبارة الصحيحة حسب أبناء المنطقة من الطوارق هيتيجنتورين، "بالجيم".

(43) فريدوم أونوها، التدخل العسكري الفرنسي الإفريقي في مالي والمخاوف الأمنية المتفاقمة، تاريخ دخول الموقع: (14-2-2015)، من الرابط:
http://studies.aljazeera.net/reports/2013/02/20132148048143942.htm.

وذلك مع احتجاز حوالي 600 جزائري[44].

بالإضافة لذلك فقد لغّمت الجماعة أجساد الرهائن الأجانب بمتفجرات، كما لغّمت أرضيه المحطة النفطية، التي تحتجزهم فيها وتتبع لشركة "بريتش بتروليوم" البريطانية، وقد طلبت من السلطات الجزائرية توفير20 سيارة دفع رباعي مزودة بكميات كاملة من الوقود، وبفتح ممر آمن لها نحو شمال مالي[45]، إلا أن القوات الجزائر لم ترضخ لمطالب الجماعة الإرهابية بل اقتحمت المحطة الغازية ما نتج عنه خسائر بشرية فادحة، وكانت نتيجة العملية إطلاق سراح العمال قرابة 685 رهينة منهم 573 جزائريا وحوالي مائة أجنبي، في حين قتل 37 رهينة من 8 جنسيات مختلفة حتفهم، من بينهم جزائري 1، ضمنهم 7 قتلى لم يتم تحديد هوياتهم بعد، 5 عمال أجانب في عداد المفقودين[46]، هذا في مقابل 32 من الإرهابيين. حيث صرح الوزير الأول **عبد المالك سلال** بأن المجموعة الإرهابية التي اعتدت على المنشأة الغازية "بتيفنتورين" خططت للعملية منذ شهرين ودخلت من الحدود المالية، متسللة حتى **عين أمناس**، وقد وضم التنظيم المسلح في صفوفه 11 تونسيا وثلاثة جزائريين وآخرين من مصر وكنديين من أصل عربي وماليين وموريتانيين وحتى من النيجر[47].

2 - كتيبة طارق بن زياد "الفاتحين" :

أميرها "عبد الحميد أبو زيد" واسمه الحقيقي "**أديب حمادو**" الذي يوصف بالرجل القاسي والعنيف والمتعصب الجناح الأكثر تطرفا في

---

(44) إيمان أحمد عبد الحليم، عوائق التدخل العسكري الفرنسي في شمال مالي، تاريخ دخول الموقع: (21-2-2015)، من الرابط: http://www.siyassa.org.eg.

(45) علي عبد العال، الموقعون بالدماء كتيبة الفدائيين في حرب مالي، تاريخ دخول الموقع: (18-2-2015)، من الرابط: http://www.africaalyom.com/web/Details/6138-2.

(46) الجيش الوطني الشعبي يجنب حدوث كارثة حقيقية، مجلة الجيش، عدد 594، جانفي 2013، ص15.

(47) حميد يس، الموقعون بالدماء خططت للاعتداء منذ شهرين جاءت لمالي، الخبر، الصادرة بتاريخ: (22-1-2013)، ص3.

"القاعدة " فجماعته كانت أول جماعة أعدمت رهينة هو البريطاني أدوين دير في يونيو 2009، وكانت عملية الإعدام هذه الأولي لأجنبي منذ اختطاف وقتل رهبان في عام 1996 في الجزائر.

تعود أولى أعمال أبو زيد المسلحة إلى العام 2003 حين وجهت إليه وإلي عماري صايفي الملقب بـ"عبد الرزاق أل بارا" اتهامات باختطاف مجموعة من السياح الأجانب ثم اتهم باختطاف نمساوي وزوجته في الجزائر في فبراير 2008 وأيضا اختطاف سياح أوروبيين بمالي في العام 2009، كما أن الرهينة الفرنسي ميشال جيرمانو الذي أعدم في يوليو 2010 كان في قبضته، وقد أصبح أبو زيد زعيما من زعماء "القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي" بعد إلقاء القبض على عدد من مسؤولي التنظيم وإبعاد عدد آخر منهم عن مراكز القيادة.

3 - سرية الفرقان:

يقودها الجزائري"**جمال عكاشة** " المكنيبـ "**يحي أبو الهمام**" من مواليد الرويبة شرق العاصمة الجزائرية بتاريخ 9 ماي 1978 ويقود كتيبة "الفرقان" المتمركزة في غرب تومبكتو (شمال مالي) وهو عضو سابق في "جماعة الدعوة والقتال" السلفية، ويحتل مرتبة شديدة الأهمية في تنظيم "القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي" والسبب تورطه في غالبية عمليات الاختطاف التي شهدتها المنطقة، و قد تم إدراجه بتاريخ 15 فيفري 2013 في القائمة الأمريكية السوداء التي تضم أبرز الضالعين في قضايا الإرهاب المستهدفين بعقوباتها.

الجدول رقم 3
جدول يلخص أهم قادة تنظيم القاعدة بالمغرب العربي

الإسم	الوظيفة	حياته
عبد المالك دروكدال Abdelmalek Droukdel	الرقم الأول في القاعدة AQMI	- ولد في عام 1970، في مفتاح بالجزائر. - مهندس إعلام. - كان زعيم الجماعة السلفية للدعوة والقتال GSPC منذ 2004 - خاض الحرب في أفغنستان. - تأثر بالمصري "أيمن الظواهري"، والأردني "أبو مصعب الزرقاوي". - قام بتنظيم الحركة السلفية GSPC بالمحاذاة مع تنظيم القاعدة الأم لـ أسامة بن لادن. - الملقب بـ أبو مصعب عبد الودود. - قام بالهجمات العنيفة التي ارتكبت ضد مقر الأمم المتحدة في العاصمة الجزائرية بتاريخ 11 ديسمبر 2007.
يحي جوادي Yahia Djouadi	زعيم إمارة الصحراء، والذراع الأيمن لـ"عبد المالك دروكدال".	- المسؤول عن قسم بلاد شمال إفريقيا للعديد من الكيانات العسكرية بما فيها إمارة الصحراء، المنطقة التاسعة. - الإمارة تغطي هامش الساحل التي تمتد من: مالي، النيجرنيجيريا ليبيا موريتانيا تشاد الملقب بـ"أبو عمار". - قام بالعديد من التفجيرات، وعمليات الخطف. - بدأ في حاشية "دروكدال"، والآن هو الذراع القانوني.
عبد الحميد أبو زيد Abdelhamid Abou Zeïd	المسؤول عن كتيبة الفاتحين.	- أصبح من أهم الزعماء في التنظيم بعد الإطاحة بكثير من الزعماء الآخرين. - في اتصال مباشر مع قيادة القاعدة خاصة المصري "أيمن الظواهري". - خطف 5 موظفين فرنسيين من أريفا بالنيجر منذ 16 سبتمبر.

يحي أبو الهمام. Yahia Abou El Hammam	ملازم عبد الحميد أبو زيد، زعيم كتيبة الفرقان.	- يتصرف بموجب سلطة أبو زيد. - يوجه كتيبة الفرقان التي تقع غرب مدينة تمبكتو. - عضو سابق في الجماعة السلفية GSPC. - قام بالهجوم ضد الجيش الموريتاني بتاريخ 21 سبتمبر.
عبد القادر مختار بلمختار Abdelkader Mokhtar Belmokhtar	قائد كتيبة الملثّمون (شمال مالي - موريتانيا).	- مسعود عبد القادر مختار بلمختار مكفوف. - ولد عام 1972 في غرداية بالجزائر. - نشط لأكثر من 15 عاما في منطقة الساحل. - متزوج من بنات الطوارق في مالي. - قاتل شابا في حرب أفغانستان. - أحد المهربين الملقب بـ "مسترو ماربورو" نسبة لتهريبه للسجائر والمخدرات، الأسلحة وحتى المهاجرين. - لديه شبكات محلية تعمل ضمن السكان ما يسهل أنشطتها

Source: Les enjeux du conflit de l'Azawad, op.cit.

ثانياً: حركة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا MUJWA:

تعتبر إحدى أهم الحركات الإسلامية المسلحة التي تنشط بالمناطق الشمالية، تأسست في أكتوبر 2011[48]، وهي حركة منبثقة عن تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، يتولى قيادتها "**سلطان ولد بادي**" أحد شخصيات المجتمع العربي في أزواد، وبمعيته الناشط الموريتاني السابق في القاعدة "**حماد ولد محمد الخير**"[49] والمكنى بـ "أبو القعقاع"، وقد انضم للحركة عشرات المقاتلين من أبناء القبائل العربية في شمال مالي، لتصبح بذلك واجهة للتيار السلفي الجهادي في المجموعات العربية بأزواد.

تدعو الحركة إلى الجهاد في غرب إفريقيا، وتتمركز سيطرتها في مدينة «غاو» الواقعة على نهر النيجر في شمال شرقي مالي، وكانت تتقاسم

(48) Peter Benenson House, op.cit, p11.

(49) Paul Martial, Mali Une crise globale, Comité Valmy, en ligne: http://www.comite-valmy.org, consulté le:(21-2-2015).

السيطرة على المدينة مع "الحركة الوطنية لتحرير أزواد" بعد طرد الجيش المالي منها، وقبل أن تطردعناصر الحركة الأزوادية على خلفية صراع بين الطرفين استمر نحو شهرين[50]، وقد نفذت أولى عملياتها باختطاف ثلاث رهائن غربيين من جنسيات إسبانية وإيطالية في مخيمات اللاجئين الصحراويين قرب مدينة "تندوف" الجزائرية. كما تبنت الحركة يوم الخميس 23 ماي 2013 هجوما مزدوجا على ثكنة عسكرية في شمال النيجر في اغاديز* وكذا منجم لليورانيوم تديره مجموعة أريفا النووية الفرنسية في أرليت النيجر من خلال تفجير سيارتين مفخختين[51]، مما أسفر عن مقتل23 شخصا(18 عسكريا نيجريا ومدني واحد وأربعة انتحاريين بحسبالحكومة النيجرية)، وكان ذلك انتقامامن الهجوم الذي قادته فرنسا ضد المسلحين الإسلاميين في الدولة المجاورة مالي، وقد أرجع السيد "**ايفان جويتشاوا**" الخبير في شؤون النيجر بجامعة **ايست انجليا** أنّ سبب الهجوم الذي حدث في النيجر ما هو إلّا جزء من تداعيات التدخل الفرنسي في مالي[52].

علاوة على ذلك؛ ما قامت به الحركة في الجزائر من اختطاف سبعة دبلوماسيين جزائريين بمن فيهم القنصل العام الجزائري في مدينة غاو في الشمال المالي وذلك في 5 إبريل 2012، وقد أُفرج عن ثلاثة منهم في جوان 2012 وبقي أربعة منهم محتجزين[53]، حيث تم إعدام الدبلوماسي

(50) محمد الشافعي، الجماعات الجهادية في مالي أشهرها حركة أنصار الدين وتعد بمثابة طالبان، جريدة الشرق الأوسط، العدد 12470، الصادرة بتاريخ: (18-1- 2013)، ص6.

(*) أغاديز أكبر بلدة في شمال النيجر الصحراوي.

(51) فريدوم سي أونوها ود. جيرالد إي إزريم الحناشي، غرب إفريقيا: الإرهاب والجرائم المنظمة العابرة للحدود (الجزء الأول)، تاريخ دخول الموقع: (15-2-2015)، من الرابط:
http://www.aljazeera.net.

(52) تبنته التوحيد والجهاد مقتل 20 في هجمات على منجم تديره شركة فرنسية بالنيجر، قراءات إفريقية، تاريخ دخول الموقع: (22-2-2015)، من الرابط:
http://www.qiraatafrican.com/view/?q = 1240.

(53) Julia Dufour et Claire Kupper, Groupes armés au nord-Mali: état des lieux,

"**الطاهر تواتي**" على يد الحركة في سبتمبر من نفس العام، بعد رفض الجزائر أي تفاوض للإفراج عن معتقلين للحركة لدى الأمن الجزائري، كما رفضت دفع فدية للخاطفين تقدر بـ 15 مليون يورو مع الإفراج عن إسلاميين معتقلين لدى الأمن الجزائري، غير أن الجزائر رفضت هذا التفاوض فمعروف عنها بأنها تجرّم بشدة دفع الفدى المالية للخاطفين[54].وقد سبق ذلك تنفيذ نفس الحركة هجوما إنتحاريا في 23 مارس 2012 على قاعدة لقوات الدرك الوطني لمدينة تمنراست بالجنوب الجزائري وهجوم في 29 جوان 2012 على قاعدة لقوات الدرك الوطني الجزائري بمدينة ورقلة[55].

أعلنت حركة التوحيد والجهاد تشكيل أربع سرايا عسكرية هي[56]: سرية عبد الله عزام، سرية أبو مصعب الزرقاوي، سرية أبو الليث الليبي، وسرية الاستشهاديين، واعتبرت الجماعة في بيان لها أن إعلان الهيكلة الجديدة كان نتيجة لتوسع نفوذها، وتزايد أعداد مقاتليها، مؤكدة أن السرايا الجديدة سيتم توزيعها حسب التحديات التي تواجهها المنطقة داخليا وخارجيا، إضافة لكتيبة "أسامة بن لادن" يتزعمها عضو مجلس شورى جماعة التوحيد والجهاد أحمد ولد عامر المشهور بـ "أحمد التلمسي".

Groupe De Recherche et Dinformation sur La Paix et la Sécurité (GRIP), p6, en ligne: www.grip.org,consulté le: (12-2-2015).

(54) خالد حنفي علي، مأزق السياسة الجزائرية تجاه التدخل الفرنسي في مالي، المركز الإقليمي للدراسات الاستراتيجية، تاريخ دخول الموقع: (22-2-2015)، من الرابط: http://rcssmideast.org.

(55) Abdelkader AbderrahmaneLe, Que se cache-t-il sous la poudrière malienne?, Quotidien dOran, délivré le: (04 - 07-2012), p.8.

(56) حنان فهمي، المرجع السابق.

الجدول رقم 4

جدول يشير لأهم قادة حركة التوحيد والجهاد

الإسم	الوظيفة	حياته
عمر ولد حماها Omar Ould Hamaha	القائد العسكري لـMUJAO	- ولد في عام 1965 في تمبكتو. - حصل على الليسانس من الثانوية الفرنسية سنة 1984 وأنتقل للدراسة في موريتانيا. - التحق بتنظيم القاعدة بالمغرب العربي AQMI، وأصبح الذراع الأيمن للمختار. - في عام 2012أصبح المتحدث باسم أنصار الدين. - التحق بمنظمة MUJAO، وأصبح القائد العسكري. - معروف باسم مستعار، له لحية مصبوغة بالحناء.
حمادة ولد محمد خيرو Hamada Ould Mohamed Kheirou	المتحدث بإسم MUJAO	- موريتاني الجنسية، هرب من السجن سنة 2006. - أصدرت موريتانيا ضده أمر اعتقال دولي بتاريخ 28 ديسمبر 2011
عدنان أبو وليد الصحراوي Adnane Abou Wali Sahroui	المفاوض في MUJAO	- كان متفاوض باسم MUJAO مع حكومة إسبانيا في اختطاف الأجانب في تندوف
أحمد آل تلماسي Ahmed Al-Talmasi	قائد المقاتلين الشباب	- جزائري الجنسية - عضو بارز في MUJAO - يعتبر واحد من القادة الرئيسيين الشباب المقاتلين
سلطان ولد بادي Sultan Ould Badi	أمين الصندوق	- مالي الجنسية - مهرب المخدرات في مالي

Source: Les enjeux du conflit de l'Azawad, op.cit.

خاتمة:

في ضوء ما تم تناوله في هذه الدراسة، يمكن الإشارة إلى عدد من النقاط الأساسية كالتالي:

أولا؛ تظل التعددية الإثنية النمط الأهم من أنماط التعدديات الموجودة والسائدة من اللغوية وحتى الدينية في المجتمعات الإفريقية عامة بما فيها دولة مالي، وكذا فهي الدافع البارز وراء مطالبة الجماعات المختلفة بالانفصال عن حكوماتها المركزية والتمتع بقدر من الاستقلال الذاتي، أو السعي للانفصال.

ثانيا؛ ساعدت الطبيعة الجغرافية الصعبة والمساحة الجغرافية الشاسعة لمنطقة الساحل الإفريقي وحتى أزواد شمال مالي التي يصعب تأمينها ومراقبة حدودها، على تنامي واستقرار الجماعات الإرهابية في المنطقة، سواء أكانت داخلية أو حتى عابرة للحدود.

ثالثا؛ عرفت منطقة الساحل الإفريقي بشكل عام فضلا عن مالي وكذا الجزائر تنامي واسع للجماعات الإرهابية وأشكال الجريمة المنظمة سواء كانت تهريب المخدرات أو الأسلحة الخفيفة والثقيلة، وتهريب السجائر والاتجار بالبشر...، الناتجة عن نشاطات الجماعات الإرهابية في المنطقة.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المراجع باللغة العربية:

*** موسوعات:**

- الكيالي عبد الوهاب (وآخرون)، **موسوعة السياسة** ، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ج5، 1979).

*** الكتب:**

- التينبكتي، **الطوارق: عائدون لنثور**، منشورات منظمة تامابنوت، ب س ن.
- مقدم محمد، **القاعدة في المغرب الإسلامي تهريب باسمال إسلام**، (الجزائر: دار القصبة للنشر، 2010).

- مهدي محمد عاشور، **التعددية الإثنية : إدارة الصراعات واستراتيجيات التسوية** ، (الأردن: المركز العلمي للدراسات السياسية، ط1، 2002).

*** الدوريات والمجلات:**

- برقوق أمحند، الساحل الإفريقي بين التهديدات الداخلية والحسابات الخارجية، **العالم الاستراتيجي**، (الجزائر: مركز الشعب للدراسات الاستراتيجية، العدد 7، نوفمبر 2008).
- بوقارة حسين، مشكلة الأقلية الترقية وانعكاساتها على الإستقرار في منطقة الساحل الإفريقي، **العالم الاستراتيجي**، (الجزائر: مركز الشعب للدراسات الاستراتيجية، العدد 7، نوفمبر 2008).
- عبد العظيم خالد، الجوار المالي "التداعيات الإقليمية لانفصال أزواد في مالي"، **مجلة السياسة الدولية** ، العدد 189، جويلية 2012.
- مادي إبراهيم كانتي، الأزمة السياسية في مالي، **آفاق أفريقية** ، المجلد10، العدد36، 2012.
- ملاح السعيد، تأثير مشكل الطوارق على استقرار منطقة الساحل الإفريقي، **العالم الاستراتيجي**، (الجزائر: مركز الشعب للدراسات الاستراتيجية العدد 7، نوفمبر 2008).

*** الرسائل الجامعية:**

- بويبة نبيل، المقاربة الجزائرية تجاه التحديات الأمنية في منطقة الصحراء الكبرى ، **مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية** ، تخصص دراسات مغاربية، جامعة الجزائر3، 2011.

*** الجرائد:**

- الشافعي محمد، الجماعات الجهادية في مالي أشهرها حركة أنصار الدين وتعد بمثابة طالبان، **جريدة الشرق الأوسط**، العدد 12470، الصادرة بتاريخ: (18-1-2013).
- الشيخ محمد، الطوارق شكلوا أنصار الدين والعرب اختاروا التوحيد والجهاد و«القاعدة» وقفت بين الاثنين حكما، **جريدة الشرق الأوسط**، العدد 12469، الصادرة بتاريخ: (17-1-2013).
- المديني توفيق، الجيوبوليتيك الجديدة في الصحراء تسقط نظام مالي، **المستقبل**، العدد 4304، أفريل 2012.
- ح. سليمان، واشنطن تصنف "أنصار الدين" كمنظمة إرهابية، **الخبر**، الصادرة بتاريخ: (23-3-2013)، ص 5.
- زيد المرهون عبد الجليل، مستقبل القاعدة في مالي، **جريدة الرياض**، العدد 15873، الصادرة بتاريخ: (9-12-2011).

- صايج مصطفى، اللوبي الفرنسي عاقب الرئيس المالي لأنه تعاون مع الجزائر، حاوره محمد سلطاني، **جريدة البلاد**، الصادرة بتاريخ: (6-4-2013).
- نواري أنيس، الأمم المتحدة تدعو لاجتماع دولي لحل أزمة مالي سلميا، **جريدة النصر**، العدد 14148، الصادرة بتاريخ: (14-12-2012).

*** مواقع إلكترونية:**

- أبو المعالي محمد محمود، الحرب بين مالي والطوارق هل يحرق شررها المنطقة برمتها؟، تاريخ دخول الموقع: (10-2-2015)، من الرابط:
http://www.swissinfo.ch/ara/detail/content.html?cid=32098800
- أبو المعالي محمد محمود، القاعدة وحلفاؤها في الساحل والصحراء، تاريخ دخول الموقع: (18-2- 2015)، من الرابط: http://studies.aljazeera.net/reports
- أونوها فريدوم، التدخل العسكري الفرنسي الإفريقي في مالي والمخاوف الأمنية المتفاقمة، تاريخ دخول الموقع: (14-2-2015)، من الرابط:
http://studies.aljazeera.net/reports/2013/02/20132148048143942.htm
- بشارة عزمي، أزمة مالي والتدخل الخارجي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، تاريخ دخول الموقع: (12-2-2015)، من الرابط:
http://www.dohainstitute.org/release/afe68c3a-2d7c-48cf-acab-40491fd0f9ad
- حسن الشافعي بدر، هل يفتح انقلاب مالي الطريق أمام الربيع الإفريقي؟، تاريخ دخول الموقع: (18-2-2015)، من الرابط: http://rcssmideast.org
- حسينة. د، الإرهاب في الساحل الإفريقي، نظرة جزائرية، تاريخ دخول الموقع: (22-2-2015)، من الرابط: http://algerian-vision.com
- حنفي علي خالد، مأزق السياسة الجزائرية تجاه التدخل الفرنسي في مالي، المركز الإقليمي للدراسات الاستراتيجية، تاريخ دخول الموقع: (22-2-2015)، من الرابط:
http://rcssmideast.org
- عمروأحمد، طوارق مالي وسيناريوهات حل الأزمة، مجلة قراءات إفريقية، تاريخ دخول الموقع: (13-02-2015)، من الرابط:
http://www.qiraatafrican.com/view/?q=572
- فهمي حنان، أمريكا تلعب وراء الستار واليورانيوم كلمة السر في الحرب، تاريخ دخول الموقع: (22-2-2015)، من الرابط: http://www.alwafd.org
- محمد عبد الحليم أميرة، الحرب في مالي إلى أين؟، تاريخ دخول الموقع: (22-2-2015)، من الرابط: http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx?Se
- النويني الحافظ، إشكالية التدبير الأمني في منطقة الساحل والصحراء، المجلة الإفريقية للعلوم السياسية، تاريخ دخول الموقع: (18-2-2015)، من الرابط:
http://www.bchaib.net

- ولد الكتاب محمد الأمين، تداعيات حرب الشمال المالي على الأوضاع في موريتانيا، المجلة الإفريقية للعلوم السياسية، تاريخ دخول الموقع: (12-2-2015)، من الرابط:
http://www.bchaib.net
- يريمينكو ألكسي، جذور الأزمة في مالي، أنباء موسكو، تاريخ دخول الموقع:(7-2-2015)، من الرابط: http://anbamoscow.com/russia/20130207/379979826.html
- تبنته التوحيد والجهاد مقتل 20 في هجمات على منجم تديره شركة فرنسية بالنيجر، قراءات إفريقية، تاريخ دخول الموقع: (22-2-2015)، من الرابط:
http://www.qiraatafrican.com/view/?q = 1240
- الجزائر ومنطقة الساحل قضية شرف، نظرة جزائرية، تاريخ دخول الموقع: (17- 2-2015)، من الرابط: http://algerian-vision.com

ثانيا: المراجع باللغة الأجنبية

*** Reports/Les rapports:**

1. Benenson PeterHouse, Mali Retour sur cinq mois de crise, **Amnesty International**, Royaume-Uni,London, AFR 01/2012, May2012,www.amnesty.org.
2. International Crisis Group,"Mali: Avoiding EscalationÂ, **Crisis Group Africa Report**, Dakar/Bruxelles, n 189, 18July 2012

*** Periodicals /working papers:**

3. Goüta Modibo, West Africa's Growing Terrorist Threat: Confronting AQIM's Sahelian Strategy", **Africa Security Brief**, No. 11, February 2011.
4. Lohmann Annettẽ **Qui sont les Maîtres du Sahara?**, Friedrich-Ebert-Stiftung, Abuja, Nigeria, June 2011.
5. Roussellier Jacques,"Terrorism in North Africa and the Sahel: Al-Qa'Ida's Franchise or Freelance", **Middle EastInstitute**, August 2011.
6. Tadje Mehdi, sécurité et stabilité au Sahel Africain, Collè ge de Défense du NATO, **occasionnel paper**,N.19, Décembre 2006.

*** Internet links:**

7. Dufour Julia et Claire Kupper, Groupes armés au nord-Mali: état des lieux̃ Groupe De Recherche et D'information sur LaPaix et la Sécurité(GRIP), P 5, en ligne: www.grip.org, consulté le:(14-2-2015).
8. Martial Paul, Mali Une crise globale, Comité Valmy, en ligne: http://www.comite-valmy.org, consulté le: (21-2-2015).
9. Reuters, "Islamists declare full control of Mali's north, en ligne": http://www.trust.org/alertnet/news/islamists-declare-full-control-of-malis-north/ , consulté le : (18-2-2015).

*** Les journaux:**

10. Abdelkader AbderrahmaneLe, Que se cache-t-il sous la poudriè re malienne?, **Quotidien d'Oran,** délivré le: (04 - 07 - 2012).

رابعاً: عن فوضى الصراعات الدينية واضطهاد الاستقرار

■ أ. عبير شليغم

ملخص الدراسة:

تهدف هذه الدراسة لتسليط الضوء على موضوع الصراعات الدينية في الشرق الأوسط، حيث شهدت فترة ما بعد الحرب الباردة تراجع الخلافات الأيديولوجية فضلا عن تصدر الدين مكانة غير عادية في الشؤون الدولية باعتباره أكبر مصدر للصراعات الدولية في العصور الحديثة، وموردا من أجل صنع السلام في العقود الأخيرة.

علاوة على ذلك؛ وجب التّمييز أن الصراعات الدينية في العلاقات الدولية والصراعات المعاصرة لا تقتصر فقط على الحاصلة بين ديانتين مختلفتين فقط كما كان سائدا، بل يتعدّاه إلى الطوائف الدينية والمذهبية المختلفة داخل الدين الواحد.

بناء على ذلك؛ سيتم التعرض لبعض أمثلة الصراعات الدينية في الشرق الأوسط من خلال التطرق لنموذج الصراع القائم بين المسلمين والمسيحيين وخاصة في لبنان، إضافة لذلك تناول التعدد الديني والمذهبي في العراق في شكل صراع بين الطائفتين السنة والشيعة على السلطة.

الكلمات المفتاحية: الصراعات الدينية، المذهبية، الشرق الأوسط، المسيحية، الإسلام، السنة، الشيعة، لبنان، العراق.

مقدمة:

أصبح استخدام الدين داخل المجال العام محل اهتمام المشتغلين بالعلم الاجتماعي خلال النصف الأخير من القرن الماضي في ضوء تراجع أطروحة "التحول نحو العلمانية"، والسعي نحو الفصل بين الدين والسياسة، ومن ثم تهدف هذه الورقة البحثية إلى دراسة الحضور الديني داخل المجال العام السياسي.

فضلا عن ذلك؛ تلعب الأقليات العرقية والدينية واللغوية دورا مثيرا للجدل في حياة البلاد السياسية والثقافية. وتعد العلاقة بين الأقليات الدينية والدولة علاقة معقدة وهي متصلة بدور الدين في الدولة بشكل عام وأيضا بالكيفية التي تم بها تعريف الثقافة الوطنية والهوية تاريخيا. ففي بعض الأحيان يفهم تاريخيا أن دينا ما يمثل ملمحا جوهريا في الهوية الوطنية، وفي أحيانا أخرى، لا توجد علاقة وثيقة بين الهوية القومية والدين. يؤدي السعي غلى بناء هوية قومية على أساس دين واحد إلى حماية منقوصة لحقوق الأقليات الدينية. وفي سياقات أخرى، قد يكون هناك تاريخ من الصراع بين مجموعات دينية مختلفة، مما يجعل التعايش تحت لواء دولة واحدة أمرا صعبا وتحديا كبيرا.

في ضوء ما تقدم، وبناء عليه تستدعي طبيعة الموضوع صياغة **الإشكالية** على النحو الآتي:

ما مدى تأثير الصراعات الدينية على أمن واستقرار منطقة الشرق الأوسط؟

أما فيما يتعلق **بالتساؤلات الفرعية**: لدراسة ومعالجة هذه الإشكالية يتطلب الأمر الإجابة على التساؤلات التالية:

- ما هو دور الدين في الصراعات المعاصرة لفترة ما بعد الحرب الباردة ؟
- ما هي أشكال الصراعات الدينية ؟

- ما طبيعة الصراعات الدينية في كل من لبنان والعراق؟
- ما هي الأسباب الداخلية، الإقليمية والدولية التي كانت وراء الصراعات الدينية في الشرق الأوسط؟
- فيما تتمثل الانعكاسات والحلول المقترحة لمواجهة الصراعات الدينية في الشرق الأوسط؟

بناءًا على ما سبق؛ وبهدف احتواء كل جوانب الموضوع المتشعبة والمتداخلة ارتأينا لتقسيم الدراسة وفق ثلاثة محاور على النحو التالي:

المحور الأول: ماهية الصراعات الدينية ؛

المحور الثاني: أشكال الصراعات الدينية ؛

المحور الثالث: واقع وتداعيات الصراعات الدينية في الشرق الأوسط؛

خاتمة.

المحور الأول: ماهية الصراعات الدينية:

الدِّين كان ولا يزال محور الحياة وأكسجينها الذي تتنفسه وأصل بقاءها المعطاء ولا يستطيع أحد أن يبقى في معزل عن هذه المكونات الأصل للدين عقيدة وشريعة وأخلاق وقيم ومبادئ وتعامل ونفع للآخر. وعليه؛ وقبل التطرق للصراعات الدينية وجب التعرض لمفهوم الصراع مرورا بمفهوم الدين وصولا لنشأة وتطور هذه الصراعات، وذلك على النحو التالي:

أولاً: مفهوم الصراع:

يعرف معهد هايدلبرغ الدولي لبحوث الصراع الصراعات باعتبارها: "تصادم المصالح (اختلاف في المواقف) على القيم الوطنية على الأقل بين الطرفين (الجماعات المنظمة، والدول ومجموعات من الدول، المنظمات)

التي هي مصممة على السعي نحو تحقيق مصالحها ونصرة قضاياهم[1].

بينما يعرف الباحث الاجتماعي "Lewis A Coser" الصراع بأنه "تنافس على القيم وعلى القوة والموارد يكون الهدف فيه بين المتنافسين هو تحييد أو تصفية او إيذاء خصومهم".

كما يرى **أحمد فؤاد أرسلان** أن الصراع الدولي "هو ظاهرة عدما لتوافق أو التناقض في المصالح، القيم والأهداف القومية بين القوى الفاعلة في النظام الدولي الذي يتميز بحتمية التفاعل بين وحداته المتفاوتة في طاقاتها وإمكانياتها والمتناقضة في منطلقاتها القيمية والإيديولوجية"[2].

أما الصراع في نظر **دويتش** هو "وجود أنشطة حادثة أو أفعال جارية تتعارض مع بعضها البعض وهو نشاط الذي لا يتفق مع واحد آخر وهو الذي يمنع، أو يعرقل في حدوث أو فعالية النشاط الثاني، الصراع يمكن أن يكون صغيرا كوجود خلاف وكبيرا مثل وجود الحرب"[3].

أما فيما يتعلق بالنزاع كمفهوم وعلاقته بالصراع فمن خلال عرضن المختل فالأدبيات المتعلقة بالصراع كمفهوم يتراءى إلينا تكاملا لمفهومين بالرغم من بعض الاختلافات الظاهرة وإن كان البعض يجتازها معتبرا إياهما وجهين لعملة واحدة.

كما يعرّف الصراع بأنه النزاع الناتج عن الاختلاف جراء تباين الرؤى والعقائد والأفكار والبرامج والمصالح بين مجموعتين أو أكثر ورغم ذلك يختلف الصراع عن النزاع في أنه حالة من الاختلاف في المواقف والاتجاهات يمكن اعتباره أعمق من النزاع ولذلك عادة ما يكون الحديث

---

(1) Jürgen Axt (Heinz),Milososki (Antonio)Schwarz (Oliver): "Conflict-a literature review" pdf Duisburg, 23rd February 2006, http://www.europeanization.de/downloads/conflict_review_fin.pdf.

(2) عبيد الله مصباح زايد، السياسة الدولية بين النظرية والممارسة، (ليبيا: دار الرواد، ط1، 2002)، ص151.

(3) Roger T -(Johnson), David W. (Johnson): "About conflict and Conflict Resolution " the cooperativelearling at thz univesity of Minnesotahttp://www.cooperation.org/pages/conflict.html.

عن إدارة الصراع وليس حله خلافا للنزاع الذي يمكن حله باستخدام مختلف وسائل حل النزاعات فالصراع أوسع: مثل الصراع الحضاري بين الإسلام والغرب والصراع الأيديولوجي بين المعسكر الشرقي والغربي.

بالإضافة لذلك؛ العلاقة بين الصراع والنزاع تبدو من خلال إبقاء النزاع على مسائل معينة لفترة طويلة دون أن يكون هناك حل لها فعند هذه الحالة يكون النزاع صراعا أو عندما يهدد أحد الأطراف باللجوء إلى استخدام العنف في حل النزاع وهو ما يجعل المصطلحين في تداخل أحيانا، إذ ينقلب الصراع الغامض إلى نزاع مع وجود عوامل أخرى قد تتدخل في هذا وذاك، ومقابل الصراع يبدو النزاع قابلا للتسوية لأنه يحفظ مصالح معينة للأطراف بينما قابلية التسوية في الصراع أصعب من النزاع وغالبا ما يستخدم المفهومان وكأنهما مفهوما واحدا[4].

ثانياً: مفهوم الدِّين:

لقد ظل "الدين" مبحثا يثير انشغال الباحثين والمفكرين منذ القدم، حيث عكفوا على محاولة تفسيره وفهم عناصره، وكشف بداياته ونشأته، ورصد أبعاده وحدوده. وبالرغم من أن المجتمعات الحديثة قد أخذت من الدين مواقف شتى، إلّا أن بقائه ودوامه على رأس القضايا الهامة والمسائل البارزة المطروحة في كل المجالات السياسية منها والعلمية والاقتصادية... وغيرها، يثبت مكانة الدين وأهميته في ماضي البشرية وحاضرها. ولقد قدّمت ولاتزال لنا الدراسات والبحوث المهتمة بالدين، العديد من الآراء والتصورات والاقتراحات حول تعريف الدين وتحديد ماهيته، ومما لا أشك فيه هو أن هذه الأطروحات كلها تحوم حول محور واحد. لكن تعدد مظاهر هو أشكاله على مدار التاريخ وعلى عموم المجتمعات، هو الذي يبرر هذا الاختلاف والتعدد في الأطروحات، إذْ لا يوجد موضوعاختلفتفيها

---

(4) حسين قادري، دراسة وتحليل النزاعات الدولية، (الجزائر: باتننة، مننشورات خير جليس، 2007)، ص20.

لآراء مثل موضوع الدين، ولذا يستحيل الوصول إلى معنى للدين يرضي الجميع[5].

وعليه؛ ارتأيت أن أبدأ من الوقوف عند المعنى المتداول لكلمة الدين، فوجدت أنه قد طغت على عموم محالات تحديد معنى الدين الصبغة الغربية. فلما كانت كلمة Religion في الفرنسية تقابل لفظة "الدين" في العربية أرجعت معظم الدراسات اشتقاق هذه الكلمة إلى المصدر اللّاتيني، وكأن لاوجود لهذه اللفظة إلا في الحضن اللاتيني، كما أن أغلب ما تحيل إليه هذه البحوث والدراسات هو رأي **"ديلاجراسي"** De La Grasserie الذي جعل كلمة Religion مشتقة من الفعل اللاتيني Religare أي Relier والتي تعني في العربية ربط أو أوثق، أو ما ذهب إليه **روجيه باستيد** R.Bastide وغيره من اعتبار كلمة Religionترجع أصلاً إلى الفعل اللاتيني Religereبمعنى العبادة المصحوبة بالرهبة والخشية والاحترام[6].

أما كلمة "الدين" حسب معاجم اللغة العربية فدلالاتها محتشمة تؤخذ تارة من فعل متعد باللام "دان له"، وتارة من فعل متعد بالباء "دان به" فأما دان له فتعني الخضوع والانقياد والاستسلام لطرف ما، وأما دان به أي اعتقده أو آمن به.

ثالثاً: نشأة وتطور الصراعات الدينية:

أوضحت أحداث لا حصر لها على مدى العقود القليلة الماضية؛ أنّ الدِّين واحد من أكبر مصادر الصراعات في العصور الحديثة، حيث نجد أنه في عالم ما بعد الحرب الباردة أصبحت الخلافات الإيديولوجية ثانوية بالنسبة إلى صراعات الهوية، فالصراعات بين الدول استخلفت بالصراعات

---

(5) جيمسفريزر، الغصن الذهبي: دراسة في السحر والدين، تر: أحمد أبو زيد، (القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ج1، 1998)، ص198.

(6) رشوان حسين عبد الحميد، الدين والمجتمع دراسات في علم الاجتماع الديني، (مصر: مركز الإسكندرية للكتاب 2004)، ص6-7.

بصورة متزايدة داخل الدول كنتيجة مباشرة لهذا التحول الكبير، إذْ أن معظم هذه الدراسات ركزت في البداية على الهوية العرقية ككل، إلّا أنّ مع مرور الوقت تم تضييق التركيز على الجوانب المختلفة للهوية الواحدة باعتبارها مصدرا للصراع، وبرزت للصدارة اثنين من السمات الرئيسية للهوية وهي: اللغة والدين، وخاصة الدين فسرعان ما أصبح واحد من أكثر المكونات دراسة مصادر الصراع في عصرنا(7).

كما يؤكد المحلل السياسي **"جوناثان فوكس"** بقوله: "إن الصراعات المتصلة بالأديان ستواصل هيمنتها على الأحداث خلال ما بين عشر إلى عشرين عاما قادمة. ولاحظ بدءًا من عام 2002 أنه من الممكن تصنيف غالبية الصراعات باعتبارها دينية. أما بداية التصاعد في الصراعات الدينية فيعود إلى زمن نشوب الثورة الإيرانية تقريبا في أواخر السبعينيات، أي نوقع تسلسلة من الصراعات الدينية بما في ذلك الثورة الإيرانية والحرب الأهلية في أفغانستان وما شابه ذلك شكلت أول تصاعد لدور الدين في الصراعات". وبدأت الموجة الثانية في أواخر الثمانينيات، وأوائل التسعينيات. تزامن ذلك تقريبا مع وقت انهيار الاتحاد السوفيتي، وتفكك الكتلة الشرقية على الرغم من وقوع منازعات أيضا خارج الكتلة الشرقية؛ إلا أن غالبيتها كانت دينية(8).

وفيما يتعلق بكيفية تحول الصراعات السياسية إلى صراعات ذات طابع ديني، ففي كثير من الحالات، إيديولوجية هوية الصراع قد تغير خلال الصراع إلى شيء مختلف عما كان يتوخاه الأيديولوجيون أو المنظمين للصراع، فثمة صراع يبدأ ذا طابع سياسي قد يتطور إلى صراع عرقي أو ديني. هذه التحولات أحيانا تنحرف عن قصد من الذين حرضوا على الصراعات ليتطور على أساس منطقهم(9).

---

(7) Kursad (Turan), Menderes (çinar): The Role of Religion in Intra-state Conflicts:TheMisevaluation of Religion-Based Conflicts,http://www.allacademic.com.

(8) radio nederland wereldomroep,http://static.rnw.nl/migratie.

(9) McC Adams (Robert)and others:Conflict and Reconstruction in MultiethnicSocie-

بناء على ما تقدم؛ يمكن القول أن مثل هذه الصراعات الداخلية كالصراعات الدينية تحدث تكرارا في المجتمعات الغير متجانسة من الناحية الإثنية والدينية والتي تعاني انقسامات حادة، فتحاول مجموعة حضارية الحفاظ على هويتها المتميزة والمستقلة عن المجموعات الأخرى، من خلال الحفاظ على الدين واللغة أو الانتماء العرقي أو الحضاري، بهدف الحصول على ما هو نادر بما في ذلك السلطة والقيم المعنوية الاعتراف أو حتى الجوانب الاقتصادية.

المحور الثاني: أشكال الصراعات الدينية:

بخصوص أشكال الصراعات الدينية فقد قسّمها **"جوناثان فوكس"** إلى فئتين، الأولى صراعات الهوية الدينية تلك التي تنتمي إلى مجموعتين مختلفة الديانات أو الطوائف الدينية، والثانية حروب دينية والتي تكون فيها جماعات تنتمي إلى نفس الدين[10].

أولاً: حروب دينية -دينية:

تم التعرض للديانات السماوية الثلاث الرئيسية اليهودية، المسيحية، الإسلام، وذلك على النحو التالي:

1 - **الديانة اليهودية**: افترق اليهود بسبب خلافهم في دينهم بعد تخريب بيت المقدس الذي بناه النبي سليمان عليه السلام إلى أربعة فرق، وهم الطائفة الربانية وطائفة القراء وطائفة العنانية وطائفية السمرة، فطائفة الربانية يعولون في أحكام الشريعة على التلمود، وهي لا تعمل بالنصوص الإلهية وهناك من يعتبرهم بعيدين تمام البعد عن الأصول الحقيقية للديانة اليهودية، أما طائفة القراء يحكمون نصوص التوراة ولا يعترفون بمن

---

ties:Proceedings of a Russian-AmericanWorkshop,(National Academy of science 2004) p 23.

(10) Kursad (Turan), Menderes (çinar): The Role of Religion in Intra-state Conflicts Op; Cit p 2-3.

خالفها ويلزمون النص دون تقليد، وفيما يخص الطائفة العنانية تخالف هاته الطائفة وتطعن في الطائفة الربانية والقراء وأهم الخلافات نجدها في دعوتهم للإقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه أرسل للعرب وإجمال.

2 - الديانة المسيحية: انقسمت المسيحية إلى ثلاث طوائف وذلك بعد اعتناق الإمبراطور قسطنطين المسيحية وذلك حسب المراحل التالية:

المرحلة الأولى: منذ بدء انتشار المسيحية إلى ظهور الإسلام، كان الإختلاف حول شخصية السيد المسيح، هل المسيح هو الله نفسه؟ هل المسيح فيه جزء بشري وجزء إلهي؟ هل المسيح هو ابن الله؟ هل الابن المسيح مساو للأب في الجوهر؟ (تعالى الله عن كل هذا حل في علاه)[11].

المرحلة الثانية: منذ ظهور الإسلام إلى الحروب الصليبية، وكان الخلاف حول وسائل التقرب من السيد المسيح فيما يتعلق بالصور والتماثيل، هل يمكن التقرب بها أم لا؟ وذلك لتأثرهم بتعاليم الحضارة الإسلامية المبغضة للشرك والتقرب إلى الله بكل ما هو مجسد، سواء كان صورة أو صنما أو غير ذلك.

المرحلة الثالثة: من الحروب الصليبية حتى الإصلاح الديني، وقد تميزت بتشكيل الأحزاب الدينية وصراعها فيما بينها (أي بين أتباع الديانة المسيحية)، وذلك بعد تعايش المسيحيين مع المسلمين واقتناع الكثير بالعقيدة الإسلامية، وكان من نتائج هذا الصراع انفصال الكنيسة اليونانية الأورثودوكسية عن الكنيسة الكاثوليكية.

---

(11) حافظ عثمان، الإسلام والصراعات الدينية، (القاهرة: مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت)، ص97-105.

ثانياً: صراع داخل الدِّين (مذهبية):

بعد تطرقنا لصراع الديانات السماوية الثلاث، نصل للصراع داخل نفس الدين، نتناولالصراع القديم الحديث القائم بين السنة والشيعة، بادئ أولا بشرح كلا من الطائفتين وذلك على المنهاج التالي:

* **الطائفة السُنية** : ورد في موسوعة السياسة أن مصطلح السّنة هو مصطلح سياسي ديني له معاني عديدة، وأهمها أن السنة تعن ما أخذ عن النبي محمد صلى الله عليه وسلّم من فعل وقول وتقرير، وهم ما يميز أهل السنة عن غيرهم من المذاهب الإسلامية وبالأخص المذهب الشيعي هو موضوع الإمامة لأهل البيت وخلافتهم للمسلمين دون غيرهم[12]، حيث يرى أهل السنة أن الخلافة لأصلح من المسلمين تقدم له البيعة على السمع والطاعة، وليس الحكم لأهل البيت أصلا في الدين لأنه لم يرد ذلك لا في الكتاب ولا في السنة المحمدية.

* **الطائفة الشِّيعية** : الشيعة كمصطلح هو كل من يتخذ الإمام علي وأهل بيته أولياء، ويرى بأفضليتهم على جميع الخلق بعد الرسول وأحقيتهم بالإمامة، وما يميز عقيدة الشيعة أمران، الأول اعتبار علي بن أبي طالب أفضل الصحابة، وأنه الأحق من غيره في تولي الخلافة بعد الرسول ويليه الأئمة الإثني عشر، والميزة الثانية اعتبار الإمامة ضرورة وهي أصل من أصول الدين وأن أهلها معصومون من الخطأ وأن يكون صاحبها من أهل بيت الرسول[13].

بعد معرفتنا لكل من الطائفتين، نبيّن الصراع القائم بينهما الدائر حول مشكلة "الإمامة" أو مشكلة الحكم ومن يملك السلطة هي أول مشكلة اختلف حولها المسلمون فرق ومذاهب وأحزاب، حيث يقول الأشعري:

---

(12) عبد الوهاب الكيالي (وآخرون)، موسوعة السياسة، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ج 3، 1979)، ص256.

(13) نفس المرجع، ص514.

"أول ما حدث من الاختلاف بين المسلمين بعد نبيهم اختلافهم في الإمامة". ولم يكن هذا الاختلاف مجرد مواقف نظرية بل مواقف سياسية وعنف ودماء، وهو ما جعل **الشهرستاني** يقول: "ما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثلما سل على الإمامة في كل زمان"[14].

ولقد انقسمت الأمة الإسلامية على نفسها بسبب الفتنة الكبرى بين عامي 41-35هـ وظهرت الفرق السياسية المتمثلة في الشيعة والخوارج والسنة، وعليه "إن معظم الفرق الإسلامية يرجع أصلها إلى أسباب سياسية، والتنازع على الحكم"، وعلى هذا الأساس كان الموقف السياسي للفرق الإسلامية هو الأساس.

بناءا على ما سبق؛ نجد أنّ السياسة كانت أصلا والدين غطاءً، ولقد عمق هذا الخلاف بين الفرق والمذاهب التي نشأت في البداية نشأة سياسية ثم اصطبغت بصبغة دينية قوية، لما للدين من أثر ومكانة في النفوس.

المحور الثالث: واقع وتداعيات الصراعات الدينية في الشرق الأوسط

أولاً: واقع الصراعات الدينية في الشرق الأوسط:

تشير الوقائع والدراسات عن أكثر المناطق استجابة للمتغير الديني وأكثره اتأثيرا إلى أن الدين له مكانة مركزية في الصراعات العرقية في الشرق الأوسط أكثر من أي مكان آخر حيث يؤكد **Jonathan Fox** على أن " 54% من الأقليات العرقية السياسية في منطقة الشرق الأوسط هي أيضا الأقليات الدينية... ويسترسل في القول: الدين في الواقع له أهمية خاصة في منطقة الشرق الأوسط والصراعات الاثنو-دينية وهذا بالنظر إلى أربعة شروط بما في ذلك: اعتبار الدين قضية هامة في الصراع، وجود التمييز

(14) أحمد محمد سالم، "الصراع السني الشيعي..) من يملك السلطة أم من يملك الحقيقة؟"، الملف الساخن: الصراع السلفي الشيعي في مصر، (المغرب: مؤسسة دراسات وأبحاث، 2013)، ص34.

الديني، أقلية تطالب بالمزيد من الحقوق الدينية، الدين هو الاحتجاج في الخطاب السياسي[15].

بالإضافة لذلك؛ يتفق وزير الخارجية الأمريكي الأسبق "هنري كسنجر" مع هذا الطرح، بقوله: "إن الشرق الأوسط يواجه صراعات شبيهة بالحروب، الدينية في أوروبا، في القرن الـ17 ولكنهاأكثر اتساعا"، وذلك في مقالة المعنون بـ "حريق أعظم من حروب الدين في أوروبا"، كما يرى أن النزاعات الداخلية والدولية تقوي بعضها بعضا، وأن الصراعات السياسية والطائفية والعشائرية والإقليمية والأيديولوجية والمصالح القومية تختلط بعضها ببعض، إذْ إن الدين عاد "ليحمل السلاح" في خدمة الأهداف السياسية على حد وصفه[16].

1 - الصراع بين المسلمين والمسيحيين في لبنان:

لعل أبرز مثال على ذلك النموذج اللبناني، الذي يعد خير مثال على التعصب الديني والطائفي، فهو منقسم إلى طائفتين الإسلامية والمسيحية ومايدع مذلك أيضا تصلب الطرف المسيحي في بيروت بمباركة وتشجيع وحماية من فرنسا والفاتيكان وهما الطرف المسيحي ضد الاتفاق الحاصل مع الطائف المسلم والذي تم برعاية دول مسلمة[17]، حيث تشير الإحصائيات إلى أنّ المجتمع اللبناني يتشكل من 51,5% مسلمين، أماالمسيحيين نسبة 49,5%، وكلاهما تندرج بداخله العديد من الانقسامات الأخرى، فالمسلمون منقسمون إلى سنة وشيعة ودروز وعلويين، مقابل المسيحيين الذين بدورهم منقسمون إلى موارنة وكاثوليك وأرثودوكس

---

(15) Fox (Jonathan); The Rise of Religious Nationalism and Conflict: Ethnic Conflict andRevolutionary Wars, 1945-2001; Journal of Peace Research, Vol. 41, No. 6, 715-731 (2004)Sagepep.

(16) ناصر خميس المطيري، خريطة الدم والدين في الشرق الأوسط، النهار، الصادرة بتاريخ: 3-9-2014، العدد 2247، ص12.

(17) محمد بن نعمان، التعصب والصراع العرقي والديني واللغوي لماذا وكيف؟، (الجزائر، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، ط2، 1997)، ص41.

وبروتيستانت[18]، هذا الاختلاف ميزه كذلك اختلافا في المواقف من القضايا الداخلية، الأمر الذي أدى إلى اشتعال حرب أو حروب أهلية لم تشهد مثلهاأية دولة عربية أخرى على حد تعبير الدكتور أنطوان مسرة، إذ بلغت الخسائر البشرية والمادية في مطلع سنة 1986 حوالى 100 ألف قتيل 20 مليار دولار[19].

من خلال ما تقدّم، سنستعرض أهم الطوائف اللبنانية وهي كالتالي:

* **الطوائف المسيحية**: تضم: الموارنة، الروم الأرثوذكس، الروم الكاثوليك، البروتستانت، بالإضافة إلى الإثنيات المسيحية التالية: الأرمن الأرثوذوكس، الأرمن الكاثوليك، الآشوريون، الكلدان والسريان. أما الطوائ فالمسيحية الرئيسة فهي:

- **أولا: الموارنة**: تعتبرمنأكبرالطوائفالمسحة فيلبنان، وتعودنشأتها إلى القرنالخامسالملادي، حنماأسّسها راهب سوري يدعى "مارمارون" شرقمدنة حماة، ومنه سميت بالمارونية[20]، وقد عرفوا بالتمرد ولقّبوا بالمردة، واستقروا بصفة رئيسية في جبال لبنان، وقد تولتهم السلطات الفرنسية بالرعاية، إذْ تتمتع الطائفة بمستوى ثقافيلمتحلغرهامنالطوائف وذلك منذ الأحداث الطائفية التي وقعت بين اللبنانيين وبالضبط بين الموارنة والدروز سنة 1860[21]، ما جعلها تستأثر بالمناصب الحساسة في الدولة، فمنه انتخب رئس الدولة، وتمثل في البرلمان بثلاثين نائباً، ومثلها أيضا العديد من الوزراء ولذلك تشعر هذه الطائفة دائما بأنها صاحبة الدور الرئيس في نشأة الدولة اللبنانية الحديثة، وأنها المحرك الرئيسي للحياة السياسية

---

(18) نيفين عبد المنعم مسعد، الأقليات والاستقرار السياسي في الوطن العربي، (القاهرة: مركز البحوث والدراسات السياسية، مكتبة النهضة العربية، 1988)، ص110-111.

(19) نفس المرجع، ص114.

(20) Jessup, Henry Harris, Fifty three years in Syria, Volume 1, (New York: Fleming H, RevellGompang,2010), P. 158.

(21) عبد الوهاب الكيالي وآخرون، موسوعة السياسة، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ج4، 1979)، ص373.

والاقتصادية، والعامل المؤثر في بقاء واستمرار الدولة[22].

- **ثانياً: الروم الأرثوذوكس**: ظهرت هذه الطائفة في القرن التاسع الميلادي واستقرت في المناطق الساحلية، وتركزت في منطقة الكورة والمدن الكبيرة، وهي أصغر حجما من الطائفة المارونية، وفي مراحل سابقة لقيت عناية خاصة من قبل روسيا القيصرية، إلا أن هذه العناية انتهت بقيام الثورة البلشفية عام 1917م، مما ساعد على الارتباط بين هذه الطائفة وغيرها من الطوائف الأخرى في المجتمع العربي - الإسلامي، كما أن وجود مقر البطريركي الأرثوذكسي في دمشق وطد العلاقة بينهم وبين بني جنسهم في سورية وجعل نظرتهم للأمور أكثر شمولية من تلك النظرة التي تسطير على الطائفة المارونية[23]، وقد شاركوا في الحياة السياسية حيث تحصل على أحد عشر مقعدا في مجلس النواب، ولها بعض المناصب الوزارية[24]، بالإضافة لوجودهم في لبنان وسوريا يتواجدون كذلك في الأردن وحتى فلسطين.

- **ثالثاً: الروم الكاثوليك**: تشترك هذه الطائفة مع الروم الأرثوذوكس من حيث الأصول التي تنحدر منها الطائفتان، حيث تنتميان إلى الغساسنة، فضلا عن أن طائفة الروم الكاثوليك كانت في الأصل جزءا من طائفة الروم الأرثوذكس، لكنها انشقت عنها في القرن الثامن عشر[25] أما من الناحية السياسية فتشارك هذه الطائفة بستة مقاعد في مجلس النواب، ولها مقعد واحد في مجلس الوزراء[26].

---

(22) حمدي الطاهري، سياسة لبنان في الحكم، (القاهرة: المطبعة العالمية، 1979)، ص23-24.

(23) الطاهري، المرجع نفسه، ص24.

(24) عطا محمد وفوزي أحمد تيم، النظام السياسي العربي المعاصر، (ليبيا: جامعة قاريونس بنغازي، 1988، ج2)، ص134.

(25) الطاهري، المرجع السابق، ص25.

(26) نفس المرجع، ص26.

* **الطوائف المسلمة**: والتي بدورها تنقسم إلى سنة وشيعة ودروز وعلويين، نتناول بشكل مفصل كلاً من السنة والشيعة كالآتي:

- **الطائفة السنية**: تعتبر من أكبر الطوائف المسلمة حجماً، فهي تشكل نسبة 50% من تعداد منتسبي الطوائف الإسلامية وأبناؤها يؤمنون بالقرآن الكريم، ويتبعون مجموعة الأحاديث التي تواترت ونقلت عن الصحابة عن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم[27].

وبالنسبة لبدايات تواجد السّنة في لبنان فقد كانت بعد الفتح الإسلامي لبلاد الشام، حيث حصل نزوح جماعي لسكانه المعتنقين لديانات أخرى، وقد احتموا بالدولة البيزنطية مما دفع قادة المسلمين إلى استجلاب قبائل عربية جديدة إلى لبنان لحماية سواحله من الهجمات البيزنطية والصليبية، ويتركز أبناءها في الشمال والوسط وخاصة في كل من بيروت وطرابلس وصيدا[28] وهذا ما منحهم دورا كبيرا في تولي العلاقات التجارية والاقتصادية الدولية.

كما تجدر الإشارة ؛ كون هذه الطائفة تشارك في الحياة السياسية بفاعلية، حيث مثلها في مجلس النواب عشرون نائبا، كما أن لها بعض المناصب الوزارية وأهمها رئيس الوزراء، ومنها يختار مفتي الديار اللبنانة[29]، وبالرغم من تواجد الزعماء السياسيين للسّنة في السلطة التنفيذية إلّا أنّه لم يتم استغلاله في سبيل تحسين وضع أهل السنة وإعطائهم بعض الحقوق والامتيازات، خوفا منهم أن يتهموا بالتعصب لطائفتهم، وهذا ما جعل مصالح المسلمين تنتهك من المسيحيين بشكل

---

(27) يوسف بن يزة، الدولة والطائفة في عصر العولمة: دراسة في بنية الدولة العربية الحديثة لبنان نموذجا-، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه العلوم في العلوم السياسية، تخصص تنظيمات سياسية وإدارية، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2013، ص170.

(28) جواد بولس، تاريخ لبنان، ترجمة جورج حاج، (بيروت: دار النهار، 1972)، ص262.

(29) صالح، المرجع السابق، ص135.

عام، حيث أصبح السنة يتعرضون للظلم وذلك من خلال سعي مختلف الطوائف اللبنانية للتآمر ضد السنة والسعي لإضعافهم، وكذلك الإبادة والقتل لزعماء وقادة وعلماء السنة وأشهرهم الشيخ **صبحي صالح** الذي اغتيل سنة 1986، والمفتي **حسن خالد** سنة 1989، ورئيس الوزراء **رياض الصلح** سنة 1951، والرئيس **رشيد كرامي** سنة 1986، وآخرهم الرئيس **رفيق الحريري** سنة 2005[30].

- **الطائفة الشيعية** :ينتمي شيعة لبنان إلى الشيعة الإثنى عشرية، وقد دخل الشيعة لبنان بعد الفتح الأموي الإسلامي حيث استقدم الخليفة الأول للأمويين معاوية بن أبي سفيان بعض مواطن الفرس المعروفة بإيران حاليا ليسكنوا بعض السواحل اللبنانية، وانتشروا في مناطق كسروان والشوف والمتن ووادي التيم والبقاع[31]، ثم تناقص عددهم لينحصر في البقاع وبعلبك وبلدة عرقة في عكار في الجنوب اللبناني، وقد كان الشيعة في لبنان عبر مر العصور ذوي نفوذ محدود ومضطهدون منذ الفتح الإسلامي في العهد الأموي إلى العهد العثماني، حيث لم يكن معترفا بهم[32].

في ظل المواجهة والتصدي لهذه الصراعات الدينية وحتى المذهبية، فضلا عن تحقيق التعايش السلمي بين هذه الفسيفساء العقائدية المتواجدة في لبنان، وقّع قادة مسيحي ومسلمي لبنان على اتفاقا عُرف بـ"الميثاق القومي 1943" وبموجبه تم توزيع السلطة بين الطوائف، على الشكل التالي[33]:

- رئاسة الجمهورية: مسيحي ماروني.

---

(30) نهى قاطرجي، "طوائف لبنان والمشي فوق الأشواك"، مكتبة صيد الفوائد، ص21-23، تاريخ دخول الموقع: (26-2-2015)، من الرابط:
http://www.saaid.net/book/9/2516. doc.

(31) بولس، المرجع السابق، ص265.

(32) نهى قرطاجي، المرجع السابق، ص32.

(33) محمد صادق صبور، الصراع في الشرق الأوسط والعالم العربي، (لبنان: دار أمن للنشر والتوزيع، 2006، ط1)، ص105.

- رئاسة الحكومة: مسلم سني.
- رئاسة البرلمان: مسلم شيعي.
- السلطة الداخلية للبرلمان: 6 مقاعد من بين 11 للمسيحيين مقابل 5 مقاعد للمسلمين (نظام 5-6).
- نائب رئيس البرلما: مسيحي أرثوذكسي.
- وزارة الشؤون الخارجية: مسيحي أرثوذكسي.

وينتخب الرئيس لمدة 6 سنوات غير مجددة ولا يخضع الرئيس لمراقبة البرلمان[34].

وكان من مخلفات هذا الميثاق عدم إمكانية ظهورشعور قومي بلبنان واعتبر الناس أنفسهم إما موارنة أو دروز أو سنة أو شيعة ولكن لم يعتبروا أنفسهم أبدا لبنانيين.

2 - الصراع بين السنة والشيعة في العراق:

لقد حولت العدد من التكوينات الاجتماعية في عدد من الدول العربية الواقع الديني إلى واقع طائفي، وساد الولاء الطائفي على حساب الولاء للجماعات والدنيوي الأمة وعود سبب ذلك إلى عوامل تاريخية وأخرى صنعها الاستعمار وبثها في المجتمعات العربية لنشر الفرقة بين فئاته وفي أوساطه[35]. إن الصراع في الشرق الأوسط له مظاهر دينية أكثر من أي عامل آخر، ولذلك توظف الاختلافات الدينية لإضفاء القداسة على هذاالصراع لا سيما حول الأماكن التاريخية في مدنية القدس، وفي بعض المناطق اللبنانية والسورية والعراقية وغيرها، ومنها نجد النزاع السني-

---

(34) عبد القادر محمود، الصراعات العربية- العربية وتطور النظام الإقليمي العربي (مع التركيز على النزاعات حول القضية الفلسطينية)، (الجزائر: منشورات المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر والاشهار، ط1، 2002)، ص493.

(35) حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر: بحث في تغير الأحوال والعلاقات، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 2009)، ص64.

الشيعي الذي يمثل جوهر النزاعات الإثنية في خمسة أقطار عربية وهي العراق، لبنان، البحرين، الكويت، السعودية فضلا عن اليمن إلى حد ما.

تعدالحالة العراقة منأكثرالحالاتالعربة تعبراعنالتشرذم الطائفي، فمن حيث الدين هناك أغلبية مسلمة تتراوح بين 92 إلى 95% من إجمالي السكان، توجد إلى جانبها أقليات مسيحية تصل إلى حوالى 4%، وجيوب ضئيلة من الأيزيديين والصابئة واليهود تصل في مجموعها إلى حوالى 3%، ولكنبين المسلمين وهم الأغلبية الساحقة نجد مجموعتين مذهبيتين، متمايزتين في الحجم وهما الشيعة حوالى 56% إلى 60% مقابل السنة حوالى 32 إلى 37%.

وبالرجوع إلى بزوغ وتبلور فكرة التشيع بشكل شبه كامل في القرنين الهجريين الأول والثاني، حيث كانت أرض خراسان والبصرة والكوفة بيئة مناسبة لها ولدعاتها، كما أن الظروف والأحداث التي تلت استشهاد سبط رسول الله الحسين بن علي رضي الله عنهما عام 61هـ، والصراع مع الدولة الأموية والعباسية في أول عهدها... كلها كانت عوامل مهمة في تبلور هذه الفكرة، كما أن هذا الظهور كان مرتبطاً في بعض جوانبه بظهور الكثير من الفرق الضالة والهدامة كالمعتزلة والقدرية والمتصوفة وغيرهم.

ومع دخول القرن الثالث وابتداء مرحلة الضعف في الدولة العباسية، وسيطرة البويهين على بغداد عاصمة الخلافة العباسية في عهد المستكفي العباسي عام 333هـ، دخل الصراع السني الشيعي مرحلة جديدة كان في أغلب فتراته دموياً، وقد سجل المؤرخون ظهور الكثير من مظاهر التشيع المغالية بشكل علني وسافر آنذاك، كسب الصحابة، وإحياء ذكرى عاشوراء، ومقتل الحسين رضي الله عنه، وبرعاية من رجال بني بويه الذين كانت لهم الكلمة الفصل في ذلك الوقت، ويمكن للقارئ أن يطلع على ما دونه ابن كثير في البداية والنهاية، والذهبي في تاريخ الإسلام، والسيوطي في تاريخ الخلفاء عن أحداث سنه 340هـ وما بعدها، والتي حملت بين طياتها الكثير من ملامح ذلك الصراع الذي أشر بداية الظهور العلني للتشيع

في بلاد الإسلام، خاصة بعد اضطراب أمر الخلافة العباسية، والامتداد الواسع لدولتها، وكثرة الطامعين فيها والخارجين عليها، وظهور الكثير من الأفكار والبدع التي تسربت إلى جسد الأمة من خلال الاحتكاك بالأمم التي بقيت خارج الإسلام، أو التي دخلت فيه بعد الفتوح الإسلامية.

وبقي الحال على هذا المنوال الخطير إلى أن تمكن السلاجقة الأتراك الذي ناصروا الدولة العباسية ومذهبها السني، وتمكنوا من القضاء على دوله بني بويه في عام 477هـ، وأزالوا فتنهم، وقتلوا شيخهم في بغداد أبي عبد الله الجلاب.

غير أن بذور التشيع قد أنبتت فروعاً في أقاليم أخرى من دولة الإسلام كالموصل والشام ومصر والمغرب والحجاز على يد الحمدانيين والقرامطة والعبيديين أو الفاطميين الذين حكموا تلك البلدان فترات طويلة من الزمن، وكانوا سبباً في انتشار التشيع وبروز مظاهره، وفيما بعد كان هذا الانتشار واحداً من أسباب سقوط بغداد، وزوال الخلافة عام 656هـ/ 1258م بمساعدة أشخاص ذوي مناصب عالية في الدولة العباسية، ومعروفين بانتمائهم لمذهب التشيع، من أمثال وزير المستعصم - آخر الخلفاء العباسيين - المعروف بمؤيد الدين بن العلقمي؛ ليدخل العراق دوامة من الغزوات المدمرة، والتي جعلته محكوماً من أربع دويلات، بدأت بالمغول منذ سقوط بغداد حتى عام 1337م، حيث وقع تحت الاحتلال الجلائري إلى عام 1383م؛ إذ وقع مجدداً تحت الاحتلال التيمورلنكي الذي دمر بغداد ومدناً عدة، وحكى عنه بعض المؤرخين أنه فعل بالعراقيين أفاعيل يصعب تصورها، حتى إنه صنع من جماجمهم أبراجاً لجنده، وقد انتهى عهدهم عام 1411م بوقوع العراق تحت حكم دوله القرة قوينلوا، والتي تصارعت مع الصفويين وانتهى الأمر بانتصار الصفويين واحتلال العراق ودخول الشاه إسماعيل بغداد عام 1508م؛ ليعود معه التشيع الصفوي ليجد له من جديد موطئ قدم على أرض العرب، ولتبدأ معه مرحله جديدة تمثلت في صراع الدولة العثمانية التي كانت تمثل الإسلام السني، والصفويين الذين حكموا إيران بين عام 907هـ/ 1501م إلى

1135هـ/ 1722م، والذي مثل قمة الصراع الدامي بين الطرفين، واستمر زهاء القرنين.

ثانياً: عوامل تأجيج الصراعات الدينية في الشرق الأوسط:

يرجع سبب نشوب الصراعات الدينية للعديد من الأسباب، حيث إن التعدد داخل الدولة ليس السبب دائما وراء ذلك، بل مرده للعوامل التاريخية والثقافية وحتى الجغرافية، فضلا عن السياسات المتبعة من قبل الأنظمة الحاكمة نفسها تجاه بعض الأقليات من تهميش وإقصاء منظم ومدروس في مختلف المجالات من اقتصادية وسياسية وحتى اجتماعية وثقافية، ناهيك عن الدور الذي تلعبه دول الجوار كمحفز للصراع الديني والعقائدي وحتى المذهبي، بدعمها لإحدى الجماعات على حساب الأخرى، تلك التي يسميها **ماكل براون** بالجوار السيئ.

1 - دور النخبة السياسية الحاكمة:

من المعروف أن النخبة السياسية هي المركز الذي يستحوذ على القوة، أو مركز امتلاك القوة في الدولة أو النظام السياسي أو الأقلية؛ لذا فإن النخبة السياسية وطبيعة دورها كان عاملا من العوامل الرئيسية التي كانت وما زالت تؤدي دورًا محوريًا في خلق أو صنع الصراعات أو تسويتها، وعليه فإن؛ طبيعة مواقفهاوسلوكهاكانيؤدي إلى "التعايش" أو "الصراع" ما بين الأقلية والدولة التي تستقر فيها، ففي حالة إتباعها سياسة "الاضطهاد" أو "القمع" أو "التمييز" في مواجهة مطالب الأقليات، أو محاولة استبعاد هذه الجماعات من الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، بإمكانه أن يولد الشعور بالحرمان ويزيد من نسبة حدوث التوترات والنزاعات بين هذه الجماعات والسلطة الحاكمة[36] فهذا

---

(36) علي الصاوي، النخبة السياسية في الوطن العربي، (القاهرة: مركز البحوث والدراسات الاستراتيجية، 1996)، ص7.

الاندلاع يحتاج إلى قادة يحرضون الجمهور، ويلعبون دور العامل المحفز على الصراع، ويسميهم "ماكل براون" بالزعامة السيئة[37].

إضافة لذلك؛ قامت العديد من الأنظمة الحاكمة السابقة بحماية، ضمان وحتى دوام تلك المشكلات وتأجيجها من خلال مؤسسات وتشريعات مقنعة ومن خلال نتاجات فكرية تقوم على تزوير التاريخ، وكذلك من خلال إشاعة قيم ومفاهيم بالية تقوم على إحياء العصبيات المقيتة بين أبناء بعض الأقليات الاثنية لاستقطابها كقاعدة للنظام الدكتاتوري ولتأجيج الصراعات.

نضرب مثال التمييز ضد الشيعة في العديد من الدول العربية، والذي يبلغ أشده في البحرين والسعودية، ففي البحرين لا زالت تعتبر أسرة آل خليفة السنية الحاكمة تعتبر الأغلبية الشيعية تهديداً يحدق بحكمه، كما يشغل الشيعة أقل من 20% من المناصب الرفيعة المستوى في الحكومة البحرينية وغالباً ما تُقابل طلباتهم بالالتحاق بالقوات العسكرية والأمنية بالرفض، إلى جانب الحدّ من نفوذهم في الانتخابات عبر التلاعب بتقطيع الدوائر الانتخابية، كما تولي الحكومة أهمية ضئيلة إلى الخدمات الأساسية لا سيما البنى التحتية وغيرها من المنشآت في أحيائه موقراهم، ويزعم البعض أنهم ممنوعون من التملّك في بعض المناطق التي تُعتبر سنية[38]، ولا ريب في أن التمييز لا يولّد إلاشعوراً بالاستياء والضغينة في نفوس الأقليات الشيعية في الخليج وكذلك العراق ولبنان.

2 - دور البيئة الخارجية الإقليمية والدولية:

يتجلى دور العامل الخارجي في تأزيم الموقف بين الدولة وأقلياتها من خلال عدة أساليب، أهمها استخدام الأقليات "كورقة" ضغط لتهديد

---

(37) Misti Wuori,International Conflict Mediation Organizations in the Post-Cold War WorldOrder, www.connectedforever.org/projects/cr/negotiationdraft1.pdf.

(38) عمرو حمزاوي وآخرون، الشرق الأوسط الجديد، (مؤسسة كارينغي: واشنطن، 2008)، ص37.

أمن الدولة واستقرارها، الأمر الذي يعني أن هذا التدخل من شأنه أن يفتعل النزاعات الداخلية من خلال الاعتراف بمطالب هذه الجماعات، وحتى تقديم الدعم بمختلف أشكاله من عسكري، أو مادي أو حتى إعلامي لنشر تطلعات الأقلية. بهدف الانفصال عن الدولة الأم، إلاأن أهم ما عرفه العالم بعد نهاية الحرب الباردة هو بروز قضايا حقوق الإنسان وحماية الأقليات، الذي يعطي غطاء شرعية التدخل الخارجي في الشؤون والقضايا الداخلية للدولة[39].

*** النفوذ الإيراني:**

تزايد النفوذ الإيراني الإقليمي وما ارتبط به من تهويل الخطر الشيعي، إذْ تسعى إيران لتعبئة وتحريض الشيعة وتسليحهم في العديد من البلدان العربية على غرار السعودية، لبنان، الكويت، العراق والبحرين، حيث يشكلون في الأخيرة 70% من السكان، وحتى في الأقطار التي تبعد بحكم تركيبتها الديمغرافية السنية الطاغية عن هذا الخطر كمصر والأردن.

كما أن الوضع لا يختلف عنه في كثير من البلدان العربية على غرار اليمن ويظهر دور إيران ونموذجها في إقامة الدولة الدينية واضحا في دعم أنصار التيار الشيعي في هذه البلدان، فهي تمثل المرجعية الروحية لهذا التيار وتحاول بكل الطرق إعادة تجربة تصدير الثورة الخمينية إلى الأقطار العربية. وعلى الطرف الآخر تقف الدول السنية كلا من قطر والسعودية مدعومة من الولايات المتحدة الأمريكية بجانب التيار السني والوقوف في وجه الأطماع الإيرانية التوسعية، واسترجاعها للإرث التاريخي للدولة الفارسية، بضرورة مد نفوذها السياسي والعقائدي[40].

---

(39) سعيد لطيفان، العلاقات العربية الإيرانية: الاتجاهات الراهنة وآفاق المستقبل، (لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، 1996، ط1)، ص566.

(40) يوسف بن يزة، مرجع سابق، ص152.

* **دور المستعمر الأوروبي:**

تعد بريطانيا إلى جانب فرنسا أهم الأطراف الخارجية ذات الاهتمام التقليدي بمنطقة الشرق الأوسط، من منطلق أن المنطقة بالنسبة لهما وخاصة لبريطانيا بمثابة إرث استعماري لا يمكن التنازل عنه، حيث انتهج الاستعمار البريطاني منذ بدء نفوذه سياسة إذكاء وتكريس الخلافات والصراعات بين السنة والشيعة وسياسة إقصاء جميع الشيعة عن المناصب الرفيعة المسؤولة في العراق، وذلك لإنجاح سياسة فرق تسد، كقاعدة للتحكم بالشعوبوثرواتها.

* **الغزو الأمريكي للعراق:**

من بين التداعيات الخطيرة للغزو الأميركي للعراق تصاعد وتيرة التوتر الطائفي ليس في العراق فحسب بل أيضاً في المنطقة برمتها، فقد أدت التوترات بين السنة والشيعة مصحوبة بتنامي القوة والنفوذ الإيرانيين إلى تزايد القلق في بعض الدول العربية وكذلك في الولايات المتحدة إزاء صعود ما سمي بالقوة الشيعية في الشرق الأوسط. وكان أوّل من حذّر من صعود القوة ا لشيعية الملك الأردني عبد الله الثاني في كلمة له في ديسمبر من العام 2005 أمام جمهورأميركي مستخدماً عبارة "الهلال الشيعي" لوصف طموح إيراني مزعوم لتغيير النظام الإقليمي عبر إقامة شبكة تحالفات مع الأنظمة والحركات الشيعية في الشرق الأوسط الذي يشكل به السنة الأغلبية[41].

ثانياً: تداعيات الصراعات الدينية في الشرق الأوسط:

للصراعات الدينية الشرق أوسطية العديد من الانعكاسات نوجزها فيما يلي:

---

(41) عمر حمزاوي وآخرون، المرجع السابق، ص37.

- الولاء الديني على حساب الولاء الوطني (المواطنة): جميع الجماعات الدينية أو الطوائف في الشرق أوسطية يحددون انتمائهم إلى هوية مجموعتهم الدينية بدل انتمائهم إلى الهوية الوطنية للدولة الأم، ومن ثم إضعاف الرابط والشعور الوطني كجامع أساسي مشترك لكل الشعب، لصالح أولوية الطائفة والمذهب، فبدل من الولاء للوطن ومصلحته يكون لمصلحة الجماعة الدينية وزعمائها، وهذا ما ينطبق على الدولة اللبنانية التي تكاد تختلف طوائفها الدينية والمذهبية على كل شيء ولكن تتفق على ضرورة إضعاف الدولة المركزية، وهذا ما جعل من لبنان دولة هشة منتقصة السيادة(42).

- تنافس الطوائف الدينية على السلطة: تشهد دول منطقة الشرق الأوسط التي تعاني من الصراعات الدينية والمذهبية من تنافس على مستوى التمثيل في السلطة، سواء أكان بين الشيعة والسنة في العراق مثلا، أو بين المسلمين والمسيحيين كما حدث في لبنان.

- تفضيل جماعة دينية أو مذهبية على حساب أخرى: حيث نشير إلى الطائفة المسيحية المارونية في لبنان التي اتسمت بامتيازات سواء في السياسة أو الاقتصاد واستثمارات لدرجة تقسيم لبنان إلى مجتمع طبقي ينافس صفته الطائفية.

- دعم القضايا الصراعية حسب المصالح الاستراتيجية للقوى سواء الإقليمية منها وحتى الدولية، فعلى سبيل المثال فالمصلحة الاستراتيجية في لبنان تمتد إلى دول خارجية منهاالسعودية التي تدعم الطائفة السنية وإيران التي تدعم وجود الطائفة الشيعية وتخوف كل من الطرفين الداعمين لهاتين الطائفتين من تغلب إحداها على الأخرى.

---

(42) إكرام بركان، تحليل النزاعات المعاصرة في ضوء مكونات البعد الثقافي في العلاقات الدولية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية، فرع الدبلوماسية والعلاقات الدولية، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2010، ص146.

وفي المقابل؛ لابد من إتباع بعض الآليات والحلول بهدف معالجة متعمقة للصراع الديني والمذهبي في الشرق الأوسط، وتعبئة جميع الموارد اللازمة لتعزيز الأمن والسلام في المنطقة، وذلك عبر مجموعة من الآليات نوجزها فيما يلي[43]:

- الآلية الديمقراطية الصحيحة التي تنادي بالديمقراطية التكاملية وترفض استئثار الأغلبية الطائفية أو الإثنية بكل شيء وحرمان سواها، كما ترفض المحاصصة السياسية العامة وإيجاد مؤسسات عابرة للإثنيات والمذاهب أو المساواة أمام القانون والالتزام بنصوص الشرعية الدولية. وبالمقابل تراجع آلية الحكم الذاتي كآلية متاحة للتعامل مع التنوع القومي وهي الآلية المستخدمة في معظم دول العالم ذات الأقليات القومية.

- آلية التوافقية: حيث تستند على التوزيع النسبي للموارد السياسية والاقتصادية واعتماد نظام للانتخابات يقوم على القائمة النسبية، وتشكيل حكومة ائتلافية تتمتع فيها الجماعات المختلفة بحق الفيتو أو الاعتراض على القرارات الماسة بها. وكانت لبنان أول دولة عربية تطبق هذا النوع من الديمقراطية التوافقية على أساس طائفي- لغوي غير أنها تعثرت أيضا ومازالت العراق تواجه الأزمة تلو الأزمة.

- آلية الفيدرالية: والتي شرعت دستوريا في العراق حيث تم تقسيم العراق إلى ثلاث مناطق أصبحت لها ضرائبها وعملتها وميليشياتها، فضلا عن مؤسساتها التنفيذية والتشريعية، وبسقوط بغداد تمددت صلاحيات الإقليم الشمالي أكثر فأكثر، حتى وصلت إلى فتح مكاتب لتمثيل الإقليم في الخارج والتعاقد المباشر مع الشركات الأجنبية للاستثمار فيه دون مشاورة الحكومة، ومنع دخول الجيش العراقي فيه إلا وفق ضوابط محددة.

- آلية التعايش في ظل الاختلاف: تعني العيش المشترك، والتي

---

(43) عبد الله جناحي، كلفة الصراعات المذهبية في الوطن العربي، الوسط، الصادرة بتاريخ: 28-6-2009، العدد 2487، ص18.

تجمع مجموعتين أو أكثر تختلف عرقياً أو دينياً أو فكرياً عن بعضها الآخر مع احترام كل مجموعة لمعتقدات المجموعة أو الجماعات الأخرى وقدرة هذه الجماعات على حل خلافاتها بصورة سلمية[44].

خاتمة:

في ضوء ما تم تناوله في هذه الدراسة، يمكن الإشارة إلى عدد من النقاط الأساسية كالتالي:

أولا: لا يمكن تصنيف الصراعات في منطقة الشرق الأوسط باعتبارها دينية في أساسها؛ حيث إن لمعظم الصراعات في العالم بما فيها الشرق أوسطية جذورا سياسية، تسعى لاستخدام غطاء الدين لكي تؤبّد الصراع والعنف وتمدده على أوسع نطاق، ليس بهدف حماية الخصوصية الإثنو- دينية وإنما للسيطرة على السلطة أو التحكم في الثروات والنفط في البلاد.

ثانيا: إن إشعال الفتن والصراعات الطائفية والدينية الشرق أوسطية، هي غاية بحد ذاتها، تدخل في صميم سياسة الفوضى الخلاقة المكرسة للمنطقة، لما يخدم مشاريع الهيمنة ومصالح القوى الكبرى، وعلى رأسها أمريكا بعد أن أخفقت سياسة الاحتلال المباشرة بإقامة ديمقراطيات النعيم والرفاه الأمريكي.

ثالثا: من الصعب حل الصراعات التي تدور حول سمات الهوية كالدين مثلا والقيم إذ علينا أن نكون أكثر حساسية لتلك الصراعات المرتبطة بالهوية ولغة ودين لجماعة من الجماعات على الصعيد الداخلي أو الإقليمي أو حتى الخارجي.

---

(44) هيئة التحرير، "التعايش في ظل الاختلاف"، أوراق ديمقراطية، (العراق: مركز العراق لمعلومات الديمقراطية، العدد 2، جوان 2005)، ص14.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المراجع باللغة العربية

*** موسوعات:**

- الكيالي عبد الوهاب (وآخرون)، **موسوعة السياسة**، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ج3، ج4، 1979).

*** الكتب:**

- الصاوي، علي، **النخبة السياسية في الوطن العربي**، (القاهرة: مركز البحوث والدراسات الاستراتيجية، 1996).
- الطاهري، حمدي، **سياسة لبنان في الحكم**، (القاهرة: المطبعة العالمية، 1979).
- بركات، حليم، **المجتمع العربي المعاصر: بحث في تغير الأحوال والعلاقات**، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 2009).
- ابن نعمان، محمد، **التعصب والصراع العرقي والديني واللغوي لماذا وكيف؟**، (الجزائر، شركة دارالأمة للطباعة والترجمة والنشروالتوزيع، ط2، 1997).
- بولس، جواد، **تاريخ لبنان**، ترجمة جورج حاج، (بيروت:دار النهار، 1972).
- صادق صبور، محمد، **الصراع في الشرق الأوسط والعالم العربي**، (لبنان: دار أمن للنشر والتوزيع، 2006، ط1).
- عبد الحميد رشوان، حسين، **الدين والمجتمع دراسات في علم الاجتماع الديني**، (مصر:مركز الإسكندرية للكتاب، 2004).
- عبد المنعم مسعد، نيفين، **الأقليات والاستقرار السياسي في الوطن العربي**، (القاهرة: مركز البحوث والدراسات السياسية، مكتبة النهضة العربية، 1988).
- عثمان، حافظ، **الإسلام والصراعات الدينية**، (القاهرة: مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت).
- فريزر، جيمس، **الغصن الذهبي: دراسة في السحر والدين**، تر: أحمد أبو زيد، (القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ج1، 1998).
- قادري، حسين، **دراسة وتحليل النزاعات الدولية**، (الجزائر: باتنة، منشورات خير جليس، 2007).
- لطيف، انسعيد، **العلاقات العربية الإيرانية: الاتجاهات الراهنة وآفاق المستقبل**، (لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1996).
- محمد سالم، أحمد، "الصراع السني الشيعي (من يملك السلطة أم من يملك الحقيقة؟"، **الملف الساخن: الصراع السلفي الشيعي في مصر**، (المغرب: مؤسسة دراسات وأبحاث، 2013).

- محمد عطا وفوزي أحمد تيم، **النظام السياسي العربي المعاصر**، (ليبيا: جامعة قاريونس بنغازي، 1988، ج2).
- محمود عبد القادر، **الصراعات العربية - العربية وتطور النظام الإقليمي العربي** (مع التركيز على النزاعات حول القضية الفلسطينية)، (الجزائر: منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، ط1، 2002.
- مصباح زايد عبيدالله، **السياسة الدولية بين النظرية والممارسة** ، (ليبيا: دار الرواد، ط1، 2002).

*** الدوريات والمجلات:**

- حمزاوي عمرو وآخرون، **الشرق الأوسط الجديد**، (مؤسسة كارينغي: واشنطن، 2008).
- هيئة التحرير، "التعايش في ظل الاختلاف"، **أوراق ديمقراطية**، (العراق: مركز العراق لمعلومات الديمقراطية، العدد 2، جوان 2005).

*** الرسائل الجامعية:**

- بن يزة يوسف، الدولة والطائفة في عصر العولمة: دراسة في بنية الدولة العربية الحديثة -لبنان نموذجا-، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه العلوم في العلوم السياسية ، تخصص تنظيمات سياسية وإدارية، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2013.
- بركان، إكرام، تحليل النزاعات المعاصرة في ضوء مكونات البعد الثقافي في العلاقات الدولية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية، فرع الدبلوماسية والعلاقات الدولية، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2010.

*** الجرائد:**

- جناحي، عبد الله، كلفة الصراعات المذهبية في الوطن العربي، **الوسط**، الصادرة بتاريخ: 28-6-2009، العدد 2487.
- خميس المطيري، ناصر، خريطة الدم والدين في الشرق الأوسط، **النهار**، الصادرة بتاريخ: 3-9-2014، العدد 2247.

*** مواقع في الأنترنيت:**

- نهى قاطرجي، "طوائف لبنان والمشي فوق الأشواك"، مكتبة صيد الفوائد، تاريخ دخول الموقع: (26-2-2015)، من الرابط: http://www.saaid.net/book/9/2516. Doc

ثانياً: المراجع باللغة الأجنبية

*** Books/Les livres:**

- McAdams (Robert) and others: Conflict and Reconstruction in Multiethnic Societies: Proceedings of a Russian-American Workshop, (National Academy of science 2004) p 23

*** Periodicals /working papers:**

- Fox (Jonathan); The Rise of Religious Nationalism and Conflict: Ethnic Conflict andRevolutionary Wars, 1945-2001; **Journal of Peace Research**, Vol. 41, No. 6, 715-731 (2004) Sagepep
- Jessup, Henry Harris, **Fifty three years in Syria**, Volume 1, (New York: Fleming H, RevellGompang, 2010), P. 158

*** Internetlinks:**

- Jürgen Axt (Heinz), Milososki(Antonio) Schwarz (Oliver): "Conflict - a literature review» pdf Duisburg, 23rd February 2006.
- Kursad (Turan), Menderes (çinar): The Role of Religion in Intra-state Conflicts:TheMisevaluation of Religion-Based Conflicts,
- Roger T - (Johnson), David W. (Johnson): "About conflict and Conflict Resolution» the cooperativelearling at thz univesity of Minnesota.
- Misti Wuori,International Conflict Mediation Organizations in the Post-Cold War WorldOrder, radio Nederland wereldomroep.

الفصل الرابع

عن نظم الرعب داخل الهلال الداخلي وخارطة عمل المخابرات

أولاً: مركز لعبة «الموت»
في الشرق الأوسط

■ أ. قلاع الضروس سمير

المحور الأول: الدين ورقعة الشطرنج في منطقة الشرق الاوسط

يمر العالم بالعديد من الصراعات، وتلعب القدرة الإقتصادية العسكرية للدول الدور الأكبر فى حسمها أيا كانت وسيلة المواجهة فالسلاح والمال هما الورقتان الأكثر ربحا في العلاقات الدولية، وفى الشرق الأوسط تتعرض تلك المنطقة الحيوية لهجمة شرسة من القوى الإقليمية والعالمية نظرا لأهميتها الاستراتيجية، إضافة لتنامي الحركات الإرهابية والأصولية وحروب داخلية، ومؤامرات خارجية عديدة لتقسيمها وفق أجندات واستراتيجيات متوسطة أوبعيدة المدى، وجاءت هذه الدراسة لتلقى الضوء على تلك الصراعات وتكشف العديد من الحقائق التى تؤثر بشكل مباشر على الأمن الإقليمي للمنطقة كون تلك المنطقة أصبحت ورشة استخباراتية غربية والعنف الحاصل هناك صناعة سياسية تحت مسميات حضارية ودينية، وغاية الغرب هو توظيف الدين من خلال "الإسلام السياسي"لتأجيج بؤر التوتر والصراع في المنطقة وتمكين نفسها أكثر في معادلة التموقع الأوسطي.

فالشرق الأوسط اليوم تعتبر من أخطر المناطق في العالم وكما يصفها الكثير من الباحثين داخل الأوساط الأكاديمية بمركز "**الحروب والدم ولعبة الموت**" يتم إعادة رسم خريطة المنطقة على أساس طائفي وحدود جديدة

تحكمها قاعدة الدين والدم، إضافة إلى نخب يسهل ابتزازها لنهب الثروات بشكل سريع من خلال خلق أعضاء تابعة للتوجهات الاستراتيجية للغرب وأعضاء تحمل أفكار متطرفة راديكالية يكون شدة الصراع قوي نظرا لتناقض الآراء مما يخلقون درائع للإنقضاء على هاته الجماعات المتطرفة.

1 - التوظيف الديني كمدخل للتموقع الاستراتيجي الغربي في منطقة الشرق الأوسط.

تمثل نهاية الحرب الباردة تحولا استراتيجيا لا مثيل له منذ بروز الثنائية القطبية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وتحول العالم إلى أكبر كتلتين إيديولوجيتين لمدة ما يقارب نصف قرن ولكن مع إنهيار المعسكر الإشتراكي، عم العالم شعورا بأن مرحلة جديدة تطل على المشهد الدولي تسود فيه كل فرص السلام والعدالة والتعاون الدولي والحوار وتوظيف الوسائل السلمية والتوجه أكثر نحو مواجهة التهديدات العالمية المشتركة كالفقر والبطالة والتلوث والإنحباس الحراري والأوبئة والأمراض الفتاكة وغيرها وتعزيز فرص التنمية العالمية، ومن جهة أخرى وجدت الولايات المتحدة الأمريكية نفسها تتربع على أهم وأكبر وأحدث ترسانة عسكرية وقوة إقتصادية عرفتهاالبشرية وأمام خيارين مصيريين:

- إما أن تنساق مع الدعوات التي انطلقت في العالم كله لبناء علاقات دولية جديدة تقوم على أسس السلام والتعاون والعدالة والتنمية الشاملة.
- إما أن تتجه نحو توظيف هذاالتفوق العسكري والنووي والتكنولوجي الرهيب لضمان تربع الولايات المتحدة على العالم كون النظام الدولي يعتمد على مبدأ الفوضى وإخضاعه لمصالحها والتحكم في المعادلات الإقتصادية لصالحها وفقا لأدبيات النظرية الواقعية[1].

(1) Scott Burchill, Realisme and Newrealisme, Theories Of International Relations, Second Edition, NewYork: Palgrave, 2001, p68.

فوفق ا للباحث والمفكر الأمريكي "**زبجنيو بريجنسكي**" في مؤلفه "**هيمنة عالمية أم قيادة عالمية؟**" يؤكد في كتابه هذا القول: "لقد وجدت الولايات المتحدة نفسها بعد الحرب الباردة أكثر الدول قوة في التاريخ، وليس في العالم المعاصر فقط، ولديها فائض قوة لانظير له وكان العدو أيام الحرب الباردة معروفا ولكن من هو العدو الآن؟ هل هو الإرهاب؟ الإرهاب وسيلة وليس عدوا له وجود وهوية"، أصبحت الإدارة الأمريكية لا تعرف عدوها المستقبلي ومع تعدد الخيارات اتجه نحو الخيار الثاني على أساس أن العالم مقبل على مرحلة غامضة وجديدة قائمة على مبدأ التكتلات الاقتصادية كالاتحاد الأوروبي واليابان والنمور الآسيوية وكتل في طريق التكون والصعودكالصين والهند وروسيا، وما من شك في أن المادة الحيوية في هذه المنافسة ستكون النفط خاصة والطاقة بشكل عام، وأن سيطرة الولايات المتحدة على مصادره الرئيسة وخطوط مواصلاته وأسواقه ستمكنها من التحكم بكل معطيات المنافسة القادمة وجعل القرن الواحد والعشرين قرنا أمريكيا[2].

على هذا الأساس كان القرار الأمريكي هو إستثمار قدرتها وتفوقها العسكري لتحقيق هذا المطلب الحيوي والاستراتيجي، خاصة في منطقة الشرق الأوسط الذي يحتوي على أكثر من ثلثي احتياطي النفط العالمي، وعلى مخزونات لاحدود لها من الغاز الطبيعي.

ومن أجل تحقيق ذلك وإشاعة ثقافة الخوف في أمريكا، راح المحافظون الجدد يطلقون نظرياتهم المحمومة حول "**صراع الحضارات**"[3]

---

(2) أيمن السيد عبد الوهاب، تحولات السياسة الأمريكية تجاه القوى الأسيوية، الصين، اليابان، الهند، باكستان، أندونسيا، مجلة السياسة الدولية، عدد 147، جانفي 2002، ص87.

(3) تاريخيا، يعود مصطلح "صراع الحضارات" إلى صامويل هانتغتون s.Huntington الذي "دخل على خط الحوار لأول مرة في العام 1993، بعد سقوط الاتحاد السوفياتي، من خلال مقالته التي نشرها في مجلة "شؤون خارجية Foreign Affairs" وطور أفكارها لاحقا في كتابه الشهير الذي حمل اسم المقالة نفسها أي "صدام الحضارات، وإعادة بناء النظام الجديد" The Clash of Civilization and Remaking New Order.

و"**حروب الأديان**" و"**الدول المارقة**" و"**أسلحة الدمار الشامل وعصر الظلام**" و"**نهاية التاريخ**" وغيرها من الكتابات والمؤلفات التي تنشر نوع من الرعب الداخلي داخل الأوساط السياسية والجماهيرية الأمريكية فحواها أن المرحلة المقبلة قائمة على تعزيز القدرات الأمريكية خارج حدودها وحماية كل مصالحها الاستراتيجية ولو على حساب الدم وتوظيف كل الوسائل الشرعية والغير الشرعية من أجل التربع على العالم ومن أبرز هذه الوسائل هو "**التوظيف الديني**"، باعتباره الوسيلة الأكثر حساسية بالنسبة للشعوب في العالم خاصة في منطقة الشرق الأوسط باعتبار كل العدسات الجيواستراتيجية متجهة نحو هاته المنطقة وينتقلون من مرحلة تشجيع الأصولية الإسلامية في منطقة الشرق الأوسط، إلى مرحلة استفزاز تلك الأصولية و''شيطنتها'' وتصويرها على أنها الشر الداهم والإرهاب الذي يشكل الخطر الأكبر على أمن المواطن الأمريكي ومصالحه الحيوية في جميع أنحاء العالم.

وتجدر الإشارة إلى أنه في هذه المرحلة الأخيرة من هذه الحرب التي يمكن وصفها بالحرب العالمية الثالثة قامت الولايات المتحدة الأميركية تقريبا في كل بقاع الأرض بتعبئة الأديان الرئيسية لمكافحة النفوذ المتزايد لمختلف أنواع الأيديولوجيات الشيوعية حيث اتخذت حينئذ المفردات السياسية الأميركية صبغة دينية عندما وصف الرئيس الأميركي السابق "**رونالد ريغان**" الاتحاد السوفيتي في تلك المرحلة "**بإمبراطورية الشر**".

وقد ساهمت أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 في نيويورك وواشنطن في إنجاح هذا التصور بشكل لامثيل له، إذ أطلقت الإدارة الأمريكية، على خلفية تلك الأحداث، حملة إعلامية وسياسية وأمنية لاسابق لها ضد الإسلام والمسلمين داخل الولايات المتحدة وخارجها(4)،

---

(4) زينب عبد العظيم، الاستراتيجية الأمريكية العالمية واستمرار الحرب ضد الإرهاب، الاستراتيجية الأمريكية بعد 11 سبتمبر، عدد خاص من كتاب أمتي حول العالم، القاهرة: جامعة القاهرة، العدد 5، 2002، ص822.

باتت واشنطن تسوق صورة دموية عن الإسلام وعقيدتها القائمة على الجهاد ضد الكفار من خلال ترسانتها الإعلامية الكبيرة ومحطاتها الفضائية المنتشرة عبر كل بقاع العالم إضافة للإنتاج السينمائي الهوليودي بتركيز كل عدساتها السياسية والعسكرية والإعلامية على منطقة الشرق الأوسط أصولي يوفر لها ما تبرر به استثمار تفوقها العسكري ويقنع شعبها بمغامرات عدوانية إستعمارية كتلك التي قامت بها في إفغانستان والعراق، وصولا للسيطرة على كامل منطقة "**الشرق الأوسط الكبير**" تحت شعار "**الحرب على الإرهاب**"، مستعملة كل الوسائل البسيكولوجية لغرس الخوف من تنظيم "**القاعدة**" وزعيمها "**أسامة بن لادن**" راحت عن رفع درجة التأهب الأمني بزعم وجود معلومات سرية عن تحضير ''القاعدة'' لعمليات مشابهة لأحداث سبتمبر في بعض الولايات الأمريكية(5).

وبهذا ركز الخطاب السياسي الأمريكي على عنصر الدين وخطره في النظام العالمي خاصة تركيز جورج بوش الابن على البعد الديني في كل خطاباته السياسية كون هذا العنصر شكل الأساس الروحي والفكري والسياسي لحملة بوش الإنتخابية للوصول للحكم، كما استندت عالميا على نظريات ''صدام الحضارات'' و''حروب الأديان'' وحملات كبار القسس والمحافظين الجدد المعتمدين على ''الأصولية المسيحية'' التي تتحالف مع اليهودية حيث ترى بأن لها قواسم مشتركة بين الديانتين في عقيدتهما، تم قيام تحالف واسع بين اليمين الصهيوني المتطرف في أمريكا وبين الجمهوريين في خطابها السياسي قبل وبعد وصول بوش الابن للحكم(6)، ومع حصول أحداث سبتمبر أطلق الرئيس الأمريكي شعاره التاريخي الشهير

---

(5) محمد كمال، تأثير أحداث 11 سبتمبر على السياسة الخارجية الأمريكية: دراسة حالة للسياسة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط، بحث مقدم إلى ندوة أحداث 11 سبتمبر وتأثيرها على المجتمع السياسي في الولايات المتحدة والقاهرة، مركز الدراسات السياسية بكلية الإقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، 13ماي 2002، ص7.

(6) سليمان العسكري، ماذا يتبقى من نظرية صراع الحضارات؟، مجلة العربي، الكويت: وزارة الإعلام بدولة الكويت، ع 518، جانفي2002، ص10.

"**من ليس معنا فهو ضدنا**" وبهذا الشعار تمكن من تعبئة الشعب الأمريكي كله وتحقق له ولطاقمه السياسي الحاكم النجاح المطلوب والتوجه نحو استراتيجية أخرى وأعمق قائمة على فكرة هاجم قبل أن تهاجم من خلال النظرية الهجومية للمفكر الأمريكي "**جون مير شايمر**" تعزيز مبدأ الهجوم قبل الدفاع لحماية الأمن القومي الأمريكي معتمدا بذلك على الأوساط الأكاديمية والإعلامية في استراتيجيته العالمية تحت شعار ''الحرب على الإرهاب''، فشنت الحرب على أفغانستان وتحققت بواسطتها سيطرة عسكرية أمريكية مباشرة على معظم شواطى ء إقليم بحر قزوين النفطي وطرق الأنابيب والمنافذ الموصلة بينه وبين العالم، مع كل التسهيلات العسكرية التي توفرت في سياق تلك الحرب لضمان نشر شبكة عسكرية استراتيجية أمريكية على الحدود الغربية للصين والجنوبية لروسيا والشرقية لإيران.

وقبل أن تنتهي الحرب في إفغانستان كانت التحضيرات قد بدأت لغزو العراق بهدف استكمال السيطرة على إقليم النفط في الشرق الأوسط من منطلق الزعامة الأمريكية لعالم يتغير وفق الإرادة الأمريكية[7]، والمتواكب مع التأييد المطلق لسياسة العدوان الإسرائيلية في فلسطين، سيسهم في تصعيد الحالة الأصولية في الشرق الأوسط، رغم كل أحاديثهم الإستهلاكية عن أنهم قادمون لنشر الديمقراطية والعلمانية والتعايش في المنطقة[8].

بالرغم من أن االغرب عموما والولايات المتحدة الأمريكية يحتفظون بذاكرة سلبية تجاه العالم الإسلامي، ولقد كانت هجمات 11 سبتمبر 2001

---

(7) إدريس لكريني، التداعيات الدولية الكبرى لأحداث 11 سبتمبر: من غزو أفغانستان إلى احتلال العراق، مراكش: المطبعة والوراقة الوطنية، الطبعة الأولى، 2005.

(8) عن هذا الأمر يكتب عضو مجلس الشيوخ الأمريكي 'ارنست هولينغز' في صحيفة شارلستون بوست بتاريخ 6 ماي 2004 قائلا: «بلجوئنا للخيار العسكري في الشرق الأوسط، صنعنا إرهابيين أكثر بكثير من الذين قتلناهم».

النقطة الفارقة في المواجهة المحورية بين الغرب في جانب والعالمين العربي والإسلامي في جانب آخر، فقد اكتشفت الولايات المتحدة الأميركية أنه يمكن الهجوم عليها داخل أراضيها وأنه لا يوجد حائل يمنع ذلك خاصة وأن دخول أمريكا في المنطقة كان تحت مظلة مكافحة الإرهاب[9]، إلا أنه الإدارة الأمريكية حاولت الربط بين التطرف الإسلامي والإرهاب الدموي وأعطى بالتالي ذريعة باسم مواجهة منابع التطرف والعنف في العالم.

وبناء على هذا استخدم الغرب أدواته كافة لتوظيف الإسلام لخدمة أهدافه الاستراتيجية، وعليه يمكن القول بأن العلاقة بينالإسلاموالغرب مرتبمراحلتاريخية مختلفة، فهو تارة عدو وتارة أخرى حليف وعند اللزوم خصم، فالغرب بارع دائما في اختيار الأصدقاء وصنع الأعداء وفقا لمصالحه الكبرى، وتحفل الذاكرة الإسلامية بمشاهد متعددة للصعود والهبوط في منحنى العلاقة الطويلة بين الغرب والإسلام، والشواهد التاريخية تثبت ذلك كنجاح الغرب في دفع بالإسلام لكي يكون أداة في مواجهة الخطرالشيوعي السوفياتي إبان الحرب السوفياتية الأفغانية باسم "**الجهاد**" على أرضأ فغانستان، وعندما تحقق الهدف وانسحبت القوات السوفياتية من أفغانستان كان الميلاد الطبيعي لتنظيم "**القاعدة**" بكل تداعيات ظهوره، خلق حالة من اللااستقرار في منطقة الشرق الأوسط نظرا للتشبع العقدي الذي تحصلو عليه في أفغانستان، أصبحت الجماعات فيروس ينخر الجسد العربي -الفكر القومي- في ظل التناقض العربي الكبير بقبوله أو رفضه.

وبعد نجاح الغرب في إنهاء المد الشيوعي نجح في وقف المد القومي العربي على رغم التلازم التاريخي المعروف بين الإسلام والعروبة، جعلوا

---

(9) خير الدين حسيب، الحرب الأمريكية على العراق إلى أين؟ المستقبل العربي، العدد 290، إبريل 2003، ص7.

منه فكرا دخيلا فيه تعصب وتغليب للشعوبية وقد وقف الغربمرة ثانية يحتمي بالإسلام الحنيف ليضر بالحركات القومية وفي مقدمها القومية العربية(10)، بالرغم من اجتهاد مفكرون كثيرون لعقد مصالحة توفيقية بين الدين والقومية على اعتبار أن الإسلام والعروبة متلازمان، إضافة إلى نجاح الغرب في تسويقها العالمي بأن حركات المقاومة الفلسطينية واللبنانية من خلال "حماس" و"حزب الله" والعديد من الفصائل السياسية بأنها حركات إرهابية، نجح الغرب في الربط بين الإسلام كدين والإرهاب كجريمة، كما نجح في تحقيق التفكك الداخلي بين المكونات السياسية والعرقية والدينية كحالات الصراع بين فتح وحماس في فلسطين، ومطالب بانفصال الأكراد عن أوطانهم وحلم إنشاء دولة "كردستان" إضافة للصراع الطائفي العميق بين السنة والشيعة في العراق خاصة بعد سقوط نظام "صدام حسين" يوم 09 أفريل2003، انفجر العنف الطائفي بين السنة والشيعة بشكل غير مسبوق من القتل باسم الهوية المذهبية(11)، من هنا استطاع الغرب من توظيف البعد الديني قصد التغلغل والتموقع أكثر في منطقة الشرق الأوسط والتمركز في العراق كون البيئة كانت جد مواتية للولايات المتحدة بالبقاء لمدة أطول نظرا للتطورات العنيفة الحاصلة من اقتتال بين أبناء الشعب الواحد باسم الدين والمذهب والمقدس، سقطت المنطقة بين يدي الغرب وفقا لنظرية المؤامرة التي كللت بالنجاح، كون أن هناك خزين كبير من الأحقاد بين مكونات الشعب العراقي وكما يرون الفصائل الشيعية بأن نظام "صدام حسين" زاد من نسبة الحقد والكراهية بعدما مرس عليهم كل أنواع الإقصاء والظلم الإجتماعي وعدم تمكينهم من ممارسات شعائرهم الدينية، ولما سقط نظام صدام حسين إنفجر البركان الصامت ودخلت العراق داخل

---

(10) عيسى درويش، ملامح السياسة الأمريكية والمستجدات، مجلة الفكر السياسي، العدد3، 2001، ص33.

(11) روبرت فسك، صدام حسين من الميلاد للاستشهاد، بيروت، إبداع للنشر والتوزيع، مركز ترجمة الدار، 2007، ص29.

دوامة من العنف وفتحت حنفية الدم بين أبناء الشعب الواحد في ظل تسيير أمريكي للوضع الأمني في العراق، دخلت فواعل إقليمية في الأزمة السياسية كالسعودية مع الطرف السني وإيران مع الطرف الشيعي.

وحول الصراع الطائفي بين سنة العراق وشيعته، فلم يكن للسنة أي دور في الصراع الطائفي ضد الشيعة، بقدر ما كان لجهات خارجية أجنبية مثل تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين بزعامة أبو مصعب الزرقاوي، الذي أخذ يستهدف الشيعة على اعتبار أنهم غير مسلمون وخارجين عن دين الإسلام، وأن الإسلام الصحيح هو الإسلام الوهابي السلفي، وبناءا على ذلك أخذوا يهاجمون مراقد الأئمة الشيعة في الجنوب، وقتلوا الكثير من السياسيين ورجال الدين والمدنيين الشيعة، فأصبح الزرقاوي وكأنه البديل الأسوء للتعامل مع الشيعة من النظام السابق، الذي كان يعمل على إلغاء أي تذكير بالهوية الشيعية حتى لو اقتصرت على الحيز الثقافي والطقوس المذهبية، وبالمقابل قام بعض الشيعة المتطرفين وخاصة من جانب التيار الصدري، من خلال اختراقهم لقوات الشرطة العراقية الجديدة، على القيام بعمليات قتل وتعذيب لأفراد من السنة،

كما يرفض السنة والشيعة اليوم الإعتراف ببعضهم البعض كمسلمين، والمسؤول الأبرز في تعقد الوضع الأمني هي السلطة السياسية الحاكمة بعد مسقط الرئيس المخلوع صدام حسين وهذا بعد الرد العنيف والثأر لسنة العراق على ممارسات الرئيس السابق وحزب البعث خاصة في الفترة الممتدة بين 2003- 2009، كان الصراع جد محتدم خاصة في فترة حكم نوري المالكي للعراق، على العكس من الجهة المقابلة لو نذهب للصراع القائم بين الكاثوليك والبروتستانت داخل الدين المسيحي أخذ أشكالاً عنيفة لكن عندما يتعلق الأمر بالمساس بمقدسات المسيحية يحدث تحالف، إضافة إلى أن المذهبين المسيحين اعترفا ببعضهما البعض وصراعهما كان سياسيا أكثر منه عقديا على العكس الصراع الطائفي في الشرق الأوسط الذي الخطاب بين هذه الطوائف دمويا جدا، وكانت الإعدامات العلنية

جزءا من دعاية التخويف المتبادل ووصف كل جانب قتلاه بالشهداء، إضافة لفرار كل مدني سني أو شيعي إلى مناطقهم وتكتلاته السكنية التي زادت تعقيدا وانقساما في المنطقة.

وعليه أنتج الاحتلال الأمريكي للعراق سنة 2003 إلى انهيار الدولة الديكتاتورية حسب الخطاب السياسي الأمريكي الكثير من التغيرات على صعيد التشكيلة العراقية وبنيتها السياسية المتمثلة بطبيعة نظام الحكم، أي لم يستطع تشكيل بناء الدولة الوطنية فضلا عن فعالية ومكانة المؤسسات الأهلية والأحزاب السياسية في الحياة السياسية[12].

لقد زرع وجود الاحتلال في العراق بذور الطائفية، فمنذ سقوط النظام العراقي عام 2003، وتشكيل مجلس الحكم الانتقالي من قبل السفير الأمريكي "بول بريمر" ظهرت المحاصصة الطائفية بين الأعراق والطوائف العراقية، التي كانت ترى أنها مهمشة في ظل النظام السابق، وهذا ما انعكس بعد ذلك على الحكومات العراقية التي جاءت بعد ذلك، مما أضعف الوحدة الوطنية في العراق فقد كان تخصيص ثلاثة عشرة مقعدا للشيعة في مجلس الحكم الانتقالي في البداية، مقابل إثنى عشر مقعدا لبقية فئات الشعب العراقي، قد أثار السنة في العراق، الذين رؤوا أن تشكيل المجلس قد قسم الشعب العراقي طائفيا، وأعطى الشيعة صفة الأغلبية دون استفتاء دقيق، وأن السنة بفئاتهم المختلفة عرباً وأكرادا وتركمانا، يشكلون أكثر من خمسين بالمائة وفقا لبعض الإحصاءات، وإن هذا سيولد الشعور بالظلم والتهميش والتنافس بين فئات الشعب العراقي وسيدفع قادة الفعاليات الطائفية والعرقية في البلاد إلى استعراض قوتها سواءا بقوة السلاح أم من خلال كثافتها العددية، كما كان قانون اجتثاث البعث قد أثار السنة أيضا، لأنهم رؤوه موجها لاستبعادهم كون الكثير منهم من

---

(12) جيف سمونز، عراق المستقبل: السياسة الأمريكية في إعادة وتشكيل الشرق الأوسط، بيروت، دار الساني، 2004، ص70.

إداريي ومسؤولي الدولة الذين كانوا في حزب البعث، وهذا مما زاد من الاحتقان الطائفي بين السنة والشيعة، وأدى لحدوث تحالفات سنية وأخرى شيعية، وقد ظهرت هذه التحالفات في انتخابات الخامس عشر من ديسمبر 2005، وأدت إلى تقسيم الشعب العراقي إلى كتل سنية وشيعية وكردية، فمثل السنة جبهة التوافق ومثل الشيعة كتلة الائتلاف العراقي[13].

ومثل الأكراد التحالف الكردي، وتم تشكيل أول حكومة وهي حكومة "**إياد علاوي**" على أسس المحاصصة الطائفية والعرقية وبرعاية غربية بريطانية - أمريكية، فظهرت ثقافة عرقية طائفية للكتل الشعبية المؤيدة لأي من هذه الكتل منتجة للعنف والإقتتال، فظهر خطاب للشيعة وآخر للسنة، والأكراد، وغاب الخطاب العراقي الوطني، فأصبحت هذه الكتل تعمل على تعريف ذاتها بعيدا عن فكرة المواطنة وقبول الآخر، وكان من المؤثرات السياسية الدراماتيكية هو مشهد إعدام الرئيس العراقي في يوم عيد الأضحى عام 2006، حيث جرى تسويق هذا الحدث كما لو أنه كان انتصارا سياسيا للشيعة والأكراد، في مقابل الطرف السني، دون أي اعتبار لمشاعرهم[14].

إضافة الى ما تقدم، كان العنف الدموي وآلة الموت تحصد العشرات من القتلى يوميا منذ بداية الإقتتال الطائفي بين مكونات الدينية للشعب العراقي في ظل صمت غربي وإقليمي وتنديد عربي بالتجاوزات اللاإنسانية في حق المستضعفين من شعوب المنطقة وفقا لأجندات وحسابات جيواستراتيجية، وكان لتأجيج الصراعات الطائفية والمذهبية كوسيلة لتفتيت المنطقة واخضاعها لسيطرتها عبر سعيها الى إقامة ما يسمى بـ" الهلال

---

(13) مي مجيب عبد المنعم، بناء النفوذ في علاقة الجماعة الإثنية بالدولة: دراسة حالة لشيعة العراق 2003-2005، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة، 2006، ص146.

(14) خير الدين الحسيب، مستقبل العراق، الاحتلال، المقاومة، التحرير والديمقراطية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2004، ص151-159.

السني" في مواجهة "الهلال الشيعي" يجري تصويره كعدو مشترك للعرب ولإسرائيل على السواء، بينما يتم التطبيع مع الكيان الصهيوني على مستوى الأنظمة والحكومات.

وهناك وجود تناقض داخل الغرب بشأن العلاقة بين الإسلام والعنف أو الإرهاب، فرغم تصريحات مسؤولين في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية عن عدم الربط بين العنف والإسلام من خلال الخطابات السياسية، هناك رأي سائد في الإعلام ومراكز البحث الغربية يسعى لإلصاق ظاهرة العنف بالإسلام والمسلمين والعالم الإسلامي، بالرغم من أن الإرهاب ليس أمرا جنينيا أو مرتبط بشعب ما أو أمة ما، لأنه يظهر ويتطور حسب الظروف التاريخية ولا يرتبط بجنس ما، فإلصاق الغرب تهمة الإرهاب والعنف بالإسلام لمجرد أن مسلما قام بعملية إرهابية، معتبرا أن الأهم من بحث تأثيرات الإرهاب هو التفكير في أسبابه كظاهرة سياسية، حتى تكون محاربته ناجحة، كون أن معظم الأنظمة السياسية التي تدعي أنها تحارب الإرهاب هي من تغذيه عبر ممارستها للقمع والإستبداد، علما أنه عندما تكون هناك ديمقراطية ويتحرك الشعب بحرية ليعبر عن آرائه يختفي الإرهاب.

2 - الإسلام السياسي بين جدلية الديمقراطية والعنف في الشرق الأوسط

شغلت ظاهرة "**الإسلام السياسي**" كثيرا من المهتمين بالسياسة، والاستراتيجية، والاجتماع، والاقتصاد، والفكر، والأديان، وبدأ الاهتمام بها منذ منتصف السبعينيات بعد حرب 1973، وقيام الثورة الإسلامية الإيرانية، واغتيال الرئيس المصري السابق "أنور السادات"، وبروز حركة الجهاد في أفغانستان، حيث إن العلاقة بين الدول تتمحور حول نزاعات من أجل الهيمنة والدين والسيطرة[15]. وعليه نطرح التساؤل التالي:

---

(15) محمد تركي محمد بني سلامة، مستقبل جماعات الإسلام السياسي في الشرق الأوسط وموقف القوى العظمى منها، مجلة أبحاث اليرموك سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة اليرموك، مجلد 2011، 29، ص95.

- هل الإسلام السياسي هو سبب تصاعد وتيرة العنف في منطقة الشرق الأوسط؟

يحتل موضوع "الإسلام السياسي" في وقتنا الحالي أهمية كبيرة، ويتزايد الاهتمام به على صعيد العالم العربي والدولي، ولقد شهدت السنوات الأخيرة أحداثا كبيرة على مستوى منطقة الشرق الأوسط والعالم، لعب فيها حركات الإسلام السياسي التي تدعي الجهاد ضد الغرب، زاعمة خدمة شريعة الإسلام ونصرة الدين دورا كبيرا في المنطقة العربية، واستقطبت هذه الأحداث اهتمام الحكومات في الشرق والغرب، سيما بعد هجمات الحادي عشر سبتمبر 2001 تزايد الاهتمام بشكل كبير وملفت بظاهرة الإسلام السياسي كتنظيم الإخوان المسلمين المتجدر داخل الأوساط العربية والإسلامية وتأثيرها في صنع القرارات السياسية وانعكاس هذه الحركات على الأمن الإقليمي والدولي[16].

ولقد لعبت عدة عوامل كبيرة في انتشار حركات الإسلام السياسي، والجهادية بخاصة، وكسبها نسب كبيرة من المؤيدين داخل الكتلة الشرقية من المنطقة العربية بصفة عامة وفي منطقة الشرق الأوسط بصفة خاصة:

- الإسلام كمرجعية وقاعدة أساسية لبناء كل التصورات الثقافية والسيسيوسياسية، فتبني المرجعية الإسلامية له جاذبيته الخاصة في الحشد والتأييد الجماهيري من خلال اللعب على عواطف عامة الناس خاصة في العمل السياسي القائم على الإنفصال عن القيم الغربية كون هذه الأخيرة ترى للإسلام بنظرة شك وعداء[17].

---

(16) الياس فرحات، الصراع السياسي في الشرق الأوسط-الجانب الاستراتيجي، اللاعبون من غير الدول: التنظيم العالمي للإخوان المسلمين، لبنان: مجلة شؤون الأوسط، بدون عدد، بدون سنة، ص24.

(17) رضوان السيد، "مستقبل الحركات الإسلامية في ظل المتغيرات الإقليمية والدولية"، في كتاب الحركات الإسلامية وأثرها في الاستقرار السياسي في العالم العربي، أبوظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2002، ص184.

- الدعم الأمريكي لإسرائيل التي اغتصبت فلسطين، إضافة لاحتلال العراق وأفغانستان وتدميرهما.
- الدعوات العنصرية ضد الإسلام والمسلمين، والتعبئة ضدهما، وارتفاع حدة الاحتكاكات والمواجهات في عدد من الدول الأوروبية عبر قرارات رسمية كموقف السلطة الفرنسية في عهد نيكولا ساركوزي بمنع الحجاب في فرنسا، أو حزبية من خلال دعوة أحزاب يمينية متطرفة في هولندا والدنمارك وبلجيكا لطرد المسلمين من أراضيها أو حملات إعلامية كالرسوم الكاريكاتيرية التي أساءت للرسول عليه السلام، وصولا لنشريات جريدة "شارلي إيبدو" الفرنسية وفي أمريكا التحريض على الإسلام ووصفه بالدين الإرهابي خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر، إضافة لقيام بعض القساوسة بحرق القرآن الكريم وتصوير أفلام تشهر بالسوء للإسلام.
- موقف الغرب السلبي من الثقافة الإسلامية، وعدم اعترافه بالتعددية الثقافية في العالم، وفرض السيطرة والهيمنة الفكرية والثقافية عبر الترويج لأطروحة عالمية القيم وغربية التصور بما أسماه صامويل هانتنغتون "صراع الحضارات".

وعليه، فالإسلام بالنسبة للمنطقة العربية عنصر تكويني ونتاج ثورة الإسلام الفكرية والاجتماعية، والشرق الأوسط جزء من العالم العربي وهي منبع الحضارة الإسلامية على عكس ماكانت تسوق له المدرسة الإستشراقية من مغالطات وربط الدين الإسلامي بالدم، وتزييف الوعي الغربي بحقيقة الإسلام[18]، فقد دخل الإسلام النسيج الشخصي والاجتماعي، والتطابق الثقافي والاجتماعي إضافة للتراكمات التاريخية والإسقاطات الحضارية، كل هذه المقومات أنتجت بمايسمى بالفكر السياسي الإسلامي وارتبط بشكل وثيق بالحركة الإسلامية في العالم العربي، أو ما يسميها البعض

---

(18) إدوارد سعيد، الاستشراق: المعرفة- السلطة- الإنشاء، ترجمة كمال أبو ديب، بيروت: مؤسسة الدراسات والأبحاث العربية، 2001، ط5. ص34.

الآخر من الملاحظين للشأن السياسي للمنطقة العربية والشرق الأوسط بارتباط الإسلام السياسي بالحركة الإصلاحية الإسلامية الحديثة، وتتركز هذه الحركة بالإخوان المسلمين وأشكالها الحزبية في العالم العربي مثل "جبهة العمل الإسلامي" في الأردن، "حركة المقاومة الإسلامية - حماس-" في فلسطين، "حركة مجتمع السلم" في الجزائر، "حركة النهضة" في تونس، "حزب التجمع والإصلاح" في اليمن، "العدل والإحسان" أو "العدالة والتنمية" في المغرب، "الإخوان المسلمين" في العراق، مصر وسوريا، إضافة لـ"الجبهة الإسلامية القومية " في السودان بقيادة حسن الترابي.

وبناء على هذه التشكيلات السياسية تمخضت حركات الإسلام السياسي وسط تذبذبات وتراكمات حادة، ترتبت عنها لحظات النهوض والسقوط في ضل الحواجز والقيود التي أنتجتها الأنظمة الوطنية، خاصة في منطقة الشرق الأوسط التي تميزت أنظمة حكمها بالأكثر شمولية، تعرضت حركات الإسلام السياسي لقمع شديد أخرجها من المعادلة السياسية في بعض الدول خاصة مابين الفترة (1980-2010)[19].

فكما كانت للحركات السنية توجهاتها السياسية، كانت للحركات السياسية الإسلامية الشيعية مسارها التاريخي بالرغم من أنه اعتمدت حركات الإسلام السياسي الشيعي مقاربة للعنف تختلف شكلا عن مقاربة حركات الإسلام السياسي السني، كانت أكثر توجها للعمل المسلح ففي سنة 1975 قام موسى الصدر الإيراني بتأسيس "حركة المحرومين" من خلال الرد على أطماع إسرائيل في لبنان ومنع توطين الفلسطينيين فيه، والتي شكلت بدورها جناحا عسكريا تحت إسم "حركة أمل"، وأكمل الصدر برنامجه السياسي بتأسيس جمعية "كشافة الرسالة الإسلامية"،

---

(19) نجيبالغضبان، التحول الديمقراطي والتحدي الإسلامي في العالم العربي 1980 - 2000، عمان: دار المنار، 2002، ص99.

لتأطير الأطفال تحت تقاليد الفكر السياسي الشيعي وتكوينهم من أجل الولوج في العمل السياسي.

ومع قيام الثورة الإسلامية في إيران برز تيار داخل الحركة يتبنى رؤية الخميني ونظرية ولاية الفقيه، تزعمه الثنائي العائد من النجف عباس الموسوي وحسن نصرالله، وقد شكل هذا التيار عام 1982 "حركة أمل الإسلامية" برعاية ودعم إيراني مباشر، في عام 1985 تبنت حركة أمل الاسلامية إسما جديدا هو "حزب الله" التي كان موطنها جنوب لبنان، والذي افتتح عمله "الجهادي" بعمليات استشهادية ضد القوات الأمريكية والفرنسية في بيروت قتل فيها نحو من 300 جندي تابع للقوات الغربية، وتبنى سياسة الضغط على القوى الغربية من خلال خطف الرهائن للتأثير في مواقف الدول، وشكل لذلك منظمة خاصة تحت اسم "منظمة الجهاد الإسلامي"[20].

وكان ظهور حركة حزب الله بشكل بارز في صيف 2006 أثناء حربها ومواجهتها المباشرة ضد إسرائيل أي خاض الحزب في جناحه العسكري قتالا بطولياساندته كل المنطقة العربية والإسلامية بشكل كبير، من خلال صموده في وجه الآلة العسكرية الإسرائيلية، أي أفشل الهجوم ومنع جيش العدو من تحقيق أهدافه.

وفي العراق، اتجهت حركات الإسلام السياسي الشيعي، وتحت تأثير إنتصار الثورة الإيرانية عام 1979، إلى تشكيل أجنحة عسكرية وإلى خوض مواجهة مباشرة مع النظام العراقي البعثي بزعامة الرئيس السابق صدام حسين والعمل على تنفيذ برنامجها السياسي وتحقيق أهدافها بالقوة، إلى غاية إسقاطها، استطاعت هاته الحركات التحكم في الوضع الأمني والسياسي في العراق بعد 2003 وتسيير الشأن العام[21]، قبل أن تنخرط

(20) فريد هاليداي، رياض الموسوي، الثورة الإسلامية الإيرانية في مفترق طرق، صحيفة الحياة اللندنية، الأربعاء 4 أفريل 2001، ص11-12.

(21) عبد الوهاب حميد رشيد، التحول الديمقراطي في العراق: المواريث التاريخية والأسس الثقافية والمحددات التاريخية، بيروت: مركز مركز دراسات الوحدة العربية، 2006م، ص134.

في الحرب الطائفية ضد السنة التي شهدها العراق بين عامي 2006-2008 وكان الصراع متمحورا حول السلطة كمايرى الباحث والمفكر العراقي" **أحمد الحسني البغدادي**" بأن الصراع الطائفي والعنف الحاصل في العراق لم يكن بسبب الإدارة الأمريكية بل كان بسبب الفئة الثالثة حسب تصنيفه[22]، وهي تشارك الآن في القتال إلى جانب النظام السوري بحجة حماية القواعد الشيعية في سوريا.

ومع انطلاقة شرارة الإحتجاجات الشعبية نهاية سنة 2010 في تونس وتوسع الحركة الإحتجاجية في العديد من الدول العربية فيما عرف لاحقا بـ"**الربيع العربي**" أو "**الثورات العربية**"، ورفع الشعوب المنتفضة لمطالب العدالة، الإنفتاح، الديمقراطية والحرية، وبزوغ الأمل الكبير في إنهاء مرحلة الأنظمة العربية الشمولية الديكتاتورية وحكم الفرد والعائلة، وتأسيس دولة القانون وارتفاع الصوت الشبابي المطالب بالتغيير والإصلاح، تزايد الاهتمام السياسي بالمنطقة وبدأ العالم يترقب عملية الانتخابات و"التحول الديمقراطي لمرحلة ما بعد الأنظمة الشمولية في البلدان العربية التي أسقطت أنظمتها كتونس وليبيا ومصر[23].

ظهرت في الساحة السياسة العربية جماعات تمثل حركة "الإسلام السياسي" ومراقبة خطابها الذي انفجر مع مطالب عامة الشعب حيث

---

(22) يصف أحمد الحسني البغدادي الموقف من الاحتلال فقال: المرجعية والقيادات الإسلامية الشيعية منها أو السنية تنقسم إلى ثلاثة فئات: الفئة الأولى يريد خروج المحتل فورامن العراق وإقامة الدولة التعددية الشورية وعدم استثناء أية طاقة وطنية تحت مظلة الإسلام، والفئة الثانية يريد خروج المحتل بجدولة زمنية إلا أنهم يؤيدون التدخل الأمريكي في العملية السياسية، وهذا خطأ استراتيجي من وجهة القانون الدولي وكذلك من وجهة إسلامية، لأنه مادام هنالك احتلال لا بد أن يتدخل بالعملية السياسية ويعين الأكثرية من العملاء والتابعين له، أما الفئة الثالثة هم من الوكلاء والجواسيس يريدون بقاء الأمريكان بل ويطالبون الأميركان أن يكون العراق ولاية من الولايات المتحدة الأمريكية، وهذه الفئة كانت منتشرة بقوة بين سنتي 2003-2008 باعتبارهم هم من أذكو أكثر الفتنة الطائفية بين الشعب العراقي الواحد.

(23) دينا شحاته، محركات التغيير في العالم العربي، مجلة السياسة الدولية، العدد184، أفريل 2011، ص83.

الشعارات المطالبة بالديمقراطية، العدالة والحرية وضرورة احترام مطالب المحتجين، لاقت مساندة كبيرة حتى من التيارات المناهضة للفكر الإسلامي كالعلمانيينومن غير المستبعد أن تساهم تلك الثورات في إعادة تشكيل المستقبل السياسي للمنطقة العربية برمتها، وبالتالي سيكون لها انعكاسات وتداعيات كبيرة ومتواصلة على الوضع الإقليمي، خصوصافيما يتعلق بموازين القوى والتحالفات ونفوذ الدول الفاعلة والمؤثرة في الإقليم، مثل إيران وتركيا وإسرائيل. ومن الطبيعي أيضا أن يكون لهذا الزلزال، الذي حدث في هذه المنطقة الحيوية والاستراتيجية، أصداؤه وتداعياته العالمية[24].

وبعد سقوط الأنظمة القديمة التي أتاحت لجماعات "الإسلام السياسي" المشاركة بكل حرية في الانتخابات واستطاعت أن تكون صوت الشعب واعتلت السلطة في كل من تونس من خلال حركة النهضة بزعامة "راشد الغنوشي"، وليبيا بزعامة "مصطفى عبد الجليل" ومصر بقيادة "محمد مرسي" والإخوان المسلمين، وفي المغرب من خلال "حزب العدالة والتنمية" بقيادة بن كيران، همشت المؤسسة العسكرية في العديد من الدول العربية لأول مرة ولو بشكل نسبي خاصة في النمودج المصري، إلا أن الإخوان لم يقدروا خطورة تهديد مصالح المؤسسة العسكرية كون هاته الأخيرة مستعدة أن تعمل أي شئ لإسترجاع هيبتها داخل الأنظمة السياسية، وظنوا بأن الشرعية الجماهيرية والانتصار في الانتخابات والركون إلى ما فرزته اللعبة الديمقراطية، سيردع العسكر عن التدخل في الشأن السياسي.

---

(24) محمد عبد الغفور الشيوخ، تأثير ثورات الربيع على ظاهرة الاسلام السياسي وعمليات الاصلاح في الوطن العربي، دراسة استشرافية للانعكاسات العامة للثورات العربية على التيارات الدينية السياسية والقوى الإصلاحية في المملكة العربية السعودية (2011-2013)، دراسة لاستكمال مقررات نيل رسالة الماجستير، الدنمارك: الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك، كلية القانون والعلوم السّياسية: قسم القانون والعلوم السياسية، 2013، ص120.

وتوالت المظاهرات والاعتصامات في ميدان التحرير وغيره المطالبة بإسقاط مرسي و"حكم الجماعة"، وعمت المواجهات بين المؤيدين لمرسي والمعارضين له، وقتل العشرات، وهو ما منح الجيش الحجة للقيام بانقلاب مدعوم من القوى السياسية والمجتمعية المختلفة وإبعاد مرسي والإخوان عن السلطة بشكل نهائي وكان ذلك في 3 جويلية 2013[25]، يعتبر هذا التاريخ نقطة مفصلية في المشهد السياسي والاجتماعي المصريعلى جميع المستويات وفي تاريخ حركات الإسلام السياسي.

وعليه تحالفت القوى المختلفة المتضررة من تصدر جماعة الإخوان المسلمين السلطة في مصر، في صف واحد من أجل إسقاط حكم "**محمد مرسي**" وفرض حظر على الجماعة وإعادتها إلى خانة "الجماعة المحظورة"، فعمت المظاهرات البلاد، وتم حشد الكثير من وسائل الإعلام الموالية للدولة العميقة والمؤسسة العسكرية، وتكاتف العسكر مع الشباب والأحزاب السياسية مع الفعاليات السياسة والاجتماعية والاقتصادية مع الكنيسة القبطية، ومشيخة الأزهر لإسقاط حكم الإخوان المسلمين، ولم تبخل بعض القوى الإقليمية المتضررة من التحول الأخير في العالم العربي (كالمملكة العربية السعودية) في دعم الحراك المعادي للإخوان، حيث تدفقت الأموال وترافق ذلك مع تفعيل وسائل إعلام عربية واسعة الانتشار لتأيد الإنقلاب ضد الإخوان.

لقد أساءت بعض "**الأحزاب الإسلامية** " للإسلام بنشر ثقافة التطرف والتعصب بين الشباب المسلم من خلال الخطاب الديني المتطرف عند بعض الجماعات الإسلامية دون إدراكهم أن الإسلام هو دين تسامح ومحبة، وتجاهل هذه الأحزاب الإسلامية لهذه الحقيقة أدى إلى تبنيها القوة والعنف تجاه الآخرين وأعلنت الجهاد في منطقتها العربية وبالخصوص في

(25) خليل العناني، جماعة الإخوان المسلمين في مرحلة بعد مرسي، الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، سبتمبر 2013، بدون صفحة.

منطقة الشرق الأوسط بالخصوص، أخذت هذه الحركات الإسلامية الإرهابية أبعادا استراتيجية كالتحالف الإيراني مع الحوثيين في اليمن أنتج العنف الداخلي ومساندة السعودية وقطر لمعارضة الحكم العلوي الشيعي في سوريا، والتنسيق التركي الإماراتي في الأزمة اللبنانية والسورية وتوظيف حركات الإسلام السياسي أنتج تزايد مفهوم العنف داخل الشرق الأوسط خاصة في الفترة الممتدة مابين نهاية سنة 2010 إلى غاية الثلاثي الأول من 2015.

وعن مجلس التعاون الخليجي باعتبارها المنظومة العربية المتبقية والمتماسكة تبنت استراتيجية إحتواء الإنهيار كخطوة أولى والبناء كخطوة ثانية لمواجهة التحديات، وبالتحديد الخطر الإيراني على شواطئ الخليج العربي، اختارت دول الخليج في عملية وقف الإنهيار دعم مصر، لأنها تعتبر الركيزة الأساسية للاستقرار العربي لما تملكه من مقومات بشرية وعسكرية وفضلت تلك المنظومة المؤسسة العسكرية على الإسلام السياسي المتمثل بالإخوان على اعتبار أن الإسلام السياسي بتشعباته العميقة يحمل أخطارا أكبر، هذا الجهد الاستراتيجي الخليجي المدفوع أساسا بوقف وصد الخطر الإيراني وحلم هذا الأخير-إيران- بتكوين هلال شيعي يخترق المنظومة الخليجية من خلال التموقع الاستراتيجي في اليمن.

فالاستقرار والعنف بالنسبة لمنطقة الشرق الأوسط مرتبط بالمقاربة الدينية أي أنه لا يمكن تحققه إلا من خلال وقف المد الإيراني الشيعي بالنسبة للدول السنية واحتواء الفكر السني بالنسبة للدول التي تولي الولاء لآل البيت ومحاصرة الفكر الإسلامي السياسي الإخواني وإن تحقق بغير ذلك فهو استقرار هش لا يصمد أمام تهديدات الخطر الإسلامي الإرهابي المتطرف من خلال تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام[26].

(26) الدول الخليجية في مواجهة الهلال الشيعي والامتداد الإيراني.

ثانياً: الحركات الإرهابية
في خارطة الصراع الجيواستراتيجية
من القاعدة إلى تنظيم الدولة الإسلامية في الشرق الأوسط

أ. قلاع الضروس سمير

مقدمة:

تعد منطقة الشرق الأوسط من المناطق الجد المتوثرة والساخنة في المشهد الدولي نظرا لما تحمله من تناقضات تاريخية ودينية باعتبارها مهد الديانات السماوية ومنبع الحروب الدينية، فبعد نهاية الحرب العالمية الثانية وتحول الصراع بين قطبين إيديولوجيين عالميين في إطار الحرب الباردة بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي حاولا المعسكرين التموقع داخل هاته المنطقة باعتبارها محور العالم وكما وصفها المنظر الجيوبوليتيكي "**روبرت ماكيندر**" بأن منطقة الشرق الأوسط هي قلب العالم وتمر على الخط الأوراسي الاستراتيجي.

تذكيرا، يمكن القول بأن مصطلح "**الشرق الأوسط**" برز مع حكم الرئيس "**جورج بوش الأب**" وأطروحات التي قدمها للنظام الدولي الجديد من بينها أطروحة الشرق الأوسط التي وصف هاته المنطقة بأنها الجسر الرابط بين الشرق الأدنى والأقصى، وهي أغنى المناطق في العالم بالنفط والمعادن، وتتمتع بمركز استراتيجي هام بين القارات الثلاث أوروبا وآسيا وإفريقيا، وتشمل بلدان شبه الجزيرة العربية والعراق وإيران وأفغانستان، كما عرفته الوكالة الدولية للطاقة الذرية عام 1989 بأنه المنطقة الممتدة من

ليبيا غربا إلى إيران شرقا، ومن سورية شمالا إلى اليمن جنوبا. وعرفه آخرون بأنه يضم جميع الدول الأعضاء في الجامعة العربية وإيران وتركيا وصولا لأفغانستان وباكستان.

وتوالت العديد من الأحداث الدولية في هاته المنطقة الاستراتيجية بدءا بإتفاقية **"كامب ديفيد"** و**"معاهدة السلام"** بين مصر وإسرائيل وإطلاق الحرب الأهلية اللبنانية مع بداية الثمانينات التي أنتجت دائرة عنف واسعة النطاق كمجازر "صبرا وشاتيلا" سنة 1982التي كان الهدف والغاية الاستراتيجية منهاإضعاف صعود المقاومة اللبنانية وإطلاق الحرب العراقية - الإيرانية، برز الصراع السني الشيعي للأفق منذ تلك الفترة واستمراره هذا الصراع الطائفي لمدة تقارب ثماني سنوات، مع تفوق عراقي في الحرب الخليجية الأولى مما أدى لاصطفاف جميع دول الخليج وعددا آخراً من الدول العربية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية ضد العراق في الحرب الخليجية الثانية مابين العراق والكويت سنة 1991، وعليه نستنتج بأن العنف في المنطقة أرتبط بالدين والدين تسيس والسياسة دينت على حسب قول الباحث عبد الحليم محمود[1].

دخلت منطقة الشرق الأوسط في دوامة من العنف في ظل تصاعد قوة الولايات المتحدة بعد الحرب الباردة مما استطاعت الإدارة الأمريكية التربع على هاته المنطقة وتصنيفها ضمن مناطق أمنها القومي مما أدى لإنتشار المنظمات الغير الحكومية الإقليمية والدولية والجمعيات الممولة أجنبيا وتبنيها أجندات تحجب القضايا الكبرى وتنزع القضايا الصغرى، علاوة على انتشار العولمة الثقافية التفكيكية التي تجعل التاريخ والواقع المعيش مفككا لا رابط بين جوانبه وأجزائه المختلفة، حيث سعت الولايات المتحدة ودول الغرب من فك الرباط بين الدين والدنيا في عقول

---

(1) عبد الحليممحمود، الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ، الإسكندرية، بيروت: دار الدعوة، ج1، 2004، ص453.

شباب المنطقة من خلال تسويق صورة مغرية ومثيرة للعولمة العالمية قائمة على مبدأ الحرية الإنسانية وعدم الإرتباط بالقيود الدينية، إضافة لصعود النزاعات الجهوية والعرقية والإثنية في أنحاء متعددة من العالم العربي والعالم بين فترتي 1991-2001[2].

أولاً: دخول العراق في دوامة العنف وميلاد تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين

ما يلاحظ أن الصراعات الدينية أختزلت في منطقة الشرق الأوسط وقلب الصراع كان في العراق بعد مرحلة 11 سبتمبر من خلال التناحر المذهبي بشكل خاص الذي تم تأجيجه من قبل الإعلام العربي والمبتلي بالإبتعاد عن الموضوعية والحيادية، كما تم تأجيجه أيضا من قبل بعض السياسيين ممن يشعرون بعدم وجود أرضية وقاعدة تساندهم، وكذلك من بعض العراقيين ممن لاأوراق لديهم أو لحسابات غاية في الشخصية والمصلحية ليكون ورقة رابحة ضمن عمليات التجاذبات والتحالفات السياسية وحسابات الربح والخسارة[3]، وأستجابة لرغبات حكام ومالكي القنوات والصحف في أحيان أخرى، فقد كانت ورقة الطائفية والمذهبية الورقة التي أدت دورها بعد الاحتلال الأمريكي، حتى صارت مؤسسات عربية مثل الجامعة العربية ورؤساء دول يستقبلون قادة التنظيمات الإرهابية والميليشيات السنية والشيعية والإيزيدية والكردية، وصارت دول أجنبية إقليمية ودولية تضفي على عناصر تفتك بالعراق والعراقيين مسحة المعارضين وتساندهم وتمنحهم الدعم السياسي ليس إيمانا منها بهم وليس موقفا متعارضا مع النظام الجديد، وإنما موقفا يمثل التعارض مع الولايات

---

(2) مصطفى علوي، السياسة الخارجية الأمريكية وهيكل النظام الدولي، مجلة السياسة الدولية، العدد153 جويلية 2003، ص56.

(3) زهير كاظم عبود، الارهاب في العراق: من المسؤول عن الإرهاب في العراق؟، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2004، ط1، ص139.

المتحدة الأمريكية مالم يتم التنسيق في المصالح معها[4].

هذا التعارض الدولي والتزاحم في ايجاد مواطيء القدم في العراق خصوصا وفي المنطقة عموما، وحرب المصالح بين الدول الكبيرة كله صار فوق رأس العراقيين في كل مكان، مما زاد من توسع وانتشار تنظيمات الأرهاب الدولي وتجمعات التطرف الديني والتحجر المذهبي وتقاطرت هذه النماذج لتشعل وتؤجج الذهنية المتطرفة والمذهبية الطائفية وتشيع الجريمة كوسيلة وسط ساحة العراق ويكون البسطاء والفقراء من أهل العراق الوقود والضحايا مما أنتجت دخول العراق في المأزق الأمني بعد سقوط نظام الرئيس صدام حسين في أفريل 2003، وبدأت الحركات السياسية الشيعية تتموقع على مستوى السلطة، وظهر خطاب يلمح للثأر من ماضيهم العنيف والقاسي من طرف البعثيين الذين أسالو دماءا كثيرة في حق شيعة العراق، برزت ميليشيات لرد الاعتبار لتاريخ الشيعة، ظهرت في الجهة المقابلة "**تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين**" بقيادة "أبو مصعب الزرقاوي" سنة 2004 وعلى نفس أفكار "**القاعدة**" التي استندت إلى الجهاد لطرد القوات والمصالح الأجنبية من الأراضي الإسلامية، إستندت قاعدة بلاد الرافدين إلى إعلان عام للحرب ضد الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها في العراق المتمثلين في الحركات السياسية الشيعية، ليتحول كلاهما إلى تنظيم إرهابي يقتل فيه المسلم أخاه المسلم وغير المسلم تحت دعوى الجهاد وطاعة الله.

بعد مقتل الزرقاوي عام 2006 جرى انتخاب أبي حمزة المهاجر زعيما لتنظيم القاعدة، ومع بداية ظهور معالم الحكومة العراقية وبدء تكوين قوات الجيش والشرطة العراقيين، إعتبر التنظيم جميع السياسيين المشاركين بالحكم "عملاء"، وأصبح يستهدف جميع أجهزة الأمن العراقية والمنظمات الدولية والمقاولين الأجانب، واعتبر أن هدفه هو إقامة دولة

(4) زهير كاظم عبود، الارهاب في العراق، مرجع سبق ذكره، ص140.

تحكم بالشريعة الإسلامية في العراق، وأعلن تكفير فئات من الشعب العراقي مثل المدنيين الشيعة، الذين وصفهم الزرقاوي بالروافض، وتم استهداف أسواق شعبية ومساجد وممتلكات عمومية إضافة إلى التجمعات السكنية، أصبح توظيف القاعدة في بلاد الرافدين لمجاهدين من الأردن، مصر، سوريا، اليمن وليبيا، حتى أخذ هذا التنظيم صفة إقليمية بمعنى تنظيم القاعدة في منطقة الشرق الأوسط، خاصة في ظلال سياسات العدائية للولايات المتحدة، واحتلالها للعراق وغزوها لأفغانستان، ودعمها لإسرائيل، وللأنظمة الاستبدادية في العالم العربي والإسلامي.

وتقوم المرتكزات الفكرية لتنظيم القاعدة في بلاد الرافدين على نفس نظرية الجهاد الإسلامي العالمي، التي تتمثل في:

- مساعدة المقاومة العراقية لمحاربة القوات الأمريكية.
- إقامة دولة تحكم بالشريعة الإسلامية في العراق قائمة على التيار الإسلامي السني.
- الجهاد الإسلامي عالمي، وأساس قوة الإسلام تتركز في أرض إسلامية واحدة.
- إقامة الخلافة الإسلامية، والتي تبدأ من إندونيسيا في الشرق حتى المغرب، وإسبانيا في الغرب، وصولا إلى تحرير جميع الأراضي الإسلامية.
- الجهاد يبدأ بـ"العدو القريب" وليس "العدو البعيد" كما كان "عبد الله عزام" يرى أن الجهاد من أجل تحرير أفغانستان يبدأ في الحقيقة ضد الحكام المسلمين الكفار "العدو القريب"، وليس ضد السوفيت "الجهاد البعيد"، لكن بن لادن وتنظيم القاعدة سيتبنيان في مرحلة لاحقة معادلة عكسية، باعتبار جهاد العدو البعيد "والذي سيصبح أمريكا" أولى من جهاد العدو البعيد "الحكام المسلمين"، وهو ما سبب الخلاف بين قاعدة العراق والقاعدة الأم.

عقب مقتل أبي مصعب الزرقاوي في جوان 2006، أصبح "**أبو حمزة المهاجر**" زعيم تنظيم القاعدة، وقد تم اختياره لاحقا وزير الحرب لـدولة العراق الإسلامية ونائب أول لأبي عمر البغدادي رئيس دولة العراق الإسلامية.

ولا يزال تنظيم القاعدة يتمتع بالحيوية العنيفة في رد الفعل على اغتيال قياداته، فبعد قتل "أبي مصعب الزرقاوي" جددت العملية رغبة الانتقام لعناصره المتشددة، عن طريق تصعيد المواجهات لتنفيذ المزيد من العمليات المسلحة الجريئة، ومنها تفجيرات أفريل 2010 لبعض المباني الحكومية في بغداد أهمها وزارة الخارجية العراقية، وبالتالي فإن عمليات تصفية بعض زعماء ورموز القاعدة من الصعب القول بأنها يمكن أن تجدي نفعا في القضاء على القاعدة، ومع بداية الحراك العربي 2010 تقوى التنظيم بدون أن يظهر، توجه العالم العربي نحو التطورات الحاصلة في المنطقة بما يسمى "بثورات الربيع العربي" وتأزم الوضع الأمني بشكل كبير في العراق وسوريا مما أدى لتأسيس حركة إرهابية أو ما يسمى بالموجة الثانية للحركات الإرهابية الإسلامية ومايسمى بـ"تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام" والمشهورة باسم "داعش".

ثانياً: تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" والموجة الثانية للإرهاب الإسلامي في منطقة الشرق الأوسط.

جاءت أحداث 11 سبتمبر وظهرت "القاعدة " ككابوس دولي على الدول الغربية، كان توجه الإدارة الأمريكية نحو أفغانستان والعراق مما ولدت تنظيمات فرعية للقاعدة كتنظيمي "**القاعدة في أفغانستان**" و"**القاعدة في بلاد الرافدين**" وتوجه الفرع الأخر نحو منطقة مهمة في العالم، تأسس تنظيم "**القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي**"، وصولا لما أنتجته المنطقة العربية من حراكا واسع على مستوى الأنظمة والشعوب بما يسمى بثورات الربيع العربي زادت وتيرة العنف أكثر خاصة في سوريا، أصبحت المواجهة

مباشرة بين النظام المساند من طرف إيران إقليميا والصين وروسيا دوليا والمعارضة بفصائلها الكثيرة والمساندة من طرف قوى إقليمية كتركيا وقطر والسعودية وعالمية كبريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة، وفي خضم هذه الفوضى ولدت حركة جهادية يراها العديد من المراقبون والملاحظين الدولين بأنها الأقوى والأعنف والأكثر تنظيما بما تسمى ب" تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام" والمعروفة "**داعش**"، استطاعت أن تتمركز في المنطقة في فترة وجيزة وتكون لنفسها معادلة معقدة يصعب حلها.

فالتنظيم إستفاد من الأزمة السورية بدرجة أساسية مما زرعته من أمل في نفوس السنة العراقيين بإمكانية التغيير والانتفاضة على حكومة أنور المالكي الذي ضيق الخناق عليهم كثيرا، وللإشارة فإن تنظيم الدولة يعتمد بشكل أساسي على صراع الهوية والعقيدة، فهو يدافع عن السنة المغلوبين منذ عشرية كاملة من الزمن 2004-2014من طرف السياسات الشيعية ضدهم، حيث إنهم يواجهون نظام "بشار الأسد" وحكومة "نوري المالكي" اللذين لديهما رافعة إقليمية هي إيران، ولديهما قوة مسلحة كحزب الله يتدخل لصالحهما، ولهم دعم دولي من روسيا والصين.

في خضم هذه التحولات المتسارعة والمتواترة على المنطقة بشكل عامة وسوريا بصفة خاصة أعلن "**أبو بكر البغدادي**"عن قيام دولة إسلامية في العراق أولا وفي أفريل 2013 توسعت نحو الشاموأصبح بعذ ذلك تنظيم يحلم بإقامة دولة خلافة إسلامية في العالم الإسلامي باعتبارها أغنى جماعة إسلامية في تاريخ الحركات الإرهابية الإسلامية حسب الباحث في شؤون الجماعات الإرهابية عبد الباري عطوان في مؤلفه "**الدولة الإسلامية: الجذور، التوحش والمستقبل**"[5]، كما طالب زعيم "**جبهة النصرة**"

---

(5) تحدث الباحث في مؤلفه عن هيكلية الدولة ورجالها، بل إن أهمية هذا التنظيم تجاوز ما يسمى بالربيع العربي، إضافة لقوتها المادية حيث يعتبر مصدر التمويل لتنظيم الدولة الإسلامية من حقول النفط ومصافيه في سورية والعراق، واستحوذت على مبالغ طائلة، من موجودات المصارف التي سيطرت عليها، ومن بيع المقتنيات الأثرية، ومن مبالغ الفدية التي دفعتها دول غربية =

الجولاني بالانضمام له من أجل تقوية التنظيم والمشي نحو حلم إقامة الدولة الإسلامية، وهو ماحدث عندما انقسمت جبهة النصرة واتجه العديد من عناصرها للتنظيم، فأصبح لديه قوة كبيرة في سوريا ومثلها في العراق، وبات هدفه السيطرة على المناطق الحدودية بين البلدين، حدث خلاف بين الجولاني والبغدادي حول الأهداف الاستراتيجية في المنطقة وفي الجانب التكتيكي والصراع على النفوذ في المنطقة، وفي خضم ذلك ظهر خلاف جذري بين **تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" وتنظيم القاعدة في بلاد الرافدين**، حيث كان الخلاف فيه جانبان الإيديولوجي والواقعي العملي، الخلاف هو بين خطين عميقين في التيار السلفي الجهادي، واحد تمثله القاعدة والآخر يمثله تنظيم الدولة الإسلامية.

يحمل كل من النصرة وداعش، فكرا متشددا تكفيريا جهاديا، يعملون بنهج السلفية الجهادية، ويؤمنان بقيام الدولة الإسلامية في الشام، إلا أن الفرق بين التنظيمين يكمن في قربهم من الواقع السوري ومراعاتهم لهذه الخصوصية، فالنصرة قامت مع المرحلة الأولى من الأزمة السورية في نهاية العام 2011، وتبرز ضغوط المعارضة السورية مع نهاية سنة 2012[(6)]، لتنتج لنا تنظيمات إرهابية كتنظيم داعش بعدها في أفريل 2013 ولكن

= لتسريح رهائنهم، كما تحدث الباحث عن " أبوبكر البغدادي" والمؤهلات التي منحته مرجعية لم يحظ بها أي زعيم إسلامي معاصر، فضلا عن خبرته العسكرية، وزعامته، وشخصيته الجذابة المؤثرة، مع قلة ظهوره إعلاميا، ويحتل البغدادي في المنظومة الجهادية، مكانة سامية كابن لادن، وأكد المؤلف بأن طائفية النظامين -العراقي، السوري- كانت سبباً في توجه أبناء السنة نحو الدولة، وخاصة سنة العراق الذين ذاقوا المرارات كلها على يد نور المالكي، كما تحدث عن علاقة تنظيم الدولة بكل الفصائل والميليشيات المتواجدة في المنطقة، ودور التنظيم في استقطاب مقاتلي أجانب من كل دول العالم، وقوة الإعلام المتوحش حسب الباحث والصورة الهوليودية العالية الجودة في قتل الرهائن ونموذج الطيار الأردني "معاذ الكساسبة" أحسن دليل على ذلك، وفي الفصل الأخير تحدث عن علاقة الغرب بالإسلام ومعادلة الدين في زيادة الرعب في المنطقة، للمزيد من الإطلاع انظر: عبد الباري عطوان، الدولة الإسلامية: الجذور، التوحش والمستقبل، بيروت: دار الساقي، الطبعةالأولى 2015، ص31.

(6) وليد عبد الحي، العالم العربي في 2013: الاتجاهات السياسية، مركز الجزيرة للدراسات، 10 جانفي 2013. ص4. (مستخرجة بصيغة (pdf).

بأقوى عتادا وخبرة ومالا كما يعتبره الكثير من الملاحظين بأن تنظيم الدولة الإسلامية تعتبر أغنى جماعة إسلامية إرهابية في التاريخ.

أما عن العلاقة التي تربط داعش بما يسمى "**الجيش السوري الحر**" فهي أكثر توترا ودموية من تلك التي تربط داعش بالنصرة، حيث وصلت سياسة تكفير "داعش" للأنظمة والدول والفصائل الى اعتبار أي فصيل في "الجيش الحر" من الكافرين، وقد دارت بين الطرفين معارك طويلة مع جميع الكتائب التابعة للجيش الحر المنتشرة على الأراضي القريبة من مناطق نفوذ داعش أو التي تقع على الخط التي رسمته داعش لدولتها الإسلامية، كما أن هناك علاقة جد متوترة مع الأكراد وجيش العمال الكردي في المنطقة.

بالرغم من أن العالم كله عرف الحركات الإسلامية الإرهابية عبر مر التاريخ المتستر تحت غطاء الدين إلا أن المخاوف من إرهاب"**داعش**"، أحدثت ردود فعل رسمية وأكاديمية أقوى من مثيلتها الماضية، لا يعود ذلك لتطرف داعش ودمويتها فقط، فخطورة المشروع "الداعشي" على دول المنطقة يكمن جوهره في تغيير استراتيجيته القتالية، فأغلب التنظيمات الجهادية والتي شهدتها منطقتنا -كانت استراتيجيتها وعقيدتها الفقهية والقتالية تعطي الأولوية لقتال "العدو البعيد" كدول الغرب كما في حال "تنظيم القاعدة" أي استهداف دول الغرب وفي مقدمتها الولايات المتحدة الامريكية، أما فيما يخص عن "داعش" فقد عكس الأولويات مخالفا نهج القاعدة، ووضع استراتيجيته على أن الأولوية الأولى تتمثل في قتال العدو القريب "الأنظمة العربية" وكل من لا يقبل بالفكر الجهادي أي الشعوب العربية حتى ولو كانت مسلمة الديانة، ومع اعتماد استراتيجية "**داعش**" على المذهبية والطائفية تضاعف الخطر، بما يعني أن خطة داعش وطموحها ترمي لتفكيك دول المنطقة وإعادة ترسيم حدودها، وإدخالها في حروب مذهبية طائفية طاحنة.

ثالثاً: التحولات الجيوسياسية في منطقة الشرق الأوسط بعد سنة 2011 وانعكاسها على التغير في ميزان القوة العالمية.

شكل عام 2011 نقطة فاصلة في تاريخ العلاقات الدولية المعاصرة ومرحلة مهمة ثانية بعد أحداث 11 سبتمبر وقطيعة محورية في تاريخ المنطقة العربية والشرق أوسط، إثر التغيرات الهيكلية والسياسية الكبيرة التي أطاحت بأنظمة جد متجدرة في كل من تونس، مصر، ليبيا واليمن على التوالي، وفيما تشهد سوريا حالة من المخاض البنيوي وعدم الاستقرار على المستويين الأمني والسياسي بما يهدد سلامة المنطقة الأوسطية بشكل عام.

هاته التطورات السياسية إنعكست بشكل كبير على التحولات الجيوسياسية في منطقة الشرق الأوسط بعد سنة 2011، دخلت فواعل إقليمية في نفق الصراعات الإثنية والعرقية والمذهبية الداخلية مما زادت من تعقيد خيوط التحالفات في الشرق الأوسط من خلال محاور متعددة سعودية، مصرية، تركية، قطرية، إيرانية وإسرائيلية مما تجدرت وتعقدت لعبة الموت في منطقة الشرق الأوسط من خلال التحالفات الثنائية والثلاثية بغض النظر عن التحالفات السياسية التحت-وطنية، فتلتقي المصالح أحيانا وتتصادم أحيانا أخرى، كما يظهر ذلك بوضوح في الأزمة السورية.

1 - حرب التحالفات الإقليمية على منطقة الشرق الأوسط

تسارعت الأحداث الدولية بشكل كبير في المنطقة العربية فبعد أحداث 11سبتمبر دخلت المنطقة العربية والأوسطية بشكل خاص في أحداث كرونولوجية أثرت بشكل كبير على الأمن الإقليمي من خلال التدخل الأمريكي في أفغانستان والعراق باسم محاربة الإرهاب وإعدام الرئيس صدام حسين ومقتل رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري وميلاد القاعدة في بلاد الرافدين وتعاظم قوة الميليشيات الشيعية في فترة حكم "أنور المالكي"، إضافة للصراع العربي الإسرائيلي وحرب صيف 2006

بين حزب الله وتل أبيب في جنوب لبنان وحرب غزة التي خرقت كل المواثيق الإنسانية والدولية في ظل صمت عالمي رهيب للمجازو الإسرائيلية في حق الشعب الفلسطيني، كرست هذه الحرب الإنقسامات بين القوى الإقليمية الفاعلة في الشرق الأوسط، وهاته الإنقسامات زادتها تعقيدا في سياق تداعيات ما يسمى بالربيع العربي عام 2011، برزت تحالفات إقليمية يمكن أن نحددها في محورين مهمين:

- المحور الإيراني وتحالفه بدول الهلال الشيعي وبمساندة روسية.
- المحور التركي السعودي المساند من طرف الإدارة الأمريكية.

وعليه سنحاول التفصيل في هذه النقطة وفقا لهذين المحورين البارزين في المنطقة فالمحور الإيراني السوري العراقي والذي يضم أيضا حزب الله اللبناني وما يسمى أيضا "بمحور المقاومة"، أما المحور الثاني فنشأ في خضم وصول الحركات الإسلامية إلى الحكم في عدد من البلدان، ويضم كلا من تركيا والسعودية وقطر ومصر وكان الهدف الأبرز لهذا المحور وقف الإمتداد الإيراني والشيعي في منطقة الشرق الأوسط، حيث برزت هذه التحالفات وفقا للأحداث الكبرى أبرزها التي نتج عنها إنقسامات بين دول المنطقة العربية والأوسطية حول أبرز القضايا أهمها:

- الخطاب الأمريكي ضد مكافحة الإرهاب " من ليس معنا فهو ضدنا "
- التدخل الأمريكي في أفغانستان والعراق.
- حرب صيف 2006 بين حزب الله وإسرائيل.
- الحرب الإسرائيلية على غزة، وموضوع المقاومة أو الجلوس في طاولة الحوار.
- الحراك العربي سنة 2011 أو مايسمى بثورات الربيع العربي.

أ - الدور الإيراني وعلاقته بدول الهلال الشيعي

احتلت السياسة الإيرانية في منطقة الشرق الأوسط مساحة كبيرة من النقاش في مواقع متعددة في العالم، ولعل طبيعة النظام السياسي الإيراني الذي ظهر بعد الثورة الإسلامية لعب دورا كبيرا في توجهاتها الإقليمية والدولية، خاصة بعد نجاح الثورة الإيرانية وظهور الجمهورية الإسلامية في إيران في العام 1979، وتعاضم قوتها وطموحاتها السياسية والاقتصادية والإقليمية، أصبح لإيران طموحات لتكون قوة إقليمية فاعلة(7)، كما تمثل جمهورية إيران الإسلامية حالة معقدة بالنسبة إلى العالم الخارجي، فمنذ الثورة الإسلامية سنة 1979، وعلاقات إيران مع جيرانها العرب والغرب كانت باردة ديبلوماسيا ومتوترة سياسيا، وأدى العداء المتأصل مع الولايات المتحدة وبريطانيا إلى نشوء علاقات عداء بين إيران ومعظم الدول العربية خاصة الخليجية، فالعلاقات الوثيقة بين دول الخليج والغرب جعلت الجمهورية الإسلامية في إيران تنظر إلى هذه الدول بوصفها أعداء محتملين.

كان من شأن الحرب التي استمرت ثمانية أعوام مع العراق أن عمّقت العداء بين إيران والغرب وكذلك مع العالم العربي كله باستثناء سوريا، وبعد 23 عاما من انتهاء الحرب مع العراق، ظلت علاقات إيران مع كثير من الدول العربية، لاسيما دول الخليج المجاورة لها، باردة وغير ودية كما كانت خلال الحرب. كما أن الصراع مع الغرب مستمرا بسبب المضايقات التي عانت من خلال ملفها النووي.

وقد ساهم التدخل الأمريكي في أفغانستان وصولا للعراق باسم "الحرب الأمريكية على الإرهاب" في تعزيز مكانة إيران كدولة إقليمية في المنطقة، كون هذان النظامان يشكلان خطرا وتهديدا مباشرا على أمن إيران مما كانت فرصة مناسبة للحصول على مكانة إقليمية ودولية، فبعد الإطاحة

---

(7) Ali Akbar Rezaei, Foreign Policy Theories: implications for the Foreign Policy Analysis Of Iran, in Irans Foreign Policy from Khatami to Ahmadinejad, Edited by A Ehteshami & M Zweiri, Itheca press, London, 2008, p16.

بنظامين العراق وأفغانستان من طرف القوات الأمريكية إستغلت إيران إنهيار النظام العراقي وإنشغال أمريكا في حربها في العراق، لتتحول إلى القوة الإقليمية الأبرز، و إلى فاعل سياسي رئيسي في المنطقة وهكذا مدت طهران يدها للعراق سياسيا مما أصبح النظام العراقي أبرز حليف لإيران في المنطقة، وهكذا استطاعت إيران بسط نفوذها الإقليمي، وأمست طرفا في تشكيل مستقبل العراق وبعض دول الجوار خاصة سوريا كونهما ينسجمان في الكثير من المواقف السياسية، كما أصبحت طهران مؤثرة في الوضع السياسي في لبنان من خلال الإمداد اللوجيستي لحزب الله وفلسطين لحركات المقاومة خاصة "**حماس**"، وهو ما جعل إيران بأن يكون لاعبا أساسيا في التشكيلة الجيوبوليتيكية الجديدة لمنطقة الشرق الأوسط الجديد.

وارتكزت آليات التنفيذ للسياسة الخارجية الإيرانية على تكوين وتجهيز وتمويل الأحزاب، شيعية كانت أم سنية، وهذا تبلور في تكوين وتجهيز وتمويل حزب الله وتجهيز وتمويل حركة حماس، فقد وجدت إيران أن هناك صعوبة لإدخال نفوذها في الجسد العربي بدون تحالف استراتيجي بينها وبين دولة عربية، وقد وجدت إيران ضالتها في تحالفها الاستراتيجي مع العراق وسوريامند عصر حافظ الأسد، تطور هذا التحالف الاستراتيجي إلى شراكة اقتصادية سياسية لتجذير النفوذ الإيراني في الشرق الأوسط، كما زاد تحالفاتها الاستراتيجية في دعم حركة المقاومة الإسلامية "حماس"وهذا لإضعاف منظمة التحرير الفلسطينية والسلطة الفلسطينية بشكل خاص.

بالرغم من التطورات الدولية التي جاءت بعد مرحلة 11 سبتمبر تبقى سنة 2011 الأعقد في مسار المشهد السياسي والإقليمي العربي، حيث لم تكن إيران بعيدة عن هاته الأحداث فبمجرد إنطلاق الإحتجاجات وتصاعد وتيرة الفوضى ودخول الطرف التركي في الأزمة السورية قدمت طهران دعما سياسيا لحكومة الأسد، باعتبار أن سوريا تمثل قاعدة استراتيجية بالغة الأهمية للنفوذ الإيراني في الجوار العربي المشرقي، حيث توفر نافذة على

المتوسط، وطريقا آمنا إلى لبنان وشريكا استراتيجيا مهما يعتمد عليه، وهذا مايجعل من إيران طرفا في الصراع العربي-الإسرائيلي، كما أن التحالف الإيرانيالسوري يعتبر ضمانة حيوية للنفوذ الإيراني في العراق.

فإيران تبذل كل جهد ممكن لمنع سقوط نظام الحكم في سوريا، كما أن إيران ترى حل الأزمة السورية من خلال إصلاح النظام حيث إن الإصلاح الذي تقبل به إيران في سوريا يوافق تصور النظام السوري تقريبا، بمعنى أن تنتقل سوريا لنظام سياسي أكثر انفتاحا، وبتعددية سياسية حذرة ومتحكم بها، ولا تمس بمكانة رئيس الدولة -بشار الأسد- وسلطاته الواسعة والأجهزة المرتبطة به.

كما أن حلم الامتداد الإيراني غير مقتصر في سوريا والعراق بل تسعى طهران الوصول لليمن كون ما يحدث اليوم في اليمن هو نتيجة لأخطاء متراكمة تعود لسنوات طويلة، تلك الأخطاء التي اشتركت فيها السلطات الحاكمة والمعارضة على حد سواء وعلى كافة الأصعدة السياسية والاقتصادية والثقافية وحتى الاجتماعية، مما شهد خلافات حادة بين مختلف المكونات السياسية حول قضايا متعددة ومنها عدم مشاركة كبار الأحزاب السياسية المعارضة في تحديد المستقبل السياسي لليمن، مما أنتج عنف سياسي في خضم الحراك العربي، بدأت الإحتجاجات المناهضة لحكم الرئيس الأسبق "علي عبد الله صالح" في جامعة صنعاء وامتدت حتى بقية المناطق اليمنية، وتوحدت الأحزاب السياسية والجماعات الدينية بما فيها الإخوان المسلمين و"**جماعة الحوثي**" المقربة من إيران وذلك تحت مطلب واحد وهو رحيل الرئيس صالح عن الحكم، حيث برزت قوى سياسية أهمها "**الاصلاحيون**" و"**الناصريون**" و"**الاشتراكيون**" و"**الحوثيون**"[8]، وكون تلك الثورة قامت لاقتلاع كل رموز الحكم،

---

(8) الحوثيون هم جماعة يمنية تتبع حسين بدر الدين الحوثي، وجاءت تسمية الحوثيون نسبة لمؤسس الجماعة حسين بدر الدين الحوثي، الذي درس في ايران وعاد إلى اليمن وكان يقدم المحاضرات والدروس لمرتاديه في محافظة صعدة، شمال اليمن والتي تعتبر المعقل الرئيسي =

واستمر الإنسداد السياسي حتى تم إسقاط الرئيس عبد الله صالح، وتوالت الأحداث بعدها ليصل الرئيس الانتقالي "**عبد ربه منصور هادي**" للحكم.

إلا أن الرئيس "**هادي منصور**" لم يسلم من الحوثيين مما وقعت احتجاجات شعبية بقيادة جماعة الحوثي تطالب برحيل الحكومة وزادت تلك الاحتجاجات واشتدت وتيرتها ووقعها حتى يوم 21 سبتمبر 2014، وتفاجأ الناس في العاصمة صنعاء بانتشار كثيف لمسلحين يتبعون جماعة الحوثي التي باتت تعرف اليوم بجماعة "أنصار الله" انتشارهم في عدد من المؤسسات الحساسة في الدولة، واعلنت وسائل الإعلام عن سيطرة الحوثيين على مبنى رئاسة الوزراء والاذاعة والتلفزيون الحكوميين، ومبنى القيادة العامة للجيش، ووزارة الدفاع وجميع الوزارات والبنك المركزي، ومختلف المؤسسات التي تتبع الدولة كما نصب الحوثيون نقاط تفتيش في مختلف مناطق العاصمة والمناطق التي كانوا يسيطرون عليها في محافظات وعمران، وحتى اليوم تستمر سيطرة الحوثيين على مختلف مناطق اليمن الشمالية، وذلك بالاتفاق والتنسيق مع الرئيس الإنتقالي عبد ربه منصور الذي صرح بنفسه أنه مورست عليه ضغوطا خارجية وكبيره أكبر من كل التوقعات، وكان لإيران الدور الأبرز في معادلة التحول السياسي في اليمن.

وعليه فدوائر صنع القرار في طهران يمتلكون مشروعا طموحا في المنطقة وفق استراتيجية واضحة وتزداد وضوحا يوما بعد يوم، فإيران هدفها الأساسي بعد السيطرة على اليمن هو تضييق الخناق على المملكة العربية السعودية وبذلك تحقيق حلمها في إقامة دول الهلال الشيعي[9]، بمعنى أن

= للأئمة الزيديين منذ القدم، وفي تلك الفترة تشكلت جماعة الشباب المؤمن في بداية التسعينات، وتلقت الجماعة دعما كبيرا من ايران ومن الرئيس السابق على عبد الله صالح وذلك لمواجهة التمدد السلفي في المنطقة.

(9) الهلال الشيعي مصطلح سياسي استخدمه الملك الأردني عبد الله الثاني للواشنطن بوست وأثناء زيارته للولايات المتحدة في أوائل شهر ديسمبر عام 2004، عبّر فيه عن تخوفه من وصول حكومة عراقية موالية لإيران إلى السلطة في بغداد تتعاون مع طهران ودمشق لإنشاء هلال يخضع للنفوذ الشيعي يمتد إلى لبنان ويخل بالتوازن القائم مع السنة، ورأى في بروز هلال شيعي =

إيران بسيطرتها على اليمن بواسطة الحوثيين قد تمكنوا من السيطرة على القرار السياسي في اليمن بجانب دول مثل العراق وسورية ولبنان ومحاولاتها للتغلغل في البحرين بواسطة حلفائها في المنطقة.

وعليه يمكن القول بأن الدولة الوحيدة التي إستفادت من مرحلة مابعد أحداث 11 سبتمبر هي إيران، فانشغال أمريكا بما تسميه الحرب على الإرهاب جعل إيران تسرع في خطاها نحو امتلاك القدرات النووية، وترتيب البيت الداخلي سياسيا واجتماعيا، وتعزيز نفودها ومصالحها في المنطقة[10]، فمرحلة ما بعد 2011 الاستراتيجية لإيران جاءت من إستفادتها من مرحلة مابعد 2001، فاستطاعت أن تتغلغل داخل دول الشرق الأوسط وتحلم أكثر في توسيع مشروعها الفارسي، وعليه يبقى الدور الإيراني يحتاج لدراسات معمقة من أجل فهمه، لأن إعتماد إيران على المقاربة الدينية والنووية لا يمكن أن تنجح وتتعمق في منطقة بغير الشرق الأوسط.

ب - الدور التركي وعلاقته بالسعودية

رغم أن الأتراك والعرب عاشوا معا مدة تزيد عن أربعة قرون في ظل دولة واحدة هي "**الدولة العثمانية**"، ورغم المصالح المشتركة التي تربطهم في العصر الحديث بحكم الجوار الجغرافي وعوامل الثقافة والدين والتاريخ، إلا أن العلاقات التركية - العربية ومنذ نهاية الحرب العالمية الأولى كانت تشوبها القلق والسلبية والشك، وكانت الرؤية المتبادلة بين الأتراك والعرب في مقدمة العوامل التي أدت إلى انغلاق كل طرف عن الآخر، إلى حد جهل كل طرف بالآخر[11]، ومع تغيرات المتتالية لمنظومة

= في المنطقة ما يدعو إلى التفكير الجدي في مستقبل استقرار المنطقة، وهو ويمكن أن يحمل تغيرات واضحة في خريطة المصالح السياسية والاقتصادية لبعض دول المنطقة.

(10) ضيف الله الضعيان، العلاقات الأمريكية الإيرانية الوجه الآخر، الرياض: مجلة العالم الإسلامي، عدد خاص، 2009، ص230.

(11) هيثم الكيلاني، تركيا والعرب دراسة في العلاقات العربية التركية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية- سلسلة الدراسات الاستراتيجية، العدد 6، ص7.

الحكم في تركيا ومجيء **"رجب طيب أردوغان"** الذي كان له تصور استراتيجي آخر هو العودة لأمجاد الماضي من خلال بناء الحاضر.

فتركيا الدولة العضو في حلف شمال الأطلسي والساعية بشكل حثيث للإنضمام إلى "الاتحاد الأوروبي"، وذات العلاقات التجارية والديبلوماسية مع إسرائيل تشكل داعماً كبيرا لقوى الاعتدال وإن شهدت العلاقة معه من حين لآخر توترات ما، فتركيا تتنافس مع السعودية على زعامة العالم الإسلامي ومن هنا تطرح نفسها كحام للحقوق الإسلامية نظرا لتاريخها الطويل في المنطقة، عندما بسطت سيطرتها عليها لحوالى 400 عام.

وفي ظل سيطرة ونفوذ حزب العدالة والتنمية في تركيا، والذي يتلاقى مع فكر الأخوان المسلمين في المنطقة العربية من حيث التوجهات السنية والتصورات التاريخية حصل تلاق كبير بين تركيا والسعودية ومصر وقطر، خاصة مع بروز القوى الإسلامية إثر الحراك العربي، أصبحنا نرى تركيا مثلا تدعم فكرة التدخل الخارجي في سوريا وترعى المعارضة السورية الخارجية وتحتضنها على أراضيها منذ بداية وتيرة العنف في سوريا.

وخلال الأشهر الأولى من الأزمة السورية، دأبت تركيا على مطالبة النظام السوري بإجراء إصلاحات تشريعية ودستورية وسياسية جوهرية في بنية النظام، وذلك بصفة تركيا حليفة وثيقة ومجاورة لسوريا، إلا أن لقاءات المسؤولين الأتراك المتكررة بالرئيس السوري لإقناعه بذلك لم تفلح في تحقيق ما تأمله الأتراك، إلا أن تزايد أعداد الضحايا على يد قوات النظام السوري، مع تكرار نداءات المتظاهرين السوريين لتركيا بالتدخل، أدت إلى تلاشي الثقة بين أنقرة ودمشق، فبعد نقاشات ماراطونية بين "داوود أوغلو" و"وليد المعلم" إقتنعت تركيا بعدم جدوى السلطة السورية في الإصلاح، وبعد التفكير في حدود جدوى التدخل التركي على الأزمة السورية وتداعياته، تدخلت تركيا تقنيا من خلال مساعدة المعارضة السورية وتقديم الدعم لها.

تركيا وجدت الطريق مفتوحة أمامها للتحرك في منطقة الشرق الأوسط، في ظل التنافس والتصادم ما بين إيران وإسرائيل على الأدوار والمصالح، واستمرار حالة الانقسام العربي، وعليه اتبعت تركيا في استراتيجياتها، منذ وصول **"حزب العدالة والتنمية"** إلى سدة الحكم، سياسة القوة الناعمة والتمدد شرقا وجنوبا، وتمكنت من إبرام اتفاقيات ثنائية مع العديد من الدول العربية، ومن تعزيز التعاون السياسي والاقتصادي، خاصة مع السعودية محور دول الخليج العربي، كونها بلغت السعودية في السنوات الأخيرة قمة التمركز في منطقة الخليج العربي والشرق الأوسط، حيث ظهرت قوة إقليمية، وانخرطت بقوة في كواليس الأزمات الشرق أوسطية خاصة مع الطرف التركي وهذا بسبب الإنسجام الحاصل في تصوراتهما تجاه الأمن الإقليمي، حيث عملت الرياض على ملء ما تبقى من فراغ استراتيجي لتعيد بذلك صياغة توجهاتها مع أنقرة لتحقيق دور جغرافي وسياسي باتجاه عمقها الحضاري والتاريخي في الشرق الأوسط، لا سيما في ظل قصور أنظمة عربية ظلت رهينة التدخلات الخارجية وعجزت عن تأدية واجبها في ممارسة دور إيجابي يحقق تطلعات شعوبها ويكفل الأمن والاستقرار في الشرق الأوسط.

ويمكن القول إن محددات الدور التركي في منطقة الشرق الأوسط تعود إلى حالة الفراغ التي تسود المنطقة بعد انهيار النظام الإقليمي العربي، والتفكك والتردي الذي اعترى الوضع العربي بشكل عام، وخصوصا بعد الاحتلال الأميركي للعراق في عام 2003، ويصاحب ذلك ترويج أمريكي وغربي واضح للدور التركي الذي يمثل "إسلاما علمانيا" رحبت به أوروبا وشجعته أمريكا، وروجت له كبديل لما سمته "الإسلام الأصولي"، وقد زادت أسهم "أردوغان" في العالم العربي، وعاد من جديد مصطلح عودة الدولة العثمانية ليطل برأسه في إعادة اعتبار ربما لحقبة كانت قبل الدولة الوطنية الحديثة، ولينافس بقوة الدور الإيراني الذي يمثل هاجسامقلقا للجميع، فهل يقبل العرب المتساوقون مع المشروعات الغربية راعيا

إسلاميا تركيامعتدلا بالمفهوم الغربي كبديل لراع فارسي إيراني شيعي يتزعم المقاومة الممانعة.

الواقع هو أن الانقسام العربي، وغياب التنسيق والتعاون، وتعطيل آليات ومؤسسات العمل العربي المشترك، أسهم في نشوء حالة من الفراغ وانسداد الأفق، الأمر الذي أتاح المجال لبروز قوى إقليمية كالسعودية وتركيا والتفاعل الديبلوماسي المتواصل والكبير بينهما، باتت هاتين الدولتين تلعبا دورا هاما في المنطقة، وصارت دولة مثل تركيا تمتلك أدوارامحورية في منطقة الشرق الأوسط خاصة في ظل تعاظم التحالف السعودي معها، كون تركيا ليس لها عدو واضح باستثناء السلطة السياسية في سوريا كونها إتبعت استراتيجية ملء الفراغات بناءا على موقعها ومكانتها الديبلوماسية بين الدول من خلال سياسة إنهاء الاشتباكات البينية بين الدول وتصفير المشاكل معهم، وتعزيز مبدأ سياسة السلام الإستباقية.

كما يشكل ملف العراق والقضية الكردية لا شك أحد الملفات الأساسية في الأجندة السياسية للتوجهات التركية في منطقة الشرق الأوسط، وتحديد طبيعة العلاقة بين تركيا وجوار العراق العربي والإيراني، ولعل أحد أهم الأسباب التي دفعت بتركيا إلى عدم المشاركة في احتلال العراق سنة 2003، خوفها من تغير تشكيل خارطة جديدة في المنطقة لأن أنقرة كانت تخشى فعلا من تغير خريطة العراق في حال احتلاله.

وحدث ما تخوفت منه تركيا، وتم تقسيم العراق تحت الصيغة الفدرالية التي أنتجت الفدرالية الكردية مما طالب أكراد تركيا بما يشبه نظام الولايات الذي لاينسجم مع التقسيم الإداري التركي ومدخلا مهما للمطالبة بالحكم الذاتي، في إطار رفض التقسيم العرقي والمذهبي حددت تركيا موقفها من العراق، فدعت أولا إلى إعادة الاعتبار للدولة المركزية، وأن تكون حكومة بغداد هي المرجعية المركزية للدولة، لا حكومات الأقاليم، كما تشدد على وحدة الأراضي العراقية.

واستخلاصا، يمكن القول إن الدور التركي في منطقة الشرق الأوسط لا يجد معارضة من طرف الولايات المتحدة الأميركية لماتعتبره يشكل ثقلا موازيا للدور الإيراني في المنطقة الذي يلقى معارضة الولايات المتحدة الأميركية، وكون حليفه السعودي يلقى رضا إدارة البيت الأبيض، كما أن الطموح التركي في إسترجاع الدولة العثمانية على حساب الطموح الفارسي يبقى قويا، وبالتالي الصراع الدائر في منطقة الشرق الأوسط أعمق من المعادلة الاقتصادية وأشمل من الحرب الدينية بقدر ماهي تكريس لصراع الحضارات.

2 - المسيحية الأصولية ومرحلة مابعد أحداث 11 سبتمبر: استراتيجية التغلغل في المنطقة.

ما حدث في 11 سبتمبر يعتبر أهم حدث تاريخي بعد نهاية مرحلة الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفياتي وكان نقطة تحول كبرى أعطى قوة دفع هائلة للمشروع الإمبراطوري الأمريكي الذي لا يريد أن يسمح لأي قوة بالظهور أو منافستها خاصة الصين أو الاتحاد الأوروبي، هذه الأحداث سهلت مهمة واشنطن في السيطرة على أجزاء كبيرة من منطقة الشرق الاوسط بدءا من أفغانستان من خلال توجهات الإدارة الأمريكية بقيادة الرئيس بوش الابن(12).

كما أدت أيضا أحداث 11 سبتمبر تواصل الصهيونية العالمية من خلال توافق التصورات العقدية الدينية لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية من خلال توجهه للمسيحية الأصولية وانسجامها مع بعض اللوبيات اليهودية داخل مراكز القرار الأمريكي، ، تمت حياكة المؤامرات وتحسن فبركة أحداثها وصياغة قصص تسويقها المثيرة والمؤثرة في تعبئة الرأي العام

---

(12) أحمد عمرابي، التحدي الأمريكي: أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام 2001 أهم وأخطر حدث في القرن الواحد والعشرين ونقطة تحول عظمى في سياسة الولايات المتحدة الأمريكية (القسم الرابع)، مجلة المتابع الاستراتيجي، العدد 10، ص03.

الغربي والعالمي السياسي والشعبي خلف الإدارة الأمريكية ذات التوجه المسيحي الأصولي المنسجم مع الحركات الصهيونية.

فبعد التداعيات الجيواستراتيجية لهجماتسبتمر 2001 التي دخل التاريخ المعاصر معها عهدا جديدا ومختلفا عما قبله، بدأت معه مرحلة مستحدثة سميت بـ "استراتيجية الحرب على الارهاب»، بموجبها دخلت لأفغانستان مما أدى للنجاح الأميركي السريع في القضاء على حركة "**طالبان**" دافعا قويا لتنيشط فكرة الاعتماد على مبدئي "**الحروب الوقائية والاستباقية**" وتوظيف كل واحدة منهما في فترة زمنية معينة من خلال المعطيات التي تملكها الإدارة من أجل ضمان الأمن القومي الأميركي وعدم تكرار ما حدث في 11 سبتمبر[13].

تبلورت استراتيجية الأمن القومي الجديدة القائمة على "**الحروب الاستباقية**" قبل هجماتسبتمبر وظهرت إلى العلن مع الدخول الأمريكي نحو أفغانستان والعراق، وبالتالي أعطت الولايات المتحدة لنفسها الحق في مكافحة الإرهاب لتبرير حروبها الاستباقية ضد بعض الدول التي تأوي أو تساعد هاته الجماعات،، حدث خلط بين الحرب ضد الإرهاب وبالمواقف من الدول المارقة ودول محور الشر.

وانطلاقا من استراتيجية الحرب الوقائية التي وضعتها إدارة الرئيس بوش صدر في مارس 2002 تقرير وزارة الخارجية الأمريكية ووضع أربع دول عربية في قائمة الدول محور الشر والراعية للإرهاب وهي العراق وسوريا وليبيا والسودان، متهما إياها بامتلاك أسلحة كيماوية وبيولوجية

---

(13) ومن أجل الإطلال على هذا الربط العقائدي شديد الخطورة ما بين الأصوليتين المسيحية واليهودية نقرأ، مقالا في صحيفة "واشنطن بوست" News paperWashignton Post الأمريكية بتاريخ 13-10-2002 ينقل فيه كاتبه "جرشوم غورنبرغ" عن الكاهن الإنجيلي المتطرف "شوك ميسلر" قوله: «إن إسرائيل تلقى تأييدا من المسيحيين الأصوليين في أمريكا أكثرمما تلقى من المواطنين اليهود أنفسهم..» ثم ينقلعن القس الأصولي "جفري فالويل" أن هذا التعاطف مع إسرائيل «يعود لكونها دليلا على صحة عقيدةالمسيحيين الأصوليين القائلة ببعث أمة إسرائيل».

والمحاولة للحصول على السلاح النووي، بينما سكت التقرير على امتلاك إسرائيل لجميع أسلحة الدمار الشامل النووية والكيماوية والبيولوجية بما فيها الغواصات النووية الإسرائيلية التي أخرجتها في حربها على غزة سنة 2009.

وقد أفرز سقوط حركة "**طالبان**" تمركزا أمركيا كثيفافي منطقة آسيا الوسطى، هذه المنطقة شديدة الأهمية من العالم، بعد إسقاط حركة طالبان توجهت العدسة الأمريكية من أجل إسقاط أقوى ديكتاتورية في منطقة الشرق الأوسط، جاءت الحملة الأميركية المحمومة لشن الحرب ضد العراق، باعتبارها إستهلالا لما أسمته الإدارة الأميركية المرحلة الثانية من الحرب على الإرهاب بعد المرحلة الأولى في أفغانستان وكان واضحا جدا أن هذه الحملة لا علاقة لها في واقع الأمر بمكافحة الإرهاب، إذ لم يثبت تورط العراق في أحداث 11 سبتمبر على رغم المساعي الأميركية المحمومة لخلق مثل هذه العلاقة.

ولكن مما يبدو أن الهدف الأساسي من الحرب على العراق هو الإستيلاء على النفط العراقي والقضاء على الدولة القومية والحزب القومي البعثي برئاسة "**صدام حسين**" الذي كان يقلق إدارة تل أبيب وكل الأحزاب الإسرائيلية التي ترى هذا الحزب أخطر من ميليشيات المقاومة الشيعية بما فيها "**حزب الله**" مما سعت اللوبيات اليهودية والمسيحية الأصولية داخل إدارة البيت الأبيض الأمريكي بضرورة مسح الهوية القومية للعراق ورسم خريطة جديدة له وللمنطقة العربية التي كانت أسوأ بكثير من خريطة "**سايكس بيكو**"، وعليه فقد كانت هناك شكوك قوية منذ البداية حول الأهداف الحقيقية لهذه الهجمة الأمريكية ضد العراق سنة 2003، ومن هنا جاءت معارضة القوى الأساسية في الاتحاد الأوروبي لهذا السلوك الأميركي وتحالفه القوي مع إسرائيل، الهادف إلى قلب موازين العلاقات الدولية في اتجاه واحد، من خلال لعب واشنطن دور الشرطي الدولي لتكريس نفوذها، إذ تدخلت واشنطن في اكثر من منطقة من العالم لتثبيت

النفوذ الأميركي فيها، وصولا لثورات مايسمى بالربيع العربي وتسيير ملف الأزمة السورية منذ بدايته إلى غاية بداية سنة 2015 محاولة الإدارة الأمريكية بتشكيل بنية جديدة للنظام الدولي وفقا لهذه الأزمة وحرب تحالفاتها داخل المنطقة[14].

3 - التحالف الإسرائيلي الأمريكي ومعادلة الصراع والسلام في الشرق الأوسط.

بعدما شهدته المنطقة العربية من تطورات عقب مايسمى "بثورات الربيع العربي" بدا الغرب وعلى رأسها الولايات المتحدة موقفها مرتبكا من الحراك العربي بعد سنة 2010، خاصة في مصر وتونس وليبيا واليمن وسوريا والبحرين،، إستدرك أخطاءه بعدما عمت الفوضى في المنطقة وأقر بضرورة التدخل من أجل حماية الشعوب من المواجهة العنيفة والمباشرة بين الأنظمة السياسية والمعارضة خاصة في الحالتين الليبية والسورية، إضافة للصراع الفلسطيني الإسرائيلي الذي أخد إهتماما واسعا في الأجندات الأمريكية. وعليه حظي الصراع الإسرائيلي الفلسطيني باهتمام خاص من جانب الولايات المتحدة الأمريكية خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر، ومن هنا جاءت خريطة الطريق وغيرها لتسوية الصراع بين الطرفين، إضافة لاستعداد إدارة البيت الأبيض من بوش الأب، كلينتون بيل، جورج بوش الابن وصولا لباراك أوباما للعب دور مؤثر ونشط في تسوية الصراع إلا أن سرعان ما تلغي تل أبيب مشاريع التسوية أمام صمت الإدارة الوسيطة الأمريكية وفي بعض الأحيان مدافعة عن الموقف الإسرائيلي وهذا لسبب تقييد بمصالح وأهداف إسرائيل، دون الاعتراف بمصالح وحقوق الطرف الفلسطيني الذي عاني الكثير من جراء هذا

---

(14) محمد فايز فرحات، السلوك الصيني-الروسي إزاء موجة الربيع العربي: قراءة في ما وراء المصالح الإقتصادية، في التداعيات الجيواستراتيجية للثورات العربية، كتاب جماعي، أحمد سعيد نوفل وآخرون، بيروت: المركز العربي للدراسات والأبحاث، الطبعة الأولى، فيفري 2014، ص269.

الانحياز الامريكي وهذا دليلا مدى التطابق أوالتوافق في الموقفين الأمريكي والإسرائيلي إزاء قضايا الصراع الإسرائيلي الفلسطيني(15).

وعليه يرى المفكر الأمريكي "**ستيفن والت**" بأن السياسة الأمريكية من أكثر السياسات التي سعت إلى تدشين عمليات السلام بين أطراف الصراع خاصة بين الطرفين الفلسطيني- الإسرائيلي كما لعبت الدبلوماسية الأمريكية دورا هاما وبذلت جهدا هائلا في إعداد المسرح للمفاوضات العربية الإسرائيلية الساعية إلى تسوية الصراع في إطار هدف أمريكي أكبر هو إعادة تشكيل الأوضاع والتوزانات والانظمة الإقليمية في منطقة الشرق الأوسط(16)، هذا التصور الأكاديمي الذي حمله ستيفن حاولت واشنطن تسويقه بكل الوسائل وإبرازه في الصراع العربي الإسرائيلي، وتبييض صورة تل أبيب في الفضاء العربي.

فحرب التحالفات في منطقة الشرق الأوسط باتت واضحة أمام العالم خاصة بعد تأزم الوضع السوري، وظهور الفاعلي التركي والإيراني زاد من حدة التكتلات، مما جعل إسرائيل تسرع لكسب تأييد البيت الأبيض في كل تحركاتها ومواقفها وبعد سنة 2010 تركزت مباحثات "نتنياهو" و"أوباما" على إحياء "عملية السلام" كما جاء التركيز على في التحالف الإسرائيلي الأمريكي على وقف مد إيران في المنطقة مما أنتج موافقة أمريكية سريعة لكا طلبات تل أبيب، ليثبت التاريخ بأن الرئيس الأمريكي استسلم تماما لإرادة إسرائيل وإملاءات الدولة العميقة ورجالات الاستخبارات واللوبي اليهودي في أمريكا.

وفي ضوء تلك التطورات وما تمخضت عنه محاولات نستنتج أن الحليفين الأمريكي والإسرائيلي إتفقا فيما بينهما على التعاون والتنسيق

---

(15) محمد سعد أبو عامود، بعد مرور عام على انتفاضة الأقصى: استراتيجيات إدارة الصراع وسيناريوهات المستقبل، شئون الأوسط، العدد 27، 2001، ص20.

(16) وليام كوانت، معضلة صنع السلام: إدارة كلينتون والمفاوضات العربية- الإسرائيلية، دراسات فى الأمن والاستراتيجية، العدد 7أفريل1994، ص1.

بهدف إدارة الصراع العربي الصهيوني وليس حله، وهذا يعطي إسرائيل الضوء الأخضر والمزيد من الوقت لاستكمال مشروعها الإستيطاني، وتحضير الرأي العام العالمي للقيام بعملية تطهير عرقي واسعة ضد عرب فلسطين، والتحضير للقيام بعملية عسكرية ضد إيران في غضون السنوات المقبلة[17].

فالتحالف الأمريكي الإسرائيلي قائما وفق خطط استراتيجية أمريكية بعيدة المدى أهمها:

- جمع المعلومات المتعلقة بأمكنة تواجد المنشآت النووية الإيرانية.
- متابعة كل تحركات الفواعل الجديدة خاصة إيران وتركيا.
- الإقتراب من منشاءتها البترولية وقواعدها العسكرية المتمركزة في المنطقة خاصة في الخليج.
- إدارة الصراع العربي العربي الحاصل في المنطقة، خاصة الأزمة السورية.
- التمركز الاستراتيجي تحت دريعة مكافحة الحركات الإرهابية الأصولية "القاعدة" و"داعش".
- قيام أمريكا بإجراء مناورات عسكرية مشتركة مع إسرائيل وبعض من دول المنطقة واختبار قوتها داخل دائرة الصراع الكبرى في المنطقة.
- محاولة إدخال الديبلوماسية العربية في حرب التناقضات والتصورات، وجعل كل البناءات الوظيفية التابعة لها تسير رهن إشارتها خاصة الجامعة العربية ومجلس التعاون الخليجي.
- محاولة إبراز الدين الإسلامي العلماني الذي يقترب من المسيحية في التصورات الحياتية الدنياوية والقضاء على الدين الإسلامي السلفي

---

(17) عبدالحفيظ عبدالرحيم محبوب، مستقبل الاستراتيجية الأميركية في الشرق الأوسط بعد انهيار الإسلام السياسي، نُشر في 07/ 04/ 2014، جريدة العرب اللندنية، العدد: 9521، ص6.

من خلال تشويه صورته إعلاميا بإسقاطه لمفهوم الدم والحرب.

وفي ضوء المعطيات السابقة نعتقد بأن الولايات المتحدة الأمريكية سوف تطرح مشاريع جديدة للتسوية بإيعاز من الإدارة الإسرائيلية محاول أن تمزج بين مشروعات التسوية السابقة "مدريد 1991"، "أوسلو 1993" التي ساهمتا بشكل كبير في تعزيز نفوذ الإدارة الأمريكية في المنطقة[18]، إضافة "للمبادرة العربية 2002" و"خريطة الطريق 2003" وكل مشاريع السلام التابعة إلى يومنا هذا ومستقبلا، لكي تعطي الفرصة لواشنطن من خلال بوابة إسرائيل للتموقع أكثر في المنطقة، حيث الإدارة الأمريكية لن تجد حليفا استراتيجيا أحسن من إسرائيل في الوقت الراهن، كون نقاط المشتركة والإتفاق بينهما أكثر من نقاط الإختلاف.

فبعد الإنسحاب الأمريكي من العراق سنة 2011 ومن أفغانستان 2014، توجهت الإدارة الأمريكية بتعزيز العلاقات الثنائية بشكل أعمق مع دول المنطقة، كما كان منصوص عليه في برنامج السياسة الخارجية للرئيس "باراك أوباما" مع الحفاظ على علاقات أكثر تعاونية مع الطرف الإسرائيلي، سعيا منها للحفاظ الأمريكي على كافة التوازنات والتحالفات الإقليمية البينية.

والإشكال الكبير الحاصل اليوم أن ما تبقى لإدارة باراك أوباما في البيت الأبيض لن يكون كافيا لإنجاز مهمة السلام وهذا بسبب تراجع الدور الأمريكي الواضح في المنطقة وهذا التراجع سوف يسبب له إحباطا، خاصة في ظل فشل مفاوضاته في إيجاد حل سلمي داخل سوريا، فقدت كل الأطراف الثقة في واشنطن إضافة لبروز إرهاب "داعش" للميدان مما قد يؤدي به لاتخاذ خطوات خطيرة العواقب لو يتعمق أكثر في الأزمة السورية، فأوباما أراد الحفاظ على بعض المقومات الاستراتيجية أهمها

(18) علي عقلة عرسان، الصراع العربي الصهيوني: حاضرا ومستقبلا، مجلة الفكر السياسي، العدد 3، 2001، ص6.

القواعد العسكرية والمنشأت البترولية والملف النووي الإيراني والعلاقات الجيدة مع العديد من الدول الخليجية وملف دولة كردستان المتأزم للرئيس المقبل الذي سيواجه خطر نهاية الفوضى وحلم الشرق الأوسط خاصة بعد تسليم مفاتيح السلطة لأفغانستان والعراق مما أصبح لايوجد أي مبرر لبقاء الولايات المتحدة في المنطقة، والإنتقال لمناطق أخرى من العالم أهم أولويات الإدارة الأمريكية مطلع سنة 2015ال الكما دول بحر قزوين خصوصا ومنطقة الساحل الإفريقي، فالولايات المتحدة لن تجد أحسن حليفا من إسرائيل من تسليم القضايا الشائكة في المنطقة وهذا من أجل التغلغل الإسرائيلي أكثر برعاية أمريكية في المنطقة، والكثير من الدراسات تسوق لفكرة التراجع الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط، إلا أنني أرى بان إسرائيل فيدرالية أمريكية في منطقة الشرق الأوسط.

إضافة لكل هذا نجد حماسة ملفتة من قبل واشنطن لتجميع دول المنطقة في حلف يتخطى حدوده الجغرافية، فقد شجعت أميركا الحلف التركي - الإسرائيلي ودعمته وأمنته من شرور المعارضات العربية والإسلامية، وعززت الحلف السعودي - المصري من أجل توقيف المد الإيراني كما عملت على ترسيخه بتهيئة بعض الدول العربية السنية للإنضمام إليه وتسويق صورة الوحش الشيعي الإيراني في المنطقة، وبطبيعة الحال فإن هذان الحلفان تعتمد عليهما الإدارة الأمريكية بشكل واسع وكبير مع إعطاء الأولوية لإسرائيل ضمن هذا الرباعي.

فمستقبل إسرائيل في المنطقة قائم على مبدأ التحالف والتناور كون لم يتخلى الإسرائيليون عن حلمهم الأسطوري بتحقيق "**دولة إسرائيل الكبرى**"، حيث لا يزال الاقتصاد الإسرائيلي اقتصاد معونات، وإسرائيل تريد استغلال الفوضى العالمية الراهنة بما فيها التطورات الحاصلة في المنطقة العربية للخروج من هذه الوضعية ومحاولة تبييض صورتها أمام الرأي العام العالمي، هذا الخروج الذي يقتضي إلصاق المصالح الإسرائيلية بالأميركية وتعزيز التوظيفات والاستثمارات اليهودية اتجاه الاستثمارات الأميركية في

المنطقة، حيث تتركز راهنا في منطقة القوقاز بما يجعل إسرائيل مستفيدة من أي استراتيجية يمكن للولايات المتحدة اعتمادها.

هذا التصور التي تتبناها الاستراتيجية الإسرائيلية وتحالفها بالولايات المتحدة الأمريكية يحقق لها مكاسب عديدة وفي طليعتها نهاية السيطرة العربية على الشرق الأوسط، وهذا من شأنه أن يساعد إسرائيل على اختراق حاجز العزلة العربي القائم في وجهها منذ إعلانها خاصة في ظل تأزم العنف الطائفي والصراع العربي العربي، وبالتالي تستمر في دور الشريك الاستراتيجي للولايات المتحدة في إدارة الأزمات لدول منطقة الشرق الأوسط.

خاتمة واستنتاجات الدراسة:

وخلاصة للقول نستنتج بأن لعبة الموت في منطقة الشرق الأوسط بدأت مع نهاية الحرب الباردة وتكرست بفعل التوجهات الدولية والإقليمية بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، ومع التطورات التي حصلت في المنطقة خاصة في ظل حكم المسيحي الأصولي المتطرف بقيادة جورج بوش الابن وتوسع دائرة العنف الطائفي وتغذية كافة الصراعات الدينية، مما نتج مفهوم التطرف والتطرف المضاد ونشوء الجماعات الإسلامية الإرهابية وامتدادها على كافة المنطقة، حتى أصبحت تسمى منطقة الشرق الأوسط بمنطقة الموت، بمعنى كل الصراعات الجيوسياسية والاقتصادية والعقائدية تختزل في هاته المنطقة.

وكما تعتبر سنة 2011 نقطة فاصلة في تاريخ المنطقة بعد السقوط الغير المتوقع والمفاجئ لأقوى الأنظمة العربية تماسكا من حيث البنية والهيكلة النظمية، أينقدمت الولايات المتحدة دعمها الكامل لأنظمة الإسلام السياسي الإخوانيالتي خطفت الإنتفاضات العربية من الشباب الذي قاد هذه الإحتجاجات، مما أدى لنجاح "الإخوان المسلمون" في السيطرة على الحكم بسهولة عبر بوابة الديمقراطية في كل من تونس، ليبيا ومصر،

ولكنهم لم ينجحوا في التمسك بالحكم بعد ذلك، فقادتشعوب المنطقة الثورة المضادة وانتفاضة واسعة ضد حكم الإخوان، وتدخل الجيش لدعم تلك الانتفاضة الشعبية خاصة في النموذج المصري.

من هنا ظهرت حرب التحالفات التي زادت من تعميق اللعبة داخل المنطقة وسالت حنفية الدم بغزارة خاصة بعد تعقد وتأزم الوضع الأمني في سوريا وميلاد حركات أكثر تطرفا وهمجية في تاريخ الحركات الإسلامية الإرهابية، حيث وجدت بعض منها دعما خليجيا بقيادة السعودية، قطر، الإمارات والكويت، وهو دعم أربك الخطط الأميركية التي عولت على جماعة الإخوان المسلمين في رسم سياساتها المستقبلية في منطقة الصراعات الكبرى في العالم، وعليه ظهر صراع خفي من أجل إبعاد الولايات المتحدة الأمريكية وتضييق الخناق عليها كونها تدرك المملكة مدى الضرر التي ألحقها احتلال الولايات المتحدة بالعراق سنة 2003حين تم تسليمها على طبق من ذهب لإيران، واتخذته بوابة للإمتداد الجيوبولتيكي وحلم تكوين هلال شيعي قوي في المنطقة من خلال حلفها الاستراتيجي مع النظام السوري وحزب الله في لبنان وحماس في فلسطين والحوثيين في اليمن.

وبالمقابل من طموحات طهران برز الفاعل التركي الذي حلم بإسترجاع الدولة العثمانية وكثف من زياراته الديبلوماسية تجاه كل الدول بما فيها إسرائيل، حيث حاولت إدارة أنقرة بأن لا تدخل في تنافس ولا صراع مع أي طرف وتكريس نظرية القوة الناعمة من أجل إمتداد هادئ وصامت في المنطقة وبتوطيد علاقات جد متميزة كواليسيا مع السعودية التي أوكلت لها مهام محاصرة الإخوان المسلمين ووضعتهم على لائحة الإرهاب، وحاصرت دولة قطر وسحبت الدول الخليجية الثلاث -السعودية، الإمارات، الكويت- سفرائها من الدوحة التي يحاول أميرها حمد بن خليفة آل ثاني البحث عن مخرج لدولته من العزلة التي فرضتها عليها السعودية، عن طريق زيارة دول إفريقية كالسودان وتونس والجزائر

والمغرب، التي من المستبعد أنها تقف ضد السعودية، وهو ما يواصل من عزلتها في المنطقة، إلا أن قطر استطاعت أن تضغط على السعودية من بوابة الترسانة الإعلامية القوية التي تمتلكها -قناة الجزيرة- وإيصال صوتها للرأي العام العالمي.

وما حدث بعد زيارة أوباما للسعودية هو تفاهم وليس تطابق في المواقف، وهو فرصة لكي يعرف كل طرف ماذا يريد من الآخر، لأن المصالح مترابطة ومتداخلة، والحوار يجب أن يكون مفتوحا حول العديد من الملفات للتوصل إلى أرضيات مشتركة، لأن السعودية لن تقبل أن تستمر سوريا واجهة للمشروع الإيرانيالإقليمي نتيجة تفاهمات سرية بين واشنطن وطهران، رغم أن الإدارة الأمريكية أكدت في الرياض بأن التقارب مع طهران لن يكون على حساب أصدقاء واشنطن الإقليميين، ، أدركت السعودية أن الولايات المتحدة لم تعد لسياساتها أية ثقة أومصداقية تمكنانها من أن تبني عليه في أية قضية، لكن رغم ذلك تترك السعودية الباب مفتوحا أمام معالجة العديد من الملفات وعلى رأسها الملف السوري الذي لا ينفصل عن الملف الإيراني.

إذن نستنتج بأن لعبة الموت في منطقة الشرق الأوسط إرتكز على الدين من خلال تواجد كل الديانات السماوية والوضعية في المنطقة باعتبارها مهد الديانات، طائفي بوجود كل الطوائف الدينية وحضارية، فأطروحة "صراع الحضارات لصامويل هيتنغتون" و"حوار الحضارات لمحمد خاتمي" لم تكن لولا وجود منطقة الشرق الأوسط، كما نتوصل لخمس نقاط كبرى التي كانت سببا في بروز لعبة الموت في المنطقة:

- توظيف الغرب للدين من أجل تحقيق مصالح استراتيجية واللعب بورقة الإسلام السياسي كوسيلة للضغط، وتفعيل لعبة الموت من خلال إذكاء نار الفتنة الطائفية بين مكونات الكبرى للدين الإسلامي.
- كل الصراعات الإقليمية والعالمية التي تجذرت في المنطقة كانت بسبب الثروات والخيرات الحيوية والجيواستراتيجية التي تمتلكها

دول المنطقة، فالتاريخ أثبت بأن الدخول الأمريكي في العراق لم يكن بسبب "مكافحة الإرهاب" بالعكس ففوضى العنف زاد بشكل أقوى.

- وفقا لنظرية ماكيندر تعتبر منطقة الشرق الأوسط قلب العالم، وعليه كل التنافسات الدولية والإقليمية والتحالفات الاستراتيجية قائمة على التمركز والتموقع في هاته المنطقة.
- الحرب القائمة في المنطقة هي حرب حضارية عثمانية - فارسية بشعار سني شيعي.
- مستقبل السلام في منطقة الشرق الأوسط مرهون بتخطي الماضي العنيف بين مكونات الدينية، الطائفية، الحضارية.

ثالثاً: الجهاديون واغتيال الجغرافيا

■ أ. قلاع الضروس سمير

تمهيد:

يقوم هذا المبحث بدراسة مدى تطور الحركات الجهادية الإسلامية وتطورها في المشهد الدولي المعاصر، وذلك من خلال محاولة إستقراء والتعرف على تطور مسار الحركات الجهادية منذ بداية الثمانينات من القرن الماضي وصولا للتطورات الحاصلة اليوم في العلاقات السياسية الدولية، حالة الدراسة عموما تتمثل في الحركة الجهادية وتحركاتها الزئبقية في العالم العربي، حيث قدمنا توصيفة جيوبوليتيكية في الدراسة من خلال منطقتين مهمتين في المنطقة العربية هما الشرق الأوسط والمغرب العربي وامتدادها الجغرافي نحو الساحل الإفريقي، وحالة الدراسة تم اختيارها وفقا للحركات الجهادية الأصولية التي فرضت نفسها في الفضاء العربي كتنظيم القاعدة بكل تفرعاتها الجهوية والإقليمية والعقائدية، وتنظيم الدولة الإسلامية في الشام والعراق أوما يسمى بتنظيم "**داعش**" باعتبار هذا الأخير أقوى تنظيم أصولي جهادي مصنف في تاريخ الحركات الجهادية من خلال قوة وسرعة الإمتداد الجغرافي وقدرة التعبئة للجهاديين في كل نقاط العالم والتي تجاوزت التوقعات، إضافة لتسارع الأحداث داخل كل قطر ودولة وصولا للمتغيرات الإقليمية والدولية كالحراك التي شهدته المنطقة

أومايسمى بـ"**الربيع العربي**"، مما أدت هذه التطورات لارتباط وثيق بين هاته الحركات الأصولية الإسلامية والسيناريو المحتمل مستقبلا في تشبيك العلاقة بين تنظيمي "**القاعدة** "و"**داعش**" لتحقيق حلم حدود جغرافية واحدة تمتد من بغداد إلى نواكشط واغتيال مفهوم الحدود الوطنية للدول المتعارف عليها في القانون الدولي، والوصول لتغيير الخريطة الجيوسياسية للمنطقة أو ماسميناها في دراساتنا الموسومة هذه بعنوان "**الجهاديون واغتيال الجغرافيا**".

تمثل نهاية الحرب الباردة نقطة فاصلة في تاريخ الأحداث التاريخية والسياسية في العلاقات الدولية، وبروز الولايات المتحدة الأمريكية كدولة عظمى لا يمكن مواجهاتها باعتبارها هي من سوقت لأطروحة "**النظام الدولي الجديد**" و"**العولمة**" وفق هندسة أمريكية خالصة، إضافة لامتدادها نحو العديد من النقاط في العالم أبرزها منطقة الشرق الأوسط في إطار حرب الخليج الثانية سنة 1991، وهكذا بدأت تتطور الأحداث التاريخية في المشهد الدولي، فالحدثالتاريخي يلد حدثا تاريخي مصاحب له بمعنى لاوجود للقطيعة التاريخية في المشهد الدرامي للعلاقات الدولية، ولا يمكن للدارس الجاد أن يحيط بأي حدث تاريخي مالميهتد إلى الحدث أو الأحداث التي كانت في أساسه والتي انطلقت منها بوادره، ومن هذا المنطلقسوف نحاول من خلال هذه الدراسة، إيجاد الخيط الرابط بين مختلف المحطات التاريخية التي ساعدت على تطور الحركة الجهادية الإسلامية الأصولية أوما يسمى بـ "**الجهاديون**"، وصولا بأبرز محطة تاريخية والتي كانت فارقة وفاصلة في الأحداث الدولية والمتمثلة في أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001،، كثر الحديث في كل أركان المعمورة عن مجوعات تتخذ من العنف والإرهاب وسيلة لتحقيق أهداف سياسية بمزجها لقدسية ورمزية الدين، خاصة الدين الإسلامي، برز مفهوم "**الجهاد**" وتطور نطاقه وتوسعت حركيته لغاية بروز تنظيمات جهادية تحمل شعارات دينية لغاية يومنا هذا.

وتمثل الجماعات الجهادية تحديا أمنيا حقيقيا بالنسبة للمجتمع الدولي في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا وصولا للساحل الإفريقي خاصة في ظل تزايد وتصاعد الهجمات الإرهابية وتعدد الجماعات والحركات الأصولية التي تنفذ تلك الهجمات في المنطقة والصلات والعلاقات المتنامية بين هذه الجماعات، ويتجلى هذا التحدي في الأساس في سرعة الإمتداد الجغرافي للجهاديون،، أصبحت لهم حدودهم الخاصة غير معترفين بالحدود الوطنية للدول،، أصبحت الجغرافيا تتحرك وفق منطق هاته الجماعات الجهادية خاصة بعد 2011 والتطورات المصاحبة له في المنطقة العربية والإنكشاف الحدودي الذي نتج عنه بسبب العنف القائم بين الأنظمة والشعوب، وهذا ماسنحاول التعمق فيه أكثر من خلال هذه الدراسة.

المحور الاول: تطور مسار الحركات الجهادية في العالم

كانت الانطلاقة الميدانية للحركات الجهادية في المشهد الدولي مع تطورات الحاصلة أثناء الحرب الباردة، وتعتبر هذه المرحلة الناقل الرئيسي لجميع الحركات الجهادية من مسرح عملياتهم المحدود إلى خارج حدود بلدانهم، فقد أدى القمع الشديد الذي تعرضت له الجماعات الإسلامية في المرحلة السابقة بسبب قوة القدرة السلطوية للأنظمة السياسية إلى بحثهم عن أي لواء جهادي يستظلون في ظله حتى يلموا شتاتهم ويدربوا كوادرهم ويرتبوا أوراقهم من جديد، ولم يكن أفضل من فرصة الجهاد من أجل تحرير أفغانستان من المد السوفياتي عام 1979، انصبت جموع شباب المسلمين من كل مكان جنبا إلى جنب مع الجماعات الإسلامية التي وجدت في أفغانستان أملها المنشود وهو إعلاء راية الجهاد الإسلامي، وبزغ نجم الشيخ "**عبدالله عزام**" وإعلان الحرب على الكفار الشيوعيين في هذه القضية[1]، إضافة لحادثة مقتل مقتل السادات 1981، على يد

(1) دراسة استراتيجية خاصة بالصراع العالمي ومكان التيار الجهادي منه، الموصل: مفكرة الفلوجة، قسم الدراسات التاريخية والتوصيات الاستراتيجية، 2009، دراسة خاصة، ص6.

مجموعة من الجهاديين في مصر على خلفية إتفاقية السلام مع إسرائيل- **كامب دايفيد**- والتي رعتها الولايات المتحدة الأمريكية، إلا أن التوجه الأمريكي بقي على موقفه بعدم خلق مواجهة مع الحركات الإسلامية حسب تصريحات الخطاب السياسي الأمريكية قبل أن تتحول للحركات الجهادية أو مصطلح "Freedom Fighters"، والتأكيد على اعتبار الخطر الشيوعي والأنظمة المتحالفة معه هو التهديد الرئيس للمصالح الأمريكية، بل ساهمت الولايات المتحدة في تقوية وتعزيز الحركات الإسلامية.

أولاً: أفغانستان كمحطة إنطلاق الجهاديون نحو الإقليمية

لقد كانت محطة أفغانستان نقطة تحول كبيرة بالنسبة للجماعات الجهادية التي اختلطت فكريا مع بعضها البعض وتعرفت على قضايا المسلمين المختلفة وأصبح الهم مشترك والنضج أكبر والرؤية أوضح بعض الشيء، أما على صعيد الأمة الإسلامية فلأول مرة منذ زمن بعيد يناقش أمر الجهاد على العلن وفي صفحات الجرائد وعلى شاشات التلفزة بعد أن كان نسيا منسيا وقد استغل الشيخ "**عبدالله عزام**" هذه الفرصة الكبيرة بأفضل ما يمكن أن تستغل به لأنه أدرك أن الضوء الأخضر العالمي لدعم الجهاد ضد الروس والتسهيلات التي وافقت ذلك لن تدوم طويلا وستنتهي وتقمع بانتهاء المهمة المطلوبة منها[2]، فبدأ يجوب الأرض من باكستان إلى أمريكا داعيا المسلمين على الجهاد وشارحا لهذا المصطلح الذي كاد أن يندثر من حياة المسلمين ومتجاوزا لكافة العقبات الفقهية والشبهات الشرعية التي اعترضت طريق الجهاد في تلك الفترة، فأثمر ذلك عن أكثر من 40 ألف مجاهد حضروا ساحة القتال في أفغانستان واستفادوا فكريا وتربويا وعسكريا من هذه التجربة المفصلية من عمر الجهاد.

وفي هذه المرحلة الفارقة من التاريخ استمر المجاهدون بعد ذلك في

---

(2) فواز جرجس، أمريكا والإسلام السياسي، دار النهار، بيروت، ط1، 1998، ص82-84.

المسار الإقليمي وأخذوا زمام المبادرة في قضايا الأمة المصيرية، ففي البوسنة والهرسك ظهرت "**كتيبة المجاهدين**" بقيادة الجزائري "**أبو المعالي**"، وفي الشيشان شارك القائد "**خطاب**" من السعودية في قيادة العمليات العسكرية في الحربين الأولى والثانية واستمر المجاهدون في تقديم النصرة في بقية بلدان المسلمين ككشمير والصومال والفلبين وكوسوفو وبورما وغيرها من نقاط وبؤر التوتر التي عانت من الحروب الدينية[3].

ونستطيع القول أن الجهاد قد قطع شوطا طويلا حتى وصل إلى هذه المرحلة، أخذ مفهوم الجهاد يمتد عالميا بعد أن أثبت المجاهدون أنفسهم في تحويل مجريات الأحداث العالمية في أفغانستان والبوسنة والهرسك، وأخذ الغرب ينظم المؤتمرات العالمية "**كمؤتمر شانغهاي لمكافحة الإرهاب**" و"**مؤتمر دايتون**" و"**شرم الشيخ**" وغيرها لتحجيم وتقنين ومكافحة ما بات يعرف بالجهاد العالمي والذي كان يمثلهاالأفغان العربومن سار على نهجهم، فبعد نجاح الثورة الإسلامية في إيران وسقوط الاتحاد السوفياتي وتوسع الحركات الجهادية، مما تغيرت النظرة الأمريكية بشكل راديكالي فبعد المساندة الشكلية للمجاهدين في أفغانستان في إطار الحرب الباردة ضد الاتحاد السوفياتي بدأ الغرب في القضاء على التجمعات الجهادية في أفغانستان ثم التخلص من رموز الجهاد في تلك الفترة كعملية اغتيال "**عبدالله عزام**" في "**بيشاور**" عام 1989 بيد الاستخبارات الباكستانية والأمريكية.

ضمن هذا الإطار ظهرت حركة المقاومة الإسلامية -حماس- في 6 ديسمبر 1987 على يد "الشيخ أحمد ياسين" كوريث شرعي للقضية الفلسطينية بعد أن أحس بنوع للتخوين للقضية باتجاههم إلى السلام

---

(3) دراسة استراتيجية خاصة بالصراع العالمي ومكان التيار الجهادي منه، نفس المرجع السابق، ص7.

المزعوم مع إسرائيل، وهكذا أرادت الحركة مواصلة العمل العسكري والجهادي لكن من خلفية جديدة لا تستند إلى الموروث القومي الذي بدأ في الإنحسار بعد فشله الذريع في تحقيق الحلم العربي بسبب الخلافات المتكررة والمتواصلة للقادة العرب ورغبة كل واحد منهم التسيد على القرار العربي وفرض موقفه[4]، وإنما إلى الموروث الثقافي الإسلامي الذي يتأسس على فكرة الجهاد ضد العدو مهما كانت الظروف والنتائج خاصة بعد نجاح الحركة الجهادية في أفغانستان وتأسيس خلايا في مصر ولبنان والأردن، غير أن الحركة وجدت نفسها بعد عشرية من بدء مشروعها التحرري في مواجهة ظروف قاهرة وضغوطات تفوق حجم قدرتها على الصمود وكان العائق عربي أكثر منه غربي إسرائيلي.

كما يعتبر التدخل الأمريكي والغربي لمنطقة "**الشرق الأوسط**" عام 1990 تحت ذريعة تحرير الكويتنقطة تحول كبيرة في المسار الفكري للمجاهدين بعد أن كشفت لهم الأحداث حقيقة الأنظمة الحاكمة في المنطقة وحقيقة المؤسسات الدينية التابعة لهم وضخامة المؤامرة الصليبية التي اعتمدت على رؤساء وحكماء المنطقة في وصول جيوشها الغربية وإضفاء الشرعية على هذا الوجود الدائم، فمرحلة مابعد حرب الخليج الأولى تميزت بالتصارع العربي العربي وعدم التوافق والتجانس السياسي على مستوى القادة والحكومات، فكان كل ما يعقد مؤتمرا أوقمة عربية إلى وحدث التلاسن بالسب والشتم والإتهام بالعمالة والخيانة بين قادتها، وقد كانت ضخامة قوات التحالف الغربي مدعومين بمئات الطائرات والغواصات النووية والبارجات العملاقة وحاملات الطائرات وربط ذلك بموافقة لا مشروطة لبعض الدول العربية من أجل مكافحة نظام صدام حسين، كافية لأن يدرك المجاهدون أن هناك مؤامرة عالمية ضد المسلمين، وتحاك بالتعاون مع الأنظمة العربية في المنطقة مدعومة بالمؤسسات الدينية

(4) مسعود ضاهر، العرب والغرب: تاريخ من العلاقات المشوهة، الكويت: مجلة العربي، وزارة الإعلام بدولة الكويت، ع 518، جانفي 2002، ص14.

والإعلامية والثقافية، وعليه فإن الانشغال بقتال الأنظمة المرتدة أو الاكتفاء بتقديم النصرة لقضايا المسلمين المختلفة سيشتت جهود المجاهدين دون جدوى الذين جمعوا شتاتهم لقرابة أكثر من 15 سنة وسيجعلهم يدورون في حلقة مفرغة ما إن تنتهي قضية سياسية حتى تبدأ قضية أخرى تفرق شملهم أكثر، وهنا انتبه "**أسامة بن لادن**" إلى ضرورة البحث عن هدف استراتيجيلجمع جهود المجاهدين المتناثرة هنا وهناك وتوجيهها ضد هذا الهدف واستثمار ذلك كله في إدخال الأمة الإسلامية بكاملها كخصم في معركة ضد القوى المتآمرة عليها، وبدأ أسامة بن لادن أولى الخطوات العملية بإعلان "الجبهة الإسلامية العالمية لقتال اليهود والصليبيين" عام 1998، والتحول من مرحلة الخطاب لمرحلة العمل المسلح الجهادي.

ثانيا: 11 سبتمبر من الإقليمية نحو الجهاد العالمي وعولمة الحرب الدينية ضد الغرب:

لم تنقطع اتصالات الجهاديون مابين فترة 1980- 1998 بل كان التنسيق جار بينهم، ولكن بشكل بطئ نظرا لنقص وسائل التواصل الإليكتروني، فمنهم من عاد لبلاده من أجل إعلان الجهاد ضد كل من يتواصل مع الغرب كالجهاديون الجزائريون وإعلانهم الحرب ضد النظام الجزائري، دخلت الجزائر في دوامة مغلقة من العنف السياسي والإجتماعي، وصولا بالعديد من الدول الإسلامية الأخرى لكن في تلك الفترة كانت الأنظمة السياسية تضايقهم، ولكن بعد إعلان بن لادن عن "**الجبهة الإسلامية العالمية لقتال اليهود والصليبيين**" سنة 1998 إندمجت القدرات التنظيمية "**لجماعة الجهاد المصري**" بقيادة "**أيمن الظواهري**" مع القدرات القيادية لأسامة بن لادن لتكوين "**تنظيم قاعدة الجهاد**"[(5)]، التي تبنت الدعوة إلى قتال الرأس المدبر لجميع مآسي المسلمين وذلك

(5) دراسة استراتيجية خاصة بالصراع العالمي ومكان التيار الجهادي منه، مرجع سابق، ص6.

باستهداف جميع المصالح الأمريكية السياسية والاقتصادية والعسكرية والمدنية في أي بقعة كانت من الكرة الأرضية، وقد لخص الشيخ أسامة بن لادن المعادلة الجديدة التي ستهدم خطوط العدو الرئيسية، المؤسسات الدينية، الأنظمة الحاكمة الموالية للغرب، القوات الصليبية حسبه بالجهاد.

ووفقا مما سبق خرجت تقارير استراتيجية وضعت على مكتب الرئيس الأمريكي "بل كلينتون" تفيد أن الخطر الحقيقي بعد إنتهاء حقبة الحرب الباردة يكمن في "**الجهاد العالمي**" أو "**الإسلام المتطرف**" بالمعنى الأمريكي، لأن هذا النوع من المواجهة إن حدث فسيقود أمريكا إلى ما يسمى بـ "الحرب اللامتوازية" وهو نوع جديد من الحروب سيسلب الجيش الأمريكي فاعليته العسكرية وقدرته الاستراتيجية لأن صواريخه النووية وطائراته وأقماره الصناعية ستكون في مقابل قوة الاستشهاديين الذين يفجرون أنفسهم في الأهداف الحيوية للنظام الأمريكي دون أن تشكل القوة الأمريكية أي رادع لهم، وهو ماحدث بالفعل يوم الثلاثاء الحادي عشر من سبتمبر من عام 2001، ارتطمت طائرتين على المركز التجارة العالمي في نيويورك معلنة بذلك بداية المعارك المرعبة للحرب الجديدة "الحرب اللامتوازية" وأدرك الغرب بأسره بأنه أمام بداية جديدة لنوع جديد من أنواع الصراع العالمي كان قد تنبأ به صامويل هنتنجتونفي نظرية "صراع الحضارات" وملخص نظريته أن العالم لا يتسع لحضارتين أو ثلاثة وأنه يجب أن تسود حضارة واحدة وتفرض نظامها السياسي والاجتماعي والاقتصادي حتى يسود السلام في العالم كله[6].

فمنذ قرون طويلة من الزمن وعلاقة الشرق - الإسلام- بالغرب بصفة عامة كانت عرضة للمد والجزر، تصفو أحيانا لتتوثق علاقات الصداقة والتعاون في ظل معاهدات واتفاقيات تجسد ذلك الصفاء، وتتوتر أحيانا لتصل حد حمل السلاح وإعلان الحرب، لأسباب "معلنة أوغير معلنة "

---

(6) Samuael.p.Huntington, the Clash of Civilization, Touchstone, New York, 1997.P3.

تتغير على الدوام من صراع على النفوذ، وثأر للماضي البعيد، واستعمار تعقبه مقاومة، لتصل في مطلع الألفية الثالثة إلى منعرج خطير أدت إليه أحداث الحادي عشر من سبتمبر سنة 2001 من تغيير جذري لرؤية الغرب للإسلام واقترانه بالدم والبارود والجهل والظلال والتخلف[7] ولقد أدركت أمريكا ومن خلفها الغرب أن هذه العملية ليست أزمة دولية من السهل تجاوزها أو إغضاء الطرف عنها أو تأجيلها كما حدث مع قضايا دولية سابقة بما فيها الحربين العالميتين والحرب الباردة، وأن نظامها ومصيرها ووجودها على هرم القوة في العالم سيتحدد بناء على تعاملها مع هذا الحدث الخطير.

المحور الثاني: الحركات الجهادية في الشرق الاوسط وحلم تأسيس الدولة الاسلامية

تمخضت عن أحداث 11 سبتمبر 2001، والتي عبرت عن ذروة الأزمة بين الإسلام الجهادي وبين الولايات المتحدة، أدت هذه الأحداث إلى الحرب الأفغانية، والتي جاءت في سياق حرب طويلة الأمد أعلنتها الولايات المتحدة -يطلق عليها البعض الحرب الباردة الثانية - ضد الإرهاب، فمرحلة مابعد 2001 بالنسبة للإدارة الأمريكية كانت تحدي كبير بالنسبة إليها وأبرز تحدي هو التغلغل لمنطقة الشرق الأوسط كونها تعد هاته المنطقة بالنسبة للإدارة الأمريكية منطقة التناقضات التاريخية، الجغرافية، الحضارية وحاضنة لكل الأديان السماوية والوضعية، سعيا لتحقيق أسطورتها "صدام الحضارات" كما وصفها الكاتب ناصر قنديل **"حروب كبيرة في شرق أوسط صغير"** إضافة إلى كونها منطقة غنية بالمواد الخام والثروات الطبيعية والنفطية من أجل تحقيق أهدافها الاستراتيجية[8].

---

(7) علي القريشي، حوار الحضارات والحاجة إلى كبح جماح الهويات المتغطرسة، الكويت: مجلة العربي، وزارة الإعلام بدولة الكويت، ع 525، أوت2002، ص164.

(8) ناصر قنديل، حروب كبيرة في شرق أوسط صغير، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ط1، 2006، ص16.

فقد أودت تفجيرات سبتمبر 2001 بحياة نحو ثلاثة آلاف شخص، وقادت هاته الأحداث لتوجيه العدسة نحو منطقة الشرق الأوسط وبالتحديد في أفغانستان من أجل قصف منابع الإرهاب، خاضت الولايات المتحدة الأمريكية بعد سنة 2001 حرب ضارية في جبال "طورابورا"، وملاحقة المشتبه فيهم،، دارت حرب إعلامية شرسة حول حصرية البث في جبال أفغانستان، وبدأ جهاديو القاعدة بأسلوب جديد عبر تجنيد شبان وتدريبهم للأعمال الإنتحارية ضد الغرب، وإرسالهم إلى بلدانهم للقيام بتفجيرات.

وعليه، تعتبر الحرب الأفغانية أول حرب معلنة وصريحة بين الولايات المتحدة ومستودع القوة العسكرية لتنظيم القاعدة المتحالف مع طالبان، وقد انتهت المعركة بإزالة حكم طالبان بعد مدة قاربت السنتين، وبتشتيت قيادة القاعدة وتدمير قدراتها العسكرية، بالإضافة إلى أسر واعتقال عدد من قيادييها في جزيرة جوانتانامو، ثم ملاحقة أعضاء القاعدة والجماعات الجهادية في كل أنحاء العالم(9)، واعتقال أعداد كبيرة منهم في عدد من الدول، بينما قامت مجموعات تظهر المؤشرات والدلائل على أنها إسلامية، وقد تكون ذات صلة بتنظيم القاعدة، بعدة عمليات مثل تفجير ملهى بالي في إندونيسيا، وعملية جزيرة فيلكا في الكويت، واغتيال الدبلوماسي الأمريكي في الأردن، وتفجيرات الرياض والدار البيضاء ومدريد وغيرها(10)، ومازالت المواجهة بين الولايات المتحدة ومعها تحالف دولي كبير تقوده ضد الإرهاب، من خلال استراتيجية الإدماج وتوحيد جهود المجتمع الدولي ضد الإرهاب(11)، وبين شبكة القاعدة الممتدة في منطقة الشرق الأوسط وفي جبال أفغانستان وباكستان.

---

(9) سميح فرسون، جذور الحملة الأمريكية المناهضة للإرهاب، مجلة المستقبل العربي، 284، ع2002، ص10.

(10) أحمد يوسف، مستقبل الإسلام السياسي: وجهات نظر أمريكية، بيروت: المركز الثقافي للدراسات، ط1، بدون نشر السنة، ص134.

(11) مايكل هدسون، مآزق إمبريالية، إدارة المناطق الجامحة، مجلة المستقبل العربي، ع2002، 284، ص 39.

وفي المقابل من ذلك فقد كانت الحركات الجهادية الإسلامية والتي كسبت شعبية هائلة في العالم العربي والإسلامي التي نظرت إلى السياسة الخارجية الأمريكية نظرة عداء، ورأت أن هذه السياسة التي تقوم على دعم إسرائيل، وتوفير كل وسائل المساعدة العسكرية والسياسية والاقتصادية لها، وتدعم الأنظمة العربية القمعية الفاسدة في مواجهة الحركات الشعبية، وأنها تتدخل في خصوصيات الشعوب وخياراتها السياسية والحضارية، وترفض الديمقراطية عندما تأتي بالحركات الإسلامية خوفا على مصالحها الخاصة وحماية لإسرائيل، ولا تميز بين مقاومة الاحتلال وبين الإرهاب، وتتجنب الحديث عن إرهاب الدولة الذي تمارسه إسرائيل وتمارسه هي ضد العديد من الشعوب، حيث ضمت اللائحة الأمريكية للمنظمات الإرهابية كل الحركات الإسلامية التي تقاتل لتحرير أرضها ومنها حركة حزب الله اللبنانية وحماس والجهاد الفلسطينية.

هذه السلوكات الأمريكية ودخولها في حرب المواجهة مع الحركات الجهادية باسم مكافحة الإرهاب زادت من تعقيد الأمور أكثر في منطقة الشرق الأوسط، وأصبح الصراع والمواجهة مباشرة بين الطرفين فالفترة التي دامت بين سنة 2001 - 2003 كانت متعبة بالنسبة للجيش الأمريكي[12]، إلا أن الإدارة الأمريكية رأت بضرورة التغيير كاستراتيجية لعدم إبراز التعب والإرهاق العسكري، توجهت نحو العراق قصد وقف المد الديكتاتوري، ثم تحقيق الاحتلال الأمريكي للعراق عام 2003.

ومنذ البداية، وقبل أن تطأ أقدام الولايات المتحدة الأمريكية بغداد، كانوا قد قرروا التعامل مع العراق كبلد يتشكل من طوائف ومذاهب ومكونات عرقية واجتماعية مختلفة ومتنافسة، استخدمت الأحزاب السياسية التي يرتبط مصيرها بالطائفية[13]، واستغلت نظام الكوتة في التعيينات،

---

(12) نصير عاروري، حملة جورج بوش المناهضة للإرهاب، مجلة المستقبل العربي، ع2002، 284، ص57.

(13) Alexander Anne, Daring for Victory: Iraq in Revolution 1946-1959.International Socialism Journal, Vol2, N 99,2003pp83--.

وأول من استفاد سياسيا من هذه العملية كانت الأحزاب الشيعية القريبة من الولايات المتحدة، وكذلك استفاد الأكراد المتحالفون مع الولايات المتحدة، بتنصيب رئيس الاتحاد الوطني الكردستاني رئيسا للجمهورية في2005، ومن ثم بدأت الإنشقاقات الجغرافية تظهر بعد الإنشقاقات المذهبية، أحكم الاتحاد الوطني مع حزب العمال الكردستاني قبضتهما على المناطق ذات الأغلبية الكردية شمالي العراق، تلك المناطق التي حظت باستقلال ذاتي خلال التسعينيات تحت غطاء الحظر الجوي الذي فرضته الولايات المتحدة على المنطقة.

ومع الدخول الأمريكي في العراق إتضح لدى العديد من الملاحظين بأن الغاية التي أتى من أجلها الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن ليس حماية الشعوب من الديكتاتوريات بل من أجل التعمق والتوغل أكثر في المنطقة، وكان لتنظيم القاعدة بقيادة "بن لادن" بضرورة إعادة الرؤية من جديد ومواجهة الغرب، مما أدى لتأسيس تنظيم فرعي للقاعدة تابع للقاعدة الأم بقيادة الجهادي "**أبي مصعب الزرقاوي**" والذي كان قائد تنظيم "**قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين**" الذي يتبع تنظيم القاعدة وولاءه لابن لادن، وبعد ذلك جاء تأسيسس مجلس شورى المجاهديين بالعراق.

وبعد مقتل الزرقاوي سنة 2006 حدث نوع من الفراغ التنظيمي على مستوى القاعدة في بلاد الرافدين وبدا الأمر وكأن القاعدة في العراق قد تحطمت، لكن في غضون عامين بعث التنظيم من جديد، وبحلول سبتمبر 2013، أعلن معهد دراسة الحرب، وهو مجلس خبراء أمريكي، أن القاعدة "تنهض"، وصارت قادرة على تنفيذ عملياتها في أنحاء العراق، حيث إطلاق موجة من التفجيرات باستخدام السيارات المفخخة، تلك العمليات التي رفعت أعداد الضحايا من جديد إلى معدلات قريبة مما كانت عليه في 2008[14].

(14) Jessica Lewis, Al-Qaeda in Iraq Resurgent, Middle East Security Report N14 th, Institute for the Study of War, 2013, p19.

وفي جوان 2006 في منطقة **"ديالي"** بالعراق، تأسس تنظيم **"الدولة الإسلامية في العراق"** بقيادة "أبي بكر البغدادي" وبذلك فقد تم حل جميع الجماعات الجهادية وقتها بما فيها تنظيم القاعدة بالعراق ومجلس شورى المجاهدين وأعلن الجميع مبايعة تنظيم الدولة الاسلامية بالعراق، ومع مقتل أمير مجلس شورى المجاهدين **"أبو عمر البغدادي"** في أفريل 2010 على يد القوات الأمريكية فى العراق، ليعلن تنظيم الدولة الإسلامية فى العراق عن تولي "أبي بكر البغدادي" أمور التنظيم ومجلس الشورى والذي يعد أحد أبرز قادة القاعدة في العراق منذ عام 2006، شكل تهديدا حقيقيا للقوات الأمريكية بخبراته العسكرية العالية، ومع تعمق الأزمة السورية أعلن البغدادي عن بدء دخوله ساحة القتال فى سوريا في جويلية 2013، ليصبح **"تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام"** وما يطلق عليه **"داعش"** البداية الحقيقية لتنظيم الدولة المشاركة فى الساحة الجهادية السورية بعد أن وجد أن هناك حاجة لقيادة العمل الجهادي، والقضاء على الأطراف التى تسيء بممارساتها إلى الجهاد والإسلام.

بدأت خبرة داعش في الحكم بمنطقة الرقة في سوريا بمجموعات مسلحة سيطرت على المدينة حين انهارت سلطة الحكومة السورية هناك في مارس 2013، وأنهى زعماء القبائل تحالفهم مع نظام الأسد(15)، وبعد ذلك انتصرت داعش في صراع طويل ودامي على السلطة مع مجموعات جهادية أخرى لتؤمن سلطتها على الرقة في جانفي 2014، من هنا بدأ الطموح الداعشي يتوسع لإنشاء دولة تجمع كيانهم، فقد تقاطعت الهزيمة الكارثية للحركات الإسلامية الأصولية كالقاعدة على مستوى المنطقة بالتطورات الداخلية في المجتمع السوري، لتقدم داعش نفسها إلى الجماهير بأنها صارت تنافس القيادة التاريخية للقاعدة في اجتذاب أولئك الذين يبحثون عن تنظيمات قوية وناجحة مما أصبح التنظيم قادر على

(15) Joseph Holliday,The Opposition Takeover in Al-Raqqa Backgrounders, Institute for the Study of War, 2013, p12.

تحدي الإمبريالية الغربية والديكتاتورية النظمية خاصة النظام السوري، فقد تفاعلت الديناميكيات الخاصة في العراق وسوريا ومصر واليمن منذ سنة 2001 مع بروز تنظيم الدولة في مساحة تنافس فيها القوى الإقليمية والعالمية، مما أصبح الحوار اليوم بين الجهاديين والأنظمة الغربية والعربية التابعة قائم على التموقع والحرب الدائرة بينهم تمتد عبر التاريخ والجغرافيا.

المحور الثالث: امتداد الحركة الجهادية في الفضاء الساحلي والمغاربي والعمق الافريقي

تعود نشأة الحركة الجهادية في المنطقة عموما إلى الحركات الجهاد الإسلاميالتي أسست بما يعرف الخلايا الجهادية الوطنية حسب تعبيرهم من خلال إقامة الدولة الإسلامية، فبعد إنتهاء الحرب الأفغانية السوفياتية وعودة بما يعرف الأفغان العرب إلى أوطانهم كانت البذرة التي أسست الحركات الجهادية الإسلامية المسلحة، حيث طالب الخميني منذ توليه السلطة في إيران بتكرار ثورة إيران في البلدان الإسلامية الأخرى كخطوة أولى نحو التوحيد مع إيران في دولة واحدة يكون مركزها ايران في مواجهة الأنظمة العلمانية وأعداء الإسلام[16]، حيث إتهمت أطراف غربية وإسرائيلية بأنها وراء تنظيمات الجهاد الإسلامي والعدالة الثورية، ومنه إنفتح الصراع الشامل من مالي موريتانيا وقبله في الجزائر سنة 1989، بالتالي أصبحت التنظيمات الإرهابية والمنظمات الإجرامية مرتبطة به تحمل طبيعة الصراع العنيف وصولا إلى دولة الصومال والقرن الإفريقي.

فبعد أن نخر الإرهاب جسد الجزائر بما يسمى **"الجماعة السلفية للدعوة والقتال"** إضافة إلى شرارة البداية للأعمال الإرهابية على نطاق واسع خاصة بعد ضرب وتفجير السفارتين الأمريكيتين في كل من كينيا

(16) أحمد يوسف التل، الإرهاب في العالمين العربي والغربي، عمان 1998، ط1، ص255.

وتنزانيا 1998، ثم جاءت لاحقا هجمات سبتمبر 2001، من هنا ظهر مفهوم يشمل الإرهابين بما يسمى **"تنظيم القاعدة "**، وظهرت العشرات الجماعات المسلحة في شمال إفريقيا وبلدان جنوب الصحراء كالجزائر والصومال، اليمن، التي تنسب نفسها إلى هذا التنظيم العالمي الإرهابي.

فتنظيم "القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي" الذي تشكل في نوفمبر 2006 من خلال انضمام الجماعة السلفية للدعوة والقتال الجزائرية ومجموعات إسلامية متشددة مغاربية للقاعدة الأم وأعلنوا مبايعتهم لزعميهم **"أسامة بن لادن"** في 24 جانفي 2007[17]، ولماكان تدويل العنف هدفا مركزيا لأسباب متعددة فقد إستفاد التنظيم الإرهابي من عوامل جيوبوليتيكية ولوجيستية لكي يركز نشاطه العسكري في بلدان الساحل الإفريقي والصحراء الكبرى مستغلة بذلك حالة التراخي الأمني الموجودة في المناطق الصحراوية الممتدة من المثلث الحدودي الجزائر، موريتانيا وخط مالي، النيجر والتشاد والذي يعد من أبرز الخطوط والأهداف الاستراتيجية لتنظيم القاعدة الموالي لإبن لادن في المنطقة الصحراوية والساحل الإفريقي من خلال إقامة مراكز تدريبية للجماعات الجهادية وتجميعها في الصحراء وإقامة إمارة تابعة للمركز واستقطاب وتعبئة وتجنيد الشباب الناقم عن السياسات الحكومية التابعة للغرب خاصة الجزائر، موريتانيا، مالي حسبهم والسعي لتوسيع ميدان المواجهة وربطها بتنظيمات الموجودة في شمال إفريقيا والقرن الإفريقي وتوحيد الجهود لتقوية التنظيمات الإرهابية المتركزة على الحدود الجزائرية الليبية والحدود الصحراوية المالية الجزائرية الموريتانية[18]، فالقاعدة في بلاد المغرب الإسلامي هي التسمية المستحدثة

---

(17) توفيق المديني، هل تحولت إفريقيا إلى ميدان جديد لنشاط القاعدة، جريدة الجزيرة السعودية، متحصل عليه من الرابط التالي:
http://www.65.17227/newspapers/2010/5885433.html.

(18) عمار جفال، القاعدة من شعار الجهاد إلى نشر الإرهاب في العالم الإسلامي، مداخلة منشورة في المؤتمر الدولي حول تنظيم القاعدة، التوجهات الحالية والمخاطر المستقبلية، القاهرة: المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، يوم 21 أكتوبر2008، ص32.

عن التسمية السابقة بالجماعة السلفية للدعوة والقتال GSPC الفصيل المنشق عن الجماعات الإسلامية المسلحة أو مايسمى ب"الجيا" GIA. الجناح المسلح للجماعة السلفية للدعوة والقتال Groupe islamique armé.

وفي هذا الصدد فإن إعلان الجماعة السلفية للدعوة والقتال بالإنضمام للقاعدة لم خبرا غير مفاجئ للعديد من المتابعين والمختصين لمسار هذا النوع من الجماعات حيث يراه بعض الخبراء بأن هذا الإنضمام هو نوع من التعويض عن التقهقر العسكري والحصار المفروض من طرف قوات الأمن الجزائرية[19]، إضافة إلى الرغبة في الحصول على نوع من الشرعية، فالقاعدة توحي لدى عامة الناس بالمواجهة مع القوات الأمريكية في العراق وأفغانستان والسعي لتحقيق الترقية في سلم الحركات المسلحة والإنتقال من حركة محلية دائرة في منطقة الشرق الأوسط إلى حركة إقليمية تمتد من أفغانستان إلى السنيغال ونيجيريا.

وقد توسع التهديد الجهادي في منطقة الصحراء الكبرى والساحل الإفريقي وتزايد حسب تطور حركة التفاعلات السياسية والاقتصادية كما إرتبط بالأساس بالحروب الأهلية والصراعات الداخلية، فتطور الفعل الجهادي في الجزائر جاء نتيجة للتطورات الحاصلة في العملية السياسية، إضافة إلى الأزمة التارقية في شمال مالي والإسلاميين المتصلين بالقاعدة في محاولة لإستنساخ التجربة الجهادية على غرار تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي وتواصلها مع الحركات الإرهابية والجهادية في دول جوار الساحل الإفريقي "**كجماعة بوكوحرام النيجيرية** " و"**حركة الشباب المجاهدين الصومالية** "، بعدها برزت كل من حركة "**أنصار الدين**" السلفية الجهادية في مالي و"**حركة التوحيد والجهاد**" في غرب إفريقيا التي يقودها منشقين عن تنظيم القاعدة.

(19) Le Front Polisario et le developement du terrorisme au Sahel, Dévelopement du terrorisme dans le Sahel, Euroupean Strategic Intellegence and security centre, mai 2010, p14.

ويرصد الخبراء أن عملية الإختطافات المتنوعة والعديدة التي نفدها تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي خلال السنوات الأخيرة كان معظم ضحاياها رعايا أوروبيون منهم السياح ومنهم عمال الإغاثة الإنسانية الذين إختطفو في نهاية 2012، ويقول الخبير الفرنسي المختص في شؤون الإرهاب "**ماثيوغيدار**" في مقابلة مع "**ألكسندر قوبل**" مراسل "**دونتشيه فيله**" في شمال وغرب إفريقيا أن الرهائن في نظر هذه الجماعة هم أسرى حرب تستخدهم كورقة تفاوض مع الحكومات الغربية سواءا من أجل الحصول على فدية مالية أو من أجل تحرير سجناء تابعين للحركات الجهادية في إحدى دول منطقة الساحل(20)، مشيرا إلى أن قتل الرهينة هو السيناريو الذي يلجأ إليه تنظيم القاعدة في حالة عدم إستجابة سلطات الدولة التي ينتمي إليها الرهينة بدفع الفدية.

وبناء على ذلك تؤكد دراسات خاصة أمريكية بأن منطقة الساحل الإفريقي سوف تصبح المجالالرخو والخصب لنمو وتطور الإرهاب خاصة مع بروز مجموعة من المؤشرات الداعية لتنامي التطرف الديني من خلال وجود الحركات السلفية المتعصبة، كما تواجه المنطقة تحديات كبيرة بغض النظر عن التهديد الإرهابي، خاصة التتطورات والتراكمات الحاصلة والعنف البنيوي القائم في ليبيا منذ سقوط نظام "**معمر القذافي**" والانكشاف الأمني الناتج عنه بامتداد الحركة الجهادية من الساحل الإفريقي والصحراء الكبرى إلى ليبيا وجنوب تونس وصولا لمصر، وبعد إحصاء تقريبي للأفراد في المنطقة تبين بأن تعداد المجموعات الإرهابية في تزايد داخل الميليشيات الجهادية: القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، حركة أنصار الدين، التوحيد والجهاد، حركة المجاهدين في الصومال، جماعات بوكوحرام ووصول عدد المجاهدين نهاية سنة 2015 في كل هاته الميليشيات إلى 3000 مجاهد محترف وجد مكون في العمليات الإرهابية

---

(20) ماثيوغيدار، القاعدة في سبيل غزو المغرب العربي: الإرهاب على أبواب أوروبا، باريس: دار روتشار 2007، ص 277.

وعارف بكل خبايا الصحراء وهذا ماسيرهق الغرب وأنظمة الدول[21].

إلا أن الخطر لا يكمن في العناصر وتعداد الأفراد بقدر مايكمن في تمويل هذه العناصر الجهادية لأن التمويل يعتبر بمثابة السند المادي والمعنوي والمحفز الأساسي للعمليات الإرهابية، كون المال يأتي في مقدمة حاجيات هاته التنظيمات من أجل الإعداد والتدريب وتنفيد العمليات إضافة للملبس والإقامة والاتصال، ونظرا لخطر التمويل فقد أولت الدول إهتماما بظاهرة تمويل الإرهاب وقامت أغلب الدول بتجريم التمويل وجاءت في مقدمة هاته الدول الجزائر التي عانت من ويلات التهديد الإرهابي[22]، إلا أن الظاهرة الإرهابية إستفحلت بشكل كبير خاصة مع زيادة وتعدد التنظيمات والتيارات الإرهابية ونجد من أهم هذه التيارات:

أولاً: القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي واستراتيجية خرق الحدود الجغرافية للدول.

لم ينشأ هذا التنظيم الجهادي كبيرا مرة واحدة بل تدرج لمراحل تاريخية وصولا لتنظيم القاعدة الذي يحمل بعدا إقليميا تابعا لتنظيم القاعدة العالمي، فالنواة الأولى للتنظيم هي تلك الشبكات التنظيمية والمؤسسات القائمة على الصعيد الوطني، فقد ظهر تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي من إرث العنف القائم في الجزائر تسعينات القرن الماضي من خلال الجماعة السلفية للدعوة والقتال التي إنضمت في أواخر سنة 2006 إلى تنظيم القاعدة المركزي الذي كان يقوده أوسامة بن لادن[23].

---

(21) أحمد عظيمي، المشهد العسكري في شمال مالي وتأثيراته على دول الجوار، أرقام منشورة في مداخلة في الملتقى الدولي للتحديات الأمنية للدول المغاربية (الرهانات-التحيات)، ورقلة: جامعة قاصدي مرباح، يومي 27 و28 فيفري 2013.

(22) محمد كمال رزاق بارة، دفع الفدية من وسائل تمويل الإرهاب، الجزائر: مركز الشعب للدراسات الاستراتيجية، جريدة الشعب، الثلاثاء29 فيغري 2013، العدد 15072، ص05.

(23) أميرة محمد عبد الحليم، تنظيم القاعدة في الساحل الإفريقي وربيع الثورات العربية، مجلة أفاق إفريقية، المجلد الحادي عشر، العدد 38، 2013، ص119.

وفي 24 جانفي 2007 أعلن رسميا بإسم تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي الذي كان هدفه الأساسي تحرير المنطقة من الوجود الأجنبي الصليبي حسبهم خاصة الفرنسي والامريكي والموالين له من أنظمة وإقامة دولة كبرى تحكم بالشريعة الإسلامية[24].

وكان مستقر هذا التنظيم بمنطقة الصحراء الكبرى حيث كونوا كيانا بإسم "إمارة الصحراء" وأول نواة عسكرية سميت "**بكثيبة الملثمين**" بقيادة "بلعور بلعور" كناية بالتسمية التاريخية للمنطقة بإسم "**بلاد الملثمين**" حيث قامت هذه الكتيبة بإختطاف مبعوث الأمم المتحدة في النيجر "**روبرت فولر**" Robert Fuller في ديسمبر 2008، وقام بأول هجوم في الأراضي الموريتانية في جوان 2007 بقتل حوالي 17 عسكري موريتاني، أسس بعدها نواة تابعة للقاعدة في موريتانيا تحت إسم "أنصار الله المرابطون" في بلاد شنقيط التي هاجمت السفارة الإسرائيلية بنواكشط فيفري2008. ومن أبرز أعظائها نجد مبارك يزيد عبد الحميد أبوزيد، عبد المالك درودكال، يحي جوادي المكنى بأبوعمار أمير إمارة الصحراء.

كما تنطلق العقيدة الجهادية لهذا التنظيم من الأيتين الكريمتينفي قوله تعالى:

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[25]. وقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ﴾[26].

بعد هجمات 11 سبتمبر 2001 برزت جماعات وضعتها القوى الغربية وتحديدا الولايات المتحدة ضمن قوائم الجماعات الإرهابية التي إرتبطت هاته التنظيمات الإرهابية أو ذات التوجه الأصولي أو تلك المرتبطة مباشرة

(24) محمد محمود أبو المعالي، القاعدة وحلفاؤها في الساحل والصحراء، الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، أفريل 2012، ص2.

(25) القرآن الكريم، سورة الأنفال، الآية 39.

(26) القرآن الكريم، سورة يوسف، الآية 40.

بـتنظيم القاعدة المركز[27]، أو المتحالفة معه أكثر من 1200 عملية إرهابية متنوعة إشتملت على قتل وإغتيال وتفجير وخطف الأجانب في كل من الجزائر وليبيا وتونس وليبيا وموريتانيا والنيجر ومالي وتشاد إضافة إلى الأضرار الجسيمة التي ألحقتها بالمؤسسات الحكومية والبنى التحتية، خاصة في ظل فشل الدولة المركزية منذ الإستقلال عام 1960 في بسط سيطرتها على المساحات الشاسعة التي تتجاوز 1,241 مليون كلم مربع في منطقة الصحراء الكبرى، علما أن منطقة الساحل الإفريقي يتوزع سكانها على عرقيات متعددة من زنوج وعرب وأمازيغوهو مايجعل من الصعوبة بمكان السيطرة على تحركات الجماعات الإرهابية المسلحة التي تعتمد أدلاء من أبناء الصحراء يجيدون إقتفاء الأثر والتحرك طولا وعرضا بسهولة لا يقدر عليها غيرهم[28]، كما يقترب شمال المالي من سلسلة جبال تمنراست الجزائرية الجرداء، بما يجعل تحرك الجماعات المسلحة بين البلدين أمرا يسيراهذا كأبرز مثال عن فشل الحكومات المركزية في المراقبة الحدودية كما يسميه الباحثين في الدراسات الأمنية بمفهوم "**الإنكشاف الأمني**" Security exposure، كما يحيل تنظيم القاعدة إلى بعض الأهداف الإيديولوجية ذات الطابع الإقليمي الديني مثلا من خلال مناداته بتحرير الأندلس في إسبانيا أومهاجمة المسيحيين في نيجيريا، وفي هذا الصدد يقول الخبير ماثيو غيدار بأن نيجيريا ليست بعد قاعدة للإرهاب ولكنها تتعرض لإختراقات من قبل الجماعات الإرهابية في الصحراء الكبرى التي تستقطب عناصرها من هناك مستغلة الأوضاع الاقتصادية والسياسية الهشة، كونت قاعدة لها بنيجيريا تحت مسمى جماعة "**بوكوحرام**".

وبالرغم من حصول دولة مالي على آخر المراتب في دليل التنمية البشرية إضافة للجارتين النيجر والتشاد بناءا على محور الفقر البشري وفقر

(27) أميرة محمد عبد الحليم، مرجع سابق الذكر، ص118.

(28) Angélique Mounier- kuhn, La Lutte contre Al-Qaida au Maghreb peine asorganiser, journal le temps, page international, mercredi 28juilliet 2010, p4.

الدخل والإتجاهات الديمغرافية[29]، إلا أنها دولة تحمل الكثير من التوازنات الجيواستراتيجية، كما أنها تتقاطع بشكل كبير في المصالح العامة للدول الغربية خاصة الولايات المتحدة الأمريكية، فرنسا والصين، وبالتالي فإن أقوى الجماعات الجهادية المتواجدة في منطقة الساحل والمنتشرة في الصحراء الكبرى التي تعتبر أكثر تنظيما وتنسيقا، مقارنة بالحركات الجهادية المتواجدة في منطقة الشرق الأوسط، حيث إستطاع الجهاديون المتمركزون في الساحل إغتيال الحدود الجغرافية بعدما إستطاعو تكوين حدود جغرافية خاصة بهم من الصومال والسودان وصولا لموريتانيا، كما تسجل نقطة قوة هاته الجماعات الجهادية أنها لا تختلف في القضايا الكبرى وهذا ماجعل القدرات التنسيقية بين هاته الجماعات تزداد قصد تحقيق أكبر خارطة جهادية إسلامية في العالم، بالرغم من الأجهزة الاستخباراتية الغربية إلا أن مستوى المقاومة بقي مرتفع جدا مع هاته الجماعات الجهادية.

وتدعيما لما سبق، تشير بعض الدراسات بأن هناك تجانس وتناسق كبير بين هاته الجماعات الإرهابية ذلك أن تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي يتقاطع كثير في الأدوار مع حركة التوحيد والجهاد، هاته الأخيرة تتواصل مع حركة أنصار الدين مما يتيح فرصة للإنكشاف الأمني في المنطقة والوصول للصومال من أجل تدعيم "**حركة المجاهدين**" هناك شرقا، والإمتداد نحو الغرب والوصول لدول غرب إفريقيا من خلال التنسيق والتعاون مع "حركة بوكو حرام" النيجيرية، إضافة إلى كل هذا هناك نوع في التوزيع الجغرافي بين الجماعات الإرهابية من أجل تحقيق دولة على حسب المعادلة التي تبنوها بعيدة عن مغهوم الدولة الوطنية.

---

(29) برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقرير التنمية البشرية لعام 2006، 'رصد التنمية البشرية: تعظيم الخيارات، نيويورك: الأمم المتحدة، صص، 286- 294.

ثانياً: حركة التوحيد والجهاد وأنصار الدين وحلم تحقيق الدولة الإسلامية في الساحل:

هي حركة جهادية منشقة عن تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي وجناح تابع لها في نفس الوقت، وأعلن عن هذه الجماعة أول مرة في أكتوبر 2011 حيث توصف بأنها الجماعة الجهادية المسلحة الأكثر إثارة للرعب في شمال مالي، ويأتي تأسيس هذه الجماعة بعد انشقاق زعيمها "**سلطان ولد بادي**" المكنى "بأبو علي" بعد رفض قيادة تنظيم القاعدة بتأسيس سرية خاصة بعرب أزواد، التي تستوطن في منطقة غاو Gao المالية حيث شهد توتراً كبيراً بين الحركة والتنظيم إلا أن تدخل مختار بلمختار المكنى بـ"بلعور" زعيم تنظيم القاعدة بتهدئة الأجواء وقيادة المفاوضات مع هذه الحركات، والخروج بنقطة توافق هي ضرورة التنسيق المشترك بينها وبين القاعدة حيث تعتبر هذه الحركة من أخطر الحركات الناشطة جنوب الجزائر وشمال مالي وقيامها:

- اختطاف رهينتين إسبانيتين وإيطالي عند بداية التأسيس أكتوبر 2011.
- اختطاف سبعة ديبلوماسيين جزائريين في مدينة غاو أفريل 2012.

وهناك تقارير تشير بأن "حمادة ولد محمد خيرو" هو من يتزعم هاته الحركة، إلا أنه نظرا للسرية الكبيرة التي تكتنف هذا التنظيم وصعوبة الوصول للمعلومة تحول دون ذلك.

أما فيما يخص الحركة الجهادية الثانية الغير البعيدة في التوجهات والتصورات مع حركة التوحيد والجهاد هي جماعة أنصار الدين التي تأسست بشهر كامل بعد تأسيس حركة التوحيد والجهاد في نوفمبر 2011، حيث أسسها قنصل سابق لحكومة مالي في مدينة جدة السعودية وهو "**إياد غالي خالد**" وتنطلق المقاربة الأساسية لهذا التنظيم بالسمة الإسلامية وأبرز عناوين هذه السمة الدعوة لتطبيق الشريعة الإسلامية والإعلان عن قيام دولة إسلامية في شمال مالي وتعتبر منطقة "**كيدال**" المعقل الأساسي لحركة أنصار الدين.

وقد بدأت جماعة أنصار الدين عملياتها المسلحة في أزواد بهجوم على مدينة "**اغلهوك**" غرب "**كيدال**" في أواخر جانفي 2012، حيث سيطرت على قاعدة عسكرية بارزة، ومع إنهيار الجيش المالي بسبب تداعيات الإنقلاب العسكري الذي أطاح بالرئيس المالي "**أمادو توماني توري**" في 22 مارس 2012 سارع "**إياد غالي**" إلى وضع خطة مع حلفائه في القاعدة وحركة التوحيد والجهاد للسيطرة على مدن أزواد الكبرى من خلال السيطرة على "كيدال" و"غاو" من طرف التوحيد والجهاد.

أما فيما يخص أهم الكتائب المنتشرة في منطقة الساحل الإفريقي التي تعتبر فروع ثانوية للتظيمات الإرهابية الكبرى في المنطقة نجد:

- "**كتيبة الملثمين**" يتولى قيادتها "بلعور" حيث أسس من بعدها "كتيبة الموقعون بالدماء".
- "**سرية الفرقان**" يقودها جمال عكاشة المدعو "**يحي أبو همام**" و"**سرية الأنصار**" تحت قيادة "أبو عبد الكريم التارقي" الذي ينحدر من طوارق مالي وهو القيادي الوحيد بين هذه التشكيلات الإرهابية الذي لا يحمل جنسية جزائرية.
- "**سرية أنصار الشريعة التونسية**" التي استقوت بعد سقوط نظام التونسي بن على مما حدث فراغ أمني في تونس ومقرها جبال الشعانبي بالحدود الغربية مع الجزائر.

بناء على ما سبق واستنادا عليه يمكن القول أن هذه الجماعات الجهادية الإرهابية الناشطة في المنطقة والمنشقة عن تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي لايمكن الفصل التام بينها مهما كانت الأحوال والظروف وبين تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي نظرا لتعقيدها وتشابكها كما لاحظها "دانيال بينيامين" Daniel Benyamin منسق وزارة الخارجية الأمريكية لمكافحة الإرهاب[30]، وما يمكن تسجيله هو أنها إستطاعت لحد

(30) Jacques Roussellier, Terrorisme in North Africa and the Sahel: AlQaida Franchise or Freelance, 2002, p 5.

بعيد تغيير الخريطة الجيوسياسية في المنطقة، بالرغم من تراجعها في الساحة الدولية والإقليمية بسبب تصاعد قوة "تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام" واكتساحها العديد من المناطق، كما أن إتجاهها المتسارع نحو غرب المنطقة العربية دليلا على وجود تناسق وتعاون وتبادل في الأدوار بين هاته الحركات، وفيما يخص منطقة شمال مالي لازال الغموض يكتنفها في المعلومة نظرا لعدم وصول الترسانة الإعلامية، وما يمكن تفسيره بغياب الإعلام والمعلومة في المنطقة هو ذلك الإنكشاف الأمني الرهيب والخطير، بمعنى أن تغطية المنطقة لازالت في يد هاته الحركات الجهادية النائمة، والحرب الفرنسية والأمريكية في شمال لازالت أكثر غموضا كونهم لازالو يعملون بالتنسيق مع جيوش دول المنطقة، حيث إن الغرب تتعامل في مواجهاتها مع هاته الحركات الجهادية بمنطق عدم تجاوز الحدود الوطنية لأنه في مساس بالقانون الدولي.

أما فيما يخص التنسيق اللوجيستي فالحركات الجهادية تعتبر منطقة غرب إفريقيا مركز جد حيوي واستراتيجي مما زاد من تنسيقها مع حركة "**بوكوحرام**" في نيجيريا، ولا شك أن الجرأة المتزايدة لحركة "**بوكو حرام**" النيجيرية هي إحدى المستجدات التي جعلت من غرب إفريقيا منطقة نفوذ للجماعات الإسلامية الإرهابية، وقد لفتت هذه الحركة إنتباه العالم لها في أعقاب تمردها على الحكومة النيجيرية في جويلية 2009، وقد صعد زعماء "**بوكو حرام**" من هجماتهم التي كانت تستهدف في البداية الأمن والموظفين إلى استهداف المدنيين والبنية التحتية والزعماء الدينيين والسياسيين ودور العبادة والأسواق والمدارس العامة والمستشفيات ومؤسسات التعليم العالي وأهداف مدنية أخرى، وقد تطورت تكتيكاتها من مواجهات مفتوحة سيئة التخطيط مع قوات الأمن، إلى الإستخدام المتزايد للعبوات الناسفة والاغتيالات المستهدفة والكمائن وإطلاق النار من السيارات المسرعة والتفجيرات الانتحارية.

وتشير التقديرات إلى أنه في ما بين جوان 2011 وديسمبر 2014، شنت هذه الحركة ما لا يقل عن 50 هجوما انتحاريا في شمال نيجيريا،

كان أغلبها في ولاية "بورنو"، وتشير التقديرات إلى أن هجمات بوكو حرام أدت إلى مقتل أكثر من ستة آلاف شخص منذ 2009، بما في ذلك الوفيات الناجمة عن تدخل قوات الأمن، ويمثل تفجير مقر الأمم المتحدة في العاصمة النيجيرية "أبوجا" الذي أسفر عن مقتل 23 شخصا في 26 أوت 2011، دليلا دامغا على أن الجماعة تسعى إلى تدويل أعمالها الإرهابية وهذا ماتجلي بوضوح في التصريحات التي أدلى بها العديد من القادة الجهاديين في المغرب العربي وفي الشرق الأوسط وصولا لأفغانستان، والتأييد الكبير الذي لاقه من تنظيمي "حركة التوحيد والجهاد" و"أنصار الدين "وما ترتب عليه من إدراج "جماعة بوكو حرام "في القائمة السوداء للأمم المتحدة.

خريطة تبرز نشاطات تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي والحركات الجهادية التابعة والموالية لها على مستوى كامل الشريط الأصفر لمنطقة الساحل الإفريقي



Source: http://www.avomm.com/La-mefiance-recipr-entre-pays-du-Sahel-74.html

هذه الخريطة كفيلة بتبرير حجم المخاوف التي باتت عليها أجهزة الاستخبارات المحلية أي دول الميدان والغربية كذلك التي باتت متأكدة وفق ما تعلنه في بعض التصريحات بأن القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي يرتبط بصلات واسعة مع العديد من المنظمات الإرهابية والإجرامية في

أوروبا وأميركا اللاتينية[31]، وهي شبكة معقدة تؤكد وجود صلات وثيقة بين المهربين وإمكانية عبور أشكال مختلفة من الجريمة المنظمة من دول الساحل الإفريقي إلى أوروبا.

المحور الرابع: الحركات الجهادية واستراتيجية التشبيك واغتيال حدود الدولة الوطنية

يصف بعض المراقبين في الدراسات الأمنية بأن الحركات الجهادية الذي تعيشه منطقة شمال إفريقيا والساحل والشرق الأوسط بأنه ليس إرهابا يحمل طابعاً محلياً، بل إرهاب إقليمي يمتد فيه القرار، والتدريب، والتنفيذ من إمارة إلى إمارة أخرى ففروع تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي ليبلغ منطقة جبال الشعانبي، أقوى تمركز لتنظيم أنصار الشريعة بتونس، مع تنظيم الدولة الإسلامية وامتدادها من العراق وسوريا وصولا للحدود الغربية الليبية التونسية دليل على وجود استراتيجية بعيدة المدى من أجل تشابك كل الكتائب والحركات الجهادية من شرق المنطقة العربية وصولا إلى أقصى الحدود للعالم العربي، وهذا يعني أن هناك علاقات متشابكة ميدانيا، وعسكريا، وعقائديا تجمع مختلف هذه التنظيمات التي تتمركز وتتحرك في بلاد المغرب العربي والشرق الأوسط عبر بوابة ليبيا التي تشهد إنكشافا أمنيا لم يسبق لها، أصبحت ساحة معركة حقيقية لكل المتناقضات المتواجدة في المنطقة العربية، ويمكن رصد تلك التشابكات والتحالفات بين التنظيمات الجهادية من خلال ثلاث مستويات أساسية:

- **المستوى الأول**: يتعلق بالتشابكات العابرة لحدود الدولة والتي قد تتعدى القوس المغاربي والساحلي، فلو نرصد تحليلا ميدانيا نجد مايلي:

- تشابك وتفاعل تنظيم القاعدة في "بلاد المغرب الإسلامي" مع تنظيم "القاعدة في بلاد الرافدين" حيث نجدهم يتبنون نفس

(31) Jean Pierre Filiu, Could Al-Qaeda Turn African in the Sahel", Carnegie Papers, Carnegie Endowment for international peace, N 112, june 2010, p3.

الخطاب الديني، كما يقدمون نفس المشروع.

- ■ تمركز الحركات الجهادية في الصحراء الكبرى من مبدأ التقسيم الجيوبولتيكي المنظم، حيث نجد كل حركة جهادية سواءا في الشرق الأوسط أو المغرب العربي تغطي فضائها وتفعل قواعدها العقائدية.
- ■ هناك تلامس بين تنظيم الدولة في العراق والشام "داعش" مع تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي داخل ليبيا.

- **المستوى الثاني**: يتعلق بالتشابكات الداخلية، وتنسيقها العالي مع الشبكات الإقليمية والعالمية، فالحراك العربي أثبت لنا بأن في كل دولة بها كتائب وخلايا نائمة تمثل التنظيمات الكبرى الجهادية الإقليمية.

- **المستوى الثالث**: يتعلق بالإمتداد الجيوبولتيكي للحركات الجهادية نحو دول الغرب خاصة أوروبا، وتشير التقارير الصادرة بشأن أعداد الجهاديين الأوروبيين المتواجدين في مناطق النزاع حيث نشر الاتحاد الأوروبي إحصائية قدر فيها عدد الجهاديين الأوروبيين في سوريا بثلاثة آلاف مقاتل وكشفت دراسة أن الأغلبية العظمى من الإرهابيين الأجانب يأتون من بريطانيا بنسبة 25,4% وفرنسا 14% لتأتي بعدها ألمانيا بـ12,3% ثم السويد 8,8% وهولندا 7% وأخيراً بلجيكا بنسبة 5,3%.

وباتت ظاهرة الجهاديين الأوروبيين، عبئا جديدا على الحكومات الغربية، خاصة بريطانيا، فرنسا، والولايات المتحدة الأمريكية التي تتهم بدورها دولا أخرى بدعم هذه النزعة الجديدة، حيث يرى مراقبون أن الجهاديين الأجانب لا يمثلون خطرا على المناطق التي يتواجدون بها فحسب، بل على بلدانهم وعلى العالم أجمع خصوصا وأنهم ينغمسون في إيديولوجيا متطرفة من ناحية، علاوة على تلقيهم تدريبات قتالية، وتثير إمكانية عودة الجهاديين إلى أوطانهم مخاوف من حدوث أعمال إرهابية علاوة على حملهم لفكر جديد متشدد بإمكانه التأثير الفكري على الأجيال الناشئة والتي يسهل تجنيدها.

وبعيدا عن الجغرافيا الجهادية ننتقل إلى الرابط الأكثر أهمية بالنسبة للجهاديون وهو الرابط "اللوجيستي" والعملياتي، وهذا العامل تم تطبيقه على أرض الواقع من خلال قاعدتين أساسيتين:

- **القاعدة الأولى** :يتمثل في إنتقال المقاتلين من نطاق جغرافي إلى آخر، مثل إنتقال مقاتلين من تونس إلى الجزائر، أو من تونس إلى ليبيا، أو من تونس وليبيا والمغرب إلى سوريا والعراق، ومن اليمن إلى العراق.
- **القاعدة الثانية** :يتمثل في نقل السلاح والمعدات من نطاق جغرافي إلى آخر، مثل نقل السلاح من الترسانة الليبية إلى عدة أماكن قتالية في جبال الشعانبي على الحدود التونسية -الجزائرية، أو إلى إمارة التوحيد والجهادفي شمال مالي وهو السلاح المستخدم من قبل حركة جهادية ضد جيوش المنطقة أو ينتقل السلاح إلى خارج منطقة المغرب العربي إلى سوريا عبر دول مجاورة.

وعليه يمكن القول بأنه يشترك كل من تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، وتنظيم الدولة الإسلامية "داعش" ويتمدد هذا المشترك الأيديولوجي جغرافيا بين تلك التنظيمات الحهادية الفرعية التابعة لها، إضافة لتنظيم القاعدة في دولة العراق- بلاد الرافدين-، وفي سوريا-بلاد الشام-، وتنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية في اليمن، وحركة التوحيد والجهاد في غرب إفريقياوصولا لجماعة بوكوحرام في نيجيريا،، استطاعت هذه التظيمات والحركات الجهادية أن تندمج في الخريطة الجيوسياسية للعالم تحت مسمى "**الشرق**" بمعنى عكس الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية التي أقرت الأوساط الأكاديمية أدبيات الدراسة بتسميتها ب"**الغرب**".

وبالتالي نستخلص بأن الصراع القائم اليوم بين الشرق والغرب كل بإيديولوجيته وتصوراته، ولقد بدا واضحا مما تقدم أن الخوف علاقة متبادلة بين العالم الإسلامي والغرب، وأن آثارها تطال كلا العالمين، وعليهفإن

العالم الإسلامي والعربي في مواجهة مباشرة مع الغرب فكل يرى بأن المقدس بين يديه، هذا ماولد فكرة التطرف في العالمين فالغرب يتعمد في تفعيل التطرف السياسي، أما الشرق يكرس مبدأ الجهاد لمواجهة التطرف السياسي، حتى إختلت صورة العالمين وإن كانت السمة الغالبة في الخطاب السياسي المعاصر هي رفض الصورة التي يحملها الغرب عن الشرق ورفض الشرق للغرب(32).

فوفقا لهذه الأطروحة يتبين لنا بأن التنسيق قائم بين الجهاديون في كل منطقة من العالم العربي من أجل تحقيق وطن يسمى بالشرق في مواجهة الغرب، شعاره التوحيد، وسياسته قائمة على الخلافة الإسلامية، كما صرح العديد من قادة "داعش" و"القاعدة " بأن الحرب الدينية لازالت لم تنتهي وأبرز مثال على ذلك هي التصرفات العنصرية ضد مسلمي أوروبا وأمريكا بعد حادثة "شارلي إيبدو" الفرنسية ومساندة الغربلإسرائيل في تحقيق دولتها داخل منطقة الشرق الأوسط، فالخريطة المقبلة في المشهد الدولي ستتجاوز الحدود التي أقرت بها الأمم المتحدة حسب أدبيات التيارات الإسلامية الأصولية ومن هذا المنطلق نستوعب مفهوم إغتيال الجغرافيا من طرف الحركات الجهادية.

استنتاجات الدراسة:

بعد أربعة أعوام من الحراك العربي 2011 -2014، يبدو أن طموح الجماهير العربية سقطت في أيادي سياسية أوكلت لها عملية الإصلاح والتحول السياسي والديمقراطي إلا أنها لم تستطع تحقيق مطالب الشعوب بل تمادت في الممارسات السلبية مما ولد نوع من الغضب الثاني ضد هاته الأنظمة، ماأدى لإتاحة الفرصة للغرب بتسيير الوضع السياسي مستدلين بعراقتهم التاريخية في ممارسة الديمقراطية وحاملين شعارات تتوافق مع

---

(32) محمد المنسي قنديل، متى نتخلص من الرؤية المشوهة للذات ولآخر؟، الكويت: مجلة العربي، وزارة الإعلام بدولة الكويت، ع 544، مارس 2004، ص116-117.

المقاربة النيوليبيرالية ومابعد الحداثة بتسبيق أطروحة "القانون الدولي الإنساني وحقوق الإنسان والأمن الإنساني" في استراتيجيتهم الضبابية التي لازال لم تستوعبها الشعوب العربية، بينما واشنطن تدير الملفات العالقة في المنطقة العربية والإسلامية وبإيعاز من الأنظمة الحديثة، خاصة موضوع التدخل الإنساني في العراق، سوريا، ليبيا ومالي بتصنيفها "دول فاشلة ومنهارة " إضافة للملف المصري واليمني هذا وفقا لرؤية الإعلام الغربي للمنطقة بأنها منطقة موت من الشرق الأوسط إلى بلدان المغرب العربي.

وفي ظل هذا المخاض السياسي والأمني ولدت حركات أصولية تحمل شعار الدين كرمز للسلطوية والعمل السياسي، مما إتخدت من الجهاد وسيلة لتحقيق أهدافها ضد العدو القريب المتمثل في الأنظمة السياسية العربية والعدو البعيد المتمثل في الدول الغربية، وكانت نشاطات هذه الحركات الجهادية غامضة وتحركاتها زئبقية والتي يصعب فك شفراتها الداخلية لعزلتها الإعلامية، وكذلك ضبابيتها وصعوبة إختراقها، كما أنها تغير استراتيجية تحركاتها بين الحين والآخر، ويمكن أن نرصد التشابكات العابرة لحدود الدولة عن طريق رصد عمليات العنف في أي دولة في العالم بما فيها الدول الغربية ويمكن تصنيف حادثة "**شارلي إيبدو**" ضمن هذا السياق، وبناء عليه يمكن القول بأن كل دول العالم مهددة من هاته الحركات المتطرفة الإسلامية الجهادية وخاصة في ظل تطور وسائل التواصل الإجتماعي يمكن إختراق حدود الدولة الوطنية بسهولة من طرف جهاديون أجانب ومن دول أوروبية، بالتالي لم تعد اليوم الجغرافية عائق أمام هذه الحركات الإرهابية.

وعليه يمكن القول أن الروابط التاريخية والعقائدية والفكرية بين الحركات الجهادية في المغرب العربي ومنطقة الساحل الإفريقي وصولا لدول غرب إفريقيا والمنطقة الشرقية للقارة - الصومال- باعتبارها بوابة نحو الخليج العربي من اليمن، يتكاثف الجهاديون في المنطقة كتنظيم القاعدة في بلاد العرب، والحركة الحوثية الممتدة خارج حدودها

والمتواصلة مع إيران، وصولا لفروع القاعدة في عدد من دول الشرق الأوسط خاصة في بلاد الرافدين تتم على أساس مجموعة من العوامل المشتركة منها المشترك الإيديولوجي والمتمثل في العقيدة الجهادية وإعلاء راية الدين كمعادلة محورية في العمل الجهادي، وأهمها تفعيل الرابطة الدينية القوية وحلم تحقيق الدولة الإسلامية العظمى.

وبالتالي نستخلص بأن هناك خطوط أمنية تخترق الحدود الوطنية في المنطقة العربية وصولا لأوروبا، حيث أصبحت هذه التنظيمات هاجس وفوبيا أمام صناع القرار في الغرب، ومانستنتجه هو أن هاته الحركات الجهادية لم تغتال الجغرافيا فحسب بل إغتالت التاريخ الإسلامي بسبب أفكارها اللاتحاورية والتي تحمل دلالات العنف والإنتقام من التاريخ والجغرافيا حسبهم هذين الأخيرين لم ينصفهم في تحقيق مشروعهما الإسلامي، ولهذا تبنو فكرة الجهاد من زاويته الجيوبوليتيكية والقائمة على فكرة الشرق في مواجهة أسطورة الغرب.

رابعاً: الدعشنة ومقاربات تفكيك ثالوث الصمود الاستراتيجي في المنطقة

أ. سحنون نور الإيمان

مقدمة:

شهدت المنطقة العربية في السنوات القليلة الماضية حراكا فريدا من نوعه وغير متوقع من حيث إن كل النظريات السياسية والمهتمين بالشأن العربي أو الشرق أوسطي فشلت في استشراف الأحداث العنيفة التي هزت الدول العربية في إطار ما أطلق عليه "الربيع العربي" أو الثورات العربية التي انطلقت من سخط شعبي عارم على الأوضاع المزرية والأحوال المتردية التي فرضتها سلطات استبدادية استأثرت بثروات البلاد زمنا طويلا.هذه الاحتجاجات والثروات التي اجتاحت تونس، مصر وليبيا حققت نجاحا مؤقتا ونسبيا لكنها ما انفكت أن أدخلت هذه البلدان في دوامة فوضى ولا استقرار مبهمة النهاية والعواقب والأدهى أنها نشرت عدوى العنف عند بقية الشعوب العربية تحت تأثير وسائل التواصل الاجتماعي التي ما انفكت تنفخ نار السخط والغضب كما ساهمت بشكل من الأشكال في تفريخ كل أنماط التطرف التي يقف على رأسها الحركات الجهادية الإسلامية.

تعد الحركات الجهادية الإسلامية الحاضر الغائب على الساحة السياسية أو البجعة السوداء في ذهنية الأنظمة العربية المستبدة التي أذاقت

ناشطيها الويل بغلق كل الأبواب أمام عملها السياسي ودفعها نحو المغالاة والدموية في أساليبها.في ظل هذا الوضع أطل علينا تنظيم داعش ليؤسس بداية ظاهرة جديدة مستجدة ليس على المنطقة العربية فحسب بل العالم بأكمله، تجد الأطر النظرية المختلفة والنماذج المعرفية نفسها عاجزة عن تفسير هذه الظاهرة السوسيوسياسية العابرة للحدود التي باتت تطرح تحديات ورهانات ذات مستويات مختلفة محلية، إقليمية، عالمية تتعدى كل التوازنات والترتيبات الدولية.

إن التحدي الأساسي الذي تطرحه داعش كظاهرة متفردة من ناحية النهج والأيديولوجية يقع بالأساس على المنطقة العربية والقضايا الجوهرية التي تشغل بال النخب العربية منذ زمن طويل، هذا التحدي سيرسم مستقبل المنطقة والفواعل المؤثرة كما ينعكس على التركيبة السياسية والنسيج المجتمعي الهوياتي.بناء على ذلك تحاول الدراسة التالية الوقوف على جوهر تميز هذه الظاهرة التي تستقطب الرأي العام العالمي والتي ارتأينا أن نسميها الدعشنة، يكون ذلك وفقا للهيكلية التالية:

- التعرف على الجذور التاريخية والمنطلقات الفكرية للتنظيم في محاولة لرصد بذور الغرابة والتفرد في نهجه المترجمة على أرض الواقع.
- الوقوف على حجم الإمكانيات التي يتوفر عليها التنظيم ومصادرها.
- تحليل الأساليب والاستراتيجية المعتمدة بشقها السياسي، الإعلامي وعقيدته العسكرية التي مكنته من السيطرة على أقاليم شاسعة والتأثير على العقول لاستقطاب المقاتلين من جل أصقاع العالم بالبحث في الدوافع الذاتية والموضوعية التي تشكل جوهر الشخصية الداعشية وتصنع جاذبيتها.
- رصد عدوى الدعشنة على الدول العربية.
- تحليل تأثير الدعشنة على النظام الإقليمي العربي والقضايا العربية المركزية.

المنطلقات الفكرية والتأصيل النظري:

ظهر مفهوم الإسلام السياسي أول مرة عند "محمد رشيد رضا (1283-1354) بمعنى "الحكومات الإسلامية أو الذين يسوسون الأمة في إطار الدين الإسلامي"، إلا أن هذا المفهوم تطور عبر التاريخ فارضا نفسه كمحور للجدل بين معارضين ممن اعتقدوا أن هذا المصطلح يهدف إلى ترسيخ فكرة فصل الدين عن السياسة وتقسيم المجتمع إلى طبقات أو مؤسسات.بينما اعتبر مؤيدو الفكرة أن الإسلام السياسي يعبر عن شمولية الإسلام لكافة مجالات الحياة وتجاوزه الإصلاح الفردي إلى الاجتماعي والحضاري والتغيير الكوني، إلى جانب ذلك يعد بديلا لاستخدام مصطلحات سابقة مسيئة راجت في فترة سابقة مثل: الإسلام الأصولي والتهديد الإسلامي. من أجل ذلك يمكن القول أن الإسلام السياسي يعبر عن "ظاهرة وجود حركات وجماعات ذات رؤى تسعى لتطبيق الإسلام في الحياة السياسية والتي تشمل جوانب الحياة الاخرى في ظل غياب دولة إسلامية"[1].

انطلاقا من التعريف السابق للإسلام السياسي يتضح بأن هذه الظاهرة تقصي كل مدلولات الأصولية والتطرف، ويوحي ضمنا بقبول الممارسة الديمقراطية كأداة للوصول للسلطة يتحقق بعدها المشروع الإسلامي البديل، تعتمد على الطرق والوسائل السلمية التي لا تخلو من النزوع إلى العنف في فترات معينة كرد فعل على التضييق والظلم الذي قد يطالها، ولقد عرف التاريخ منذ فجر الإسلام هذه الحركات السياسية مع ظهور علم الكلام الذي أفرز التنظير السياسي بين القوى المتعارضة والمذاهب التي اتخذت من تفسير النصوص النقلية أداة لتبرير أهواء القبيلة والطائفة في إقامة أنظمة حكم وتقوية العصبية ومغالبة أخرى بحجة الأحقية بالإمامة تارة ومحاربة

(1) فرج العشة، نهاية الأصولية ومستقبل الإسلام السياسي، بيروت: رياض الدين للكتاب والنشر، ط1، 2009، ص24.

الانحراف عن النموذج المثالي الأصيل للدين الإسلامي.

تجددت ظاهرة الإسلام السياسي مع حركة الإصلاح الديني التي واكبت عصر النهضة الفكرية في العالم العربي وهدفت إلى تنقية الإسلام مما لحق به من بدع وخرافات وكذا إلى مواجهة الاستعمار، شمل هذا التيار الفكري الإسلامي أفكارا تحررية إصلاحية ترى في اللحاق بالمدنية والتقدم السبيل الأنجع للنهوض بالأمة الإسلامية في حين ارتأت أخرى أن لا مناص من العودة للسلف إذا ما أردنا إصلاح المجتمع الإسلامي والمضي قدما نحو المستقبل أكثر تشبثا بالهوية الإسلامية، من هنا انبثقت جماعة الإخوان المسلمين عام 1928 م محملة بمزيج من الأفكار لإنجاز المشروع النهضوي التحرري وهو الأمر الذي جعل منها أهم حركة إسلامية سياسية في العصر الحديث[2].

تعد حركة الإخوان المسلمين ولا تزال النموذج الأبرز للإسلام السياسي الذي يتم القياس عليه كل ما تعلق الأمر بالحركات الإسلامية، تنظيمها وأهدافها بالنظر إلى مرجعيتها الفكرية ونضالها المرير بين التهميش، القمع، والاستغلال من قبل قادة مصر المتعاقبين، وكذا أساليبها التي تنوعت وفق المتغيرات المحلية، الإقليمية والدولية بين الدعوة السلمية، السرية، المجاهرة والعنف الممنهج في بعض الفترات إلى ممارسة العمل السياسي وفق الأطر الديمقراطية الذي أفضى بها في نهاية المطاف إلى الحظر الكامل بعد تجربة حكم الرئيس "مرسي" التي وصفت بالفشل دون أن يتسنى لها المجال أو الوقت لإثبات العكس، غير أن الدرس المستشف من نضال هذه الحركة وتاريخها يتمثل ببساطة في عدم جدوى العمل السياسي والسلمي أو كما اعتبره بعض الإسلامويين حتمية حمل السلاح في مواجهة الأعداء وتحقيق الغايات.

---

(2) حسن الترابي وآخرون، الإسلاميون والمسألة السياسية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 2004، ص65-66.

إن فهم مصطلح الإسلام السياسي يوضح لنا أن ظاهرة داعش لا تنطوي تحت مسمى الإسلام السياسي البراء من همجيتها إنما تعد شكلا من أشكال الأيديولوجية المبنية على فكر السلفية من حيث إنها استقت من مشارب مختلفة ومتعددة على غرار كتابات "ابن تيمية " والفكر الوهابي الداعية للرجوع للجذور الدينية الأساسية.ويتجلى هذا التأثر في أمرين:

" 1. رفض الشرك والإصرار على التوحيد كمقياس لشرعية التصرفات والأهداف والأفعال والمقولات حتى لو لم تكن دينية بالضرورة بحيث تضع السلفية المسلم أمام طريقين لا ثالث لهما:إما ان تكون سلفيا أو لا تكون مسلما.

2. الرؤية الصارمة والمتصلبة بحرفية القرآن وفق التقليد الحنبلي برفضها التراث الفقهي المعاصر الذي لا يسير وفق التقاليد الفقهية السابقة وينادي بمراعاة الظروف المستجدة معتبرا إياها مؤامرة ترمي إلى انتقاص الشريعة"[3].

محورية فكرة الجهاد لدى داعش:

استنادا على مبدأين سابقين يمثلان جوهر السلطة هما الحاكمية لله وجاهلية العالم تبرز أهمية الجهاد القصوى في سبيل "إحقاق كلمة الله في الأرض ورفع الظلم عن الأمة الإسلامية واستئصال أسبابه، سواء كان هذا الظلم من أطراف خارجية أو من أنظمة مستبدة تحكم بغير شرع الله"[4].

يمكن التمييز بين نوعين من الجهاد هما:

أ - جهاد الدفع:يكون في حالة عدوان على ديار المسلمين أو

---

(3) عبد الحكيم أبو اللوز، "تصلب الأيديولوجيا السلفية الجديدة"، إضافات -المجلة العربية لعلوم الاجتماع-، ع3، (صيف وخريف 2008)، ص97-108.

(4) أحمد الموصللي، موسوعة الحركات الإسلامية في الوطن العربي وإيران وتركيا، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2004، ص74-75.

الاستيلاء على خيراتها حيث يصبح الجهاد فرض عين على كل مستطيع ويكون ولي الأمر صاحب الحق الوحيد في الإعلان عن حالة الجهاد والدعوة إليه وإنهائه بعد إخراج العدو من الإقليم.

ب - جهاد الطلب: هناك خلاف كبير حول شرعيته واستمراريته، ويكون عند القيام بفتح أراض جديدة أو نشر الإسلام في بقاع خارج حدود البلاد، ويعد فرض كفاية إذا قام به البعض يسقط عن باقي المسلمين[5].

إن الجهاد الذي تنادي به الحركات المعاصرة لا ينتمي إلى النوعين السابقين إنما هو حالة غريبة ومستجدة يفضل أن يسميها "نصر محمد عارف" **الجهاد الوظيفي**، ففي غياب العدوان الخارجي أو الرغبة في نشر الإسلام وحتى الإجماع على ولي أمر المسلمين يكشف عن أن "مفهوم الجهاد يوظف من طرف الجماعات الإسلامية لتبرير أفعالها وتسويغ وجودها وتحقيق أغراض أخرى قد تكون سياسية، طائفية أو خدمة مصالح دولية"[6].

بدأ توظيف مفهوم الجهاد منذ الغزو السوفياتي لأفغانستان السبب الرئيسي والأول لانتشار الحركات الجهادية المتطرفة عبر العالم العربي من بين الأفغان العرب الذين استفادوا من التدريب العسكري الضروري وتشربوا الأفكار الجهادية في حلقات النقاش والمحاضرات بين المرجعيات والمشايخ المجاهدين في ساحة القتال، برز خلال هذه الفترة "عبد الله عزام" أحد المؤسسين الأوائل للتيار الجهادي العالمي والمنظرين لفكر القاعدة.

---

(5) عبد الوهاب الأفندي وآخرون، الحركات الإسلامية وأثرها على الاستقرار السياسي في العالم العربي، أبوظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط1، 2002، ص101.

(6) نصر محمد عارف، "المصادر الفكرية لجماعات الجهاد الوظيفي"، السياسة الدولية، ع198 (أكتوبر 2014)، نقلاً عن موقع الاسلاميون: بوابة والطرق الصوفية والحركات الإسلامية. .http://www.islamyun.net/index.php?option=com_k2&view=item&id=2033&Itemid=163.

الجذور التاريخية لتنظيم داعش:

يجد تنظيم الدولة الإسلامية جذوره في تصاعد وتنامي الحركات الإسلامية التي عرفتها فترة الثمانينات في إطار حملة الدعوة إلى الجهاد العالمي في أفغانستان تحت رعاية الفكر الوهابي والتمويل السعودي والأمريكي، فقد تمخضت هذه الحملة العالمية عن ظاهرة التطرف الممثل في الحركات الجهادية الكثيرة العائدة إلى دولها على غرار الجماعة الإسلامية، الهجرة والتكفير وغيرها، بحيث وجهت هذه الحركات سخطها وخبراتها القتالية المكتسبة وإيمانها الراسخ بفتاوى الجهاد إلى عدو آخر غير الخطر الإلحادي تمثل في السلطة الاستبدادية الحاكمة في أوطانهم في ظل هذه التطورات برز مجموعة من الرجالات الذين أخذوا على عاتقهم فكرة الجهاد العالمي أبرزهم السعودي "أسامة بن لادن" المؤسس الأول لجماعة القاعدة على مستوى أفغانستان.

إن القاعدة هي ذروة التطور التنظيمي والفكري للحركات الجهادية التي زخرت بها فترة الثمانينات ومطلع التسعينات إذ حسمت أمرها في مواجهة العدو البعيد (الغرب وأمريكا) مع تجنب الصراع مع الأنظمة الحاكمة خشية تحول المواجهة مع الشعوب وفقدان شرعيتها ومصداقيتها على اعتبار أن هذه الأنظمة تستمد قوتها من العدو البعيد، لذلك استهدفت مصالح هذه الأخيرة في أراضيها وغيرها كما حدث في تفجير السفارتين الأمريكيتين في نيروبي ودار السلام وأحداث 11 سبتمبر 2001[7].

إن تنظيم داعش في الحقيقة لا يعدو كونه نتوءا عن القاعدة ينضخ من نفس الأيديولوجية والفكر المتطرف كدعامة ولكنه يتمايز عنه من ناحية النهج وبلورة الأهداف؛تعود نواة التمايز التي أدت إلى استقلاله عن القاعدة إلى سنة 2004 م عند اعتلاء أبو مصعب الزرقاوي كرسي قيادة فرع

(7) شفيق شقير، "الجذور الأيديولوجية لتنظيم الدولة الإسلامية"، تنظيم الدولة الإسلامية (النشأة، التأثير، المستقبل)، مركز الجزيرة للدراسات 23، نوفمبر 2013، ص20.

القاعدة في بلاد الرافدين بعد مبايعته "أسامة بن لادن" وإعجاب الآخر الكبير ببسالته وقوته التنظيمية اللتان أبان عنهما من خلال تزعمه تنظيم "التوحيد والجهاد".

اتسم "أبو مصعب الزرقاوي" بالشدة والغلظة التي ترجمها في تبني أسلوب الحرب النفسية وارتكاب الفظاعات على مرأى ومسمع من العالم عن طريق استخدام التقنيات الحديثة من مقاطع فيديو على الانترنيت لوقائع ذبح الرهائن أو محاضراته ورسائله الصوتية التي تحث على الجهاد، كذلك تبنى موقفا تكفيريا من الشيعة وباقي أصحاب الملل واحتقارا لدعاة الممارسة الديمقراطية، من خلال هذا الطرح العدائي اانخرط "الزرقاوي" في حرب أهلية كادت تفتك بالعراق تضاف إلى تبعات الغزو الأمريكي وانفلات الأوضاع الأمنية بحيث استهدف أماكن عبادة ومحاج الشيعة في النجف وكربلاء التي ذهب ضحيتها رئيس المجلس الإسلامي الأعلى "محمد باقر الحكيم" في 26 أوت 2003م، كما يقف وراء تفجيرات ذكرى عاشوراء التي أودت بحياة 271 شخص وخلفت مئات الجرحى، هذا ولم تدخر جماعته أماكن عبادة المسيحيين والأيزيديين من جملة الفظائع المرتكبة(8).

تعرض فرع القاعدة في بلاد الرافدين تحت قيادة "الزرقاوي" إلى الكثير من الانتقادات من التنظيم الأم حول نهجه الدموي لكنها لم تكن بذات أهمية نظرا لحرص "بن لادن" على رأب الصدوع داخل التنظيم واستمرار وحدته، لكن مع مقتل "الرزقاوي" توجهت جهود القاعدة نحو تنظيم صفوفها في العراق بتمكين العناصر العراقية من القيادة وعقد تحالفات مع باقي الجماعات الجهادية الناشطة على الساحة العراقية*

---

(8) هيثم مناع، خلافة داعش، المعهد الاسكندنافي لحقوق الإنسان، ط1، 2014، ص24.
http://sihr.net/wp-content/uploads/2014/09/DAECH-AR.pdf.

(*) عرف هذا التحالف بين الجماعات الجهادية بمجلس شورى المجاهدين الذي أعلن عنه في 15 يناير 2006 وضم إلى جانب القاعدة في بلاد الرافدين، جيش الطائفة المنصورة، سرايا =

بغرض "إدارة الصراع في مواجهة الاحتلال الأمريكي وما وصفهم بالعملاء والمرتدين"[9].

خرجت من رحم ائتلاف الجماعات الجهادية تسمية تنظيم دولة العراق الإسلامية في 15 أكتوبر2006 التي ضمت عددا من المحافظات العراقية السنية :الأنبار، كركوك، نينوى، ديالى، صلاح الدين، بابل تولى إمارتها "أبو عمر البغدادي" إلى غاية مقتله حين بزغ نجم "أبو بكر البغدادي" كأمير للتنظيم منذ 19 أفريل 2010م[10].

أسباب الانشقاق عن القاعدة:

يمكن تقسيم الأسباب المؤدي إلى انشقاق تنظيم الدولة الإسلامية عن القاعدة وتحقيقه استقلالية تامة عنها لاحقا من كل النواحي إلى أسباب غير مباشرة وآخر مباشر. تشمل الأسباب غير المباشرة الظروف التي مر بها العالم العربي في العشرية الأخيرة والتي تكللت باندلاع الثورات الشعبية وكذا بالأوضاع الصعبة التي مر بها تنظيم القاعدة، ويمكن حصر الأسباب في التالية:

- منذ غزو أفغانستان 2001 تعرضت قيادات تنظيم القاعدة إلى القتل والاعتقال بينما انعزل البقية في مناطق نائية بأفغانستان وباكستان نتيجة الحصار الأمني والتقني الذي مارسته الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها في سياق الحرب على الإرهاب، بحيث أجبر"بن لادن" على التخفي عن الأنظار والابتعاد عن استخدام وسائط الاتصال التكنولوجي ما جعله بعيدا عن ميادين القتال كما

= أنصار التوحيد، سرايا الجهاد الإسلامي، سرايا الغرباء، كتائب الأهوال وجيش أهل السنة والجماعة.

(9) هيثم مناع، مرجع سابق، ص29.

(10) صبر درويش، "داعش" النسخة الاكثر تطرفا للإسلام السياسي، مركز دراسات الجمهورية الديمقراطية 14، سبتمبر 2014.

صعب في آن تبليغ الرسائل والأوامر.هذا الظرف كان مفيدا بحيث أطلق يد القيادات الميدانية ومنحها قوة ورمزية ساهمت في بلورة تماسك عضوي وفكري لدى فروعها المختلفة خاصة في العراق تجلت ملامحه في تغييره تسميته إلى الدولة الإسلامية في العراق ولاحقا قيام التنظيم[11].

- دفع اغتيال زعيم القاعدة "بن لادن" بالدكتور"أيمن الظواهري" إلى دفة القيادة ولكن الرجل لم يحظ بنفس الإجماع من رجالات التنظيم على الرغم من مبايعته لأنه اعتبر فاقدا لكاريزما الزعامة التي اتصف بها سلفه رغم قوته التنظيرية بينما استهجن آخرون ليونته في التعامل مع قضية الثورات العربية حين رحب بالتغيير السلمي وبارك أيضا صعود "الإخوان المسلمين" إلى سدة الحكم في مصر رغم اختلاف توجهاتهما[12].
- السياسة الطائفية التي انتهجتها السلطة الحاكمة في العراق ما بعد الانسحاب الأمريكي في عهد"نوري المالكي"والتي تعمدت إقصاء السنة عن دواليب الحكم الحساسة كانتقام لزمن "صدام حسين" حيث كان الشيعة أقلية مضطهدة، تكاثفت سياسات "المالكي" مع مقاربات إيران للتغلغل في العراق والمنطقة العربية ما خلف سخطا وغضبا عارما في أوساط الجمهور السني ودفعه إلى الالتفاف حول الأيديولوجية المتطرفة الناضخة بالكثير من الكراهية والحقد إزاء الروافض(الشيعة)وفق الفكر الداعشي[13].
- التغير في نمط القادة وتأثير الشخصيات على نهج الحركة وأبرزها

(11) شفيق شقير، مرجع سابق، ص21.

(12) معتز الخطيب، "تنظيم الدولة الإسلامية: البنية الفكرية وتعقيدات الواقع"، تنظيم الدولة الإسلامية: التنظيم، النشأة، المستقبل، مركز الجزيرة للدراسات 23نوفمبر2014، صص.15,14.

(13) عبد الباري عطوان، الدولة الإسلامية: الجذور، التوحش، المستقبل، بيروت: دار الساقي، ط1، 2015، ص82-85.

"أبو بكر البغدادي"* الذي نصب أميرا للتنظيم في 10 ماي 2010، فقد كان لهذا الأخير الفضل الكبير في تشكيل النواة الصلبة للتنظيم من الضباط السابقين في الجيش العراقي.

أما السبب المباشر وراء استقلال التنظيم فيعود إلى رفض قرار "أيمن الظواهري" بتقسيم المهام في جبهات القتال بحصر تنظيم الدولة في العراق وإطلاق يد جبهة النصرة الفصيل الآخر التابع للقاعدة في الشام بإقرار "أبو محمد الجولاني" أميرا عليها مع تكليف "أبو خالد السوري" بالتوسط لحل الخلاف بين الفصيلين وكبح الطموح التوسعي لقيادة الدولة الإسلامية في العراق، لكن مقتل الأخير في عملية انتحارية أشعل حربا بين الطرفين بعد أن اتهمت القاعدة تنظيم الدولة باغتياله، تزامنت الحرب على الأرض مع تبادل الاتهامات التي وسعت صدوع الخلاف الأيديولوجي خاصة مع إعلان "أبو بكر البغدادي" نفسه خليفة للمسلمين في خطوة لسحب البساط من تحت قدمي القاعدة وتوسيع الدولة نحو الشام[14].

محاور الاختلاف بين القاعدة وتنظيم الدولة الإسلامية:

- تغيير طبيعة العدو المستهدف من العدو البعيد (الغرب) لدى القاعدة إلى العدو القريب الذي تنعكس صورته في المشروع الصفوي الإيراني و"المرتدين" من الديانات والمذاهب الأخرى والأهم من

(*) أبو بكر البغدادي: إبراهيم بن عواد بن إبراهيم البلدي السامرائي، ولد في سامراء 1971 من عشيرة البوبدري العراقية، خريج الجامعة الإسلامية في بغداد ومتحصل على دكتوراه حول التجويد.

(14) حسن أبو هنية، الدولة الإسلامية والقاعدة: في جذور الخلاف، 17 أوت 2014، نقلاً عن موقع الإسلاميون: بوابة الطرق الصوفية والحركات الإسلامية.
http://www.islamyun.net/index.php?option=com_k2&view=item&id=1899:%-D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%84%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%8A%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%A7%D8%B9%D8%AF%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%AC%D8%B0%D9%88%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%AE%D9%84%D8%A7%D9%81&Itemid=168.

ذلك كل الموالين للطاغوت من الأنظمة السياسية العربية المتحالفة مع الغرب.

- اعتقاد تنظيم الدولة بضعف القاعدة وانحرافها عن نهجها بقبولها التغيير السلمي الذي أتت به الثورات العربية وسكوتها عن الديمقراطية.
- تلبس تنظيم الدولة الإسلامية بمذهب الإرجاء والجهمية بمعنى أنها لا تكفر من وجب تكفيره من المسلمين على خلاف تنظيم الدولة الذي يعتبر الشيعة مرتدين ويبيح دم الطوائف الأخرى من غير المسلمين ويستهجن خروج الفصائل الإسلامية الأخرى عن الخلافة ويكفر الطاغوت[15].
- تعيب القاعدة على تنظيم داعش الدموية والغلو في أساليبه الترهيبية وتصلب مواقفه الفقهية، ومعاداتها لباقي الحركات الإسلامية، وانخراطه في صراع عنيف مع الجماعات الأخرى من المسلمين فعلى سبيل المثال يصف "أبو محمد العدناني" الناطق الرسمي للتنظيم الإخوان المسلمين بأنهم "أشر من العلمانية"[16]

بناء على المحاور الخلافية بين التنظيمين يثبت لنا بأن داعش هو تنظيم قادر على إنتاج قالب فكري خاص به ومحاولة ترويجه، وعليه فإن الدعشنة أيديولوجية متميزة عن غيرها على الرغم من ارتكازها على نفس البنية الفكرية للسلفية الجهادية وخروجها عن عباءة القاعدة التنظيمية، وتتسم هذه الأيديولوجية بتصلب المواقف والمغالاة في تكفير بقية المجتمع والتنظيمات مع توظيف مفهوم الجهاد والخلافة وإضفاء نوع من القدسية المبالغ فيها واعتبارها مرجعية ودعامة تبرر استراتيجية التوحش المعتمدة من طرفها على جبهات القتال ومناطق التوسع.

---

(15) نفس المرجع.

(16) شفيق شقير، مرجع سابق، ص26.

هيكلية "الخلافة" في تنظيم الدولة الإسلامية :

إلى جانب الأيديولوجيا القوية التي تحرك تنظيم داعش اتسم هذا الأخير بهيكلية متينة سمحت له بتنظيم صفوفه وتنفيذ استراتيجيته، وتنبع فكرة "الخلافة " حول موقف التنظيم من المسائل الفقهية الخلافية بين الحركات الإسلامية وهي:

كفر النوع وتكفير المعين: حسمت مشايخ "داعش" رأيها بشأن هذه القضية بتكفير كل الأنظمة السياسية والرفض المطلق للممارسة الديمقراطية أو الطاغوت دون التماس الأعذار لدعاتها وكذا تطبيق الشريعة الإسلامية بحذافيرها في الحياة اليومية في المناطق التي استولى عليها التنظيم.ضمن هذا السياق خصص الناطق الرسمي للتنظيم"أبو محمد العدناني"خطبة كاملة لدحض ونقض النضال السلمي تحت عنوان "السلمية دين من؟" يقول فيها: "...إن امتنا الغالية اليوم تعيش في عبودية وذل، والدليل على ذلك ما عرف بثروات الربيع العربي التي خرجت تطالب بالحرية والكرامة فإن جيوش الطواغيت قد أذلت المسلمين وعبدتهم لقوانين وضعية شركية ظالمة ...من زعم أنه أعلم وأرأف من النبي -صلي الله عليه وسلم- وأن هديه أفضل من هديه.ومن زعم أن دين الله يقوم بالدعوات السلمية فقد ضرب بكتاب الله وسنة نبيه عرض الحائط واتبع هواه...إن جيوش الطواغيت من حكام ديار المسلمين هي بعمومها: جيوش ردة وكفر.وإن القول اليوم بكفر هذه الجيوش وردتها وخروجها من الدين بل ووجوب قتالها وفي مقدمتها الجيش المصري لهو القول الذي لا يصح في دين الله خلافه."(17)

إعذار المخالف: تستند على المبدأ السابق بحيث التمست النقاشات بين المشايخ إعذار المخالف على غرار الإكراه، العذر بالجهل، التأويل والخطأ، ولكن مع تنظيم داعش لا تؤخذ بالأعذار بل يضرب بالقوة لتطبيق

---

(17) هيثم مناع، مرجع سابق، ص84.

الشريعة على المخالفين وإهدار دمهم[18].

الإمرة والأمير: دار النقاش بين الحركات الجهادية في السابق حول قضيتين محوريتين هما: غياب حاكم شرعي بأمر الجهاد ورفض الحزبية بيد أن التنظيم أول ما أعلن عن فكرة الخلافة أنشأ منصبا جديدا يفوق منصب أمير القتال الذي شغله "أيمن الظواهري" وقبله "بن لادن" ليسحب بذلك سلطته وتوجب له البيعة[19].

ضمن سياق السعي الكبير لتطبيق الشريعة الإسلامية وإعلاء كلمة الجهاد ترتكز مؤسسة الخلافة على تنظيم وهرمية مؤسسية متينة قوامها الهياكل التالية:

1 - يعد الخليفة القائد السياسي والديني للتنظيم.

ينسب هذا المنصب للأشخاص الذي تتوفر فيهم ثلاثة شروط أساسية هي: "العلم الشرعي والنسب القرشي وسلامة الحواس ويختار من مجلس الشورى وأهل الحل والعقد ويحصل على البيعة من جماهير المسلمين"[20].

هذه الشروط اجتمعت في الخليفة الحالي "أبو بكر البغدادي" الذي يروج أنه ينحدر من آل البيت ما يعتبر إضافة رمزية مهمة يجري استخدامها

---

(18) شفيق شقير، مرجع سابق، ص23.

(19) أحمد الريسوني، الخلافة على منهج النبوة والخلافة على منهج داعش، موقع الجزيرة، 08 يوليو 2014.
http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2014/7/7/%D8%A7%D9%84%-D8%AE%D9%84%D8%A7%D9%81%D8%A9-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D9%85%D9%86%D9%87%D8%A7%D8%AC-%D8%A7%D9%84%-D9%86%D8%A8%D9%88%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%-D8%AE%D9%84%D8%A7%D9%81%D8%A9-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D9%85%D9%86%D9%87%D8%AC-%D8%AF%-D8%A7%D8%B9%D8%B4.

(20) حسن أبو هنية، "البناء الهيكلي لتنظيم الدولة الإسلامية"، تنظيم الدولة الإسلامية (النشأة، التأثير، المستقبل)، مركز الجزيرة للدراسات 23، نوفمبر 2014، ص35.

للحد من منافسة الشخصيات الأخرى المتطلعة للقيادة وتبرير شرعية الخلافة، إلى جانب أنه يحمل شهادة دكتوراه في الفقه الإسلامي واشتغل في خدمة المساجد أثناء الغزو الأمريكي بالدعوة وجمع الأموال والتدريس الشرعي والإفتاء. اعتقله جيش الاحتلال ليظهر من جديد مقاتلا ومرشدا في صفوف القاعدة[21].

يتمتع الخليفة بصلاحيات جد واسعة في تسيير المجالس وتعيين القائمين عليها وعزلهم حيث يحرص على إحكام قبضته على القضايا الاستراتيجية بإدارة الغزوات والتوسعات الميدانية بالاعتماد الكبير على العنصر العراقي من الضباط العراقيين السابقين من أمثال "حجي بكر" للاستفادة من خبراتهم العسكرية في تأمين التنظيم من الاختراقات وتعزيز قوته الدفاعية وتنظيم جيوشه أيضا.

2 - جلس الشورى:

يتسع عدد أعضائه ويقل عند اقتضاء الحالة، لديه صلاحية عزل الأمير واختياره من الناحية النظرية، يتباحث في القضايا المستجدة بيد أن مشورته تبقى معلمة وغير ملزمة وتقتصر فقط على الأمور التنظيمية التي لم يرد فيها نص قاطع من القرآن والسنة[22].

3 - أهل الحل والعقد:

تضم طائفة واسعة من الأعضاء والمناصرين من أهل الشأن من الأمراء والعلماء والقادة والساسة ووجوه الناس ممن تتوافر فيهم مجموعة من الشروط كالعدالة، الحكمة والعلم، وقد عبر "أبو محمد العدناني" أن

---

(21) يوسف الديني، "داعش تنظيم ولد مع القاعدة ونشأ في السجون مع البعث ويطمح للتمدد إلى روما"، جريدة الشرق الأوسط، ع3 (أغسطس 2014).
http://archive.aawsat.com/details.asp?section = 4&issueno = 13032&article = 781817&feature = #.VOhlv-aG-w8.

(22) حسن أبوهنية، مرجع سابق، ص36-37.

اختيار "البغدادي" خليفة تحقق بعد اجتماع مجلس الشورى وبيعته[23].

بعد المجالس تندرج الهيئات منها الهيئة الشرعية المكلفة بتطبيق الضوابط الشرعية المتعلقة بالفصل من الخصومات وإقامة الحدود وأيضا الوعظ والإرشاد والدعوة عبر إصدار الفتاوئ، تساعدها في ذلك الهيئة الإعلامية التي تتولى إيصال الرسالة السياسية. إضافة بيت المال، المجلس العسكري والأمني.

توسع نفوذ التنظيم بطريقة خيالية منذ جوان 2014 م، قسمت إداريا إلى 5 ولايات أضيفت لها مؤخرا ولاية سيناء بعد إعلان جماعة "أنصار بيت المقدس" الناشط بها بيعته لأمير داعش في نوفمبر 2014. كما فعلت تنظيمات أخرى في ليبيا و"جند الخلافة" المنشق عن القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي من الجزائر وفي اليمن وغيرها من البلاد الإسلامية، فبعد السيطرة على قرابة 35 %من الإقليم العراقي و20%من سوريا يعتبر التنظيم الأردن أولوية لتوسعه تليها أرض الحجاز متطلعا لبناء امبراطورية تمتد من تركستان الشرقية حتى روما في ظرف 5 سنوات حسب الخريطة التي تداولها الإعلام[24].

تعزى قدرة الإقليم وقدرته على الحركة السريعة وبسط النفوذ على أقاليم واسعة إلى ضخامة موارده المالية التي تسمح له بإرساء تنظيم سياسي، اقتصادي وحتى ثقافي مجتمعي بحيث يباشر بفرض نظام الجزية والضرائب وتطبيق الشريعة عبر المحاكم الشرعية وإرساء نظام تعلمي بالتوافق مع الإسلام السلفي، وإقامة الحدود والفصل بين الرجال والنساء في الحياة اليومية.

---

(23) نفس المرجع والصفحة.

(24) Zachary Kech,«China created ISIS, too» the diplomate,(September 15,2014. http://thediplomat.com/2014/09/china-created-isis-too/.

مصادر تمويل تنظيم الدولة الإسلامية:

يعد تنظيم داعش أثرى التنظيمات والحركات الإسلامية عبر التاريخ إذ تفوق مداخيله تلك التي حصلتها القاعدة في وقت سابق.وتتراوح قيمتها بين 500 مليون و1,5 مليار دولار[25] تتأتى من مصادر مختلفة:

أ - التبرعات والهبات:

مثل كل الجماعات الجهادية في مختلف بقاع العالم من الشيشان إلى أفغانستان فالفليبين وغيرها تشكل تبرعات الخواص النصيب الأكبر من الموارد وتكون في أغلب الأحوال تحت غطاء المساعدة الإنسانية. يحصل تنظيم الدولة الإسلامية على ما يقارب 20 مليون دولار سنويا من رجال الاعمال وجهات مجهولة من دول الخليج خاصة قطر والكويت بالنظر إلى نظمهما البنكية المرنة التي تسهل عملية تحويل الأموال إلى الحركات الجهادية، وقد أشارت كاتبة الدولة للخارجية الأمريكية سابقا "هيلاري كلينتون" بأن هاتين الدولتين تعدان الحلقة الأضعف في مجال مكافحة الإرهاب[26].

يبقى للأثرياء السعوديين نصيب لا يستهان به في تمويل هذه الجماعات والتي تقدم مساعدات بحجة دعم الصحوات السنية وتقوية شوكتها لمواجهة النفوذ الشيعي الإيراني المتنامي في العراق - وهي بذلك تبرر بالدفاع عن الدين والمذهب الصحيح في الوقت الذي تخدم بالأساس مصلحة النظام السعودي المنخرط في منافسة مع نظيره الإيراني على موقع الريادة في الخليج العربي منذ عهد الشاه "بهلوي" كما تخدم الاستراتيجية الأمريكية في الشرق اللأوسط.

---

(25) Murad Batal al Shihani,«the political economy of the islamic state» terrorism monitor, volumexii, issu24 (December19, 2014), pp.06-10.
http://www.jamestown.org/programs/tm/single/?tx_ttnews%5Btt_-news%5D=43221&tx_ttnews%5BbackPid%5D=757&no_cache=1#.VOh73OaG-w8.

(26) عبد الباري عطوان، مرجع سابق، ص137.

ب - أموال الفدية عن الرهائن:

تقدر مساهمتها في بيت المال بـ 20% تحصل من المواطنين الأجانب من صحافيين، دبولماسيين وأعضاء طواقم المساعدة الإنسانية التابعة للمنظمات الحكومية والغير الحكومية دون استثناء السكان المحليين الذين تفرض عليهم مبالغ متوسطة شريطة استرجاع رهائنهم[27].

ج -الغنائم وثروات البلاد:

سيطر التنظيم منذ الوهلة الأولى على ثروات البلاد أهمها الحصول على مدخرات البنك المركزي في الموصل وغيره من المؤسسات البنكية، إلى جانب استغلال الغلال والحبوب والحقول النفطية والغازية في العراق وسوريا وكذا مناجم الذهب والمقتنيات الباهظة الثمن[28].

يحصل تنظيم داعش على مداخيل هامة من تصديره للنفط بكميات صغيرة على طول الحدود مع تركيا، الأمر الذي اعترفت به مبعوثة الاتحاد الأوربي «Jana Hybaskova» مطلع سبتمبر 2014 مثيرة زوبعة من الجدل والإنكار عندما صرحت قائلة: "للأسف. هناك دول أعضاء في الاتحاد الأوربي تشتري هذا البترول" رافضة الإدلاء بمزيد من التفاصيل حول الموضوع، وأكد على صحة ذلك أحد خبراء الطاقة بأوربا عندما اعتبر تركيا ممرا لهذا النفط إما باستخدامه المحلي لتخفيف وطأة ارتفاع أسعار الطاقة على أراضيها أو بنقله إلى جيهان حيث يتواجد أهم خزان طاقوي في البحر المتوسط ممول للسوق الفوري حيث تشتري الدول الأوربية حصصا إضافية من النفط عند الحاجة دون التدقيق في مصدر النفط والوثائق المثبتة لشرعيته[29].

(27) Murad batal alshihani Loc.cit.

(28) Denis Bauchard,le moyen orient face à Daech —défi et riposte-,note de lifri,Octobre2014,pp.13.14.http://www.ifri.org/sites/default/files/atoms/files/bauchard-daech.pdf.

(29) Sara Taleb, «A qui Daech vend il son pétrol?» le Huffington post,11 Octobre 2014.

د - السوق السوداء وتجارة الممنوعات:

تلجأ داعش إلى كل أشكال التعامل غير الرسمي لتبييض الأموال وبيع الممنوعات بما في ذلك تجارة المخدرات على طريقة طالبان في أفغانستان إلى جانب تجارة البشر من النساء والأطفال من الأيزيديين والمسيحيين ممن اعتبروا سبايا أقيمت الأسواق لبيعهم بأسعار مقننة أو توزيعهم على المجاهدين[30].

هـ - الضرائب:

وهي أهم مصدر تمويل للتنظيم بحيث يجبر التجار المحليين والأثرياء من الموالين له أو على الأقل المعارضين للنظام العراقي على دفع مبالغ مالية. يبلغ مقدار المال المستحوذ عليه من الضرائب ما يقارب 8 مليون دولار شهريا. من جهة أخرى يفرض داعش نفقات عبور وتعاريف جمركية على الشاحنات التي تعبر أراضيه وتقدر المداخيل بحوالي 500 ألف دولار في الشهر. فعلى سبيل المثال يسيطر على مدينة "رتبة" الواقعة على الحدود العراقية الأردنية التي تستقبل قرابة 1000 شاحنة يوميا لكن فرض التعاريف الباهظة أدى إلى انخفاض عدد الشاحنات وقوافل السلع إلى 50 فقط يوميا مما أثر سلبا على التجارة البينية[31].

إن الحديث عن مصادر التمويل والثراء المريب الذي يتميز به تنظيم داعش أثار العديد حول الجهات التي تدعمه وطرح العديد من الفرضيات حول الفواعل التي تقف وراءه:

الافتراض الأول: تنظيم داعش صنع نظام الأسد وحلفائه في المنطقة:

يرى بعض المتتبعين أن جماعة داعش تتلقى تمويلا من نظام الأسد

---

http://www.huffingtonpost.fr/2014/10/11/daech-petrole-etat-islamique-marche-petrolier_n_5964614.html.

(30) هيثم مناع، مرجع سابق، ص109.

(31) Murad Batal al Shihani, Loc.cit.

وحليفته إيران الداعم الرئيسي لسياسة "نوري المالكي الطائفية" في العراق التي تسببت في إيجاد مناخ ملائم وتشكيل حاضنة شعبية لتنظيم داعش. ويرى أصحاب هذا الطرح أن داعش أشبه بحصان طروادة بالنسبة لنظام الأسد وحلفائه من أجل ضرب قوى الثورة السورية.

تؤكد بعض الدلائل على صحة هذا الطرح إذ إن نظام الأسد تورط منذ سنوات في تغذية التنظيمات الإرهابية والتلاعب بها لضرب خصومه السياسيين، فبحسب "بيتر نيومان" تشكلت لدى الأسد ومخابراته منذ سنوات قبل الانتفاضة قناعة بأنه يمكن رعاية الجهاد والتلاعب به لصالح النظام وكان ذلك هو الحيز الذي دخل منه الجهاديون والمقاتلون الأجانب إلى سوريا وساهموا في بناء الهياكل وخطوط الإمداد التي تستخدم اليوم في قتال النظام، ما يجعل "الأسد" شريكا في خلق العدو الذي يقاتله اليوم(32).

يدعم أصحاب هذا الطرح رأيهم بسوق بعض الأمثلة عن قيادات التنظيم ذات التاريخ المشبوه فعلى سبيل المثال: المدعو "أبو أحمد حاووط" هو واحد من أهم القيادات في تنظيم داعش بحيث يشغل منصب مسؤول أمن حلب كان أثناء الثورة السورية ضابط مخابرات أمن الدولة التابع للنظام السوري في نفس المدينة ولم ينشق عن النظام إلا بعد مضي عامين ونصف من قيام الثورة عندما التحق بداعش وارتكب مجازر رهيبة كأيام خدمته للأسد(33).

الافتراض الثاني: داعش صناعة استخباراتية أمريكية إسرائيلية:

لقد تبين عبر تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية ضلوعها في عمليات إثارة الحساسيات الثقافية داخل الدول ودعم المعارضة السياسية بأطيافها داخل الأنظمة لخدمة أجندتها الإمبريالية والحفاظ على زعامتها للعالم.وقد

---

(32) بيتر نيومان، الجهاديون في سوريا، ترجمة: ياسر الزيات، موقع الجمهورية 27، مارس 2014، ص12.

(33) صبر درويش، مرجع سابق، ص11.

اتضح هذا الأمر في الروايات التي كشفت عن علاقتها بالقاعدة ومؤسسها "بن لادن" التي قادت البعض إلى الاعتقاد بأن أحداث 11 سبتمبر ما هي إلا أزمة مفتعلة لتبرير غزو العراق وأفغانستان؛أما فيما يتعلق بداعش فقد تداولت التقارير الإعلامية العالمية والإقليمية الكثير من المعلومات حول التحاق "خليفة " داعش بمعسكرات التدريب الأمريكية بالأردن التي افتتحت منذ 2006 في إطار سياسية الفوضى الخلاقة حيث تلقى تدريبا لمدة سنة بمعرفة خبرا الموساد.

من جهة أخرى تحدث "إدوارد سنوسن" المستشار السابق لوكالة الأمن القومي الأمريكية عن أن داعش تأسست ضمن عملية "عش الدبابير" بالتعاون مع الاستخبارات البريطانية والموساد بهدف ضمان إسرائيل من خلال إنشاء تنظيم ديني متطرف قادر على استقطاب متطرفي العالم لتخليص الدول الغربية منهم وتفجير مواجهة حادة وطويلة بين دول المنطقة إضافة لمواجهة المحور الإيراني وذراعه العسكري "حزب الله"[(34)].

بالإضافة إلى الافتراض الثاني تتوجه أصابع الاتهام إلى تورط حزب العدالة والتنمية الحاكم في تركيا في عمليات تمويل وتسليح التنظيم في بداياته بغاية تكوين ائتلاف سني في مواجهة النفوذ الإيراني الشيعي والفوز بلعبة التنافس بين القطبين التركي والإيراني التي احتدت في السنوات الأخيرة وطبق خلالها الجانب التركي أفكار منظر سياسته الخارجية "أحمد داوود أوغلو" الداعية إلى استعادة المجد العثماني عبر تصفير المشكلات مع دول الجوار العربي وبث الروح في العلاقات البينية عن طريق قنوات الدبلوماسية العامة ووسائط القوة الناعمة التي تقدم تركيا كنموذج سياسي جذاب يعبر عن إمكانية نجاح الإسلام السياسي المعتدل في الوصول إلى الحكم والممارسة الديمقراطية.

(34) Thomas.M.Sanderson, Jusha Russakis and Michael Barber,3 Key elements of the counterterrorism chalenge, center ofstrategic nd international studies, December15, 2014 csis.org/files/publication/chapter3_sanderson_religiousradicalism.pdf.

برز هذا التنافس ومعه الطموح التركي في المنطقة بصورة أوضح أثناء الثورات العربية حيث سعى الرئيس التركي باستماتة إلى إسقاط نظام الأسد بتقديم الدعم والحماية السياسية للمعارضة ورجالات الثورة السورية.ضمن هذا السياق يشبه الدكتور "نصر محمد عارف" تركيا بإمبراطور الروم الجديد الذي استنسخ دور الروم في علاقاته مع العرب زمن الجاهلية حين أخضع الغساسنة إلى سلطته فباتوا يقاتلون إخوانهم من العرب لصالحه معتبرا أن غساسنة الماضي تم استنساخهم في مائة جبهة وحزب وحركة على رأسها داعش وفي ذيلها أولئك "المنافقون" الذين يتجولون في فنادق تركيا تحت اسم "الحكومة السورية المؤقتة" بلباسهم الأنيق(35).

إن الحقيقة تحتم إعادة النظر في الافتراضين السابقين إذ لايمكن لنظام "الأسد" أن يخلق تنظيما يتبنى بالأساس عداء لا مثيل له للمذهب الشيعي الذي تمثله النخبة العلوية في سوريا ويتجلى في عمليات التقتيل والإبادة وفتاوي مشايخه الموجهة. كما أن القول بأن التنظيم لم يستهدف قوات الأسد في أول الأمر تفنده الوقائع اللاحقة التي بدأت توحي بانتهاج التنظيم براغماتية من نوع خاص في التقارب مع "جبهة النصرة" غريمه الأساسي بالشام انعكس في توزيع المهام بينهما بحيث تتولى "جبهة النصرة" قتال "حزب الله" في عرسال اللبنانية بينما يواجه التنظيم القوات النظامية السورية في أماكن أخرى (36).

إن الأصح هو أن تنظيم داعش هو حركة تكاتفت عوامل عديدة في خلقها وإبرازها على أرض الواقع ولا يمكن إنكار تورط الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها في المنطقة من تركيا، إسرائيل والسعودية في إيجاد هذا الكيان، كما لا يمكن القول أن نظام الأسد كان وراء هذا النظام بالنظر

---

(35) نصر محمد عارف، "ما بين تركيا وإيران -لانزال غساسنة ومناذرة" موقع مؤسسة الأهرام، بدون تاريخ .www.ahram.org.ef/newsq/360421

(36) محسن عوض الله، "فسل الغرب في معالجة الإرهاب يؤجج دموية الإرهابيين"، صحيفة العرب 16، يناير Alarb.co.uk/m/?/d = 42854.2015 .

لأيديولوجيته المضادة ولكن الحق هو أن بروز التنظيم أعطى النظام السوري فرصة لالتقاط الانفاس وترتيب الأولويات بعد الضغوط الدولية التي تعرض لها منذ تفجر الثورة على أراضيه والأهم أنه منحه فرصة ذهبية للوقوف جنبا إلى جنب مع الفواعل التي أرادت إسقاطه في السابق لمحاربة هذا العدو الجديد المشترك وهو الأمر الذي يعطيه أفضلية جديدة على المفاوضة وربما المساومة على بقائه.

بناء على ما سبق يمكن القول أن السعودية متورطة مع الولايات المتحدة في صقل جذور التنظيم من خلال التمويل المقدم للجهاد الإسلامي منذ أفغانستان وللجماعات السنية لمواجهة المشروع الإيراني الصفوي وكذا من خلال استغلال مكانتها كمنبر ديني لتصدير الفكر السلفي الوهابي لتجميع صفوف السنة ضد إخوانهم من الشيعة ما ساهم في ازدهار التطرف وهي إذ تقوم بذلك تخدم الاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط.

هذه الاستراتيجية التي تعرضت لتحد هائل مع عودة روسيا إلى الساحة الدولية وتحديها الكبير للإرادة الأمريكية في صناعة التفاعلات الإقليمية خاصة منها الأزمة السورية التي كشفت عن تراجع الزعامة الأمريكية وعليه كان على الولايات المتحدة توقي خطر التحدي الروسي وعواقبه الوخيمة أمام قساوة الدرس المستفاد من الأزمة الأكرانية المحسومة لصالح روسيا، ويتحقق ذلك بإحياء التطرف الإسلاموي من جديد كعدو مشترك يجبر الفرقاء على التزام نفس الصف خلف الولايات المتحدة بالنظر إلى ريادتها في مجال مكافحة الإرهاب وهشاشة جبهة التحدي الروسية الصينية في التعامل مع هذه القضية بسبب أقلياتها المسلمة وخوفا من عدوى التطرف.

في المقابل يتجلى تورط إسرائيل سواء بالتمويل أو تصنيع الأفكار ورعايتها في أنها المستفيد الأكبر من بروز هكذا جماعة متطرفة بحيث إنه العدو الغير مستهدف بل على العكس من ذلك أطل عينا "أبو بكر

البغدادي" في وقت لاحق ليقول أن الله "لم يأمرنا بقتال إسرائيل"[37].

في نفس السياق أبدى العديد من المسؤولين الإسرائيليين عدم قلقهم من التنظيم بحيث أكد كل من وزير الدفاع "موشيه يعالون" ورئيس شعبة الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية ورئيس معهد أبحاث الأمن القومي بجامعة "تل أبيب" "علموس يادلين" أن تنظيم داعش لا يشكل خطرا مباشرا أو جادا على إسرائيل[38].

تركيبة المجتمع وخصائص الشخصية الداعشية:

أوجد تنظيم داعش تحت مسمى وإطار الخلافة الواسع مجتمعا متميزا عن غيره يتسم بدرجة عالية من اللاتجانس تتمظهر في ضمه للمقاتلين من جنسيات مختلفة ومجتمعات في غاية الاختلاف من الغرب المعاصر المتحرر إلى أبناء الصحراء الشعث الغبر، من المسيحيين المتأسلمين حديثا إلى السلفيين المتشددين من مختلف أصقاع العالم الإسلامي فحديثي الإيمان والتشدد الذي التحقوا من أواسط آسيا والقوقاز وغيرهم.ضمن هذه التوليف العجيبة يمكن تبيان الخصائص التالية:

- يشمل المجتمع الداعشي قيادات عسكرية من نظام البعث العراقي سابقا من الذين عاثوا في الأرض فسادا زمن حكم "صدام"ثم لاقوا التعذيب وذاقوا ويلات الحرب في عهد الاحتلال الأمريكي

---

(37) Peter Harling,«Etat islamique, un monstre providentiel» le monde diplomatique, Septembre2014.
http://www.monde-diplomatique.fr/2014/09/HARLING/50787.

(38) بشير عبد الفتاح، "إسرائيل... الغائب الحاضر في الحرب على داعش"، موقع الجزيرة 25، سبتمبر 2014.
http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2014/9/23/%D8%A5%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%BA%D8%A7%D8%A6%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%A7%D8%B6%D8%B1-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B1%D8%A8-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%AF%D8%A7%D8%B9%D8%B4.

واصطدموا بالإقصاء والتهميش على يد السلطة الحاكمة بعد تسلمها زمام الأمور.هذا ما دفع هذه المجموعات لأن تكون أول المبادرين والمنضمين لهذا التنظيم مفرغين بذلك شحنة الحقد والغضب والانتقام إزاء الأنظمة المتسببة في غبنهم[39].

- يشمل المجتمع الداعشي مقاتلين من أكثر من 70 دولة وجنسية بحيث تتحدث الإحصائيات عن أن ما لا يقل عن 25% منهم قدمت من الغرب بحيث 6% من فرنسا وحدها و4,5% من بريطانيا، أما من العرب فيشكل التونسيون الغالبية بعد أهل الأرض من السوريين والعراقيين بنسبة 25% ويليهم السعوديون 22% فالأردنيون 20% ثم المغاربة 15%[40].

يضاف إلى هؤلاء عدد معتبر من شباب الجمهوريات الإسلامية في الفضاء السوفياتي سابقا تقدر بقرابة 3 آلاف قوقازي غالبيتهم من الشيشان وداغستان والأوزبك بدرجة أقل بحيث يشارك هؤلاء بفعالية كبيرة نظرا لخبراتهم القتالية سواء في الحرب الأهلية ضد روسيا أو انخراطهم في شبكات الجهاد العالمي التي تنطلق من وادي فرغانة[41].

يعد استقطاب المقاتلين الأجانب عادة قديمة درجت عليها التنظيمات الجهادية ذات البعد العالمي على رأسها القاعدة التي كشفت التقارير الإعلامية سنة 2007 أنها استحدثت مكتب تجنيد في وقت سابق في ما عرف بملفات "سنجار" يتولى من خلالها مجلس الشورى تسجيل تفاصيل عن المتطوعين الجدد الذين جاؤوا إلى العراق للالتحاق بالقاعدة[42].

---

(39) حازم الامين، "عن داعش ومجتمعاتها: اللعب خارج السوسيولوجيا"، تنظيم الدولة الإسلامية (النشأة، التأثير، المستقبل)، مركز الجزيرة للدراسات 23، نوفمبر 2014.

(40) عبد الباري عطوان، مرجع سابق، ص168.

(41) تامر بدوي، "التأثيرات المحتملة لتنظيم الدولة على المجال الأوراسي: الأبعاد والتداعيات الإقليمية"، تنظيم الدولة الإسلامية (النشأة، التأثير، المستقبل)، مركز الجزيرة للدراسات23، نوفمبر2014، ص64.

(42) عبد الباري عطوان، مرجع سابق، ص172.

- يغلب على مقاتلي الدولة فئات الشباب القادمة من الدول الأوربية والتي تضم فتيات وفتيان في عمر المراهقة من الذين التحقوا بتنظيم الدولة للقتال أو لتكوين عوائل تخلق الجيل الجديد من المجاهدين تحت تأثير فتاوى جهاد النكاح المتعالية. هذه السمة تتفرد بها ظاهرة داعش بالنظر إلى الأعداد المتزايدة للملتحقين الأوربيين حتى ولو عاد الكثير منهم إلى أوطانه ويعزو بعض المحللين سبب الاستقطاب إلى نزوع هذا الشباب إلى المغامرة والمخاطرة على صورة السينما الهوليوودية التي تتولى الترسانة الإعلامية للتنظيم تلميعها وصقل جاذبيتها[43].
- إن السمة الغالبة على التركيبة السوسيوثقافية هي أن معظم المنتمين للتنظيم يتأتون من خلفيات اجتماعية فقيرة أو متواضعة الدخل - ماعدا استثناءات الأوربيين- مشبعة بالإحباط من الأوضاع الاقتصادية والاستبداد السياسي وكذا تبخر حلم الربيع العربي كشباب الإخوان المسلمين في مصر الذي تفرجوا على انهيار نظامهم المنتظر منذ ما يقارب قرن كامل من العمل السياسي بعد الإنقلاب على رئاسة "مرسي"[44].
- يشكل العنصر السني المكون الرئيسي للمجتمع الداعشي لأن التنظيم قام على تحالف مع الصحوات السنية في العراق بمعنى أنه يعيد إنتاج الخاصية العشائرية في طابع ديني معززا ومؤمنا بدور العصبية في إقامة الدولة.
- يعادي التنظيم مجموعة من الحركات والتنظيمات الإسلامية السنية الأخرى التي لم تبايعه ويقاتلها حتى تفيء وتدخل في ذمة الخلافة، فعلى الرغم من أنه ولد من رحم القاعدة إلا أنه يصفها بالفئة

---

(43) يوسف الورداني، لم ينضم شباب الإقليم إلى داعش؟ المركز الإقليمي للدراسات 24، ديسمبر 2014 .Wwwrpcst.com/downloads.php?actioshow&id=64

(44) نفس المرجع.

المرجئة ويسيء لزعمائها في أكثر من مقام وصل إلى درجة توعد الناطق الرسمي للتنظيم 'العدناني"الظواهري في لهجة شديدة قائلا: "...بل لو قدر لكم أن تطؤوا أرض الدولة الإسلامية لما وسعكم إلا أن تبايعوها وتكونوا جنودا لأميرها القرشي حفيد الحسين كما أنتم اليوم جنود تحت سلطة الملا عمر فلا يصح لإمارة أن تبايع تنظيما "[45].

هذا الخليط المجتمعي والقدر العالي من التنظيم والصرامة والتصلب الفكري انعكس في ممارساته الدموية وارتكابه الفظائع من الاغتصاب، التصفيات الجماعية، قطع الرؤوس، تعذيب المعتقلين، اغتيال الصحافيين ونشرها عبر الانترنيت لإيصالها إلى العالم[46].

بناء على ما سبق يمكن وصف الشخصية الداعشية بالبسيكوباتية لأنها تجمع بين السادية، نرجسية الزمان والمكان والشعور بالعظمة والإقبال على تدمير الذات عبر العمليات الانتحارية التي تبرر بمنطلقات دينية عقائدية. من جهة أخرى كشفت الكثير من التقارير الإعلامية تعاطي فئات كبيرة من المقاتلين الممنوعات من مسكرات ومخدرات التي تلعب دورا في تحفيز الأشخاص على ارتكاب الفظائع كما تحول دون إدبارهم أثناء المعارك أو عند تنفيذ العمليات الانتحارية.

استراتيجية تنظيم الدولة الإسلامية:

يعبر مصطلح الاستراتيجية عن الربط الذكي بين الأهداف والإمكانيات

---

(45) مصطفى زهران، "معارك الجهاديين داعش في مواجهة القاعدة" موقع أخبار تركيا 20، يناير 2015. http://akhbarturkiya.com/?p=47477.

(46) تنظيم الدولة في العراق والشام نشأته وتوثيق لأبرز الانتهاكات التي قام به حزيران 2013 - كانون الثاني 2014، تقرير الشبكة السورية لحقوق الإنسان.
http://sn4hr.org/public_html/wpcontent/pdf/arabic/%D8%AA%D9%86%D8%B8%D9%8A%D9%85%20%D8%AF%-D8%A7%D8%B9%D8%B4%20(1).pdf.

أو الاستخدام الفعال للموارد المتاحة بغية تحقيق الأهداف المسطرة.انطلاقا من هنا يتمحور الهدف السياسي لتنظيم داعش في إقامة خلافة تضم مسلمي العالم وتقوم على رد الاعتبار للإسلام بالتشبث بالسلفية ومحاربة جموع المرتدين من المذاهب الأخرى على رأسهم الروافض الشيعة وأصحاب الملل والنحل الأخرى بإجبارهم على اعتناق الإسلام أو تهجيرهم من أراضيهم واستباحة دمائهم، أموالهم وأعراضهم.لتحقيق ذلك يرفض تنظيم داعش الشكل النمطي للدولة الحديثة رفضا قاطعا لكنه في مواجهته للدول الحديثة لا يعطينا سوى صورة عن شكل آخر للدولة تحاكي "التنين" الذي تحدث عنه "توماس هوبز" في القرن 17م في سياق تبريره للحكم المطلق، فالتنظيم يعتمد على هيكلية وتقسيم كما يحتكر استخدام العنف بصفة مطلقة تمهد الطريق بل تحيلنا إلى زمن الدول الشمولية وفق النماذج الفاشية، النازية، الستالينية التي تبنى على رباعية :كاريزما القائد، الأيديولوجيا القوية، آلة القمع والدعاية الفعالة أو البروبجندا"[47].

وظيفة الإعلام في خدمة الدعشنة:

لقد فتحت العولمة الباب على مصراعيه لتدفق السلع والخدمات والأفكار في مجال عالمي محكوم بنظرية تأثير الفراشة بفضل التطور الهائل لوسائل الاتصال واحترافيتها العالية مع قدرتها التأثيرية على عقول البشر وتوجهاتهم وهو بالذات ما استفادت منه الفواعل المختلفة من الدول وغيرها كما لم تغفله الحركات الجهادية لحشد التأييد منذ بزوغ فجر تنظيم القاعدة الذي أثار هلع العالم بأكمله.أما فيما يتعلق بتنظيم الدولة الإسلامية فلا مجال للمقارنة بأي تنظيم آخر في هذا الميدان لأن الأخير كشف عن تحكم عال في تقنيات الاتصال لتوظيفها منذ البداية من أجل تحقيق هدفين

---

(47) طارق عثمان، مفارقات داعش: الآمال السياسية التي خابت، مركز الجزيرة للدراسات 23، نوفمبر 2014.
http://studies.aljazeera.net/files/isil/2014/11/20141123881972598l.html.

أولهما الحشد والتعبئة لاستقطاب المقاتلين وثانيهما الحرب النفسية لردع تخويف العدو القريب والبعيد.

يرجع الفضل في تحقيق هاته الأهذاف إلى أذرع التنظيم الإعلامية الجبارة التي أظهرت كفاءة وحداثة غير مسبوقة تضاهي وتتفوق في بعض الأحيان على الإمبراطوريات الإعلامية الكبرى ومن أهم هاته الأذرع: مؤسسة الاعتصام، مركز الحياة، مؤسسة أعماق، التيار للإعلام، دابق الإعلامية، الخلافة، أجناد للإنتاج الإعلامي، الإسراء للانتاج الإعلامي ومؤسسة الصليل، الوفاء، نسائم للإنتاج الصوتي إلى جانب مجموعة من الوكالات مثل وكالة أنباء البركة. وتصدر عنها عددا من المجلات بالعربية والإنجليزية أمثال دابق والشامخة كما تضم مجموعة إذاعات على غرار إذاعة البيان في الموصل[48].

تنتج هذه المؤسسات أيضا أشرطة ومووادا دعائية تؤكد عبرها التحول الكبير في بنية التنظيم وقدراته الفائقة وتكتيكاته. ومن أهم هذه المواد سلسلة أفلام "صليل الصوارم" وتوصف المنتجات الإعلامية للتنظيم بالاحترافية العالية والاستخدام المكثف للتقنيات الحديثة واعتماد أساليب الإخراج الحديثة التي تتطلب كفاءة عالية وتكوينا معمقا، بحيث حملت أشرطة قطع الرؤوس الكثير من الإيحاءات انطلاقا من اللون البرتقالي الدال على النزعة الانتقامية لوقائع التعذيب في معتقلات غوانتنامو الأمريكية، إضافة إلى التركيز على تقاسيم الوجه في الوقت الذي تلقي فيه الرهينة خطابا دراماتيكيا منتقى الكلمات، وقد نجحت هذه المقاطع المرئية في أن كانت أحد أسباب قرار الحرب على التنظيم[49].

جدد التنظيم فكرة الجهاد الالكتروني من خلال الجيش الالكتروني

---

(48) حسن أبوهنية، مرجع سابق، ص38.

(49) Steve Rose, «The ISIS propaganda war:a hi-tech media Jihad», the guardian,October 7th,2014.
http://www.theguardian.com/world/2014/oct/07/isis-media-machine-propaganda-war.

التابع له الذي ينشط عبر المدونات المتعددة اللغات حتى الروسية والأوردية وعبر اليوتيوب التي تحث على الهجرة لأرض الخلافة، يضاف إلى ذلك غزوه لمواقع التواصل الاجتماعي من الفايسبوك، التويتر والانستغرام التي يبلغ عدد متابعيها أرقاما خيالية وتعتمد خطابا سلسا موجها إلى الشرائح العمرية الفتية ويتغنى بشعارات حماسية مثل "كن جزء من شيء أكبر منك الآن"[50].

تضاف إلى أنشطة الجيش الالكتروني القرصنة وعمليات اختراق المواقع الرسمية لمؤسسات الأنظمة المستهدفة أو حتى المؤسسات الإعلامية الكبرى بنشر شعار "الخلافة الإسلامية باقية وتتمدد"[51].

الاستراتيجية العسكرية والعقيدة القتالية:

طرحت الكثير من الأسئلة حول سر القوة العسكرية لتنظيم داعش بحيث تبدت قوته الضاربة بجلاء عندما قام بالاستيلاء على مدينة الموصل فلأول مرة تتوفر حركة جهادية على معدات عسكرية معتبرة تتضمن عتادا ثقيلا ومتطورا ثم الاستيلاء عليها من الجيش العراقي بعد أن فضل جل جنوده الإدبار في عدة مواقع، كذلك من الجيش السوري خاصة الفرقة 17 بالقرب من مدينة "الرقة" الرئيسية. إلى جانب ذلك يتسلح مقاتلو التنظيم بسلاح فردي على شكل قناصات، قاذفات "أر بي جي"، مواد متفجرة من أحزمة وعبوات ناسفة.ومن بين العتاد الثقيل هناك الدبابات، بعض المروحيات، وسيارات رباعية الدفع مجهزة برشاشات ثقيلة مع بعض الأسلحة الكيمياوية[52].

---

(50) Ibid.

(51) ScottShane and Ben Hubard, «ISIS displaying adeft command of varied media», The New York Times, August 30, 2014.
http://www.nytimes.com/2014/08/31/world/middleeast/isis-displaying-a-deft-command-of-varied-media.html?_r = 0.

(52) حسين بهاز، "تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام "داعش" التحديات =

تعتمد استراتيجية القتال بالأساس على حرب العصابات التي تتوافق وطبيعة الجغرافيا التي تغلب عليها الصحاري في العراق بحيث يتحرك المقاتلون في مجموعات مقاتلة صغيرة مرنة وسريعة الحركة تعطي التنظيم أفضلية في مواجهة القوى الدولية وتعول على الاندفاع الشخصي والروح القتالية العالية التي تؤججها الخطابات الدينية تحت مسمى "الشهادة"، وتعد العمليات الانتحارية تكيتكا أساسيا في استراتيجية الحرب الداعشية بالنظر إلى أنها الأفضل لاستهداف الشخصيات للرسمية وكلفتها المعتدلة وتغطيتها الإعلامية(53).

تتعدد جبهات القتال التي تنخرط فيها داعش وكذلك خصومها من: الجيش النظامي العراقي، قوات البشمركة الكردية، الميليشيا الشيعية، بعض مجموعات من الحرس الثوري الإيراني في العراق، وجبهة النصرة لأهل الشام، الجيش السوري الحر، جند أحرار الشام، الجيش النظامي السوري في سوريا إلى جانب حملة التحالف الدولي الجوية(54).

التحالف الدولي ضد داعش:

بعد أن قررت إدارة "أوباما" الانسحاب من العراق ومن الشرق الأوسط باعتماد منطقة آسيا الهادي أولوية استراتيجية وجدت نفسها مجبرة من جديد على العودة مرة أخرى إلى نفس الشرق الأوسط الذي باتت لعنته تلاحق الإدارات الأمريكية المتعاقبة، لكن هذه المرة بحجة الحرب العالمية على الإرهاب التي أعلن عنها "باراك أوباما" في 14 سبتمبر 2014م

= الأمنية والتوازنات الإقليمية في المنطقة العربية"، المجلة الإفريقية للعلومالسياسية27، نوفمبر 2014، نقلا عن موقع المجلة.

http://www.maspolitiques.com/mas/index.php?option = com_content&view = article&id = 350:-isii-&catid = 10:2010-12-09-22-53-49&Itemid = 7#.VO9QeXyG-w8.

(53) حسين بهاز، مرجع سابق.1.

(54) «ISIS: portrait dune organisation terroriste», centre Meir Amit dinformationsur lenseignement et le terrorisme au centre détudes speciales(CES).www.terrorism-info.org.il/Data/articles/Art.../F-101_14_770651898.pdf.

استجابة لإعدام صحافيين أمريكيين على يد داعش.وتقرر أن الحرب تأخذ شكل الغارات الجوية بعد أن حفظت الإدارات الأمريكية درس تداعيات التدخل الميداني وتأثيرها على الرأي العام الداخلي والدولي من هنا جاء اتخاذ هذا الخيار حتى تتجنب توريط جنودها برا في مواجهة عدو سادي قد يرسلهم مقطعي الأوصال في التوابيت إلى الوطن.

إن الحرب على إرهاب داعش تفسر بأنها دليل دامغ على فشل الحرب العالمية على الإرهاب (القاعدة) من حيث إنها أدخلت العالم في فوضى وزرعت بذور تنظيمات جهادية أكثر تطرفا نتيجة الحقد والرغبة في الانتقام(55).

تتركز أهداف الحملة الجوية على القضاء على تنظيم الدولة الإسلامية، حماية الأقليات المضطهدة من طرفه من الأكراد، الأيزيديين والمسيحيين وتعد هذه الحملة برغم أهدافها الكبرى وخلفياتها صغيرة بالمقارنة مع حملات سابقة في أزمات أخرى مثل حملة كوسوفو 1999م لكنها نجحت في منع التنظيم من دخول بغداد بعد أن كان على بعد 12كم عنها وساهمت كذلك في دحر التنظيم عن مدينة عين العرب الكردية الواقعية على الحدود السورية التركية بمساعدة برية فعالة من البشمركة على وجه الخصوص، وتبقى تواجه صعوبات جمة تتطلب تواجدا عسكريا على الأرض تكمن في تغلغل التنظيم في المجمعات السكنية واستعمال المدنيين كدروع بشرية مما يؤزم الوضع الإنساني ويؤجل بلوغ الأهداف(56).

عدوى الدعشنة:

أدى ثبات تنظيم الدولة الإسلامية الميداني وتوسع أيديولوجيته إلى

(55) James Dorsye, war against Islamic state:sowing seeds of more extremist group, Rajaratnam school of international studies commentary, N°190 (30 September 2014). http://hd.handle.net/10220/24360.

(56) Anthony H Condesman, the air war against the Islamic state:the need for an adequacy of resources,center for strategic and international studies,October29,2014. http://csis.org/files/publication/141016_air_war_against_islamic_state.pdf.

نسخ ظاهرة الدعشنة كصراع بين القوى المختلفة والمتباينة داخل الدولة الواحدة بسبب ولائها وانتمائها المذهبي العابر للحدود والأوطان. هذا الصراع انعكس على مجموعة من الدول العربية التي لم تستفق بعد من تبعات ثوراتها الفاشلة الكارثية.

ضمن هذا السياق يتحدث الكثيرون عن دعشنة المشهد المصري، فمصر التي عرفت ثورة أقل ما يقال عنها أنها ناجحة من حيث إنها أوصلت الإخوان إلى سدة الحكم بتطبيق الأسس الديمقراطية من مشاركة سياسية فعالية وانتخابات حرة ونزيهة.لم تقطف ثمار الديمقراطية طويلا مع الانقلاب على الشرعية في ما عرف بالثورات المضادة التي أتت بنظام حكم مستنسخ من النظام الاستبدادي الذي ضحى الكثيرون بأرواحهم في سبيل اقتلاعه من جذوره.هذا النظام القديم الذي عاد بوجوه جديدة لم يكن له إلا أن يضرب بيد من حديد وجمر ونار كل المعارضة وبقايا الإخوان المسلمين وأنصارهم، لكن مع الجهود المبذولة لترسيخ أركان هذا النظام وصلت حمى الدعشنة إلى مصر حيث احتضنت القهر الشعبي والاحباط المتفشي في أوساط الشباب الذين سارعوا إلى اعتناق الأفكار المتطرفة والاستقواء بالحركات الجهادية التي برز من بينها "أنصار بيت المقدس" و"أجناد مصر" استهدف كلاهما النظام القائم ومؤسساته انتقاما وتعبيرا لرفض أطر الدولة الحديثة ومؤسساتها.كان لظاهرة داعش تأثير بالغ على بعض هذه المجموعات يتبين في مبايعة جماعة أنصار المقدس "ولاية سيناء" لأميره البغدادي. لتدخل بذلك مرحلة صراع بين التوجهات وتجعل من مصر جبهة أخرى للاقتتال الداخلي والتنافس بين تنظيمي القاعدة وداعش على الولاء تزيد من تعقيدات الأزمة الأمنية التي تعيشها البلاد عوض توجيه شحنة العداء إلى العدو الإسرائيلي المتربص على حدود سيناء[57].

(57) مصطفى زهران، أنصار بيت المقدس ودعشنة المشهد المصري، موقع الجزيرة، 26 نوفمبر 2014.

كما انتقلت بذور داعش جنوبا نحو اليمن السعيد حيث انفتحت جبهات الصراع بين الحوثيين الشيعة المدعومين من إيران والنظام القائم بعد سيطرة قوات "الحوثي" على العاصمة صنعاء ومؤسسات الدولة في مشهد فريد من نوعه يؤسس لعلاقة صراعية ثلاثية بين الحوثيين، القاعدة وداعش التي تتوعد هؤلاء الروافض من جهة أخرى تكسر الوحدة الدستورية للبلاد من جديد وتعيدها إلى زمن الحرب الأهلية المفضي إلى الانقسام الحتمي[58].

تأثير الدعشنة على القضايا العربية :

تتبنى داعش مقاربة قائمة على دفع العدو القريب إذ توجه عدائها إلى الأنظمة القائمة صاحبة السياسات الطائفية لتدخل في صراع مرير مع باقي المجموعات من أخوة الدين والعرق ممن تعتبرهم دار الردة والظالين من الفصائل الجهادية التي رفضت تقديم فروض الولاء والطاعة للخليفة "البغدادي".هذا العدو القريب إذن ليس غير الشعوب العربية ذات التاريخ والهوية الواحدة وحاملة القضايا المشتركة.من هنا لا بد من طرح سؤال جوهري في ظل تصاعد قوة التنظيم وانتقال أفكاره وعدواه إلى دول أخرى ما سيكون تأثيره المستقبلي على القضايا العربية المركزية وطبيعة النظام الإقليمي مستقبلا؟

قضية التحول الديمقراطي والثروات العربية: يعد بروز داعش تحصيلا حاصلا لموجة الربيع العربي الفاشلة التي اجتاحت المنطقة مفرزة فوضى وانفلاتا أمنية وأوضاعا اجتماعية واقتصادية جد متردية ضاعفت من البؤس

---

http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2014/11/25/%D8%A3%D9%86%D8%B5%D8%A7%D8%B1-%D8%A8%D9%8A%-D8%AA-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%82%D8%AF%D8%B3-%D9%88%D8%AF%D8%B9%D8%B4%D9%86%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B4%D9%87%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B5%D8%B1%D9%8A.

(58) مصطفى زهران، انقلاب الحوثيين في اليمن بين الابتهاج الإيراني والقلق الخليجي العربي، موقع أخبار العالم 10، فبراير2015.
http://www.akhbaralaalam.net/?aType=haber&ArticleID=89850.

ورفع مؤشرات الإحباط وخيبة الأمل الكبير لدى شباب الثورات في تحقيق حلمهم الديمقراطي بعد أن تحولت ليبيا إلى أرض تتنازعها الميليشيات المسلحة والمرتزقة والعشائرية إلى جانب السياسيين من العائدين إلى البلاد حديثا من ملاجئهم الغربية لبناء مستقبل بلدان لم يكونوا جزء من ماضيها المرير بل جاؤوا ليحصدوا غنائم الثورات التي سحقت أصحابها. كذلك في مصر حيث حدث الانقلاب على الشرعية ومحاكمة الإخوان المسلمين بدفعهم إلى مزبلة التاريخ إلى أبد الآبدين ما جعل الكثيرين يقطعون بفشل الإسلام السياسي المعتدل الذي دعت له المراكز البحثية الأمريكية ليكون غريما للإسلام الجهادي ممثلا في النموذج التركي.على صعيد آخر فشلت الحكومة العراقية التي من المفروض أنها قامت على أنقاض الدكتاتورية بأسس ديمقراطية في تحقيق هذه الغاية بسبب سياساتها الطائفية الإقصائية.

كل هذه الانتكاسات والخيبات من جدوى الديمقراطية أدت بالشباب إلى اعتناق الفكر الداعشي المتطرف كبديل دفع بأفكار الديمقراطية إلى الدرك الأسفل من الأولويات لصالح فكرة الخلافة الإسلامية بحيث صدر في بيان الهيئة الشرعية للدولة الإسلامية في العراق والشام حول الجبهة الإسلامية وقياداتها تعرض موقفها من الدعوة إلى الديمقراطية كالتالي: "...لذلك من الثوابت عند أهل السنة والجماعة أن الدعوة إلى إقامة حكومة مدنية تعددية ديمقراطية عمل مخرج من ملة الإسلام. وإن صام دعاتها وصلوا وحجوا وزعموا أنهم مسلمون لأنها تدعو لصرف التحاكم الذي هو حق محض الله تعالى إلى الطاغوت الذي أمرنا الله تعالى بالكفر به. قال تعالى: ﴿ألم تر إلى اللذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل من قبله يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا﴾"[59].

الوحدة العربية: هذا المصطلح اليوم يبدو أسطورة قديمة لزمن بعيد

---

(59) شريف محمد جابر، جذور انحراف داعش 1: الإسلام والديمقراطية، موقع نون بوست، بدون تاريخ، http://www.noonpost.net/content/3015.

جدا تلاشت مع آخر روادها، فوجود تنظيم داعش ما هو إلى صورة عن التشتت والتشرذم الذي يعيشه العالم العربي بل هو مرحلة متأخرة عن التقوقع وتضييق الهويات بسحب تعريف الذات من الأمة إلى الإثنية فالمذهب. وقد باتت الوحدة العربية على المحك كما سيتم شرحه لاحقا.

الدولة القطرية: يتنصل هذا التنظيم من مفاهيم القطرية والدولة القومية رافضا بذلك قضية الحدود السياسية الموروثة عن الاستعمار بحيث إنه مباشرة مع تمدد التنظيم إلى سوريا أزيلت الحدود وكل الحواجز الجمركية.من جهة أخرى فإن بروز التنظيم ينم عن الضعف الهيكلي والوطني لمؤسسات الدولة الناتج عن حالة فشل الدولة التي تعيشها دول المنطقة كليبيا وسوريا واقتربت منها مصر، إضافة إلى تفشي جملة من التهديدات الأمنية اللاتماثلية على غرار الهجرة غير الشرعية، الجريمة المنظمة المرتكزة على تجارة الأسلحة، المخدرات وحتى تجارة البشر التي كشفت التقارير الإعلامية تورط الإسرائيليين فيها بسيناء المصرية وسوريا[60].

تتجلى حالة فشل الدولة في بلدان الربيع العربي في تفكك الجيوش النظامية وتفشي ظاهرة الميليشيا التي تضاعف عددها في الآونة الأخيرة (كتائب حزب الله في لبنان وتابعها في العراق، سرايا السلام، ميليشيا الشيعية، البشمركة...إلخ) وتعد جبهة النصرة المنافس الرئيسي لتنظيم داعش في الوقت الذي تابع الفصائل الجهادية عبر العالم كأنصار الشريعة في ليبيا، جند الخلافة في الجزائر وأنصار بيت المقدس في سيناء بالإضافة إلى مبايعة بعض قادة حركة طالبان باكستان ومباركة الملا عمر لبروز داعش على الرغم من بعد المسافة وطابع هذه الحركات المحلي[61].

---

(60) عادل القاضي، "مافيا تجارة البشرتتوحش: نساء للبغاء، أرحام للإيجار.. أطفال للبيع"، التقرير23، أكتوبر 2014.

(61) أحمد موفق زيدان، مستقبل تنظيم الدولة في أفغانستان وباكستان؟، مركز الجزيرة للدراسات، 28 يناير2015، ص07.

http://studies.aljazeera.net/ResourceGallery/media/Documents/2015/1/28/2015128101410324734daesh-pakis-Afghani.pdf.

نتيجة ظهور داعش وتمدد نفوذه ستتوسع ظاهرة فشل الدول ويزيد عدد الميليشيات مستقبلا في مواجهة هذا التنظيم وسيكون بعضها مدعما من جهات معينة بهدف مواجهة داعش على اعتبار أنها الأقدر على المواجهة البرية بنفس أساليبه وتكتيكاته القتالية مثل الميليشيا الشيعية التي بدأ تشكيلها قصدا بعد الاحتلال الأمريكي للعراق ويستمر ليومنا الحالي مع التغطية الجوية لتقدم الميليشيات الشيعية نحو مدينة "أمرلي"[62]، هذا الوضع يعمق الشروخ القائمة داخل المجتمع العربي ويؤلب الطوائف على بعضها مما يضع مستقبل العراق وباقي الدول على المحك.

القضية الفلسطينية: تعد القضية الأكثر محورية وجوهرية في تاريخ العالم العربي بحيث يكن الإنسان العربي ازدراء عظيما تجاه الكيان الصهيوني ظهر عبر التاريخ في الحروب العربية الصهيونية الثلاث وبعدها في تصنيف الدول العربية إلى خط الممانعة الذي ما انفك ينحسر أمام عمليات التطبيع التي انخرطت بها بعض الدول تحت ظروف قسرية أو مصلحية.لكن الجدير بالملاحظة هو أن تنظيم الدولة الإسلامية أهمل القضية الفلسطينية خلافا لسلفه القاعدة وغيرها من الحركات الجهادية التي اعتبرت إسرائيل العدو الأول والأكبر وتثير الشواهد إلى أن داعش لم تطلق ولو رصاصة واحدة ضد إسرائيل.على العكس من ذلك، يبدو أن التخوف من أن ينتقل التنظيم إلى غزة في ظل انسلاخ الكثير من المقاتلين عن تنظيماتهم في سبيل الالتحاق به وهو ما تروج له سلطات الاحتلال الإسرائيلي لتبرير استمرار الحصار على غزة وسعيا لإلصاق تهمة الإرهاب بمنظمة حماس إذ ردد رئيس حكومة الاحتلال الإسرائيلي في العديد من خطاباته "داعش هي حماس وحماس هي داعش"[63].

---

(62) راندا الحامد، الحشد الشعبي: القوة النظامية البديلة في العراق، مركز الجزيرة للدراسات01، يناير2015، ص4.
http://studies.aljazeera.net/ResourceGallery/media/Documents/2015/1/1/201511143024297734People-crowd.pdf.

(63) محمود الفطافطة، "أين داعش من فلسطين؟"، الحدث الفلسطيني27، كانون الثاني2015. http://www.alhadath.ps/article.php?id=a03797y10499991Ya03797.

إن داعش وحتى التنظيمات الجهادية الباقية التي كان معولا عليها لمقاومة العدو الصهيوني تبقى ساكنة اليوم في وضع درامي يفشي عن تخلي الجميع عن القضية فحماس تحسب تحركاته في الوقت الراهن حتى لا تخلق لنفسها داعشا جديدا بين صفوفها يمزق وحدتها ويسلبها آليات المقاومة اللأخرة إذ بينت التقارير عن وجود أعداد لابأس بها من الشباب الدواعش في قطاع غزة والذي لحس الحظ لم ينتظموا بعد في تنظيم أو خلية وإلا كان هدفهم الاول حماس قبل إسرائيل[64].

على صعيد آخر يمكن القول أن أيديولوجية داعش قد تقوده إلى محاربة حماس إذا ما قدر له تأسيس خلية تابعة في غزة بناء على رفضهم القاطع والتام للعمل السياسي. إنطلاقا من ذلك لا يمكننا نفي اختراق تنظيم الدولة أو عمالته إلى إسرائيل لكن لا بد من الإشارة هو أن التنظيم يستخدم مقاربة الخطوة بخطوة إذ أورد الكاتب الصحافي "عبد الباري عطوان" في كتابه عن تنظيم الدولة نقلا عن أحد مفكري الدولة الإسلامية بأن المسألة مسألة أولويات وأن الدولة تركز حاليا على أولوية التمكين وبعد أن تحقق وتكتمل سيتم الانتقال إلى أولوية "التحرير" ومحاربة اليهود والقضاء عليهم ودولتهم "اقتداء بالسلف الصالح الذي فتح فلسطين وبلاد الشام في مرحلة متأخرة وفي زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب"[65].

يمكن تعليل هذا التأخر أو تجاهل العدو الإسرائيلي ببعض الحجج المستقاة من أدبيات الحركة المنظمة لاستراتيجية التوحش بحيث قدم "أبو بكر ناجي" أحد منظري تنظيم القاعدة وأحد المقربين من "الظواهري" في دراسة له عام 2004 تحمل عنوان "إدارة التوحش" تعتبر التوحش مرحلة تطورية في بناء الدولة أو الأمة كما أنها طبيعة إنسانية يطلق عليها "شوكة

---

(64) عبد الباري عطوان، "حماس تحسم أمرها وتعود إلى معسكر الممانعة..."، جريدة رأي اليوم، 220 يناير 2015.

http://www.raialyoum.com/?p=208400.

(65) عبد الباري عطوان، تنظيم الدولة الإسلامية مرجع سابق، ص227.

النكاية والإنهاك" ما يعني أن القوى العظمى سيتم إنهاكها في شكل متواصل بالتهديدات والإرهاب والعدوان ما يؤدي بنظره إلى انفجارها من الداخل نتيجة عوامل عديدة كالانهيار الاقتصادي الناجم عن الاستنزاف والاضطرابات الاجتماعية. يكون الهدف من هذه المرحلة استنزاف الأمريكيين كي يتخلوا عن حربهم ضد الإسلام بالوكالة والحرب الإعلامية التي تغطي عدم قدرتهم على تحمل المعارك البرية لوقت طويل أو كما يقول "بن لادن" جر الفيل الأمريكي الثقيل إلى القتال على أرض المسلمين، يتولى العنف المتوحش والمبالغ فيه مع الالتفاف الجماهيري بقيادة تنظيم معين القضاء عليه[66].

تداعيات الدعشنة على النظام الإقليمي العربي:

ظهر النظام الإقليمي العربي بفعل ديناميات خارجية قامت برسمه وظلت الفاعل الأبرز فيه لنحو ما يقارب قرنا من الزمن تتمثل في تركة الاستعمار من علاقات تبعية بين المستعمر ومراكز صنع القرار العربية التي أنتجت دولا موالية تحتل موقع الريادة على رأسها السعودية ودول الخليج كما أدت الحرب الباردة إلى نقل الولاء إلى الوجه الآخر للامبريالية العالمية التي تولت إدارة حروب الوكالة في الشرق الأوسط باستغلال هؤلاء الحلفاء ما ساعد على تثبيت أقدام الكيان الصهيوني في المنطقة في ظل الخنوع والتواطؤ العربي الذي كرس التراجع التدريجي لما عرف بمعسكر الممانعة[67].

إن العالم العربي منذ سقوط أقوى قلاع الممانعة "العراق" بات يشهد

---

(66) نفس المرجع، ص163.

(67) مروان قبلان، "صعود تنظيم الدولة الإسلامية وتحولات النظام الإقليمي في المشرق العربي"، مجلة سياسات عربية، ع13 (يناير 2015)، ص06-17.
http://en.calameo.com/read/001231435b7532ef7698e?bkcode=001231435-b7532ef7698e.

إلى جانب فوضى الاحتلال وتدهور الأوضاع تنافسا بين قوى إقليمية هي السعودية، تركيا وإيران الطامحة لريادة العالم العربي بتقديمها لنماذج سياسية ومجتمعية شديدة التمايز والاختلاف برغم خلفيتها الإسلامية الواحدة.في خضم هذا الوضع بدا لوهلة أن الحضور الأمريكي في المنطقة انحسر لصالح دور أكبر لمحاورها الجيوستراتيجية في المنطقة (تركيا، السعودية وإسرائيل) لكن عودة الاهتمام الروسي بالقضايا العربية الذي أبان عن نفسه في الأزمة السورية صعب عملية حسم صراع القوى الذي تحول إلى تفسخ أمني وبروز ظاهرة الدعشنة من الهلال الخصيب وانتشارها عبر بقاع العالم العربي فالإسلامي.

يمكن رصد هذه الآثار في العناصر التالية:

1. تفكيك جبهة الممانعة مع إسرائيل على اعتبار أن أيديولوجية داعش الهدامة القائمة على الطائفية والمذهبية ستنخر مركز كل دولة أو تنظيم حتى تقضي على قدراته وحصانته تجاه الكيان الصهيوني وهو الوضع الذي تعيشه سوريا. فبعد أن نجح النظام السوري لسنوات طويلة في بناء دولة شمولية شديدة الرقابة والتوجس من الاختراقات اليهودية، وجدت نفسها اليوم في صراع ليس له نهاية تختلط أسبابه بين السياسي، العقائدي، العرقي وحتى الأيديولوجي.كذلك حزب الله القوة الثانية في المنطقة التي تمكنت من الوقوف في وجه الكيان الصهيوني في العديد من المرات أهمها حرب 2006 حيث تكبد الجيش الإسرائيلي هزيمة نكراء ولو أن الظروف الداخلية الإسرائيلية لعبت دورا في بلوغها، إذ يستشعر حزب الله الخطر المتنامي الذي يدفعه إلى العزوف عن محاربة داعش في الميدان بحجة رفض الانخراط في صراعات سنية شيعية من شأنها أن تهدد وحدة المسلمين وتضعفهم.ينبع هذا الموقف من إدراك "قيادة حزب الله" لتزايد اهتمام السنة اللبنانيين من السلفية وغيرها بنموذج داعش.الأمر الذي يهدد بإشعال أتون الحرب في لبنان في حال ما تكونت ميليشيات لبنانية سنية تابعة لتنظيم الدولة خاصة في ظل التمويل السعودي المتزايد لسلفيي البلاد

وقد تتسبب في سحق الإخوة لبعضهم البعض بما يسهل فتك إسرائيل بهم في الأخير[68].

نفس التخوف نجده عند حركة المقاومة الفلسطينية التي تعي تبعات أي انقسام بين مناضليها نتيجة تأثرهم بأيديولوجية داعش هذا التخوف والكمون الذي تعرفه الحركة ينبع من انشغال أصدقائها الدائمين إيران، حزب الله وسوريا بالحرب ضد داعش ما جعلها فريسة لعدوان صيف 2014 م على غزة مع استمرار الانتهاكات ضد سكان القطاع دون ان يلتفت الرأي العام العالمي لها.

2. تغيير في ميزان القوى الإقليمي باستعادة مصر لدورها، إلى جانب السعودية على اعتبار مشاركتها الفعالة في التحالف ضد داعش، ما جعل الدكتورة "نادية مصطفى " تقول أن خطر التحالف ضد داعش يتوافق مع خطر الدعشنة على مكتسبات الثورات العربية وأن الولايات المتحدة إنما تبدي موافقة ضمنية على انكفاء الديمقراطية الذي تعرفه المنطقة العربية بإشراكها للأنظمة المرتدة عن الديمقراطية في حلفها ضد الإرهاب[69].

كما أن ظاهرة الدعشنة ستعزز الدور الإيراني في المنطقة العربية النابع عن تنسيقها الكبير مع الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب ضد داعش رغم أن هذا الأخير يعد أداة هامة لتقليص النفوذ الإيراني في العراق خاصة بعد إزاحة "المالكي" وقيام حكومة حيادية في علاقتها مع إيران[70].

على طرفي النقيض مع إيران حكمت ظاهرة تنظيم الدولة بتراجع

---

(68) عبد الرحمان الراشد، "لبنان والسعودية وداعش وحزب الله"، جريدة الشرق الأوسط20، أغسطس 2014، نقلا عن موقع الجريدة.
http://aawsat.com/home/article/154586.

(69) نادية مصطفى، حالة الإقليم في ظل التحالف الدولي: ضد تنظيم الدولة الإسلامية وضد الثورات العربية، دراسات المركز الدبلوماسي 03، يناير 2015، ص38.
http://www.dcss-qa.org/uploads/document/2015-02-23-khwtq-03-ar-Region-Status.pdf.

(70) مروان قبلان، مرجع سابق.

الدور التركي في العالم العربي بسبب عدة عوامل من بينها الشكوك في دعمه للتنظيم والتردد في المشاركة بقواته لمحاربة ميليشيات داعش خاصة عندما تعلق الأمر بضرورة التدخل لإنقاذ مدينة كوباني الكردية الواقعة على حدوده[71]. بحيث يظهر بأن أكبر مخاوف تركيا من نمو قوة العنصر الكردي هو الذي تحقق بانتصار الميليشيا الكردية على داعش وطرده من المدينة وضواحيها، كل هذه الأمور تزيد من برودة العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية القادرة وحدها على تحديد مصير مكانة تركيا في المنطقة مستقبلا.

أما فيما يخص دور روسيا في المنطقة فقد نجحت الولايات المتحدة الأمريكية من تأكيد زعامتها ومكانتها في المنطقة باعتماد منطق العدو المشترك الذي يهدد القوتين الروسية والصينية الصاعدتين أكثر مما يضرها وهكذا تكون ضمنت ولو لوقت معين انكفاء نسبي لدور روسيا في سبيل استفادتها من ثمار الحرب على الإرهاب الذي تمثله الدعشنة.

3. تفتيت العالم العربي إلى مناطق نفوذ تحكمها الميليشيات المتكاثرة تمهيدا لقيام دول جديدة بناء على أسس عرقية ومذهبية وفقا لأطروحة "برنارد لويس" ذات التأثير البالغ في فكر المحافظين الجدد.وتتضمن فحوى هذه الأطروحة مشروعا لتفتيت العالم العربي الإسلامي إلى مجموعة دويلات حديثة حتى يسهل السيطرة على الإقليم وخيراته وإقامة إسرائيل الكبرى الذي لا يكون إلا بتكسير العرب المتشبثين بعقائدهم وقيمهم، ويعبر هذا التقسيم عن "سايكس بيكو" جديدة لا تستثني الحدود الجيوسياسية لأي بلد[72]، حيث يمكن الجزم بأن تنفيذ هذا المخطط كان

---

(71) محمد عبد القادر خليل، "مخاطر الاستراتيجية التركية تجاه التحالف الدولي لمحاربة داعش"، موقع مجلة السياسة الدولية، بدون تاريخ.
http://www.siyassa.org.eg/NewsContent/2/105/4969/%D8%AA%-D8%AD%D9%84%D9%8A%D9%84%D8%A7%D8%AA/%D8%B4%D8%B1%D9%82-%D8%A3%D9%88%D8%B3%D8%B7/%D9%85%D8%AE%D8%A7%D8%B7%D8%B1-.

(72) فيصل عبد الجبار عبد علي، "برنارد لويس ومشروعه الاستشراقي لتفيتيت العالم العربي والإسلامي-دراسة تحليلية تاريخية-"، مجلة جامعة كربلاء العلمية، ع1 (2013)، ص3-4.

قد بدأ مع غزو العراق ثم الثورات العربية لتبقى الضربة القاصمة والأخيرة على يد الدعشنة التي ستكرسهذه الإقسامات.فدولة العراق المؤهلة وفقا لبرنارد لويس "للانقسام إلى دولة كردية في الشمال تضم أجزاء من تركيا وسوريا وإيران تحققت فعلا مع قيام كردستان العراق وستكتمل بفضل تنامي القوة الكردية والدعم المبالغ فيه الذي تحصل عليه من القوى الغربية، فالتسليح الذي تلقته هو الذي سيدفعها إلى تشكيل دولتها الموحدة هذه بالقوة.وهو ما ليس ببعيد إلى جانب ذلك ستنقسم العراق إلى دولة شيعية في الجنوب وسنية في الوسط وكذلك سوريا التي تتفرع إلى دولة دروز (الجولان إضافة إلى لبنان)، دولة علوية شيعية، ودولة سنية في دمشق.

أما اليمن فمن المتوقع أن تنقسم إلى شمال شيعي وجنوب سني ومصر إلى ثلاثة دويلات هي النوبة، دويلة سنية (القاهرة)و دويلة قبطية بالاسكندرية وضواحيها[73]. وهذا التقسيم ما هو إلا غيض من فيض مما تقود الدعشنة إليه. لكن قبل بلوغ التقسيم سيعيش العالم العربي والإسلامي في فوضى ولا استقرار وحروب تستنزف خيراته.

خاتمة:

داعش ظاهرة تكاتفت عوامل شتى في إخراجها إلى الوجود من التراث السلفي الداعي للجهاد العالمي، إلى إفلاس الأنظمة العربية والفشل الذريع الذي منيت به الثورات العربية فالسياسات الطائفية في العراق والأهم دور عدد من الفواعل الإقليمية والخارجية الساعية لتحقيق المصالح الحيوية والريادة الإقليمية. كلها مهدت الطرق وشكلت التربة الخصبة التي جعلت من صنع أيديهم بعبعا من الصعب السيطرة عليه أو التكهن بخرجاته في محاكاة عجيبة للمثل القائل "انقلب السحر على الساحر".

---

http://www.iasj.net/iasj?func=fulltext&aId=70025.

(73) فيصل عبد الجبار عبد علي، مرجع سابق.

يعد تنظيم داعش ظاهرة لم يسبق ان عرفتها المجتمعات العربية أو حتى العالمية بالنظر إلى خصائصها وتميزها النابع من أنها تقدم نفسها كنموذج للشباب الإسلامي حول العالم، دافعة إياهم لتبني أيديولوجيتها ومحاكاة تكتيكاتها واستراتيجيتها.الدولة الإسلامية تأمل أن تكون قوة اجتماعية دينية مهيمنة باعتمادها على التطرف والعدائية.إلا أنه بالرغم من تصرفاتها البربرية والقاسية ينمو دعمها عبر المنطقة من اليمن إلى الجزائر. بل إنها عبر البربرية والعدوانية استقطبت وأقنعت الداعمين للانضمام لصفوفها وتجريب وضوحها بأنفسهم كأنها لعبة ترفيهية تعدهم بمشروع الخلافة واستعادة أمجاد وعز الإسلام القديم.

ينعكس تأثير هذه الأيديولوجيا على باقي دول المنطقة العربية وكذا الإسلامية التي باتت عبارة عن جبهات صراع مفتوحة في سبيل الدعشنة.أمام هذا الوضع تتبدى ملامح مستقبل قاتم ترسم خطوطه الرئيسية التشرذم والتشتت تحت شعارات المذهب والطائفة التي ستقضي على قيمة الأمة العربية الإسلامية الموحدة حيث ستنهار القضايا العربية المشتركة وراء مسائل الكفر والردة وإقامة الحدود في الوقت الذي يتآكل النظام الإقليمي العربي مفسحا المجال لمزيد من التدخلات الخارجية الرامية إلى استنزاف ثروات هذه الأقاليم عبر التقسيم والتفتيت.

الفصل الخامس

عن استراتيجية ومقاربات الموت القادم نحو الشرق الأوسط

أولاً: تنظيم خراسان واستراتيجيات تجميع نظم الرعب المسلح في المنطقة

■ أ. سحنون نور الإيمان

مقدمة:

مع مطلع صائفة 2014 م برزت ظاهرة جهادية جديدة ومتفردة تحت اسم تنظيم الدولة الإسلامية أو كما يحلو للبعض تسميتها "داعش"، هذا التنظيم الجهادي الذي تمكن من السيطرة على أقاليم واسعة تضم أجزاء شاسعة من العراق وسوريا مع التطلع للمزيد من الأطماع الإقليمية. إلا أن الميزة الطاغية على أسلوب ونهج هذا التنظيم هي العدائية المفرطة لمن يعارضه المعتقد والمنهج والدموية المتطرفة ما حتم ضرورة قيام تحالف دولي لتقويض توسعه الجغرافي والقضاء عليه في معاقله من أجل وضع حد للفظائع والانتهاكات الفاضحة لحقوق الأقليات، لكن مع الأيام الأولى لانطلاق الحملة الدولية ضد تنظيم داعش تحت القيادة الأمريكية تصدرت عناوين الأنباء والصحف العالمية أخبار جديدة عن وجود تنظيم إرهابي آخر أكثر قوة وأشد تهديداً على الدول الغربية ينشط داخل الإقليم السوري في خضم الحرب الأهلية التي تدور رحاها منذ قرابة ثلاثة سنوات بين قوى المعارضة بكافة أطيافها وتشكيلاتها وقوى نظام الأسد، وعبر المسؤولون الأمريكيون أن أجهزة الاستخبارات رصدت تحركات هذا التنظيم وانتقاله إلى سوريا من أجل التحضير لعمليات تستهدف الولايات المتحدة الأمريكية

ما يجعلها أكثر خطرا من تنظيم الدولة الاسلامية ذي النشاط الإقليمي بما يستوجب التدخل الاستعجالي استباقا للضربات المزعومة ووهو ما تحقق بعد أن أعلنت التقارير الأمريكية قصف معاقل التنظيم بسوريا واحتمالية مقتل زعيم التنظيم.

انطلاقا مما سبق نطرح التساؤلات التالي:

- ما طبيعة تنظيم خراسان الذي طفا على سطح الأحداث فجأة واختفى بعد برهة من الزمن؟
- هل هو حقا تنظيم قائم بذاته أم هو مجرد فزاعة أمريكية أخرى لتبرير الحملة الدولية على الشام ووالعراق؟.
- إن كان لهذا التنظيم وجود ما هي استراتيجيته المتبعة ومكمن تميزه عن باقي التنظيمات الجهادية ؟

للإجابة على هذه الأسئلة سيتم التركيز على العناصر التالية:

- السياق الذي برز فيه التنظيم.
- طبيعة تنظيم خراسان.
- أسباب وخلفيات بروز التنظيم.
- تنظيم خراسان فقاعة إعلامية بأهداف سياسية.

السياق الذي برز فيه تنظيم خراسان:

ظهر تنظيم خراسان من بين زخم من الأحداث والمتغيرات التي طرأت على الساحة الدولية والتي يتربع على رأسها تمدد وتوسع تنظيم الدولة الإسلامية في إطار فكرة الخلافة التي يطمح إلى تحقيقها، إلا أن ارتباط اسم التنظيم بسوريا يعبر عن السياق الحقيقي لنشأته والمتمثل في الأزمة السورية.

بدأت الأزمة السورية كنتيجة لنظرية الدومينو في إطار ثورات "الربيع العربي" التي اجتاحت المنطقة انتفاضا على حالة الاستبداد السياسي التي

عاشت تحت طائلتها لسنوات طويلة، وانطلقت هذه الثورات من تونس فمصر ثم ليبيا واليمن لتحط الرحال أخيرا في سوريا التي تعد أحد قلاع الصمود الاستراتيجي والممانعة، وكغيرها بدأت الأزمة بانتفاضة انطلقت يوم 18 مارس 2011 ضد القمع والفساد إثر حادثة اعتقال 15 طفل وتعذيبهم على خلفية كتابتهم عبارات مناهضة للنظام على جدران مدينة "حوران" متأثرين بالثورة التونسية على الأخص وغيرها، هكذا انتقل الأمر إلى التنسيق بين مجموعات الشباب من أجل القيام بمظاهرات مطالبة بإصلاحات سياسية، اجتماعية واقتصادية رافعة لشعارات الحرية والكرامة وهي الاحتجاجات التي قابلها النظام بالقوة المسلحة التي سرعان ما حولت الشعار إلى إسقاط النظام وهكذا دواليك توالت الوقفات الاحتجاجية وتضاعف التأييد الشعبي مع التفاف القوى والشخصيات السياسية التي تبنت المطالب وحولتها إلى ثورة مدنية تهدف الإطاحة بنظام الأسد ثم إلى ثورة مسلحة[1].

تعددت الأطراف المشاركة في الثورة من سياسين علمانيين إلى إسلامويين إلى جانب الانتماءات الطائفية والإثنية التي لعبت دورا كبيرا على غرار الأكراد الذين انخرطوا بصفة مبكرة في النضال ضد حكم الأسد وسياساته الطائفية، لكن تعدد الأطراف واكبه تعدد الفواعل المتدخلة في القضية ما جعل منها بؤرة جديدة لحرب بالوكالة بين القطب الروسي والأمريكي في حرب باردة متجددة في الشرق الأوسط تعطلت بسببها عمليات التسوية وطال أمد الأزمة كما تضاعفت صور الوحشية المرتكبة من مختلف التشكيلات الناشطة على أرض الواقع.

---

(1) بكر صدقي، "النظام السوري في مواجهة انتفاضة الحرية"، جريدة الحياة اللندنية، 12 أكتوبر 2013، نقلاً عن موقع دراسات الجمهورية الديمقراطية.
http://drsc-sy.org/%D9%85%D9%84%D8%AD%D9%82-1-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B8%D8%A7%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A%D9%91-%D9%81%D9%8A%D9%85%D9%88%D8%A7%D8%AC%D9%87%D8%A9-%D8%A7%D9%86%D8%AA%D9%81%D8%A7%D8%B6%D8%A9.

من بين التشكيلات التي برزت على ساحة القوى السورية المعارضة الحركات الإسلامية من الإخوان المسلمين ذوي الحضور العريق في سوريا إلى جانب تشكيلات جديدة رضخت لفتاوى الجهاد العالمي في سوريا التي استقطبت المقاتلين من كل حدب وصوب للمشاركة في هذه الحرب الأهلية الدائرة. ومع قدوم المقاتلين وتعدد الفصائل الجهادية في أرض سوريا انفتح الباب على مصراعيه للخلايا الإرهابية النائمة في المنطقة التي وجدت في حالة فشل الدولة والانكشاف الأمني الذي تعاني منه سوريا ملاذا لتقوية شوكتها ونشر مشروعها العالمي. ويرى بعض المحللين أن نظام الأسد يتحمل جزءا من مسؤولية انتشار الحركات الجهادية لأنه أطلق سراح الإسلاميين المتشددين من معتقلاتهم حتى يوازنوا القوى العلمانية المناهضة له على غرار الجيش السوري الحر عندما اشتد ضغط الثورة عليه في فترة من الفترات مع التعويل على قدرته وخبرته في اختراقهم وتوجيههم لخدمة مصالحه[2].

دأب نظام السوري لتحقيق الموازنة الاستراتيجية إلى إصدار مراسيم العفو المتكررة بحق الإسلاميين الذي كانت تعج بهم المعتقلات على خلفية عمليات التضييق التي شهدها الإسلام السياسي عبر تاريخ سوريا والتي تدلل عليها مجزرة حمص 1982 في حق الإخوان المسلمين، ولكن الضغط على هذه الجماعات كان قد وصل أوجه بعد الغزو الأمريكي للعراق حينما تشكلت في سوريا جبهة لنصرة العراق تستقبل المتطوعين إلى الجهاد وتتول تحضير وجمع المساعدات المختلفة اللوجيستيكية أو حتى العسكرية لتمريرها إلى تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين في العراق، وكنتيجة هذه الممارسات تعرضت سوريا إلى ضغط أمريكي شديد من أجل المشاركة في

---

(2) صبر درويش، داعش النسخة الأكثر تطرفاً للإسلام السياسي، مركز دراسات الجمهورية الديمقراطية14، -09-2014، ص14.
http://drsc-sy.org/wp-content/uploads/sites/11/2014/09/saber-da.pdf.

مكافحة الإرهاب وتشديد الرقابة على حدودها المشتركة مع العراق وهو ما حصل فعلا[3].

بما أنه كان هناك دور لنظام الأسد في إدخال الجهاديين لمعادلة الثورة، فهمناك عوامل أخرى ساهمت في تحديد اختيارهم للمعسكر المناهض له بالإضافة إلى شرعنة وجودها وعملها في صفوف الثوار، تتلخص في ما يلي[4]:

- اقتناع الكثير من المحتجين بعدم جدوى العمل السلمي الذي يتقاطع مع الفكر السلفي الجهادي الذي يستند على قاعدة فقهية هي: "دفع صائل العدو وأعوانه".
- غياب التدخل العسكري وخيبة الأمل من المجتمع الدولي بموازاة ارتفاع حصيلة القتلى.
- المجازر الطائفية المرتكبة من طرف النظام ساهمت في خروج الخطاب المذهبي المكبوت إلى العلن خاصة وأن القاسم المشترك لأغلب الحركات الجهادية منذ ثمانينات القرن الماضي هو انتمائها للمذهب السني. والذي ساهم في توحيد نسبي للصفوف في مقابل النظام العلوي المحسوب على الشيعة.
- دعوات الجهاد المتعالية عبر وسائل التواصل الاجتماعي والمنتديات الإسلامية إلى جانب آراء علماء الأمة الإسلامية السلبي من قمع الأسد للثورة لا سيما "القرضاوي" ومشايخ السعودية[5].

تعتبر التنظيمات الإسلامية من أكثر قوى المعارضة السورية تأثيرا

---

(3) نفس المرجع، ص14-15.

(4) حمزة مصطفى المصطفى، "جبهة النصرة لأهل الشام: من التأسيس إلى الانقسام"، دراسات سياسات عربية، ع5 (تشرين الثاني 2013)، ص08.
http://www.dohainstitute.org/file/Get/738cac08-b4c5-4c85-9643-4da5e1443951.pdf.

(5) وائل مرزا، "الثورة السورية بين مفتي السعودية والقرضاوي"، جريدة المدينة 09-06-2013، نقلا عن موقع الجريدة الإلكتروني: http://www.al-madina.com/node/458683.

بالنظر إلى عقيدتها القتالية القوية المستمدة من الخطاب الديني المترسخ في نوفس مقاتليها الذين يعدهم بالشهادة والجنة جاعلا إياهم يتسابقون نحو الصفوف الأولى في المعارك مقبلين غير مدبرين، ومن أهم هذه التنظيمات كتائب احرار الشام التي تأسست حتى قبل الجيش الحر السوري (مايو 2011) وشكلت ما يعرف بالجبهة الإسلامية السورية بعد أن توسعت لتضم حوالي تسعين لواء وكتيبة[6]، لواء التوحيد وجيش الإسلام ويبقى أهمها الحركات الإسلامية في الثورة هي جبهة النصرة لأهل الشام.

لقد هيأت الأزمة السورية والفوضى العارمة التي تعيشها البلاد الجو الملائم لتفريخ الحركات الجهادية كما أفسحت لها المجال لتجريب خبراتها القتالية أو تدريب المقاتلين الجدد كما دعمت أخرى على تحقيق طموحات شخصية على غرار تنظيم الدولة الإسلامية، فقد استغل زعيمه "أبو بكر البغدادي" تفسخ الأوضاع في سوريا وعدم قدرة أي طرف من الأطراف المتصارعة على الأرض من حسم الحرب لصالحه لإعلان "الخلافة" الإسلامية في كل من العراق والشام يوم 09 أبريل 2013 بعد أن كان يعرف التنظيم بالدولة الإسلامية في العراق منذ 2008 التابع للقاعدة، لينتقل بعد ذلك للعب دور أساسي في سوريا زاد من تعقيد الأزمة أكثر فأكثر باعتباره طرفا ثالثا يختلف في وجهة نظره عن الفواعل المتصارعة، بحيث يرفض شكلا وتفصيلا الدول الحديثة ولا يعترف بالحدود الموروثة عن الاستعمار ويكفر الديمقراطية بوصفها "طاغوت" بمعنى أنه يحمل أيديولوجية هادمة للقيم التي قامت الثورة في سبيلها، وعليه يمكن القول أن وصول داعش إلى سوريا لم يزد الأوضاع إلا سوء

---

(6) حازم السيد، السلفية الريفية الصاعدة، جبهة أحرار الشام نموذجا، مركز دراسات الجمهورية الديمقراطية27، -11-2013.

http://drsc-sy.org/%D8%A7%D9%84%-D8%B3%D9%84%D9%81%D9%8A%D9%91%D8%A9-%D8%A7%D9%84%-D8%B1%D9%8A%D9%81%D9%8A%D9%91%D8%A9-%D8%A7%D9%84%-D8%B5%D8%A7%D8%B9%D8%AF%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A%D8%A7%D8%8C-%D8%AD/.

بحيث صعب النضال على مختلف قوى المعارضة وشتت تركيزها بدخوله في صراع معها بما يسمح لنظام الأسد من استجماع قواه، كما أنه أفقدها الكثير من المقاتلين الذي رأوا في فكرة الخلافة التي يجسدها النموذج الأصلح للعالم الإسلامي الذي لا تجوز التضحية والاستماتة إلا لها، أما الأدهى والأمر فيكمن في أن حضوره استقطب تحالفا دوليا يستهدف المنطقة عن طريق ضربات جوية قد يذهب ضحيتها الكثير من المدنيين أو باقي الجماعات الجهادية بسبب استراتيجيته القاضية على الاحتماء بالمدنيين.

في ظل هذه الظروف بدأ الحديث عن تنظيم خراسان الذي ورد في تقارير الاستخبارات الأمريكية أنه تسلل إلى سوريا في أبريل 2013.

طبيعة تنظيم خراسان:

مباشرة بعد إطلاق الحملة الدولية ضد تنظيم داعش أطل مدير الاستخبارات المركزية الأمريكية "James Clapper" يوم 18 سبتمبر 2014 ليتحدث عن وجود تنظيم خراسان صاحب أكبر تهديد للولايات المتحدة الأمريكية، وكان هذا الظهور الإعلامي الأول للمصطلح رغم أن المسؤول الأمريكي صرح بأن أجهزة الاستخبارات تقتفي أثر التنظيم منذ سنتين[7].

وصفت الجماعة بأنها مجموعة صغيرة جدا تضم عشرات المقاتلين فقط، تتألف من الجهاديين ذوي الخبرة من مختلف البلدان. ويعتقد أن المجموعة تتكون من أعضاء "نواة" تنظيم القاعدة يعني أنهم أعضاء رفيعو المستوى في تنظيم القاعدة الذين انتقلوا إلى باكستان بعد غزو أفغانستان عام 2001 في حين أشار مصدر في المخابرات الأمريكية أن عدد

(7) نبذة عن جماعة خراسان التابعة للقاعة، موقع بي بي سي20، سبتمبر2014.
http://www.bbc.co.uk/arabic/middleeast/2014/09/140925_khorasan_group_profile.

المجموعة يراوح 50 عضو أو أكثر، وأن أعضاء المجموعة قد عملت مع صانعي القنابل من اليمن[8].

كشفت التقارير الأمريكية بأن جماعة خراسان تضم مجاهدين مخضرمين وقدامى ممن قاتلو في أفغانستان ثم التحقوا بباكستان مع انتقال مركز القاعدة إليها تحت تأثير ضربات الغزو الأمريكي، هذه الجماعة انتقلت إلى إيران مع زعيمها "محسن الفضلي" فمعسكرات التدريب باليمن ثم إلى سوريا مع اشتداد الحرب الأهلية ما يجعل التنظيم يضم خيرة المقاتلين الذين تشير معلومات أخرى أن عددهم يتراوح بين 40 إلى 60 عضو أساسي في القاعدة مع 100 آخرين مجهزين بأسلحة أساسية وعتاد هام[9].

أما فيما يتعلق بهدف التحاق هذا التنظيم بسوريا فتشوبه بعض الضبابية نتيجة تعدد التفسيرات، فالرأي الأول يفترض أن هذه الجماعة تم إيفادها إلى سوريا بأمر من زعيم القاعدة "أيمن الظواهري" من أجل تسوية الخلاف بين فرعي التنظيم في العراق والشام وهو تنظيم الدولة الإسلامية الذي أعلن قيام الخلافة الإسلامية بتوسيع نشاطه إلى سوريا وجبهة النصرة لأحرار الشام التي تتولى مهمة الجهاد ضد نظام الأسد في سوريا[10].

---

(8) حسن بن سالم، "موقف القاعدة من حرب داعش وقصة جماعة خراسان"، موقع جريدة الحياة30، سبتمبر 2014.

http://alhayat.com/Opinion/Hassen-Bin-Salam/4843902/%D9%85%D9%88%D9%82%D9%81-%C2%AB%-D8%A7%D9%84%D9%82%D8%A7%D8%B9%D8%AF%D8%A9%C2%BB-%D9%85%D9%86-%D8%AD%D8%B1%D8%A8-%C2%AB%D8%AF%-D8%A7%D8%B9%D8%B4%C2%BB-%D9%88%D9%82%D8%B5%D8%A9-%D8%AC%D9%85%D8%A7%D8%B9%D8%A9-%D8%AE%D8%B1%-D8%A7%D8%B3%D8%A7%D9%86.

(9) Dina Temple Raston, Al Quaeda reassert Itsel with khorasan group, NPRnews, 03 Octobre2014.http://www.npr.org/blogs/thetwo-way/2014/10/03/353498827/al-qaida-reasserts-itself-with-khorasan-group.

(10) مصطفى ابو عمشة، تنظيم خراسان الواجهة الجديدة للقاعدة، جريدة المدينة31، أكتوبر2010. http://www.al-madina.com/node/566548?risala.

أما الرأي الثاني وهو السائد بحكم المعلومات الاستخباراتية الأمريكية فيتمثل في أن الجماعة وصلت إلى سوريا بهدف استقطاب المقاتلين الأجانب من الغربيين خاصة المتوافدين على جبهة القتال وتدريبهم في سياق التحضير للقيام بعمليات تفجيرية في الولايات المتحدة الأمريكية خاصة وأن الرقابة على هؤلاء تكون أخف في المطارات الدولية الغربية ونقاط التفتيش بالمقارنة مع العرب أو الشرق أوسطيين. وهنا يكمن الخطر والتهديد الذي بدأ الإستنفار الأمريكي لاحتوائه وجعل المسؤولين يعتبرون التنظيم أخطر من داعش لأنه يستهدف العدو البعيد على عكس المنطق الداعشي(11).

إن الخطر الذي تستشفه الأجهزة الأمنية الأمريكية لا يتعلق فقط بهدف التنظيم في ضرب إقليمها ومصالحها بل أيضا ينبع من إدراكها لمستوى الخبرة القتالية والتنظيمة التي يتحلى بها أعضاؤه من الذي شاركوا في عدة نزاعات مسلحة على غرار أفغانستان، باكستان، اليمن وحتى الشيشان ما يفسر الطابع المتعدد الجنسيات للتنظيم الذي يضم باكستانيين، خليجيين، مصريين، يمنيين وشيشانيين بالإضافة إلى عدة أفراد أوربية لا سيما الفرنسي «David Dreuegon»* الذي قال عنه قائد القيادة المركزية للقوات الأمريكية بأنه أحد أفراد قيادة التنظيم وأحد العناصر الأكثر خطورة في التنظيم(12).

---

(11) كمال السعيد حبيب، "حدود فاعلية التحالف الدولي في مواجهة الإرهاب"، السياسة الدولية، ع199 (يناير 2015)، نقلاً عن موقع المجلة
.http://www.siyassa.org.eg/NewsContent/3/111/5112/
%D9%85%D9%86%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AC%D9%84%D8%A9/
%D9%85%D9%84%D9%81%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%AF%D8%AF/
%D8%AD%D8%AF%.

(*) داوود دروجون من مواليد 1989 من أسرة متوسطة بدأ يتقرب من السلفيين بعد طلاق والديه حيث أسلم ودرس اللغة العربية والقرآن في مصر ثم عاد إلى موطنه ليلتحق عام 2010 بالحدود الباكستانية الأفغانية حيث تدرب على يد خبير متفجرات قيادي في نواة القاعدة (بلجيكي من أصل تونسي). يعد من المتمسكين بأفكار "بن لادن"، انتقل عام 2013 إلى سوريا ليشارك في تأسيس جماعة خراسان.

(12) Boris Tiolay et Eric Pelletier, David Dreugeon, Le« Français dAl Qaida» aurait survécu aux tirs de drone, lexpresse 10/12/2014.

يعتقد المسؤولون الأمريكان بأن زعيم التنظيم هو "محسن الفضلي" المعروف بكنية " أبو أسماء الخراساني" صاحب التاريخ الجهادي الفذ وذو 33 سنة فقط، ينتمي "الفضلي" إلى أسرة كويتية شيعية بحيث يعتبر الفرد السني الوحيد بها، يعد أخطر عنصر كويتي في تنظيم القاعدة فقد ارتبط اسمه بالعديد من المواجهات الأمنية وأحداث التفجير. تأثر كثيرا بأفكار "أسامة بن لادن" ما دفعه إلى الالتحاق بالتنظيم في سن جد صغيرة، كان من بين القلائل الذي علموا مسبقا بأحداث 11 سبتمبر إذ لعب دورا كبير في نقل المعدات وتحويل الأموال إلى منفذي العمليات والتنسيق بين الأطراف وهو في عمر 19 سنة بعدها ارتقى في التنظيم إلى أن أصبح الحارس والمرافق الشخصي لأسامة بن لادن. ألقي عليه القبض في الكويت بتهمة محاولة تفجير مؤتمر التجارة العالمي بالدوحة وقضية تفجير سفينة لكنه برئ منهما كما ورد اسمه في أحداث اغتيال بعض شخصيات عراقية، اعتقلته السعودية حيث بقي في السجن من 2001-2005 لتضعه على قائمة 36 مطلوبا بتهمة الإرهاب. كما حددت الولايات المتحدة الأمريكية مكافأة مالية تقدر بـ7 ملايين دولار أمريكي لمن يدل على مكانه في الوقت الذي لجأ فيه إلى إيران، تزعم الشعبة التابعة للقاعدة بين سنتي 2011-2012م لكن تحت تأثير الضغط الذي تعرض له هذا الفرع من النظام الإيراني ردا على هجوم نفذته "جبهة النصرة التابعة للقاعدة ضد الممثلية الثقافية الإيرانية بدمشق بدأت السلطات الإيرانية بترحيل وتسليم شخصيات التنظيم السابقة من الذين كانوا في المعتقلات أو من الذين حظوا بالحماية وغض البصر طيلة سنوات في إيران التحق بعدها إلى سوريا"[13].

ثاني أهم رجل في التنظيم هو اليمني "ابراهيم العسيري" الذي انضم

---

http://www.lexpress.fr/actualite/societe/enquete/david-drugeon-le-francais-d-al-qai-da-aurait-survecu-aux-tirs-de-drone_1631305.html#ApYXfwGT6fegdC6k.99.

(13) "محسن الفضلي أمير تنظيم خراسان"، بوابة الحركات الإسلامية 30، سبتمبر 2014. http://www.islamist-movements.com/3558.

وشقيقه الأصغر سنة 2007م للقاعدة في اليمن، برز كخبير في صناعة المتفجرات وكان ينشر مقالاته في جملة "إنسباير" الصادرة عن فرع القاعدة في شبه الجزيرة العربية تتناول كيفية صناعة متفجرات يدوية بأدوات منزلية. كما صنع مجموعة من القنابل الغير القابلة للرصد في نقاط التفتيش والمراقبة، استعمل منها الانتحاري عمر الفاروق عبد المطلب في محاولة تفجيره لرحلة طيران متجهة إلى "ديترويت" رأس سنة 2009 م لولا حصول الاستخبارات السعودية على المعلومات من أحد عملائها في القاعدة[14].

السر وراء تسمية "خراسان" :

تتفق الحركات الجهادية في العالم الإسلامي على تمجيدها للتراث الإسلامي ومحاولتها استعادة أمجاد الخلافة الإسلامية في عصرها الذهبي عندما توسعت لتشمل مجموعات كبيرة من الشعوب والجنسيات والكثير من البلاد من حدود الصين إلى الأندلس في العصر العباسي. هذا التمجيد يظهر جليا في أدبيات الجهاد العالمي الذي تنهل منه جملة الحركات الناشطة وعلى رأسها تنظيم القاعدة والآن تنظيم الدولة الإسلامية.فقد اعتمدت هذه التنظيمات نفس التقسيمات الإدارية لأرض الإسلام فعلى سبيل المثال قام تنظيم القاعدة بتشكيل فروع تابعة له وفق لهذا التقسيم: القاعدة في بلاد الرافدين الذي سيتحول لاحقا إلى الدولة الإسلامية في العراق، القاعدة في بلاد الشام، القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي القاعدة في أرض الكنانة (مصر) وكذلك في بلاد خراسان.

---

(14) ميتش جينسبرج، "الإسرائيليون يبحثون عن تميز تنظيم خراسان والخطر الذي يشكله"، موقع جريدة تايمز أوف إسرائيل، 22 سبتمبر2014.
h t t p ://ar.timesofisrael.com/%D8%A7%D9%84%-D8%A5%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84%D9%8A%D9%88%D9%86-%D9%8A%D8%A8%D8%AD%-D8%AB%D9%88%D9%86-%D9%81%D9%8A-%D8%AA%D9%85%-D9%8A%D8%B2-%D8%AA%D9%86%D8%B8%D9%8A%D9%85-%D8%AE%D8%B1/.

ضمت خراسان تاريخيا أراضي واسعة بدون حدود شملت الشمال الشرقي لإيران الحالية، جنوب تركمنستان، شمال وشمال شرق أفغانستان (هيرات وبلخ). وتحتل خراسان مكانة محورية في الفكر الإسلامي من حيث إنها البلاد التي ستشهد ظهور المهدي المنتظر في آخر الزمان الذي يتولى محاربة المسيح الدجال ويغلبه وفقا للروايات والأحاديث المنقولة عن الرسول صلى الله عليه وسلم. وقد ورد في سنن ابن ماجة (ج12/ ص102)عن أبي قلابة عن أبي أسماء الرحبي عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَقْتَتِلُ عِنْدَ كَنْزِكُمْ ثَلَاثَةٌ كُلُّهُمْ ابْنُ خَلِيفَةٍ ثُمَّ لَا يَصِيرُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَطْلُعُ الرَّايَاتُ السُّودُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ فَيَقْتُلُونَكُمْ قَتْلًا لَمْ يُقْتَلْهُ قَوْمٌ (ثُمَّ ذَكَرَ شَيْئًا لَا أَحْفَظُهُ فَقَالَ)، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَبَايِعُوهُ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ الْمَهْدِيُّ» وفي رواية أخرى، وردت بسنن الترمذي (ج8/ ص 224) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: «تَخْرُجُ مِنْ خُرَاسَانَ رَايَاتٌ سُودٌ لَا يَرُدُّهَا شَيْءٌ حَتَّى تُنْصَبَ بِإِيلِيَاءَ»[15].

على صعيد آخر يمكن الجزم أن تسمية خراسان لطالما التصقت بالتشكيلات الجهادية النخبوية داخل تنظيم القاعدة ففي عام 2010 برزت حركة يطلق عليها "اتحاد مجاهدي خراسان" في شمال "وزيرستان" الباكستانية تكونت من حوالي 200 عضو من خيرة مقاتلي طالبان باكستان والقاعدة واضطلعت بدور مراقبة وتصفية الجواسيس والعملاء الذي تسببوا بمقتل الكثير من قياديي الجماعتين في الغارات الجوية الأمريكية الدقيقة على المنطقة. تتكون هذه الجماعة من أحسن المقاتلين وتتسم بسرية عالية لدرجة أن أفرادها غير معروفين في أوساط الجماعة وتعتمد على القتل والتمثيل بجثث ضحاياها من العملاء لتحذير سكان وشيوخ القبائل بأن كل من يجرؤ على التعامل مع القوات الأمريكية في المنطقة سيتعرض لنفس

---

(15) كمال ابراهيم علاونة، "الرايات السود... والنصر الإسلامي المبين"، دنيا الوطن، 18-07-2014. http://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/204651.html.

المصير، وفعلا نجحت في ظرف قصير من تخفيض أعداد قتلى القيادات(16).

أسباب وخلفيات بروز التنظيم:

يمكن محاولة تفسير بروز جماعة خراسان إلى عدة عوامل يمكن رصدها بالرجوع إلى دور تنظيم القاعدة وتطوره.

1 - جماعة خراسان... تنظيم ولد من رحم القاعدة:

مثل الإعلان عن "الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد اليهود والصليبيين" سنة 1998 بداية الظهور الفعلي والإعلامي للتنظيم الذي عرف إعلاميا وأمنيا باسم (القاعدة). وتشكلت الجبهة من تيارات جهادية من مناطق مختلفة من العالم الإسلامي هي تنظيم الجهاد المصري بزعامة الظاهري، وجمعية علماء باكستان، حركة الأنصار الباكستانية وحركة الجهاد في بنجلاديش. وقد حددت الجبهة هدفها في قتال الأمريكيين والصليبيين واليهود في أي مكان من العالم، الأمر الذي جعل تنظيم القاعدة أخطر تنظيم عالمي وعابرا للقارات(17).

ارتبطت القاعدة بشخصية "بن لادن" الكاريزماتية التي مكنته منذ وصوله إلى أفغانستان في مايو 1996 من نسج علاقات طيبة مع

(16) Zia.Ur Rahman,«the khurasan mudjahideen seek to eliminate espionage in Wazirstan» Terrorism monitor, vol.09, Issue.13 (April 2011), pp4.5.http://www.jamestown.org/uploads/media/TM_009_14.pdf.

(17) علي بكر، "هل أصبح العالم أكثر أمنا؟"، السياسة الدولية،
http://www.siyassa.org.eg/NewsContent/3/112/1562/%D9%85%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AC%D9%84%D8%A9/%D8%AA%D9%82%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%B1/--%D9%87%D9%8%D8%A3%D8%B5%D8%A8%D8%AD-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85-%D8%A3%D9%83%D8%AB%D8%B1-%D8%A3%D9%85%-D9%86%D8%A7%D8%9F%7C-%D9%85%D8%B3%D8%AA%D9%82%-D8%A8%D9%84-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%A7%D8%B9%-D8%AF%D8%A9-%D8%A8%D8%B9%D8%AF-%D8%A8%D9%86.aspx.

المجموعات الجهادية الناشطة على أرضها والأهم مع تنظيم طالبان الذي منح تنظيم القاعدة الحماية والدعم اللوجيستيكي لمباشرة العمل بتوفير معسكرات التدريب، وقد نجح "بن لادن" في إقناع باقي الفصائل الجهادية التي كانت تهيئ مقاتليها لقلب أنظمتها الاستبدادية بالتركيز على الجهاد العالمي لمواجهة العدو البعيد الذي ما إن يتم ضربه في عقر داره أو المساس بمصالحه في أرض المسلمين إلا ويسقط الضرر على أنظمة الكفر القائمة في البلاد العربية التي تحظى بتغطيته ودعمه[18].

عمل "بن لادن" على تشكيل نواة تنظيمية صلبة على درجة عالية من البيروقراطية وتقسيم المهام ما رفع الكفاءة التنظيمية، كما اعتمد على مجموعة من الوسائل التي لم تسبقه لها أحد من الحركات الجهادية القائمة وتتمثل في إقامة نظام تعليمي وتدريبي لتلقين الشباب فقه الجهاد وتدريبهم على حمل السلاح مع بث الروح القتالية فيهم عرف هذا النظام بجامعة الجهاد العالمي. وبما أن "بن لادن" تحلى بشخصية متواضعة ودبلوماسية مكنته من جلب الفرقاء إلى الالتفاف نحو نفس هدفه فقد اتسم أيضا بالمرونة العملياتية من حيث إنه لم يحكم قبضته على هرمية التنظيم ما جعل الكثير من المناضلين في القاعدة يباشرون من أنفسهم تخطيط وتنفيذ العمليات بينما اكتفى هو بمباركة النجاحات أو تقديم الدعم المادي للتنفيذ لأن تفكيره انصب على توجيه ضربات كبيرة للعدو تصاحبها حملة إعلامية قوية.مفضلا بذلك النوعية على الكمية التي ترجمت في ثلاث عمليات رئيسية :تفجيرات شرق إفريقيا(الصومال وأثيوبيا 1998)، عملية المدمرتين الأمريكيتين "يو أس أس سوليفان" و"يو أس أس كول" وهجمات 11 سبتمبر[19].

---

(18) توماس هيغماير، الجهاد في السعودية، قصة تنظيم القاعدة في جزيرة العرب، ترجمة: أمين الأيوبي، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، 2013، ص164.

(19) نفس المرجع، ص166-177.

بعد عملية 11 سبتمبر المفصلية عرفت القاعدة ازدهارا مرحليا بحيث تفرعت عنها جماعات أعلنت ولاءها وتبعيتها له في أكثر من منطقة جغرافية من العالم بعضها كان يتلقي التعليمات على الأرجح مباشرة من القيادة المركزية للقاعدة، وبعضها الآخر كان يتحرك بقدر أكبر من الاستقلالية. ومن أبرز المواقع الجغرافية التي شهدت تنظيمات متفرعة عن القاعدة: العراق، السعودية، اليمن، المغرب العربي والقرن الإفريقي، وجنوب شرقي آسيا. يمكن التمييز في هيكلية القاعدة بين المكونات التالية[20]:

أ - **المركز**: حيث توجد القيادة وقد انتقل من أفغانستان إلى باكستان بعد الضربات الكبيرة التي تعرض لها أثناء الغزو الأمريكي ويمكن التعبير عن المنطقة ككل بأرض خرسان.

ب - فروع تنظيمية تابعة للقاعدة بفضل مبايعتها لأمير القتال "الظواهري" و"بن لادن" سابقا.

ج - جماعات سلفية جهادية لم تبايع القاعدة تسعى لإقامة إمارة إسلامية، تعمل بالتنسيق مع القاعدة في بعض القضاياأو التدريب. وقد تضاعف عدد هذه الجماعات خاصة في منطقة شمال إفريقيا ونذكر من بينها: أنصار الدين في ليبيا، أنصار الشريعة (ليبيا وتونس)، بوكوحرام، مجاهدي مجلس الشورى بمصر.

د - جماعات، أفراد وشبكات ملهمة بفكر القاعدة من الذين ليس لديهم أي اتصال بمركز القاعدة رغم أنهم شديدوا التأثر بأفكارها ونهجها الجهادي، هؤلاء تحركهم الكراهية المشتركة للغرب وحساسيتهم إزاء الظلم والضغط الذي يقع على عاتق المسلمين وأراضيهم في مختلف البقاع من الشيشان إلى غيرها.وأبرز مثال على هذا المكون "تامرلان تسارناييف"

---

(20) Seth.G.Jones, extremist threat of the US homeland, Rand corporation testimony, January2014, p.p.03-05.
http://www.rand.org/content/dam/rand/pubs/testimonies/CT400/CT403/RAND_CT403.pdf.

وشقيقه صاحبا عملية مراطون "بوسطن"عام 2013 م الذي تأثر كثيرا بفتاوى وأفكار زعيم القاعدة "أنور العولقي"*.

شملت توسعات القاعدة :المغرب الإسلامي منذ 2006، بلاد الرافدين 2004، إمارة القاعدة في القوقاز التي تضم خمسة ولايات توافقا مع الطبيعة الإثنية والدينية المعقدة للمنطقة، القاعدة في أوربا التي عرفت بكتيبة "أبو حفص المصري" ، القاعدة في القرن الإفريقي ممثلة في حركة الشباب الصومالية، القاعدة في الهند المسؤولة عن تفجيرات مومباي 2008 وتبقى القاعدة في بلاد خراسان هي مركز ونواة التنظيم حيث تتواجد أهم القيادات ومنظرو الجهاد العالمي ما يجعلها الأهم في الدعم، الحشد واللوجيستيك إلا أن المعلومات الدقيقة حولها شحيحة[21].

شهدت المرحلة التي أعقبت هجمات سبتمبر بعد الرد الأمريكي وإسقاط نظام طالبان مطاردة واسعة لفلول القاعدة وقيادتها في أفغانستان وباكستان وكل دول العالم العالم، حيث إنه في هذه الفترة، كان كل ما يستطيع أن يفعله قادة القاعدة وأفرادها هو النجاة بأنفسهم من القتل أو الاعتقال. وفي ظل هذه الظروف الصعبة، لم يكن للتنظيم أن يفعل أكثر من ذلك، وهو الحفاظ على البقية الباقية من أفراده، ورغم ذلك سقط العديد من قادة القاعدة في قبضة الولايات المتحدة، مثل"أبي زبيدة الفلسطيني"، وكذلك "رمزي بن الشيبة" اليمني الأصل، "عبد السلام الحيلة" وغيرهم، بالإضافة إلى قتل بعض القادة الآخرين[22].

هذا بجانب التضييق الشديد على القاعدة وأفرادها اقتصاديا وعسكريا

(*) أنور العوقلي يمني من مواليد نيومكسيكو بالولايات المتحدة الأمريكية، متحصل على ماجيستير في القيادة التربوية من أهم المنسقين لعمليات 11 سبتمبر التي جعلته من أهم المطلوبين للعدالة، يعتبر الملهم الروحي للقاعدة بفضل منشوراته على الانترنيت منذ 2009 في شكل محاضرات موجهة للسباب المسلم في الغرب ورسالة " 44 طريقة لدعم الجهاد".

(21) Alexander Ignatenco, «words and deeds —Barac Obama and Islam issue-» Russia in global affairs, vol.7, nº2(April-June2009), p.p.139-152. http://eng.globalaffairs.ru/number/n_13034.

(22) علي بكر، مرجع سابق.

وأمنيا، في ظل الملاحقة القوية من جانب الولايات المتحدة الأمريكية التي سخرت كل ما توصلت إليه التكنولوجيا الحديثة في تتبع قيادات القاعدة وأفرادها، إضافة إلى المساعدة الاستخباراتية الكبيرة من العديد من دول العالم. كل هذه العوامل السابقة جعلت تنظيم القاعدة في حالة كمون شديد، بعد أن أصيب معظم أجزائه بالشلل أو بالبتر إلى جانب تشتت البقية الباقية.في ظل هذا الوضع تحول" أسامة بن لادن" من رأس التنظيم ذي الحنكة القيادية العالية إلى مجرد زعيم روحي طيلة سنوات الهروب والاختباء التي قضاها في باكستان إلى غاية مقتله بقصف صاروخي في 01 مايو 2011 بملجئه في منطقة "أبوت" الباكستانية[23].

بالرغم من أن "بن لادن" كان في السنوات الأخيرة منقطعا نوعا ما عن الأحداث الجارية في العالم الإسلامي بحكم الرقابة الشديدة في إطار الحرب على الإرهاب إلا أنه كان لا يزال الزعيم الروحي والملهم للكثير من الجماعات الجهادية والأفراد لذا كان من الضروري تصفيته بعد أن تم اختراق التنظيم بتعاون الحكومة الباكستانية مع الولايات المتحدة الأمريكية.خلف "بن لادن" الدكتور" أيمن الظواهري" ثاني أهم قيادي في التنظيم وصاحب المهارات المتميزة في مجال التنظير[24].

أثر التغير في قيادة القاعدة على فاعليتها ودورها فكما يقول السكرتير الأمريكي السابق للدفاع عن أثر مقتل "بن لادن" على القاعدة "ليون بانيتا" : "لقد ضربنا قيادتها (القاعدة) ولكننا أيضا ضربنا بشكل ما قدرته على تأمين نوع مماثل من القيادة والرقابة في الإطار العملياتي"[25].

ويعود تراجع القاعدة إلى عدة أسباب يمكن تلخيصها في ما يلي:

---

(23) نفس المرجع.

(24) شفيق شقير، الجذور "الأيديولوجية لتنظيم الدولة الإسلامية"، تنظيم الدولة الإسلامية (النشاة، التأثير والمستقبل)، مركز الجزيرة للدراسات، نوفمبر 2014، ص24.

(25) Lavenir dal Qaida, Etude prospective présenté par le service Canadien du renseignement de la sécurité, Mai 2013.
https://www.csis-scrs.gc.ca/pblctns/wrldwtch/2013/20130501_fra.pdf.

- افتقاد الظواهري للكاريزما التي تحلى بها سلفه والتي مكنته من فرض سلطة روحية على باقي فروع القاعدة وحتى الجماعات الجهادية التي كانت تسعى إلى التنسيق معه.في هذا الإطار يقول "جون بيار فيلو" Jean Pierre Filiou أستاذ دراسات الشرق الاوسط بجامعة باريس: "كلما ظهر بن لادن بوصفه قائداً غير متنازع عليه في شبكة هرمية، بدا مقتله -منطقياً- نوعاً من التدمير لتنظيم القاعدة وفروعه الحركية، ولكن قد تبرهن قضية التسلسل القيادي، أياً كانت أهميته من وجهة النظر المضادة للإرهاب، على أنها أقل تأثيراً على المدى الطويل من سيطرة "بن لادن" ومكانته، التي كانت مزيجاً فريداً من الكاريزما الشخصية والعالمية، وقد تكون الحاجة إلى صفة الكاريزما (الشخصية القيادية المؤثرة)، هي أكبر عقبة تواجه أيمن الظواهري الذي خلف بن لادن"[26].
- موقف الظواهري المتساهل والمرحب بثورات الربيع العربي في محاولة منه لركوب موجة التغيير حتى لا تتراجع القاعدة عن ساحة الأحداث وكان قد بارك تولي الإخوان للسلطة على الرغم من الاختلافات الجوهرية في منهج الإخوان المسلمين السلمي وتنظيم القاعدة.هذا الأمر أثار استنكار بعض القيادات في التنظيم خاصة في فرع بلاد الرافدين (الدولة الإسلامية في العراق) التي اعتبرت أن القاعدة انحرفت عن نهجها[27].

---

(26) حمزة مصطفى، "الشرق تفتح ملف القاعدة بعد بن لادن الجزى الأول عقبة الظاهري..الحاجة إلى كاريزما"، صحيفة الشرق، ع138 (20-04-2012)، ص12 نقلا عن موقع مركز المسبار للدراسات والبحوث.
http://www.almesbar.net/%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D9%82-%D8%AA%D9%81%D8%AA%D8%AD-%D9%85%D9%84%D9%81-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%A7%D8%B9%D8%AF%D8%A9-%D8%A8%D8%B9%D8%AF-%D8%A8%D9%86-%D9%84%D8%A7%-D8%AF%D9%86-%D8%A8%D8%A7.

(27) حمزة مصطفى، "الشرق تفتح ملف القاعدة بعد بن لادن الجزى الأول عقبة الظاهري.. الحاجة إلى كاريزما"، مرجع سابق.

2 - ضعف القاعدة والتحولات في الشرق الأوسط:

مع التحولات الكثيرة التي شهدتها المنطقة العربية انطلاقا من سنة 2011 المتمثلة في الثورات العربية وإسقاط الأنظمة الاستبدادية في عديد من الدول دب الضعف في أوصال تنظيم القاعدة الذي بات مغتربا عن هموم الشارع العربي والإسلامي في إقامته الجبرية ومخابئه في باكستان رغم محاولات "أيمن الظواهري" المستميتة في ركوب موجة الأحداث. ومن مظاهر هذا الضعف التصدع الذي أصاب فروعه في بلاد العراق والشام بحيث أعلن أمير فرع القاعدة "أمير دولة الإسلام في العراق" بسط نفوذه إلى سوريا تحت مسمى "الدولة الإسلامية في العراق والشام" في إعلانه لقيام الخلافة وطلبه للبيعة من كل الحركات الجهادية والأقاليم الإسلامية متنصلا بذلك من انتمائه إلى القاعدة التي اعتبرها حادت عن الطريق القويم.

3 - الشقاق بين فرعي القاعدة في العراق والشام وبروز تنظيم خراسان:

في 09 أبريل 2013 ظهر تسجيل لأبو بكر البغدادي يعلن فيه ضم جبهة النصرة لأهل الشام إلى دولته بحيث كانت هذه الأخيرة لحد هذا الوقت مرتبطة معنويا وعقائديا بالقاعدة.في اليوم التالي أعلن قائد الجبهة "أبو محمد الجولاني" عبر مؤسسة المنار البيضاء الإعلامية[28] التالي:

- نفي الجولاني علمه بقرار البغدادي.
- التذكير بهدف الجبهة المتمثل في: إعادة سلطان الله لأرضه، ثم النهوض بالأمة لتحكيم شرعه ونشر منهجه.
- نوه الجولاني إلى أن إعلان دولة الإسلام لابد أن تشترك كل من شارك في الجهاد من مشايخ ومقاتلين... من دون إقصاء أي طرف.

---

(28) حمزة مصطفى المصطفى، جبهة النصرة لأهل الشام: من التأسيس إلى الانقسام، مرجع سابق، ص19.

■ استخدم الجولاني لغة غير صدامية لرفض دعوة البغدادي، وقال إنه يستجيب لدعوته بالارتقاء من الأدنى إلى الأعلى بتجديد البيعة لزعيم القاعدة "أيمن الظواهري"وطلب منه التحكيم في المسألة.

حاولت قيادات النصرة تجنب الدخول في صدام مسلح مع مقاتلي "البغدادي"، وفضلت انتظار تحكيم "الظواهري" لأنها كانت تدرك أنه سيأتي لمصلحتها، وهو ما حصل بالفعل؛ إذ أصدر "الظواهري" بيانا ألغى فيه الدمج وأبقى "الجولاني" في منصبه مسؤولا عاما على جبهة النصرة.إلا أن أنصار "البغدادي" شككوا في الإعلان واتهموا النصرة بتزويره، وحتى بعد تداول المنتديات الجهادية لرسالة التحكيم استمر "البغدادي" في رفضه لفض الاندماج، واعتبر أن عليه مآخذات شرعية ومنهجية وأنه اختار ما بين أمر الله والمخالف لأمر الله فاختار المخالف لرسالة التحكيم[29].

مع فشل رسالة التحكيم كلف "الظواهري" شخصية" أبو خالد السوري"للتحكيم وتقريب وجهات النظر بين الطرفين لكن هذا الأخير مع قيادات أخرى تنتمي للقاعدة توفي في عملية انتحارية، ووجهت أصابع الاتهام إلى تنظيم الدولة الإسلامية في بيان مطول وشديد اللهجة من "الظواهري" قال فيه: "وفي هذا الجاني المسكين المغرر به، الذي دفعه من دفعه بدافع الجهل والهوى والعدوان والطمع في السلطة ليقتل شيخًا من شيوخ الجهاد، وهذه الفتنة تحتاج من كل المسلمين اليوم أن يتصدوا لها، وأن يشكلوا رأيًا عامًا ضدها، وضد كل من لا يرضى بالتحكيم الشرعي المستقل فيها، وأؤكد على المستقل، فلا عبرة بتحكيم يعين أعضاءه الخصوم"[30].

يرجع سبب وقوف القاعدة إلى جانب "جبهة النصرة" إلى رغبة

---

(29) حمزة مصطفى المصطفى، مرجع سابق، ص22.

(30) عامر بدوي، "الانشقاقات تضرب القاعدة.. فتاوى التكفير تشتعل بين داعش والنصرة"، جريدة البوابة 23، -04-2014، نقلا موقع البوابة نيوز.
http://www.albawabhnews.com/533826.

"الظواهري" في الحفاظ على كينونته التي يهددها تنظيم الدولة الإسلامية وأيديولوجيته الهدامة التي وصل الأمر بقياداتها ومشايخها إلى غاية اعتبار القاعدة طائفة ردة تستوجب مقاتلتها حتى ترجع وتبايع الخليفة أو تباد عن بكرة أبيها.وقد استعرت الحرب الإعلامية بين القاعدة وداعش مع اشتداد القتال على الأرض. لكن ما يهم هو أن الجماعة التي كلفت بالوساطة هي نواة "تنظيم خراسان" الذي توالى أعضاءه بالقدوم إلى سوريا.

ويمكن تحديد أهداف "القاعدة " في تكوين جماعة خراسان في سوريا في هذا الظرف بالذات كالآتي:

1. استغلال حالة الحرب الدائرة في سوريا من أجل استقطاب المقاتلين الأجانب المتدفقين على سوريا بحيث يتم تدريبهم تمهيدا لتوجيههم من أجل القيام بعمليات في بلدانهم الأصلية على أساس أنهم أقل مراقبة وتفتيشا.
2. محاولة استرجاع مكانة القاعدة على خارطة الحركات الجهادية في ظل تنامي ظاهرة داعش وحضورها الإعلامي الكبير الذي بات يهدد وجود التنظيم بحرمانه ولاء الكثير من الحركات المنتمية له سابقا أو المحتمل احتواءها في المستقبل.فقد وجدت القاعدة نفسها في منافسة حادة على عقول وقلوب الجهاديين مع داعش(31).
3. تحويل التركيز من جديد تجاه العدو البعيد بعد أن غيرت داعش أولويات الجهاد بتوجيهه نحو العدو القريب المتمثل في باقي الطوائف الغير المسلمة والأنظمة السياسية والفصائل الجهادية في الوقت الذي خلا فيه الخطاب الداعشي من أي رغبة أو إيحاء لاستهداف إسرائيل العدو الرئيسي والتاريخي للعالم الإسلامي وحليفته الولايات المتحدة الأمريكية.

---

(31) مصطفى زهران، معارك الجهاديين. داعش في مواجهة القاعدة، موقع أخبار تركيا20، يناير 2015. http://akhbarturkiya.com/?p=47477.

4. الحؤول دون حدوث فتنة داخل المجتمع الإسلامي بالنظر إلى الخطاب الطائفي الذي تحمله داعش وتوجيه التركيز إلى القضايا الأساسية.إذ إنه على الرغم من توجه القاعدة إلى جمهور السنة وتمركزها في المناطق الني يقطنونها إلا أنها كانت دائما على وفاق مع القوى السياسية الشيعية ما يتجلى في علاقتها الغامضة مع إيران.
5. لملمة أوراق القاعدة بعد محاصرتها في أفغانستان وباكستان حيث لم تجد أفضل من الساحة السورية لفعل ذلك وهو ما تثبته القراءة الاستخباراتية الغربية بدقة فيما يعبر عنه الباحث في شؤون الحركات الإسلامية "مصطفى زهران" بالإنبعاث القاعدي الجديد[32].

4 - دور إيران غير المباشر في رعاية قيادات خراسان:

لأول وهلة يتبادر للذهن أن العلاقات بين القاعدة وإيران مستحيلة بحكم الاختلاف المذهبي والعقائدي بينهما لكن في عالم تسوده المصالح حدث التقارب بين الدولة والتنظيم.فوفقا لما كشفته الدراسات والتقارير المختلفة تعود العلاقات إلى فترة التسعينات حيث قدمت إيران مساعدات ثمينة لتنظيم القاعدة بالسماح له بعقد اجتماعاته على أراضيها وتسهيل عبور المقاتلين إلى أفغانستان عبر أراضيها بل وصل بها الأمر إلى درجة السماح بإقامة معسكرات تدريب على حدودها مع أفغانستان تابعة لتنظيم القاعدة قبل 2001 لكن هذه العلاقة كانت متذبذبة فمع انطلاق الحرب العالمية ضد الإرهاب وحدوث التقارب الظرفي مع الولايات المتحدة باشرت إيران حملة اعتقالات في صفوف نشطاء التنظيم لكنها حرصت على عدم تقديم المعتقلين إلى العدالة حتى يكونوا ورقة مساومة في مفاوضاتها مع الولايات المتحدة الأمريكية[33].

---

(32) مصطفى زهران، "خراسان... الانبعاث القاعدي الجديد"، موقع أخبار تركيا، 11 أكتوبر 2014. http://akhbarturkiya.com/?p=37584.

(33) دانيال بايمان، "تحالف مستبعد: أبعاد العلاقة بين إيران والقاعدة"، موقع السياسة الدولية10، سبتمبر2012.

سرعان ما تغير الوضع مع توتر العلاقات من جديد بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية حول الملف النووي واستكملت إيران حمايتها للقيادات القاعدة التي وجدت الملاذ الآمن مع التواصل والتنسيق الذي كشفته عنه الوثائق المعثور عليها في مخبأ "أسامة بن لادن" ومن الدلائل على هذه العلاقة:

- تسهيل حركة عناصر التنظيم من خلال أراضيها مستمر حتى الآن، ويسستدل على ذلك بالرجوع إلى الأسماء التي أعلنتها وزارة الخزانة الأمريكية لعناصر من تنظيم القاعدة في فترات مختلفة، وأكدت أنهم على صلة مباشرة بإيران، وأن منهم من كان وسيطا بين القاعدة والحكومة الإيرانية. ومن بين الأسماء التي تم إعلانها: عادل محمد عبد الخالق في 2008، ومصطفي حامد في 2009، وياسين السوري في 2011[34].
- الخطاب الذي أرسله الظواهري لأبى مصعب الزرقاوي قائد القاعدة في العراق آنذاك، يطالبه فيه بعدم التعرض للشيعة والإيرانيين، نظرا لوجود أكثر من 100 من أعضاء القاعدة تحت قبضة النظام الإيراني والذي نوه إليه الناطق الرسمي باسم تنظيم الدولة الإسلامية "أبو محمد العدناني "في معرض رده على هجوم "الظواهري" عندما

HTTP://WWW.SIYASSA.ORG.EG/NEWSCONTENT/5/25/2689/
%D8%AF%D9%88%D8%B1%D9%8A%D8 %A7%D8%AA%-
D8%A3%D9%83%D8%A7%D8%AF%D9%8A%D9%85%D9%8A%D8%A9/
%D8%AF%D9%88%D8%B1%D9%8A %D8%A7%D8%AA%D8%A3%-
D8%AC%D9 %86%D8%A8%D9%8A% D8%A9/%D8%A A%D8%AD%-
D8%A 7%D9%84%D9%81-
%D9%85%D8%B3%D8%AA%D8%A8%D8%B9%D8%AF%7C%D8%A3%-
D8%A8%D8% B9%D8%A7%D8%AF-%D8%A7%D9%84%-
D8%B9%D9%84%D8%A 7% D9 %82%D8%A9%D8%A8%D9%8A%D9%86
%D8%A5%D9%8A%D8%B1%D8%A7%D9%86%D9%88%D8%A
A%D9%86%D8%B8%D9%8A%D9%85%D8%A7%D9%84%D9%82%-
D8%A7%D8%B9%D8%AF.ASPX.

(34) نفس المرجع.

صرح بأن داعش التزمت ولا تزال إلى الآن بعدم استهداف إيران وقوفا عند طلبه[35].

انطلاقا من هذه المعطيات وعلما أن زعيم تنظيم "خراسان" "محسن الفضلي" كان أحد القياديين الذي وجدوا الملاذ الآمن في إيران يمكن القول أن إيران ساهمت بشكل غير مباشر في سعي التنظيم المتفرع عن القاعدة إلى تجميع نظم الردع لتوجيه الضربة القاصمة إلى الولايات المتحدة الأمريكية الذي سيخدم في البداية والنهاية إيران.

في إيران بدأ "محسن الفضلي" التنسيق عبر تسهيل عبور المقاتلين إلى أفغانستان أو إلى دول الهلال الخصيب خاصة العراق، كما كان من بين المنسقين مع "الزرقاوي حول إقامة فرع القاعدة في بلاد الرافدين وتمكن من تكوين ناد من المتبرعين الكويتيين لتمويل المجاهدين. وقد نجحت شبكته في إدارة وتحويل الأموال والرجال من إيران وعبر تركيا إلى سوريا قبل أن يلتحق بنفسه إلى الجبهة. وهناك افتراض يقول أن إيران أرسلت "الفضلي" لتحقيق غرضين من أجل تخفيف الضغط على حليفها الأسد نظرا لقدرة "الفضلي" وجماعته عبر:

أ - تحويل أنظار الحركات الجهادية خاصة جبهة النصرة لأهل الشام من محاربة العدو القريب (نظام الأسد) نحو أولوية قتال العدو البعيد[36].

ب - إغراق سوريا بالجهاديين حتى يظهر للعالم أن الأسد يحارب الإرهاب[37].

---

(35) عامر بدوي، مرجع سابق.

(36) Terrence Mccoy,«Khorasan:Muhsin al Fadhli the man leading a terror group more feared by US officials than ISIS» The independant,22-09-2014.
http://www.independent.co.uk/news/world/middle-east/khorasan-muhsin-alfadhli--the-man-leading-a-terror-group-more-feared-by-us-officials-than-isis-9748404.html.

(37) Régis Soubrouillard, Khorasan: avatar de communication ou nouveau danger terrorist, Marianne, 27 Septembre 2014.
http://www.marianne.net/Khorasan-avatar-de-communication-ou-nouveau-danger-terroriste_a241598.html.

تبقى هذه افتراضات تضاف إلى اعتبار تنظيم خراسان هيئة استشارية وحدة عملياتية عالية الخبرة ومتنوعة المعدات كان هدفها في البداية التحكيم في الخلاف الذي أصاب فرعي القاعدة "الدولة الإسلامية في العراق" و"جبهة النصرة" ومع فشله استقر للعمل مع جبهة النصرة من أجل التحضير لعمليات تستهدف الديار الأمريكية عبر تجنيد المقاتلين الأجانب في صفوفها.

تنظيم خراسان فقاعة إعلامية بأهداف سياسية:

في الفترة القصيرة التي طفا فيها تنظيم خراسان إلى ساحة الأحداث تضاربت الآراء بشأن وجوده الفعلي من عدمه فمع تأكيد المؤسسات الأمنية الأمريكية على التهديد الكبير الذي يمثله هذا التنظيم والذي يجعله أولوية لضربات التحالف الدولي تستمر الشكوك حول وجوده بحيث يمكن سوق عديد الدلائل عن ذلك نجمعها في ما يلي:

1 - أول ظهور إعلامي للتنظيم كان في 18 سبتمبر أي في الأيام الأولى للحملة ضد داعش، إذ يؤكد الباحث في شؤون الجماعات الإسلامية "علي عبد العال" بأن معظم الفصائل الإسلامية في سوريا أكدت بأنها لا تعرف شيئا عن هذا التنظيم أو حتى وجود فعلي للشخصيات التي أعلن عن قتلها في القصف الأمريكي باعتبارهم قادة هذا التنظيم[38].

2 - من غير المعقول أن يكون لتنظيم القاعدة جماعتان تقاتلان باسمه في مكان واحد والمعروف أن جبهة النصرة لأهل الشام هي الفرع الرسمي للقاعدة في سوريا الذي جدد البيعة في 2013 إلى زعيم القاعدة بعد أن تأسس تلبية لنداء الظواهري لجموع المسلمين بنصرة إخوانهم في الشام إثر ارتكاب نظام الأسد جرائمه الأولى في فبراير 2012.

3 - تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية في إطلاق صفة "تنظيم" على

---

(38) مصطفى أبو عمشة، مرجع سابق.

جماعات غير رسمية كما يقول "جايسون بيرك" Jason Birk (صحافي ومؤلف كتاب هام حول جذور القاعدة)، إذ إنه من المؤكد أن للقاعدة وجود في سوريا من خلال مقاتليها القادمين من عدة وجهات الشيشان، أفغانستان، باكستان وغيرها من المجموعات التي لا تزال تؤمن بأهمية محاربة الغرب لكنها ليست بالضرورة جماعات بالقوة التنظيمية والخطر التي يروج له البنتاغون[39].

4 - القضاء عليه في أيام معدودة رغم عدم تأكيد قتل قياداته (الفضلي ودروجون) بحيث صرح "وليام مايفيل" مدير العمليات لهيئة الأركان المشتركة بإنه تم إطلاق أكثر من 40 صاروخ توماهوك من سفن حربية في الخليج والبحر الأحمر، وإن غالبية ضربات صواريخ توماهوك استهدفت تنظيم خراسان. كما استهدفت الغارات معسكراتٍ تدريب تابعة لهذا التنظيم، وموقعاً لتصنيع الذخائر، ومبنى اتصالات، ومركزا للقيادة والتحكم إلى جانب أن الضربات الموجهة كانت أمريكية فقط بدون أن تكون لباقي قوات التحالف دراية بها[40].

بالإضافة إلى كل الدلائل السابقة يبقى المبرر الأقوى هو حاجة الولايات المتحدة الأمريكية لتأسيس حملتها الجوية على حجة قانونية دامغة لتبرر عودتها إلى الشرق الأوسط فالحرب ضد داعش بدأت بموافقة صريحة واستنجاد من السلطة العراقية لغاية احتواء داعش بعد أن بلغ من ارتكاب الفظائع مبلغا كبيرا تقدر وقت الإعلان بحوالي 5 آلاف قتيل مع تهجير مليون شخص من ديارهم في إطار سياسة التطهير العرقي التي انتهجها في حق الأقليات الأيزيدية، المسيحية ووالكردية.هذه الكارثة الانسانية استوجبت التدخل الذي بدا قانونيا بالنظر إلى غاياته الكامنة في تقديم يد

---

(39) Régis Soubrouillard, op.cit.

(40) Adam Taylor,«the strange story behind khorasan groups name» Washington post, 25 Septembre 2015.
http://www.washingtonpost.com/blogs/worldviews/wp/2014/09/25/the-strange-story-behind-the-khorasan-groups-name/.

العون للجيش العراقي. على النقيض من ذلك لم يصرح نظام الأسد بموافقته على التدخل في أراضيه كما لم يطلب منه ذلك بحكم أنه نظام مارق ومستبد وآيل إلى السقوط في نظر الولايات المتحدة الأمريكية كما أن التدخل لمواجهة قوة غير نظامية أو فاعل غير دولاتي على أراضي دولة أخرى بدون رضاها لن يفسره مبدأ الدفاع الجماعي وفق المادة 51 من ميثاق الأمم المتحدة المبرر للتدخل في العراق وقرار مجلس الأمن 2178 الصادر في سبتمبر 2014. من هنا وجدت الإدارة الأمريكية نفسها في مأزق قانوني واقعة بين رغبتها وضرورة احتواء داعش في كل من العراق وسوريا حتى تتمكن من القضاء عليه وبين مخافة انتهاك سيادة الدول ما سيؤلب ضدها الحليف الروسي لنظام الأسد. من أجل ذلك تمثل الحل الأمثل في خلق عدو يحقق لها المبتغى ويضمن لها شرعية التدخل تحت مبرر الدفاع عن النفس الفردي استباقا لهجمات محتملة أو في طور التحضير النهائي ضد إقليمها ومواطنيها. وهو ما حدث بالفعل[41].

من خلال ذلك انتهت حالة التخبط التي وقع فيها "الرئيس أوباما" لتبرير حربه ضد داعش في سوريا بعد أن عبر في وقت لاحق أن تنظيم داعش لا يشكل أي تهديد للولايات المتحدة الأمريكية. من جهة أخرى خدم بروز "خراسان" في هذا الوقت بالذات استخدام "أوباما" غير الموفق للدليل القانوني بتذكيره بتنظيم القاعدة والحملة على الإرهاب لإقناع خصومه في الكونغرس بالقانون رقم 40 الصادر عن دورة الكونجرس رقم 107 في 18 سبتمبر/أيلول 2001 المعروف باسم "قانون التفويض باستخدام القوة العسكرية ويرمز له اختصاراً بـ أي يو أم أف"[42].

(41) Louise Arimatsu and Michael schmitt,«Attacking «Islamic state»and the khorasan group surveying international law landscape» Columbia journal of transnational law Bulltin.
http://jtl.columbia.edu/attacking-islamic-state-and-the-khorasan-group-surveying-the-international-law-landscape/.

(42) منير الماوري، "أوباما يستند على قوانين بوش في الحرب ضد "داعش"، موقع العربي الجديد14، سبتمبر2014.

أما الأمر الثاني فيكمن في سعي الإدارة الأمريكية لكسب تأييد الرأي العام الداخلي في الولايات المتحدة الأمريكية وحتى الخارجي وهو التفسير الذي قدمه مدير المخابرات والأمن الفرنسي Alain Chouet عندما اعتبر وجود تنظيم خراسان "غريبا" وأنه يميل إلى الاعتقاد أنها مجرد فقاعة إعلامية لتبرير تدخلها العسكري الذي لا يقتنع بها الكثير من مواطنيها بالنظر إلى تجربة الجنود الأمريكان القتلى في حروبها السابقة والتي لطالما أحرجت الإدارة الأمريكية وزعزعت مصداقيتها(43).

ما يدعم الرأي القائل بعدم وجود "تنظيم خراسان" من أساسه أن تنظيم القاعدة اليوم وداعش فتحا النار على بعضهما البعض ليدخلا في سباق محموم على زعامة الحركات الجهادية ونشر أيديولوجية كل منهما، فالظواهري لن يرض أن ينازعه "البغدادي" بنزعته الدموية على الشعبية والصيت الحسن الذي تتسم به القاعدة منذ قرابة 20 سنة من الوجود ويظهر هذا التنافس في الانشقاقات الحادثة في أوساط الجهاديين المختلفين وتغيير الولاءات وتقسيم البيعات على الطرفين.كما يتجلى في السجالات الكلامية ووالمناقشات الحادة على صفحات المنتديات الإسلامية السلفية.حيث إن تمدد تنظيم الدولة في المنطقة العربية توازنه قيادة القاعدة بفتح المزيد من الفروع في جنوب شرق آسيا (برمانيا، بنغلاداش وأجزاء من الهند) ومحاولة تأكيد قوتها وتعزيز مكانته في باكستان مع ضعف نظام طالبان بها.

خاتمة:

يشكل "تنظيم خراسان" حلقة أخرى من مسلسلات الدعاية العالمية الموجهة لخدمة مصالح الولايات المتحدة الأمريكية وشرعنة تدخلاتها، لكن الإقرار بأن التنظيم مجرد فقاعة إعلامية لا يعني إنكار وجوده من

---

http://www.alaraby.co.uk/politics/76d27083-3cf8-47a8-bdb5-f16b074e039c#stha-sh.YDsfpQC4.dpuf.

(43) Régis Soubrouillard, op.cit.

الأساس حيث تثبت الدلائل عكس ذلك كما أن التنظيمات الإرهابية عبر تاريخها استعملت الخلايا السرية بهد تحقيق الغايات الأكثر حيوية. إلى جانب أن تصاعد داعش كظاهرة عالمية كان له أثر سلبي على تنظيم القاعدة الهرم والمنهك بسبب حرب الرئيس "بوش" على الإرهاب. لكن الجدير بالملاحظة هو أن تنظيم القاعدة بنموذجه الريادي في الجهاد العالمي وكأيديولوجية ناظمة لآلاف الشباب المسلم ونواة تنظيمية متينة لا يستطيع أن ينهار بسهولة أمام هذا الوليد الجديد.لذلك كان من الضروري على القيادة إعادة بعث نفسها من خلال فروعها الرئيسية على غرار القاعدة في شبه الجزيرة والجماعات التابعة كجبهة النصرة وهو ما بدا واضحا في مساعي المصالحة بين داعش والنصرة ثم الحرب الشعواء المشتعلة على كل الأصعدة بينهما.

كل هذه الأمور وأخرى تدفعنا إلى الاعتراف بوجود محاولة من القاعدة لبعث نفسها عبر مقاتليها وقيادييها المتوافدين على سوريا استجابة لنداء "أيمن الظواهري" بوجوب الجهاد بأرض الشام ولكن ليس في تنظيم أو وحدة عملياتية في غاية الخطورة كما صورت لنا أجهزة الاستخبارات الأمريكية عبر آلياتها الإعلامية لتحقق هدفها وتشرعن تدخلها في سوريا والذي تبين بعد برهة من الزمن في خفوت أصوات المتشدقين بوجود جماعة خراسان وخطورتها الخرافية.

ثانياً: الشركات الأمنية الخاصة وهندسة منطق الرعب في العراق

■ أ.م.د. حسن تركي عمير*

المقدمة:

شنَت الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها الحرب على العراق ليلة العشرين من آذار 2003، بدعوى امتلاكه لأسلحة الدمار الشامل، ومثل هذه الدعاوى سرعان ما تم تحويل اتجاهها نحو هدف إنقاذ العراقيين من النظام الدكتاتوري المسيطر وأجهزته الأمنية، وتحديداً تلك المتعلقة بالجيش وقوات حماية الشخصيات والمنشآت العراقية المدنية والعسكرية، كان لهذا الاحتلال آثار وتداعيات كثيرة على مستويات مختلفة، وما رافقها من انهيار معالم الدولة العراقية ؛ إذ تعدَ التداعيات الأمنية منها الأبرز والأهم، فقد ظلت ولا تزال تشكل المعضلة الأساس في إعادة بناء الدولة.

وعلى العموم فإنً عدم وجود استراتيجية واضحة ومحددة لدولة الاحتلال في التعامل مع العراق، جعلها قاصرة للقيام بمسؤوليتها الأمنية على وفق القانون الدولي، واتفاقية جنيف 1949 في حماية الحدود الدولية للعراق والحفاظ على أمنه الداخلي بعد عام 2003، فقد رافق الاحتلال عمليات قتل وتصفية وانتقام فضلاً عن النهب والسلب والتدمير وحرق لمؤسسات الدولة، لم تسلم منها جهة أو قطاع، كلفت هذه الفوضى

* العراق - جامعة ديالى - كلية القانون والعلوم السياسية

الشعب العراقي ثمناً باهظاً، انعكست آثاره السلبية في تحديد الأهداف على الوضع الأمني الذي شهده العراق طوال سنوات الاحتلال والى الآن. كما أفرز الفراغ الأمني انتشارالشركات الأمنية الخاصة التي أسهمت بدورها العبثبأمن واستقرار العراق نتيجة أعمال القتل بدم بارد للكثير من المواطنين العراقيين، ولاسيما وان هذه الشركات لم تكن تحت سلطة الحكومة العراقية إلا شكلياً، بل جلَ أعمالها وتنظيمها يتم من خلال وزارتي الدفاع والخارجية الأمريكتين.

يأتي **أهمية الموضوع** من ندرة الدراسات الخاصة بالشركات الأمنية الخاصة العاملة في العراق بعد الاحتلال الأمريكي على الرغم من الأعداد الكبيرة والانتشار الواسع والمهام المتعددة لهذه الشركات التي نمت وتفاقمت في ظل فوضى الاحتلال وهندسة الرعب والخوف التي تمارسهما في العراق، وما رافقهما من انتهاكات خطيرة لحقوق الإنسان بسبب الغطاء القانوني الذي تعمل فيه.

إشكالية البحث: لعل من التداعيات الخطيرة التي تسعى هذه الدراسة تسليط الضوء عليها هي تورط بعض الدول في الحرب من خلال انتماء قسم غير قليل من رعاياها في نشاط الشركات الامنية الخاصة العاملة في العراق أو على أقل تقدير استهداف صورتها في العالم أو سمعتها التي تحاول بناءها كدولة ترفض العدوان والحرب لحل الخلافات الدولية.

وعلى ضوء ذلك **تقوم الفرضية** على أن «الإدارة الأمريكية ممثلة بوزارة الدفاع تسعى إلى استغلال نشاط الشركات الأمنية الخاصة لغايات عسكرية محضة كانت تقع ضمن مهام الجندي النظامي بصورة حصرية، وذلك للتخفيف من العبء الذي يواجه الجيش الأمريكي في العراق على الصعيد الأمني وإثبات أن الفوضى واستمرار حالة النزاع والمعاناة التي يتكبدها الشعب العراقي بعد الاحتلال، يرجع القسم الأكبر منه إلى سياسة هندسة الرعب والخوف الناتج عن خصخصة العمل العسكري باستخدام الشركات الأمنية الخاصة».

وتأسيساً لما تقدم ستحاول الدراسة الإجابة على التساؤلات الآتية: ما طبيعة ونوع الشركات الأمنية الخاصة العاملة في العراق بعد الاحتلال؟؛ وما الدور الذي تقوم به هذه الشركات لهندسة منطق الرعب؟؛ وكيف استطاع الاحتلال تامين الحصانة القانونية لنشأة وانتشار تلك الشركات في العراق؟؛ وأخيراً ما الموقف الرسمي من استمرار وبقاء هذه الشركات على الرغم ارتكابها جرائم متكررة ضد المواطنين العراقيين؟.

اعتمدت الدراسة على **المنهج** التحليلي لتفسير ظاهرة انتشارالشركات الأمنية الخاصة والأسباب المحركة لها، وما نجم عن استمرارها من تصورات، فضلاً عن استخدام المنهجين التاريخي والمقارن بهدف توضيح ومقارنة الأبعاد التاريخية التي شكلت هذه الظاهرة وحفزت نموها في العراق.

وقسمت الدراسة إلى مبحثين فضلاً عن مقدمة وخاتمة تضمنت أهم الاستنتاجات، تناول المبحث الأول الاحتلال وظاهرة انتشار الشركات الأمنية الخاصة في العراق وقسم إلى مطلبين، ناقش الأول الاحتلال وسياسة حلَ المؤسسة العسكرية والأمنية العراقية، بينما استعرض الأخرنشأة وتطور هذه الشركات؛ بينما خصص الأخر لمناقشة الشركات الأمنية والحصانة القانونية لهندسة منطق الرعب في العراق: قسم هو الأخر إلى مطلبين، تركز الأول على طبيعة ونوع الشركات الأمنية الخاصة العاملة في العراق وهندسة منطق الرعب، بينما تناول الأخر الحصانة القانونية لهذه الشركات عن ارتكابها للجرائم وانتهاكات حقوق المواطنين العراقيين.

الاحتلال الأمريكي وظاهرة الشركات الأمنية الخاصة في العراق

لقد خططت الولايات المتحدة الأمريكية وهي تستعد لدخول القرن الحادي والعشرين، الهيمنة على العالم، وتسويق فكرة (خصخصة

الحرب)[1]، وبهذا فقد جرى إسناد الكثير من الأعمال غير العسكرية إلى شركات أمنية خاصة، فضلاً عن مساهمة الكثير منها في حسم بعض المعارك عن طريق استدعاء القوات الأمريكية لجهد هذه الشركات في إسناد أعمالها القتالية في مناطق عدَة[2].

بالمقابل كان النظام السياسي العراقي يعمل على تجهيز المؤسسة العسكرية والأمنية بأفضل الإمكانات والأسلحة والتدريب عليها، ولكنه زجها بحروب إقليمية ودولية، فعدَت الحرب الدفاعية مع إيران من أطول الحروب الإقليمية المعاصرة (1980- 1988)، خلَفت هذه الحرب أثار وتداعيات كبيرة، تطورت سلبياً بدخول هذه القوات للأراضي الكويتية في 2/ 8/ 1990 وما أعقبها من حرب مدمَرة شنها التحالف الدولي عام 1991 ألقي فيها (85500) طن من المتفجرات خلال مائة ألف طلعة جوية بحجة تحرير الكويت.

وقد أعقب الحربينحصار اقتصادي جائر فرض بقرارات من الأمم المتحدة وبخاصة القرار (661) الذي ما زال نافذ منذ عام 1990 الذي يعني خضوع العراق واقتصاده لمشيئة الفصل السابع لمجلس الأمن، ثم جاءت الحرب المدمرة عام 2003 التي أسقطت النظام السياسي ودمرت اغلب مؤسسات الدولة العراقية، بضمنها حلَ المؤسسة العسكرية والأمنية بقرار من الحاكم الأمريكي بول بريمر، هذه الأسباب وغيرها أدت إلى

---

(1) يشير مصطلح الخصخصة إلى أنها "عملية تهدف إلى زيادة حجم الدور الذي يقوم به القطاع الخاص بالمشاركة في مختلف الأنشطة الاقتصادية وإدارتها، حتى يتم زيادة فعالية هذا القطاع وعلاج ما يعانيه من مشكلات إدارية تنطبق على ضعف الإنتاجية"، بمعنى إتاحة الفرصة للقطاع الخاص في الدولة للمشاركة في نشاطات اقتصادية كانت حكرًا على الحكومة "أو تسيطر عليها مباشرة". د.منير محمد هندي: أساليب خصخصة المشروعات العامة (خلاصة الخبرات العالمية)، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، القاهرة، 1995، ص4-5.

(2) د.مثنى علي المهداوي ود. شكرية كوكز السراج، الاحتلال الأمريكي وفقدان أمن العراق واستقراره، عن كتاب: بصمات الفوضى: ارث الاحتلال الأمريكي في العراق، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، بيروت، 2013، ص62.

انتشار الفوضى وتصاعد أعمال العنف والقتل والتدمير التي مارسته الشركات الأمنية الخاصة[3].

نفذت الولايات المتحدة الأمريكية عند غزوهاالعراق عام 2003 سياسة الصدمة الثلاثية: فكان الاحتلالأولاً، ثم الصدمة الغزو ورعب وإرهاب الشركات الأمنية الخاصة. وعند قراءة الدليل العسكري توضح نظرية الصدمة والروعة، أن الكثير من الناس يعتبرونها مجرد إلقاء الكثير من القنابل والقذائف الصاروخية، لكنها في الحقيقة عقيدة سيكولوجية أو نفسية وهي بحدِ ذاتها جريمة حرب لأنها تقوم وبشكل صريح جداً: "بأن حرب عام 1990 هدفها الهجوم على البناء التحتي العسكري لصدام، ولكن أثناء حملة الصدمة والروعة عام 2003 هدفه ترويع المجتمع العراقي بصورة عامة"[4].

إن استهداف المجتمع بشكل عام هو عقاب جماعي، وهو جريمة حرب، لم يسمح للجيوش استهداف المجتمع بشكل عام بل يسمح لهم استهداف الأهداف العسكرية فقط. هذه العقيدة مرعبة للغاية لأنها تتحدث عن الحرمان العصبي الحسي على مقياس جماعي، وتتحدث عن الإعماء، وقطع الأحاسيس لكل المجتمع، وشوهد أثناء الغزو قطع الإضاءة (الكهربائية)، وقطع كل الاتصالات والمواصلات، وبعد ذلك حدث حرق المكتبات العامة ونهب المتاحف أثناء الاحتلال رغم أن حماية هذه المرافق هي من مسؤولية قوات الاحتلال لكنه لم يتخذ أي إجراء بذلك.

ويصف المؤرخ الأمريكي هوارد زن صاحب كتاب (التاريخ الشعبي للولايات المتحدة) قائلاً: "كان غزو أمريكا للعراق بحجة إنقاذ الحضارة الغربية بأنه كذبة، لأنها تتجاهل حقيقة مهمة وهي أن الحرب نفسها

(3) د. عبدالحسين شعبان وآخرون، الاحتلال الأمريكي وإشكالية الدستور والقوانين، عن كتاب: بصمات الفوضى: إرث الاحتلال الأمريكي في العراق، المصدر السابق، ص71- 73.

(4) دجلة وحيد، كلاين وصعود رأسمالية الكارثة: عقيدة الصدمة، (مقال) ينظر الموقع المتاح: http://www.al-moharer.net/moh262/d_waheed262.htm.

إرهاب، وان مداهمة بيوت الناس الآمنين واعتقالهم وإخضاعهم للتعذيب هو إرهاب ورعب وجريمة ضد الإنسانية"[5]. وقد تسبب الغزو بمقتل أكثر من (700) ألف شخص من بينهم (530) عالم و(200) أستاذ جامعي تم اغتيالهم من قبل الشركات الأمنية الخاصة وجرح أكثر من مليونين وتهجير ونزوح ما يقارب أربعة ملايين داخل وخارج البلاد، فضلاً عن سرقة أكثر من (23) مليار دولار أمريكي وتهريب ما يزيد عن ألف لوحة ومخطوطة تاريخية نادرة إلى الكيان الصهيوني في إطار الحرب على ذاكرة الشعب العراقي وحضارته وتاريخه[6].

وبعد كل الذي جرى بفعل الاحتلال يأتي تعليق وزير الدفاع الأمريكي آنذاك دونالد رامسفيلد على ما يحصل من جرائم لتدمير العراق بأنها "أشياء تحدث"[7]، باختصار شديد فكرة شن الحرب "وتدمير العراق" صاغها الصحافي الصهيوني "توماس فريدمان" والمعلق في صحيفة الـ "نيويورك تايمز" في عبارته الشهيرة إن ما يحصل في العراق ليس "بناء دولة" ولكن "خلق دولة"[8]. وهذه بحد ذاتها فكرة عنيفة ومروعة جداً وجريمة كبرى، لو توقفنا وفكرنا بشأن ما تعني بـ "خلق دولة" في دولة موجودة فعلاً، وهذا يعني أن شيئاً ما سيحدث لدولة موجودة لها ثقافة عمرها عمر الحضارة الإنسانية[9].

---

(5) نقلاً عن: عادل الجوجري، اكبر سرقة في التاريخ بوش و4000 حرامي بالأسماء والوقائع والأرقام، دار الكتاب العربي، القاهرة، 2009، ص10.

(6) عادل الجوجري، المصدر السابق، ص12 وص13 وص186 بتصرف.

(7) بعد مرور أكثر من اثني عشر عام على الاحتلال يعلن وزير الدفاع الأمريكيالأسبق دونالد رامسفيلد "إن نموذج أمريكا للديمقراطية لا يصلح لأي بلد في العالم". بعد أن كان إلى فترة قريبة يدافع عن سياسة إدارة بوش في العراق وحربه عليه، وبشكل مفاجئ عبر في مقابله أجرته معه صحيفة "التايمزالبريطانية قائلاً: "إن سياسة بوش خاطئة وتصرفاته لم تكن في محلها أبداً وهي ما قادت العراق إلى ما هو عليه اليوم من فوضى". وكالة المعلومة للأخبار، الموقع متاح بتاريخ 10/ 6/ 2015. http://www.faceiraq.com/inews.php?id=3896839.

(8) د. محمد بسام يوسف، توماس فريدمان يكشف دوافع احتلال العراق، مقال منشور بتاريخ| 25/ 3/ 1431هـ. للمزيد يراجع الموقع: http://www.almoslim.net/node/125182.

(9) بدأ فجر الحضارة في العراق قبل الميلاد بـ (5000) سنة، أي قبل آلاف السنين =

1 - الاحتلال وسياسية حلّ المؤسسات العسكرية والأمنية العراقية:

شكل الاحتلال الأمريكي للعراق مرحلة مهمة في تاريخ المنطقة العربية بعامة، والعراق على وجه الخصوص، ودخل العراق مرحلة جديدة بكل معطياتها وتفاصيلها، منها ما هو ايجابي تمثل: بتغيير نظام الحكم السابق والشروع بنظام ديمقراطي جديد، ومنها ما دون ذلك سلبي تميز: بانتشار الطائفية والعنف والإرهاب واحتلال البلاد من قبل القوات الأجنبية وخارج إطار الشرعية الدولية[10]. وبعد مرور أكثر من شهرين على الاحتلال وبضغوط من قبل دولتي الاحتلال، اصدر مجلس الأمن الدولي القرار رقم (1483) في 5/ 5/ 2003، الذي عدَ كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا دولتا احتلال، وعليهما مسؤولية أخلاقية وإدارية في إدارة الشؤون العراقيين لحين إعادة السلطة إليهم، فعيَن الجنرال (جي كارنر) حاكماً عسكرياً للعراق وبعد مضي خمسة أسابيع على حكمه اعفي ونصب السفير الأمريكي (بول بريمر) حاكماً مدنياً بدلاً منه لمدة عام، سارع الأخير ومنذ تسلمه المنصب باتخاذ قرارات مهمة في مقدمتها حلّ المؤسسة العسكرية وتفكيك جميع مؤسسات الدولة العراقية الأخرى باستثناء وزارة النفط[11]. لان الحرب على العراق كانت إلى حدٍ ما من

= من ظهور أمريكا، وأبدع فيها الإنسان العراقي الكتابة لأول مرة في الربع الأخير من ألاف الرابع قبل الميلاد، وتطورت الحضارة في بلاد الرافدين بخطوات ثابتة وعلى مراحل متعاقبة، وظل العراق يتقدم في الفنون والزراعة والقانون وبناء الدولة وقت كانت أوربا تغرق في بحر الظلمات، وكانت أمريكا مزرعة طبيعية للهنود الحمر. عادل الجوجري، المصدر السابق، ص5.

(10) كان الهجوم الانكلو أمريكي الصاعق على العراق يوم 20/ 3/ 2003، قد قوَض الأمن الجماعي بشكل منهجي بعد أن خرج عن الشرعية الدولية بإجراء أحادي كان السبب في إعدام القانون الدولي الذي كانت الولايات المتحدة الأمريكية مهندسته ذات يوم. للمزيد يراجع: بنجامين ر. باربر، إمبراطورية الخوف: الحرب الإرهاب والديمقراطية، دار الكتاب العربي، بيروت، 2005، ص24.

(11) د. حسن تركي عمير، المؤسسة العسكرية العراقية في مواجهة التنظيمات الإرهابية: عوامل الانجاز ودواعي الإخفاق، مجلة دفاتر السياسة والقانون، العدد 12، كلية الحقوق والعلوم السياسية- جامعة قاصدي مرباح/ ورقلة، جمهورية الجزائر، كانون الثاني/ جانفي 2015، ص122.

اجل النفط، وواقع الحال أن منظري الإدارة الأمريكية توصلوا إلى أن العراق يشكل حجر الزاوية في السيطرة على المنطقة ولابد من نهب ثرواته لإنشاء ما يسمى بـ "حلم الإمبراطورية الأمريكية"[12]. وهذا ما أكده المفوض الأوربي لشؤون التنمية والمساعدات الإنسانية بول نيلسون ونشرته (الرأي) في 10/ 5/ 2003 بقوله: "أن أمريكا وضعت يدها على النفط العراقي... واعتقد أنها ستصبح عضواً في أوبك".

استمرار سياسة الولايات المتحدة الأمريكية القائمة على عدم تحمل المسؤولية في العراق بعد احتلاله في نيسان 2003، شكل مخالفة لكل القوانين والأعراف الدولية، لاسيما بعد أن اعترفت الأمم المتحدة فيما بعد اعترافاً تاماً وبصورة رسمية باحتلال الولايات المتحدة وبريطانيا للعراق من خلال القرار 1483 الذي سلم بالصلاحيات والمسؤوليات والالتزامات المحددة بموجب القانون الدولي المنطبق على هاتين الدولتين، بوصفهما دولتين قائمتين بالاحتلال، تحت قيادة موحدة اسماها القرار(السلطة)، بعد أن أشار القرار إلى ملاحظة رسالة هاتين الدولتين في الثامن من أيار/مايو 2003، إلى رئيس مجلس الأمن الدولي من خلال ممثليهما الدائمين لدى الأمم المتحدة[13].

كان لتدمير المؤسسة العسكرية والأمنية العراقية من قبل دولتي الاحتلال الأثر الكبير على الوضع الاستراتيجي والأمني للعراق، لاسيما بعد أن أصبح معظم مباني المؤسسات الأمنية والعسكرية العراقية قد دمرت بالكامل وسرقت محتوياتها الوثائقية، وتوزعت بين جهات عدَة سياسية أو مواطنين، وفي ذات الوقت أصدرت إدارة الاحتلال المتمثلة بالحاكم المدني الأمريكي الجنسية السفير بول بريمر[14] أمراً إدارياً ذي الرقم (2)

(12) محمد حسنين هيكل، القرار السياسي الأمريكي في زمن قادم، (مقال) منشور في مجلة وجهات نظر بتاريخ 1/ 3/ 2003.

(13) د.مثنى علي المهداوي ود. شكرية كوكز السراج، المصدر السابق، ص49 -50.

(14) أصبح السفير بول بريمر وفقاً لقرار مجلس الأمن الدولي يتمتع بجميع السلطات =

في 23 أيار 2003 يقضي بحلَ كافة الوزارات والتشكيلات القائمة على أمن الدولة العراقية، بما في ذلك جهاز الشرطة العراقية[15]، مما شجع البحث عن بدائل لمليء الفراغ، فكانت إحدى هذه البدائل تدفق هائل للشركات الأمنية الخاصة يصل عددها لأكثر من (76) شركة أمنية أجنبية (الملحق -أ- المرفق) تعمل في العراق ومن جنسيات عدَة بعضها معروف والبعض الأخر غير معروف[16]، جميعها منظمة في اتحاد واحد تحت اسم «اتحاد الشركات الأمنية في العراق» PSCAI.

ويقدر عدد الأفراد العاملين فيها ما بين (30- 50) ألف عنصر عام 2004[17]، ويبلغ حجم أعمال هذه الشركات في العراق إلى ما يقارب 100 مائة مليار دولار[18]، فضلاً عن ذلك افرز هذا الفراغ الأمني تشكيل مليشيات مسلحة برعاية دولتي الاحتلال ترتبط بالأحزاب والقوى السياسية العراقية الموالية لها يقدر عددها نحو(250) ألف شخص، كان البعض منها موجودة خارج العراق قبل الاحتلال[19].

= التنفيذية والتشريعية لسد الفراغ السياسي والأمني والإداري أثر حل البنى الأساسية والمؤسسية للدولة العراقية. للمزيد ينظر: الأمم المتحدة- مجلس الأمن الدولي (القرارات) الموقع المتاح: www.unhrain.com.

(15) د. محمود صالح الكروي ود. حسن تركي عمير، النظام السياسي في العراق بعد عام 2003: الواقع والتحديات، أعمال المؤتمر العلمي السنوي الرابع لكلية العلوم السياسية. جامعة السليمانية، العراق، 2013، ص41.

(16) د.مثنى علي المهداوي ود.شكرية كوكز السراج، المصدر السابق، ص64-67؛ بينما أشارة دراسة أخرى، أن هناك 160 شركة على الأقل تعمل في العراق وتستخدم ألاف العاملين في الخدمات والعمليات القتالية. مجدي حسين كامل: المصدر السابق، ص241.

(17) بينما تشير دراسات أخرى إلى ارتفاع عدد العاملين في الشركات الأمنية العاملة في العراق إلى (120) ألف عنصر عام 2006. عادل الجوجري، المصدر السابق، ص222.

(18) رائد فوزي حمود، لشركات الأمنية العاملة في العراق بين الإجراء الوقائي والعمل الهجومي، شبكة البصرة، 2007، للمزيد يراجع الموقع المتاح في 24/ 2/ 2015
https://www.google.iq/?gfe_rd=cr&ei=

(19) د. رشيد عمارة ود. أوميد رفيق فتاح، إشكالية السلطة والتسلط: دراسة في النظام السياسي العراقي بعد عام 2003، أعمال المؤتمر العلمي السنوي الرابع لكلية العلوم السياسية. جامعة السليمانية، العراق، 2013، ص29.

وفي ظل الاحتلال وتداعياته، باشرت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (CIA)، وبالتعاون مع القوى والأحزاب وبعض الشخصيات العراقية بالتحرك السريع لتشكيل منظومة أمنية جديدة من القيادات الوسطى والصغيرة في جهاز المخابرات العراقي السابق بقصد كسب تعاونهم، ولفرض السيطرة وتحقيق الأمن الداخلي، فضلاً عن كشف العناصر التي تقود المقاومة ضدهم، غير أن الاستجابة كانت ضعيفة[20]. ومما يلفت النظر أن هذه المحاولات والسعي الدءوب كانا يتم في الوقت الذي كانت بيانات قوات الاحتلال تتهمهم بأنهم وراء الأعمال القتالية التي تنفذ ضدها في عموم البلاد، ومثل هذه اللهجة والخطاب والاتهام قد تغيرت مع مطلع عام 2004، وبخاصة بعد اعتقال الرئيس العراقي الأسبق صدام حسين في كانون الأول / ديسمبر عام 2003[21].

هذه السياسات التي اتبعتها القوات الأمريكية والشركات الأمنية الخاصة الموالية لها أسست إلى انتشار هندسة الرعب وظاهرة العنف والقتل المفرط بين أبناء المجتمع الواحد، إذ سعت دولة الاحتلال أن تجعل من العراق ساحة لتصفية خصومها وأعدائها إقليمياً ودولياً فأضحى العراق مسرحاً لأجهزة المخابرات الإقليمية والدولية، فضلاً عن استخدام القوات الأمريكية للقوة المفرطة ضد أبناء الشعب العراقي، بعد ما وجدت عدم الترحيب بهم من قبل هذا الشعب باحتلالهم للبلد، بلغ ذلك ذروته عندما انتقل العنف والإرهاب إلى المجتمع العراقي، وأضحى هناك نوع من

---

(20) وبعد قرار الحلَ بخمسة أشهر تقريباً، اصدر بول بريمر بصفته مدير إدارة سلطة ألاتئلاف أمراً إدارياً بالرقم (22) في 8/ 8/ 2003، للإعادة تشكيل جيش عراقي جديد، انسجاماً مع قرارات مجلس الأمن الدولي بما فيها القرار رقم (1483) لسنة 2003.

(21) اعتقل الرئيس العراقي الأسبق صدام حسين من قبل قوات الاحتلال في محافظة صلاح الدين عام 2003 مسقط رئسه، بعد أن حكم العراق (24) عام، احتفظت به قوات الاحتلال لأكثر من ثلاث سنوات، ثم سلمته إلى الحكومة العراقية وتم إعدامه في التاسع من ذي الحجة (يوم عرفة) نهاية عام 2006 اثر حكم صادر عن القضاء العراقي.

الحرب الأهلية، إذ قتل مواطنين من المدنيين الأبرياء دون مسوغ شرعي أو قانوني[22].

وعلى أثر ذلك، فقد ركز الاحتلال الأمريكي قبل كل شيء على العناصر التي كانت تتعامل مع الشأن الإيراني والسوري، ولهذا سرعان ما تعرض هؤلاء ممن قبل العمل مع قوات الاحتلال الأمريكية للاغتيالات والملاحقة من قبل القوى المحسوبة على إيران بدافع الانتقام وربما بسبب نشاطات سابقة لهؤلاء.

وعندما أخفقت قوات الاحتلال بالوصول إلى أهدافها، قامت باعتقال عدد كبير من العناصر السابقة في معتقلات ومعسكرات خاصة، ومارست ضدهم الكثير من التعذيب والضغط كي يقبلوا التعاون معها، ومع ذلك، فإن ما تحقق كان ضعيفاً. وهذا يعيد للأذهان ما قامت به الإمبراطورية البريطانية التي تعدَ وليدة مغامرات جنود مأجورين، تم استخدمتهم أثناء حروبها السابقة[23].

وفي ميدان السيطرة على الشارع العراقي العام فقد تولى الجنرال كيرك[24] مهمة إعادة تشكيل قوات الشرطة العراقية إذ كان جلَ همَه تحقيق نوع من الحماية والأمن للمؤسسات والأفراد والمجموعات التي تخدم المجهود الحربي لقوات الاحتلال والعملية السياسية التي تسعى إدارته

---

(22) د. رشيد عمارة، ظاهرة العنف السياسي في العراق، مجلة دراسات عراقية، العدد صفر، عمَان/الأردن، 2009.

(23) تمكن ملك انكلترا ادوارد الأول (1239- 1307م) أثناء الحروب الصليبية عندما كان أميراً وبواسطة جيش من المرتزقة احتلال اسكتلندا وايرلندا وويلز وجعلها من بواكير أجزاء تلك الإمبراطورية، وقال: "إننا باستخدام المرتزقة نستطيع التأكد من أنهم لم يتركوا وراءهم غير عظام الأعداء، فهم ليس لهم من القدرات ولا الشفقة ما يجعلهم يعتنون بالأرامل والأيتام، وبعد ذلك فان من السهل علينا التخلص منهم عندما نريد". للمزيد يراجع: باسل يوسف: المرتزقة جيوش الظل، العبيكان للنشر، الرياض2008، م، ص72.

(24) كان يشغل منصب مدير شرطة نيويورك أثناء أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر عام 2001، والمالك الفعلي لشركة بلاك وتر إحدى الشركات لأمنية الخاصة العاملة في العراق والتي ارتكبت جرائم كبيرة ضد العراقيين.

تحقيقها في العراق، كتأمين حماية المؤسسات الدبلوماسية والسفارات وأنابيب النفط والإمداد والمعونة... الخ. ولكن بسبب سياسة الإقصاء وحلَ الجيش والمؤسسات الأمنية وإحالة أفرادها للتقاعد ورفض قسم من أفراد هذه المؤسسات العمل مع قوات الاحتلال، وجد كيرك ضالته بين الشباب العراقي العاطل عن العمل، ليعرض عليهم قبول التطوع في قوات الشرطة العراقية الجديدة، ولم يتم التدقيق بماضي هؤلاء، وهكذا انضم الكثير، وأعيد إلى الخدمة العناصر المطرودة سابقاً بسبب فسادها وإدانتها بجرائم الرشوة، يلاحظ بالمقابل إبعاد الكثير من العناصر الجيدة وذات الخبرة بسبب العزل السياسي.

وقد نجم عن هذه التجربة تجنيد أكثر من (150) ألف شرطي خلال بضع شهور، لكن عند الممارسة الميدانية اثبت هؤلاء عدم قدرتهم على فرض الأمن ومعالجة الفوضى أو الحد من أعمال المقاومة العراقية التي تصاعدت ضد قوات الاحتلال[25].

وإذا كانت هذه القوات قد تشكلت لأهداف خاصة، استدعى صياغة قوانين وتشريعات خاصة بها لأن أعضائها أو منتسبوها كانوا عراقيين حصراً على خلاف قوات أخرى أخذت بالتشكيل على أثر انهيار مؤسسات الدولة العراقية بعد الاحتلال ومنها الشركات الأمنية الخاصة[26].

تأتي هذه الشركات الأمنية الخاصة في المرتبة الثانية من حيث عدد

---

(25) بدأت المقاومة العراقية لقوات الاحتلال منذ العاشر من نيسان 3003 حين قتل جديين أمريكيين في العاصمة بغداد اثر هجمات نفذها المقاومون العراقيون ضد القوات المحتلة، وفقاً للبيان الرسمي الذي أعلنه البنتاغون الأمريكي في 12 نيسان 2003 بمقتل الرقيب جيفري ادوارد والرقيب تيري هيمنغواي، وهما ينتسبان إلى قوات المارنيز التابعة للفرقة الثالثة ومقرها ولاية جورجيا. للمزيد من الاطلاع عن المقاومة العراقية ينظر: وليد الزبيدي، البركان قصة انطلاق المقاومة العراقية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2014، ص94-95.

(26) رائد الحامد: شركات الحماية الأمنية في العراق، منشورات دار بابل للدراسات والإعلام-بحث منشور في شبكة المعلومات الانترنيت في20/ 9/ 2009 الموقع:
www.darbabl.net/studies/companies.doc.

أعضائها بعد جنود الولايات المتحدة الأمريكية في العراق[27]. وقد علقت صحيفة نيويورك تايمز عن أن السيناتور (جاك ريد) عن ولاية رود ايلاند الأمريكية وعضو لجنة القوات المسلحة في مجلس الشيوخ الأمريكي كتب في منتصف نيسان/ ابريل 2004 خطاباً إلى وزير الدفاع الأمريكي آنذاك رونالد رامسفيلد موقع من قبل اثني عشر عضواً من أعضاء مجلس الشيوخ الديمقراطيين جاء فيه: "إن إسناد مهمة حفظ الأمن في العراق إلى شركات أمنية بعقود خاصة يثير تساؤلات خطيرة... وان تدفق هذه الشركات فاقدة الخبرة على العراق قد يسهم في إيجاد مناخ من الفوضى في هذا البلد الممزق"[28].

وتجدر الإشارة إلى أن هنالك ثلاث تصنيفات لأعمال الشركات الأمنية الخاصة العاملة في العراق بعد الاحتلال منها تقدم خدمات دعم لوجستي، وشركات لإعادة الأعمار، وشركات الحماية الخاصة. وبقدر تعلق الأمر بالموضوع سنركز على الصنف الثالث مع الأخذ بنظر الاعتبار أن اغلب الشركات التي توفر الحماية والأمن تعمل أيضاً على توفير الدعم اللوجستي وإعادة الأعمار، ومن ابرز هذه الشركات، شركة تايكر سوان (R.O.O.T.S)، هاليبرتون (K.B.R)، بلاكووتر (B.W.C).

2 - نشأة وتطور الشركات الأمنية الخاصة في العراق

شهدت السنوات الأخيرة تزايداً في عدد شركات الحماية الأمنية الخاصة التي تمارس عمليات قتالية أثناء النزاعات المسلحة، وسنحاول في هذا المطلب تسليط الضوء على تعريف الشركات الأمنية الخاصة، ثم بيان نشأتها وتطورها، ومن ثم التعرف على أسباب انتشارها في العراق.

---

(27) د.السيد مصطفى أحمد أبو الخير: مستقبل الحروب (الشركات العسكرية والأمنية الدولية الخاصة)، دار ايتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2008م -ص136-140.

(28) نقلاً عن: د. رعد عبدالكريم، المرتزقة ودورهم القذر في العراق، شبكة البصرة، 20/ 7/ 2006.

أولاً: تعريف الشركات الأمنية الخاصة

لغرض الإلمام بتعريف الشركات الأمنية الخاصة لابد من بيان المعنى اللغوي والاصطلاحي:

أ - **المعنى اللغوي للفظة** "الشركة"، مصدر من **شرك يشرك**، يقال: أشركته في الاختلاط، والشركة أيضا أن يكون لاثنين فأكثر حق الانتفاع الجماعي من عين ما من الأعيان.أما لفظة "حماية " مأخوذة من حمى الشيء حمياً وحماية ومحمية: منعه ودفع عنه، والحمية والحماية: ما حمى الشيء[29]. أما لفظة (أمن) الأمان والأمانة بمعنى، وقد أمنت فانا آمن، وآمنت غيري من الأمن والأمان، والأمن نقيض الخوف، وفي التنزيل العزيز قال تعالى ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾[30] يقول ابن سيده: الأمن نقيض الخوف، آمن فلان أمناً وأَمَنًا، وحكى الزجاج: وأمنَهَ وأمناً فهو امن، والآمنة: الأمن[31]. بناء على ما تقدم، فان الشركات تستخدم ما تملك من قوة آلية وبشرية لتدفع عن الأشخاص المتعاقدين معها- طبيعية كانت أم معنوية - مخاطر يحذرها هؤلاء المتعاقدين، فتوفر لهم الحماية مقابل مال يدفع إلى هذه الشركات من مال.

ب - **المعنى الاصطلاحي**، لقد أطلقت العديد من المسميات على هذه الشركات كما اختلفت التعريفات للمعنى الاصطلاحي لها، فهناك من يسميها الشركات الأمنية العسكرية الخاصة، أو الشركات الفاعلة، وهناك من أطلق عليها تسمية الشركات العسكرية والأمنية الدولية الخاصة، أو شركات تأجير وتجنيد المرتزقة أو شركات المرتزقة، وذهب آخر إلى تسميتها بالشريك الصامت، كما يسميها البعض الآخر بالمتعهدين الأمنيين المدنيين، أو المتعاقدين الأمنيين، ويرجع تعدد التسميات إلى تعدد الزوايا

(29) محمد بن مكرم أبن منظور المصري الإفريقي: لسان العرب، ج2، مطبعة دار الحديث، القاهرة، بلاتأريخ، ص616.

(30) سورة قريش، الآية 4.

(31) محمد بن مكرم أبن منظور المصري الإفريقي: مصدر السابق، ج1، ص232.

التي ينظر منها إلى هذه الشركات والأفراد التابعين لها، و إلى النظر إلى طبيعة المهام التي تؤديها هذه الشركات، وأياً كانت التسمية التي تطلق على هذه الشركات فهي في النهاية تعني جميعاً تلك الشركات التي تقدم الخدمات العسكرية والأمنية لزبائنها[32].

ولم تكن التسميات التي أطلقت على هذه الشركات هي فقط التي اختلفت تبعاً لاختلاف زاوية النظر بالنسبة للمُسمي لتلك الشركات سواء من جانب الفقهاء أم من جانب القوانين الوطنية والدولية، وإنما اختلفت في التعريف، إذ ذهب جانب من الفقهاء إلى أن شركات الحماية الأمنية الخاصة ما هي إلا شركات لتجنيد وتأجير المرتزقة، ومنهم الدكتور عبد الحسين الشعبان حينما صاغ التعريف، اخذ بنظر الاعتبار ما جاء في الاتفاقية الدولية لمناهضة تجنيد المرتزقة واستخدامهم وتمويلهم وتدريبهم لعام 1989م[33].

ثانياً: نشأة وتطور الشركات الأمنية الخاصة

تُعدَ شركات الحماية الأمنية وفقاً للنظام القانوني الذي تعمل الآن في ظله هي حديثة العهد نسبياً، إلا أن هناك من يذهب إلى أن تأريخها الحقيقي يبدأ من فترة "ما قبل الثورة الفرنسية عام 1789م ويمتد إلى أيامها، إذ كان يعلق على المطاعم والفنادق لوحات تحظر دخولهم، بسبب سلوك وممارسات الجنود المرتزقة غير المقبولة جعلت منهم عنصراً مرفوضاً في المجتمعات الأوربية بصورة عامة"[34]. في حين يذهب آخرون ممن

---

(32) نقلاً عن: نغم حمد علي موسى الشاوي، المسؤولية الجزائية عن جرائم شركات الحماية الأمنية الخاصة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية القانون-جامعة تكريت، 2010، ص33-36.

(33) د. عبد الحسين شعبان: الذئاب الرمادية والحصانة القضائية، بحث منشور على الانترنت على الموقع: www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=111981.

(34) رائد الحامد: شركات الحماية الأمنية في العراق، منشورات دار بابل للدراسات والإعلام-بحث منشور في الانترنت على الموقع: www.darbabl.net/studies/companies.doc.

يصفون هذه الشركات على أساس الأعمال التي تقدمها لزبائنها بأنها: "عبارة عن شركات ارتزاق تقوم بقديم خدمات للأشخاص - دولاً وشركات وأفراد - الذين يطلبونهم، ويرجع أصل نشأة هذه الشركات إلى عصور نشأة الارتزاق"[35]. وقد تطور الأمر فلم تكتف بعض الممالك باستخدام العبيد ضمن جيوشها، وإنما لجأت إلى استئجار الغرباء لتقوية شوكتها، وقد تكون معركة (قادش) التي جرت على ضفة نهر العاصي في سوريا سنة 1288 ق.م بين المصريين بقيادة رمسيس الثاني والحيثيين بقيادة موتاللو، هي التجربة الأولى لاستخدام جنود مستأجرين يقاتلون مقابل أجر في سبيل قضية لا تعنيهم[36]، وكرر رمسيس الثالث استخدامهم لقتال عدو قوي يخشى بأسه وهم الفلسطينيون عام 1174ق.م، إذ وقعت معركة فاصلة دارت رحاها بين الطرفين في المدن الفلسطينية الساحلية (غزة، عسقلان وسدود) شاركت فيها أعداد غفيرة من الجنود الإغريق ضمن صفوف الجيش المصري[37]، أطلق عليهم اسم المرتزقة (Mercenaries)[38]، يشكلون

(35) د.السيد مصطفى أحمد أبو الخير: مستقبل الحروب (الشركات العسكرية والأمنية الدولية الخاصة)، ط1، دار ايتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2008م، ص136-140.

(36) د.حيدر أدهم عبد الهادي: الوضع القانوني للشركات الأمنية الخاصة، بحث مقدم إلى الحلقة نقاشية عقدها قسم الدراسات القانونية في بيت الحكمة، مطبعة الزمان، بغداد 2009، ص14.

(37) باسل يوسف النيرب: المرتزقة جيوش الظل، العبيكان للنشر، الرياض2008، ، ص11.

(38) عرفت الاتفاقية الدولية لمناهضة تجنيد المرتزقة واستخدامهم وتمويله موتدريبهم الصادرة في 1989 في المادة الأولى، أن المرتزق هو "أي شخص يجند خصيصاً، محلياً أو في الخارج للقتال في نزاع مسلح ويكون دافعه الأساسي الاشتراك في الأعمال العدائية هو الرغبة في تحقيق مغنم شخصي ويبدل له فعلاً من قبل طرف في النزاع، أو باسم هذا الطرف وعد بمكافأة مادية تزيد كثيراً على ما يوعد به المقاتلون ذوو الرتب والوظائف المماثلة في القوات المسلحة" وأضافت الاتفاقية شرطاً يتعلق بجنسية هذا الطرف كونه (لايكون من رعايا طرف في النزاع ولا من المقيمين في إقليم خاضع لسيطرة طرف في النزاع)؛ خلاصة القول: إن "المرتزق شخص يقوم بتقديم خدماته الأمنية أو العسكرية مقابل اجر". احمد عطية، القاموس السياسي، دار النهضة العربية، 1959، ص1166؛ ويعرفه أستاذ القانون الدولي في جامعة نانتير الفرنسية الأستاذ ألن بيليه بأنه: "ذلك الشخص الذي يدخل طرفاً في نزاع بدافع الربح، وهو عمل يمنعه القانون الدولي". =

هؤلاء المرتزقة القوة الثانية بعد قوات الولايات المتحدة بالعراق، ومنذ ذلك الحين أصبحت ظاهرة استخدامهمكمقاتلين في الحروب مقابل اجر مادي دون أن يكونوا من جنود تلك الدولة أو يتمتعون بجنسيتها، ثم انتشر هذا النظام في أغلب المدن الأوربية، بعد أن عمد زعماء الإقطاع في أوربا إلى إقرار مبدأ "مال الحماية" (Scutagium) ويعني أن تسليح رجل واحد بشكل جيد عوضاً عن تجنيد العديد من الفلاحين، إذ إن نوعية الجنود ومهاراتهم أكثر أهمية من عددهم، واستخدمت هذه المبالغ من أجل تجنيد المرتزقة[39].

ومع بداية العصر الحديث أصبح تنظيم عمل الشركات الأمنية بالاتساع، وأخذ يتبلور بشكل أوضح في الثلث الأخير من القرن العشرين خاصة في الدول الإفريقية التي غادرها الاستعمار الفرنسي والبريطاني، كما أدى انتهاء الحكم العنصري في جنوب أفريقيا إلى تدمير طبقة الضباط البيض إذ وجد البعض منهم أنفسهم بين عشية وضحاها عاطلين عن العمل، ساعد هذا الأمر على انتشار ظاهرة الصراع بين القوى الدولية على ثروات الدول النامية، مع غياب وعجز الأمم المتحدة عن القيام بدورها في حفظ السلم والأمن الدوليين[40].

ازدادت رقعة انتشار هذه الشركات الأمنية العملاقة التي تتخذ من القارات الخمس بؤرة لنشاطها، فنشأت شركات عسكرية وأمنية في الولايات المتحدة على -سبيل المثال- يفوق حجم الإنفاق وحجم التوظيف في القطاع الأمني الخاص ما هو الحال عليه في القطاع الأمني الحكومي الرسمي، وفي فرنسا تمارس الشركات الأمنية عملها بحرية تامة في أقاليم

= نقلا عن. د. أكرم المشهداني: جنود المرتزقة.. وقود الصراعات الدولية، مجلة المجتمع، العدد 1753، الصادر بتاريخ 26/ 5/ 2007، والمنشور على الموقع:
http://www.almujtamaa-mag.com/Detail.asp?InSectionID = 2332&.

(39) باسل يوسف النيرب: المصدر السابق، ص15.

(40) د. السيد مصطفى أحمد أبو الخير: مستقبل الحروب، مصدر السابق، ص173.

إفريقيا تحديداً، وتنشط الشركة البريطانية (G4) في (110) دولة وتوظف أكثر من 560 ألف موظف، والكيان الصهيوني وجنوب أفريقيا وغيرها من الدول، لتي تقوم بتقديم خدماتها لمن يطلبها نظير المال، حيث تصل الأجور إلى ما بين (400-600) دولار يومياً، وتصل أحياناً إلى (1000) دولار يومياً مما شجع اصحاب الكفاءات للهروب من المؤسسات العسكرية واللجوء اليها[41].

وعلى أثر ذلك، أنشأت أول شركة حماية أمنية خاصة من قبل عضو سابق في الفرقة البريطانية الخاصة يدعى جيم جونسون، كانت زبائنه في البداية شخصيات سياسية وتجارية دولية، وأقتصر عمل الشركة المذكورة على توفير الحماية وتدريب الحراسات الخاصة، ولكن سرعان ما أدى التنافس بين هذه الشركات إلى تنشيط هذه المهنة وانتقال عملها من الحماية الأمنية الخاصة إلى المشاركة في النزاعات المسلحة والحروب كما حدث في انغولا وزائير، ثم انتقلت الفكرة إلى الولايات المتحدة وبدأ العمل في تأسيس شركات امن خاصة وأهمها شركة كي بي آر (KBR) المملوكة من طرف هليبورتون والتي تأسست عام 1962، وقد بدأ العمل والتعاون بين الشركات العسكرية الخاصة والجيوش النظامية منذ حرب فيتنام وخصوصاً من قبل CIA ضمن برنامج سري عرف باسم (العمليات السوداء)، فكان المرتزقة يرسلون لتنفيذ عمليات اغتيال وتخريب ضد مواقع وشخصيات فيتنامية لا تريد الحكومة الأمريكية التورط فيها مباشرة[42].

وقد اشتهرت بعض الشركات التي تتولى القيام بمثل هذه الأعمال مقابل المال مثل جماعة (مايك المجنون) التي يقودها عسكري سابق يدعى (هوار) والذي لعب دوراً في قلب عدة حكومات منها انقلاب جزر سيشل

(41) د. بوحنية قوي، شركات الأمن الخاصة في أفريقيا: اذرع عسكرية للعولمة، مركز الجزيرة للدراسات، 12 نيسان/ ابريل 2015.

(42) د. السيد مصطفى احمد أبو الخير: الجوانب القانونية والسياسية للشركات العسكرية الدولية الخاصة، مصدر السابق، ص4.

عام 1981م، وجماعة السترات السوداء بقيادة الفرنسي (بوب دينار) الذي شارك عدة مرات في قلب نظام الحكم في جمهورية جزر القمر الإسلامية، ومجموعة (تيم سبايزر) التي لعبت دوراً في المحاولة الانقلابية الفاشلة في بابوا (غينيا الجديدة) وغيرها كثير، فضلاً عن حماية آبار النفط أو مناجم الماس كما في أفريقيا[43]. ثم تطور الوضع عما هو عليه أكثر في فترة ظهور ما يسمى بالعولمة أو (الأمركة) وما بعدها، وذلك على الصعيدين الوطني والدولي بشقيه الإقليمي والعالمي، حتى أصبحت شركات الحماية الأمنية الخاصة تخوض الحروب نيابة عن الدول (بالوكالة) تحت زعم أن القطاع الخاص إذا كان شريكاً في الأرباح فلا بد أن يكون أيضا شريكاً في المخاطر، وأصبحت هذه الشركات من سمات وآليات العولمة وفرض الهيمنة، ليس فقط على الدول، ولكن على المجتمع الدولي والنظام العالمي[44]. وتشير تقارير أخرى أن هذه الشركات تمتلك معسكرات تدريب ولها سجون، ولا تخضع للقوانين المحلية مما تشكل ثغرات واسعة في جدار السيادة التي تعده الدول أحد ابرز سماتها[45].

يضاف إلى ما سبق وظائف جديدة خاصة لهذه الشركات بعد تنامي عملها على نطاق واسع في عصر العولمة لتشمل تقديم خدمات التدريب والاستشارات العسكرية لقوات الجيش والشرطة في البلدان التي يعملون فيها، فضلاً عن بعض الوظائف التي تنجزها أجهزتها الأمنية الخاصة بها، منها تقديم الدعم اللوجستي للانتشار العسكري وصيانة نظم الأسلحة وحماية المباني، والمنشآت وحماية الأشخاص، وجمع المعلومات العسكرية وتحليلها، واحتجاز واستجواب السجناء، وفي بعض الحالات المشاركة في القتال.

---

(43) مجدي حسين كامل: بلاك ووتر جيوش الظلام، ط1، دار الكتاب العربي، دمشق- القاهرة 2008م، ص21.

(44) د. السيد مصطفى احمد أبو الخير: مستقبل الحروب، المصدر السابق، ص135-140.

(45) د. بوحنية قوي، المصدر السابق.

هذا التطور الهائل دعا الأمم المتحدة في الرابع من كانون الأول عام 1989 إلى تبني معاهدة دولية لمناهضة تجنيد المرتزقة واستخدامهم وتمويلهم وتدريبهم، في محاولة للحد من هذه الظاهرة[46]. ومع ذلك، شهد عقد التسعينات من القرن المنصرم نمواً متزايداً لمهام ودور هذه الشركات عرفت باسم الشركات الأمنية الخاصة (Firms Private security) أو (Private security Companies)، ففي حرب الخليج الثانية عام 1991 قدمت هذه الشركات دعماًلوجستياًوحصلت بالمقابل على مبالغ مالية كبيرة نظير توظيفها ما يعادل 1% من القوة العسكرية الأمريكية[47].

هذا التحول في إناطة هذه المهام للشركات الأمنية الخاصة عدَ بمثابة انقلاب في التقاليد العسكرية وتغييراً هائلاً في الطريقة التي سيتم بها تنفيذ الحروب مستقبلاً، على الرغم من وجود سوابق تاريخية قديمة، فلأول مرة في تاريخ الدول تتنازل الحكومات طوعاً عن احد أهم حقوقها وهو احتكار استخدام القوة، وإعطائه لشركات أمنية خاصة جعلت من العراق مسرحاً لجرائمها، بناءاً على عقود وقعتها مع الولايات المتحدة أو بريطانيا أو أطراف أخرى (هي ليست طرفاً في النزاع) كالسفارة السويسرية في بغداد التي توظف لديها حراساً أمنيين خاصين لحماية العاملين فيها[48].

ومن أشهر هذه الشركات العاملة في العراق في مجال الحماية الخاصة شركة كي. بي. آر. وبلاك ووتر وهليبورتون ودين كورب، وهي

---

(46) وقد صادق على هذه الاتفاقية أكثر من (32)دولة، للمزيد ينظر: تقرير الفريق العامل المعني باستخدام المرتزقة كوسيلة لانتهاك حقوق الإنسان وإعاقة ممارسة حق الشعوب في تقرير المصير، مجلس حقوق الإنسان، الدورة السابعة، الوثيقة رقم (A/HRC/7/7)، في 9 كانون الثاني 2008م، ص25.

(47) د. السيد مصطفى احمد أبو الخير: الجوانب القانونية والسياسية للشركات العسكرية، المصدر السابق، ص3.

(48) قبل الاحتلال كان إنشاء شركات حماية أمنية محظور بموجب القانون العراقي، ولكن بعد الاحتلال قامت سلطة الائتلاف المؤقتة (لمنحلة) بالتعاقد مع عدد كبير من شركات الحماية الأمنية الخاصة، وعدلت قانون الشركات رقم22 لسنة 1997م على نحوٍ يسمح بتأسيس شركات حماية أمنية عراقية تعمل في هذا المجال.

قادرة على تقديم عاملين على خطوط الجبهات الأمامية والخلفية ويعد الجيش الأمريكي من أهم المتعاملين معها في العالم، إذ يشغلون نسبة 10% من القوة العسكرية الأمريكية المتواجدة حالياً في العراق وغيره من مناطق النزاعات المسلحة التي تدخل الولايات المتحدة فيها طرفاً مباشراً أو غير مباشراً، وقد أنشأت هذه الشركات اتحاداً يدعى "اتحاد شركات الحماية الأمنية في العراق" ويضم أكثر من أربعين شركة[49].تعد شركة كي. بي. آر. الأكثر أهمية من بين شركات الدعم اللوجستي في العراق حيث تشغل نحو (50) ألف مرتزق بعضهم للقتال، لكن الأغلبية تعمل في الخدمات اللوجستية وخدمات التموين، ولديها عقد مع البنتاغون يصل إلى 11 مليار دولار، كما طلبت إدارة بوش الابن من الشركات الأمريكية العملاقة مثل بيكتل وهالبرتون أن تتقدم للحصول على عقود بمئات الملايين من الدولارات تدفع من عائدات النفط[50].

وتعتمد الولايات المتحدة على هذه الشركات لتنفيذ مهام حيوية في العراق بصورة هائلة تفوق ما فعلته أي حرب أخرى على مدى التاريخ العسكري الأمريكي كله، وان البنتاغون يعتمد الآن على هذه الشركات في توفير الجنود المرتزقة لتنفيذ مهام حيوية كان يكلف بها الجيش الأمريكي سابقاً، والمنتسبون لهذه الشركات هم من جميع أنحاء العالم، منهم جنود كوماندوز خدموا سابقاً في قوات البحرية في كارولينا الشمالية، ومنهم عسكريون من النيبال وجنود خدموا في نظام الفصل العنصري (الابرتايد) في جنوب أفريقيا[51].

---

(49) يضم هذا الاتحاد بعض شركات الحماية الأمنية العاملة في العراق، للمزيد حول هذا الاتحاد والشركات المنضوية تحت لوائه ينظر الموقع الرسمي لهذا الاتحاد على شبكة الانترنت http://www.pscai.org

(50) مصطفى الدباغ، امبراطورية تطفوا على سطح الارهاب..، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الاردن، 2004، السابق، لسيد مصطفى أحمد أبو الخير: مستقبل الحروب، المصدر السابق، ص133.

(51) عادل الجوجري، المصدر السابق، ص220-221.

ومن العاملين كذلك في هذه الشركات الموظفين الأمنيين الذين كانوا يعملون في حكومة الدكتاتور التشيلي السابق اوغستو بينوشيه Augusto pinochet[52]، وممن عملوا في حكومة الصربية أثناء حكم سلوبودان ميلوسوفيتش، ولبنانيون سبق وأن التحقوا في تنظيمات مسلحة إبان الحرب الأهلية في لبنان وآخرون لا يستبعد كونهم من قوات أنطوان لحد المتعاونة مع القوات الإسرائيلية قبل أن تتفرق بعد انسحاب إسرائيل من جنوب لبنان عام 2000م[53].

ومع زيادة الصراعات الدولية بدأت الشركات الأمنية الخاصة تضطلع بوظائف جديدة، كانت من قبل تدخل ضمن مهام الجيوش الوطنية كتأمين إمداد القوات المحاربة بالمؤن والسلاح والقتال، كما جرى في حروب أهلية في بعض الدول الأفريقية، وفي يوغسلافيا السابقة، وفي أفغانستان والعراق حالياً، ومن ذلك ما جرى في 7/ 3/ 2004م في زمبابوي حيث تم القبض على طائرة كانت تحمل سبعين من المرتزقة متجهين إلى غينيا الاستوائية لتدبير انقلاب عسكري مسلح هناك، لان تلك الدولة هي ثالث اكبر منتج للنفط في جنوب الصحراء الأفريقية بعد نيجيريا وانغولا، وفي 25/ 8/ 2004م اعتقلت سلطات جنوب أفريقيا مارك تاتشر نجل مارغريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا سابقاً لعلاقته بتلك المحاولة في جنوب أفريقيا[54].

كما تطورت المهام التي توكل لهذه الشركات بشكل لا سابق له في تاريخ الجيوش النظامية عامة والجيش الأمريكي والبريطاني خاصة، حيث

---

(52) رائد فوزي حمود: الشركات الأمنية العاملة في العراق بين الإجراء الوقائي والعمل الهجومي، منشورات دار بابل، بحث منشور في الانترنت على الموقع: /www.darbabl.net studies/3.5.doc. (آخر زيارة للموقع في 29/ 9/ 2009).

(53) د. أكرم عبد الرزاق المشهداني، جيوش المرتزقة (جرائم دون عقاب وخسائر بلا حساب)، مجلة المجتمع، العدد 1751، الصادرة في 12/ 5/ 2007. والمنشورة على الموقع: http://www.almujtamaa-mag.com/Detail.asp?.

(54) د. السيد مصطفى احمد أبو الخير، مستقبلالحروب، المصدر السابق، ص138.

توكل إليها مهام حراسة مشاريع ما يسمى بإعادة أعمار العراق، وحماية الشخصيات، وحماية قوافل الإمدادات التي تمر في مناطق تقع تحت سيطرة المقاومة العراقية، وحماية العديد من المؤسسات الحكومية العراقية الحساسة ومقر الحكومة وقوات الاحتلال التي تقع في المنطقة الخضراء[55].

نلاحظ من خلال هذا الاستعراض الموجز للتطور ألتأريخي لوجود ونشأة الشركات الأمنية الخاصة، أنها من حيث المهام والخدمات التي تقدمها لزبائنها موغلة في القدم ولا تختلف عن تنظيمات الارتزاق، بل هي عبارة عن شركات تقدم المرتزقة إلى الأشخاص المعنوية والأفراد مقابل المال تماماً كما كانت تعمل تنظيمات الارتزاق في السابق، إلا إنها من حيث كونها شركات (قانونية) حديثة عهد في النشوء، فهي شركات منظمة وتخضع لنظام التسجيل القانوني الذي يطال جميع الشركات الخاصة الاقتصادية، وهي تختلف من هذه الناحية عن تنظيمات الارتزاق التي لا يحويها أي إطار قانوني ولا يقرها أي عرف دولي أو اتفاقية دولية، بل إن العديد من الاتفاقيات ومنها اتفاقيات جنيف لعام 1949م كانت قد حرمت مهنة الارتزاق دولياً، وتعد شركات الحماية الأمنية الخاصة أكثر تطوراً من تنظيمات المرتزقة من ناحية التسليح، ولهذه الشركات كيانها القانوني والمادي الخاص بها وهو ما يمنحها شخصية مستقلة عكس تنظيمات المرتزقة التي لا تنشأ وفق نظام قانوني ولا يحتويها، وان اتحدا من حيث الغرض.

---

(55) تتصدر الشركات البريطانية القائمة في تحقيق هذه العوائد وان شركة واحدة فقط من هذه الشركات وهي شركة ايجيسAEGIS للخدمات الأمنية نجحت في رفع رأسمالها المدور من 554 ألف جنيه إسترليني قبل بدء الحرب على العراق عام 2003م إلى 62 مليون جنيه إسترليني عام 2005، ينظر مجدي حسين كامل: المصدر السابق، ص142.

ثالثاً: عن مصفوفة الأمن وبناءات الرعب

■ أ.م.د. حسن تركي عمير

مقدمة :

بعد انتهاء الحرب الباردة انتشرت وبشكل ملفت للنظر ظاهرة الشركات الأمنية الخاصة، باستبدال الجنود في أي مكان من العالم بمدنيين يملكون بنادق مؤجرة ولا يخضعون لأي من الإجراءات العقابية وفقاً لما جرت علية المعايير العسكرية المعروفة والمتفق عليها على المستوى الدولي وخصوصاً الإنساني. سيتم مناقشة هذا المبحث من خلال مطلبين: الأول يتناول شركات الأمنية الخاصة ونشر هندسة منطق الرعب في العراق؛ بينما يركز الأخر على الحصانة القانونية للشركات الأمنية التي فرضها الاحتلال والموقف العراقي الرسمي منها.

يقف وراء انتشار ظاهرة الشركات الأمنية الخاصة في العراق وما رافقها من تطور سريع للخصخصة في إطار عولمة الاقتصاد والتحول من حكومة مركزية إلى "لامركزية "، فضلاً عن تقليص حجم القوات المسلحة النظامية للدول، أدى ذلك بمجمله إلى تخفيضات هامة في القطاع العام لكل من البلدان المتقدمة والنامية. نجم عن عولمة الاقتصاد في العديد من "الدول المنهارة "آثار مدمرة، على الموارد الطبيعية، إلى جانب هندسة

الرعب وخصخصة العنف، التي تفرضها أطراف فاعلة في النزاعات المسلحة بسبب محاولات أطراف أجنبية ربط ثروات هذه الدول -النفط والغاز والماس والأخشاب والمعادن الثمينة - بالأسواق العالمية والسيطرة على اقتصادها الوطني، مع انحسار تقريبي للحروب التقليدية بين الدول التي تكون فيها خطوط المواجهة الأمامية واضحة.

أدت الاستعانة بالمصادر الخارجية لأداء عدد من الوظائف الأساسية التي درجت على أدائها الجيوش الوطنية أو قوات الشرطة، إلى طمس الحدود بين الخدمات العامة للدولة والقطاع التجاري الخاص، لتنشئ بذلك "منطقة رمادية " خطرة في مناطق النزاع المسلح، استثمرها موظفو شركات الحماية الأمنية والمتعاقدين معها كمدنيين ولكنهم يُسلَّحون كأفراد عسكريين، في هذه "المناطق الرمادية" مع عدم يقينهم مما إذا كان وضعهم فيها وضع مقاتلين أم مدنيين. وهذا يحصلفي حالات عدم الاستقرار ومن أهمها: المناطق التي تشهد نزاعاً مسلحاً -الحروب الجديدة المتسمة بتفاوت قوى الأطراف فيها- حيث لا تُنشر فيها الجيوش نشراً تاماً أو في حالات ما بعد انتهاء النزاع التي يرتفع فيها مستوى انعدام الأمن. وهذا ما حصل في العراق بعد الاحتلال.

لقد توسع دور القطاع الخاص في الحرب الأمريكية على العراق عام 1991ونخفض عدد القوات المسلحة العاملة من 2,1 مليون جندي إلى 1,4 مليون، ونظراً لما تبنته الإدارة الأمريكية من مبدأ واستراتيجية الهيمنة، تلك الاستراتيجية التي قادت إلى اتساع التزاماتها العسكرية على الساحة العالمية لاسيما في حرب أفغانستان والعراق وقبلها الصومال ومهام حفظ الأمن والسلام في البوسنة وكوسوفو، مما دفع وزارة الدفاع إلى سد النقص في الجيش باللجوء إلى القطاع الخاص، ولهذه الأسباب وغيرها، أعلن وزير الدفاع الأمريكي الاسبق (دونالد رامسفيلد) عن تبني سياسة جديدة يبعد فيها البنتاغون وتحريره من البيروقراطية التي باتت تهدد الأمن القومي الأمريكي

حسب تعبيره، وكان يعتقد بأن الحل بالاعتماد على القطاع الخاص، أي شركات الحماية الأمنية[1].

إن خصخصة القطاع العسكري هي ممارسة حديثة نسبياً بالنسبة للإدارة الأمريكـية على الرغم من إنها فكرة قديمة سبق وان استخدمتها الإدارات الأمريكية المتلاحقة لكن لم تكن بهذه الصورة التي هي عليها الآن، وربما يرجع استخدام القطاع المدني في الأعمال العسكرية على نطاق واسع في الولايات المتحدة إلى نائب الرئيس الأمريكي ديك تشيني في الفترة التي كان فيها وزيراً للدفاع أثناء رئاسة بوش الأب عندما طرح فكرة "The logistical side of contingency operations" مكنت هذه فكرة حصول شركة هاليبورتون على عقد لدراسة إمكانية توفير الدعم اللوجستي للقوات الأمريكية المنتشرة في العالم، ولم يكن أمر نجاح هذه العقود الخاصة بتلك الأهمية بقدر ما أصبحت هذه الشركات من اكبر الشركات المحتكرة للعمل العسكري الخاص، ففي الفترة ما بين كانون الثاني 1992م إلى آذار 1993 اصبحت هاليبورتون المورد الأساسي للمؤن والدعم اللوجستي للجيش الأمريكي في الصومال، فضلاً عن سعي الولايات المتحدة إلى الاستعانة بهذه الشركات ضمن رؤية ترى فيها أنها تخوض حرباً دائمة ضد الإرهاب، وتهيــئ في الوقت نفسه قواتها المسلحة للمواجهات الكبرى، فلا يمكن أن تضعف صورة زعامتها للعالم بانسحابها من مناطق ذات أهمية واقل استراتيجية، ولذلك تركتالمهام الاقل أهمية للقطاع الخاص للتخفيف عن قواتها المسلحة عبئ المهمات الأقل حيوية[2].

ولهذايذهب الدكتور أكرم المشهداني بالقول: "إن شركة بلاك ووتر

---

(1) نقلاً عن: د. السيد مصطفى أحمد أبو الخير: الجوانب القانونية والسياسية للشركات العسكرية الدولية الخاصة، مصدر السابق، ص20.

(2) المركز العربي للدراسات والأبحاث: شركات أمريكية خاصة في خضم الفوضى العراقية؛ بحث منشور على الانترنت على الموقع:
http://www.arabicenter.net/main/pdf/show.php?id=.

هي أول من ابتدع مفهوم الجيش المملوك للقطاع الخاص، بفكرة مفادها أن تقوم شركة بلاك ووتر بالتعاقد مع قيادات الجيش الأمريكي الذين انتهت خدمتهم في الجيش النظامي للإشراف على تشكيل عناصر مسلحة تقوم على أساس القطاع الخاص، وتكون قياداتها أمريكية، وينظم إليها أفراد وعناصر مستأجرون من جميع أنحاء العالم على طراز الشركات متعددة الجنسية"، وأهم ما يميز عمل العناصر الخاصة هي[3]:

أولاً: إن القتلى والجرحى لا يدخلون ضمن الإحصاءات الرسمية لقتلى الحرب كونهم مرتزقة غير مسجلين، وبالتالي لا يثيرون أية تداعيات سياسية أو اجتماعية داخل المجتمع الأمريكي.

ثانياً: إن هذه العناصر لا تخضع لأي قانون من قوانين الجيش الأمريكي وأنظمة عمله.

ثالثاً: أنهم يوفرون للإدارة الأمريكية القدرة الكافية في المناورة بعدد وحركة القوات المتواجدة في المناطق الساخنة الأخرى من العالم.

وقد مثل خطاب وزير الدفاع الأمريكي الأسبق دونالد رامسفيلد في 10/ 9/ 2001م شهادة ميلاد تلك الشركات، إذ انه صدر قبيل أحداث 11 أيلول 2001، جاء فيه: "إننا نواجه اليوم عدواً خطيراً يهدد أمن أميركا وكل من يرتدي الزي العسكري، ربما ينصرف ذهنكم إلى احد الطغاة في العصور السابقة ولكنه يحيا بين ظهرانينا، انه البيروقراطية التي تغتال وزارة الدفاع وانأ لا انوي مهاجمة البنتاغون بل تحريره من ذاته"، وفي صيف 2003 أزاح رامسفيلد الغموض الذي ورد في الخطاب السابق تحت عنوان التحول الثوري بالعسكرية الأمريكية قائلاً: "لقد قررت تبني

(3) د. أكرم المشهداني، المصدر السابق: http://www.almujtamaamag.com/Detail.a.

وإن شركة بلاك ووتر هي: شركة متخصصة في "تقديم الخدمات الأمنية والعسكرية، أي إنها شركة "مرتزقة" تقدم خدماتها للحكومات والأفراد في مجال التدريب المسلح والعمليات الخاصة".تتكون الشركة من تسعة شركات فرعية.

أنموذج تجاري بالبنتاغون يعلن الحرب على النمط البيروقراطي لترتدي ثوب المغامرين الرأسماليين"، وبهذا الإعلان جعل الشركات الأمنية الخاصة تحل محل البنتاغون في كثير من المهام، وفي النشرة الفصلية للبنتاغون لعام 2006م أعلن رامسفيلد أيضاً عن خطته التي أطلق عليها خارطة الطريق لأجل التغيير، وذكر إن تطبيقها الفعلي بدأ عام 2001، وصنفت قوات وزارة الدفاع إلى قوات عاملة واحتياط وخدمة ميدانية ومرتزقة وهؤلاء جميعاً يمثلون الكثافة القتالية لوزارة الدفاع الأمريكية[4].

لقد عملت الإدارة الأمريكية على إتاحة المجال أمام هذه الشركات لأنها تمنحها فرصة شن الحروب فيما وراء البحار بدون حاجة للحصول على موافقة من الكونغرس الأمريكي ويستخدم البنتاغون الأمريكي حالياً حوالي (700) ألف عنصر من هذه الشركات الخاصة التي أسهمت في شن الحـروب إلى الدرجـة التي يصعب على الجيش الأمريكي أن يشن حرباً بدون الاستعانة بها، ورغم السرية التي تفرض على تعامل البنتاغون مع هذه الشركات، إلا إن بعض المصادر تشير إن حوالي ثلث الميزانية التي خصصت للعمليات في العراق وأفغانستان ووسط آسيا البالغة (87) بليون دولار يتم إنفاقها على عقود مع شركات الحماية الأمنية[5].

وجاذبية هذه الشركات تتمثل في قلة الخسائر البشرية التي تتكبدها الدولة في أوضاع الحروب وفي حرفية العاملين في هذه الصناعة وقدراتهم التدريبية والقتالية على حدٍ سواء، وعلى حد تعبير الدكتور بيخلر: "سيكون تحت تصرفنا قوات حرفية أكثر فعَالية وشجاعة، أفضل من جيش ضعيف وغير مدرب في اطر محددة، وقد تساعد هذه القوات على فرض النظام وإعادته في دولة هشة، شريطة تواجد قيادة واضحة من الشريك العام"[6].

---

(4) عادل الجوجري، المصدر السابق، ص200-201.

(5) د. السيد مصطفى أحمد أبو الخير: مستقبل الحروب، المصدر السابق، ص136.

(6) إلهام مانع: خصخصة مسؤوليات الدولة الأمنية أصبحت واقعاً، تقرير منشور في الانترنت على الموقع: http://www.swissinfo.ch/ara/front.html?siteSect=109&sid.

وقد صف جورج دبليو بوش رئيس الولايات المتحدة الأمريكية السابق في خطابه الافتتاحي عام 2005 فترة ما بين نهاية الحرب الباردة وبداية الحرب على الإرهاب بـ (أعوام الاستراحة قبل بدء المعركة) ليأتي بعد ذلك يوم أطلاق النار، وقد جسد غزو العراق العودة العنيفة إلى التقنيات القديمة لفتوحات السوق الحرَة باستخدام الصدمات لإزالة كل الحواجز أمام بناء دول شركاتية.

وعلى اثر ذلك، شهد العراق بعد احتلاله مختلف المخططات الأجنبية والإقليمية الدموية لمحو كيانه وتقسيمه عموديا وأفقيا، وكانت ابرز العناصر المستهدفة (الشعب-الوطن-الدولة)، واستخدمت ضده عقيدة "الصدمة والترويع"[7] الأمريكية بطابعها العسكري والسياسي والاقتصادي والنفسي، وجرى بالفعل اقتلاع البني التحتية الاجتماعية وتفتيتها إلى هويات فرعية متناسلة، حتى أضحت الهوية الطائفية والاثنية عناوين رئيسية بديلة للشعب العراقي وكيانه الاعتباري في العالم، بغية نهب العراق بشكل منظم من قبل الشركات الأمنية الخاصة التي هندسة الرعب وما رافقه من

(7) هناك من الاستراتيجيين العسكريين من يقول أن نظرية أو استراتيجية الصدمة والترويع وليدة منظرها الأمريكي (هارلن اولمان) الأستاذ في الكلية العسكرية الأمريكية عام 1996 ويعمل حاليا في (معهد راند للاستشارات العسكرية) Rand ومعاونه (جيمس وود)... إلا أن التاريخ يثبت أن النازيون استخدموا هذه النظرية خلال الحرب العالمية الثانية ضد قرية (غارنيكا)عام 1937 التي كانت لا تمثل أي هدف عسكري بل كانت رمزاً لهوية وثقافة إقليم الباسك الاسباني التي دمرها النازيون من خلال قصف جوي امتد لثلاث ساعات احرق كل شئ بها وروع السكان وكسر روح المقاومة... والحال مع قنبلتي هيروشيما وناجازاكي وما هما إلا تكتيكاً وشكلاً عسكريا جديداً في ذلك الوقت الذي روع اليابان وجعلها ترفع راية الاستسلام... من هنا نخلص بان هذه الاستراتيجية ليست جديدة وإنما استخدمت كثيرا في الحروب السابقة وان لم تكن بنفس المسمى... وهنا لابد لنا أن نوضح ماذا تعني الصدمة والترويع أو الترهيب، نقول في البدء أن هذه النظرية أو الاستراتيجية لا تعتمد على مبادئ الحرب الأساسية المعروفة والتي من الاستحالة كسب معركة تقليدية من دونها أو من دون بعضها وهي المبادئ الستة عشر وأهمها: الهدف، المرونة، المفاجأة، الاقتصاد في الجهد، المناورة، الحشد، الهجوم، الروح المعنوية، وحدة القيادة، المبادأة، خفة الحركة، حرية العمل الخ. للمزيد ينظر: عمر خليل علي، استراتيجية الصدمة والترويع - وهل لغزوة أم درمان في مايو 2008 علاقة بهذه الاستراتيجية؟. للمزيد يراجع الموقع:
http://www.sudanile.com/index.php?option=com.

خوف وإرهاب، وباشرت على الفور باقتلاع الطبقة الوسطى والقدرة الصناعية والزراعية وكل مقومات التكامل الجيوبوليتيكي للعراق، وفصل الفكر الوطني عن الجسد العراقي، كل ذلك جرى خارج القانون من خلال التطهير الثقافي والقتل والتعذيبالمنظم التي تقف خلفها دوائر أجنبية وإقليمية وبأدوات عراقية موجهة[8].

كما أرسى الدستور المأزوم والعملية السياسية بشكلها الحالي دعائم التفكيك السياسي، المبني على الأدوات والمسميات السياسية الوافدة التي تتبنى تطبيق عقيدة ميلتون فريدمان "الرأسمالية والحرية" الدموية في العراق، والتي تبحث عن مجتمع مستحدث يتقبل مرتكزات هذه العقيدة الشاذة التي تبنى بالدم، وبشكل يشابه عملية "المخروط الجنوبي" في أمريكا الجنوبية (تشيلي والبرازيل والأرجنتين وبوليفيا) وتحت غطاء الحرب على الإرهاب الهلامي التفسير، التي استنزفت تلك الانظمة شعوبها وفق فلسفة الصدمة العسكرية والاقتصادية، وبتطبيق نظرية "الرعب كوسيلة مركزية في عملية التحول إلى السوق الحرة"، كما يمكن أن نلحظ الرعب العام والخاص في العراق بشكل واضح دون خجل أو مسائلة، بغية خصخصة أصول الدولة وفتح الأسواق بالقوة "النهب الحر" والبؤس المخطط له، والحد من الخدمات الاجتماعية التي يفترض أن تقدمها الدولة للمواطن، تلك هي عقيدة الشركات وزعانفها وسياستها في عالمنا اليوم، والتي تعمل وفق فلسفة الصدمة التي صممها أصحاب عقيدة "الصدم والترهيب العسكري"[9].

وفي أيار 2003 جاء الحاكم المدنيالأمريكي بول بريمر لينفذ ما خطط لهبتدمير العراق ويبيع أصول الدولة العراقية بالمزاد العلني بعد أن فككها واجتث الطبقة الوسطى وفتح أبواب الانتقام والاغتيال من أوسع أبوابه أمام

---

(8) عادل الجوجري، المصدر السابق، ص220- 221.

(9) د. مهند العزاوي، توأمة الصدمة والبطش المطلق في العراق، للمزيد يراجع الموقع:
http://www.mouwatana-iraqiya.com/e3372/e3372.html.

الشركات الأمنية الخاصة عندما منحها الحصانة الأمنية بصفته رئيس سلطة الائتلاف الحاكمة في العراق، وبما لا يتفق مع نصوص اتفاقيات جنيف الدولية. وعندما قاوم العراقيون مشروعه السيئ الصيت، تعرضوا للقتل والاعتقال والتعذيببالصدمات الجسدية والنفسية لفصل الحواس عن الجسد وتفكيك الشخصية وإعادة هندسة المجتمع عن طريق خلق فوضى دموية، نظرَت لها الادارة الأمريكية قبل الحرب وغذتها سوق الأفكار ليكون مصير الذين يعانون من انعدام القانون والنظام في حالة من "الخوف الدائم وخطر الموت العنيف" الذي تمارسه الشركات الأمنية الخاصة ومن بينها فضيحة استجواب وتعذيب المعتقلين في أبو غريب وبوكا[10].

لقد كانت الحرب الأمريكية على العراق عام 2003 ترتكز على "عقيدة الصدمة والترويع"[11]، التي أعلنتها كونداليزا رايس مستشارة الأمن القومي الأمريكي، ضمن فلسفة الحرب المركبة باستخدام القدرة المكتسبة عبر أدواتها السياسية والأمنية، وأبرز تلك المرتكزات هي:(التموضع

(10) بنجامين ر. باربر، المصدر السابق، ص63.

(11) مورست هذه العقيدة في مختبرات جامعة "ماكغيل" الكندية في مونتريال بالتعاون مع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية وذلك لفهم وإحداث طرق التعذيب الجسدية والنفسية التي تؤدي إلى تدمير الشخصيات وارتدادها الكلي - من شخصية رجل بالغ إلى شخصية طفل - وذلك لخلق النافذة أو الفرصة السانحة التي يصبح فيها التأثير على الناس سهل جدا للسيطرة عليهم وغسل عقولهم، وقد نتج عن هذه الدراسة دليل طرق التعذيب التي مورست ضد معتقلي سجن غوانتانامو وسجن أبو غريب، هذان النوعان من الصدمات ليس متواجدتان دائما هناك، لكنهما يتواجدان في نقاط الاتصال الرئيسية ألا وهي "صدمة التعذيب". كما حاول بول بريمير الترويج لها في العراق بعد الاحتلال عام 2003 فبينما كانت بغداد تحترق، أنه مزق نسيج التركيب البنيوي للاقتصاد العراقي وحول العراق إلى مختبر لتطبيق سياسات السوق الحرة الأكثر راديكالية، وهذه هي عقيدة الصدمة التي قصدتها أو تحدثت عنها ناءومي كلاين والتي لا تدعي بأن اليمينيين في حاضرنا المعاصر هم وحدهم من استغل ظروف أزمة معينة لتمرير أجنداتهم بلأن فكرة استغلال الأزمات ليست فريدة لهذه العقيدة الخاصة وانما طبقها الفاشيون والشيوعيون في السلطة، لكن هذه محاولة لفهم العقيدة التي نعايشها بشكل أفضل، العقيدة المهيمنة في عصرنا، والتي هي اقتصاد سوق غير مقيد. للمزيد يراجع الموقع: دجلة وحيد، كلاين وصعود رأسمالية الكارثة: عقيدة الصدمة، المصدر السابق: http://www.al-moharer.net/moh262/d_waheed262.htm.

العسكري، العمليات الانتقائية، الدبلوماسية المظللة، التفكيك السياسي، التفتيت الديموغرافي، اقتلاع المجتمعات واستبدال عقائدها السياسية والدينية وفق عمليات التقشير، واستخدام أساليب الرعب المطلق الخاص والعام)، ولعلنا نلحظ حمى "الحرب العالمية على الإرهاب" بطابعها الإيديولوجي الراديكالي، ومغذياتها الاقتصادية الجشعة وقد اتخذت أبعاد سياسية مختلفة، وأسهمت في نشر ثقافة القتل خارج القانون، وعززت الاحتراب بين الهويات الفرعية ضمن فلسفة "فرق تسد"[12]، التي أشار إليها الرئيس الأمريكي بوش الابن في ربيع عام 2002 عندما صرح قائلاً: "يجب أن ننقل المعركة إلى العدو ونحبط خططه ونواجه أدهى التهديدات قبل ظهورها"[13].

وفي هذا الصدد تقول ناءومي كلاين: "أن عقيدة الصدمة مثل كل العقائد تعني فلسفة القوة، لتحقيق الأهداف السياسية والاقتصادية، هذه الفلسفة تمسك بأفضل الطرق، وأثمنالأوقات، وتروج لأفكار السوق الحرَة الراديكالية التي تأتي في آثر أو مباشرة بعد حدوث صدمة رئيسية، لذلك حاول الحاكم الأمريكي بول بريمير الترويج لها في العراق أثناء الغزو، ففي الوقت الذي كانت بغداد تحترق، عمل على تمزيق وتفتيت التركيب البنيوي للاقتصاد العراقي وحوله إلى مختبر لتطبيق سياسات السوق الحرة الأكثر راديكالية"[14].

هذه العقيدة التي قصدتها أو تحدثت عنها ناءومي كلاين والتي لا تدعي بأن اليمينيين في حاضرنا المعاصر هم وحدهم من استغل ظروف أزمة معينة لتمرير أجنداتهم، بل لأن فكرة استغلال الأزمات ليست فريدة لهذه العقيدة، وإنما سبق وان طبقها الفاشيون والشيوعيون في السلطة.

---

(12) المصدر نفسه.

(13) بنجامين ر. باربر، المصدر السابق، ص79.

(14) دجلة وحيد، المصدر السابق.

لقدألغت هذه النظرية، مفهوم السيادة والدولة في العالم المعاصر لتؤمن للشركات الأمنية الخاصة ميادين النهب الحرَ وفق منطق هندسة الرعب، وتحت بند ورد في استراتيجية الأمن القومي الأمريكي الأخيرة نص على: إن الحرب التي تخوضها أميركا اليوم هي على القاعدة وشركائها الإرهابيين»، هذا توصيف هلامي فضفاض أجاز للولايات المتحدة الأمريكية توسيع ساحة الحرب من العراق وأفغانستان إلى ليبيا واليمن والسودان والصومال والجزائر وغالبية الدول العربية ضمن حرب التفكيك السياسي للدول العربية، والتي نشهد ملامحها بوضوح، من خلال تأكيد الاستراتيجية الأمريكية على ضرورة تحقيق النصر في العراق وأفغانستان؟ بإشراك الغرب والأضداد الإقليميين بغزواتها. وهذا ما أكدته قمة لشبونة حول طبيعة التحالف العسكري الأمريكي الأطلسي الروسي مؤخرا والمنهجية الاستعمارية المعاصرة، إذ برز جليا ليس في العراق فحسب بل في فلسطين ولبنان والكويت والبحرين واليمن والصومال والسودان ومصر والسعودية لاحقا، وفق نظرية الدومينو التي تنتهجها الإدارة الأمريكية لتفكيك العالم العربي سياسيا وديموغرافيا واقتصاديا انطلاقا من تفكيك العراق وقبله السودان. والحاللا يختلف كثيراًفي أفغانستانلان اللاعبين هم أنفسهم، ويعملون بنفس المنهجية مع اختلاف نسبي في البيئة.

كانت استراتيجية الأمن القومي الأمريكية قد ركزت على ما أسمتهم الفاعلين الغير حكوميين وهذا المتغير جوهري يشير إلى المتغير الحربي - الحرب المركبة - والتحول من حرب الجيوش إلى حرب الشعوب بغية الاستهداف الشامل للمجتمعات وفق حروب العقائد والمخابرات، والذي يعطي هلامية في توصيف وتفسير وتشخيص العدو، والذي تبنى عليه صناعة الإرهاب وهندسة الرعب والخوف وتجارة الأمن الأمريكية في العراق وأفغانستان ودول عربية أخرى، وبالتأكيد أن شكل الخارطة العربية سيتبدل تدريجيا وستتغير الحدود السياسية خلال السنوات القادمة، ولعل مثلث

العراق والسودان واليمن الذي تمارس فيه عقيدة الصدمة السياسية والاقتصادية والعسكرية والنفسية مع هندسة منطق الترويع والرعب المجتمعي الذي تمارسه الشركات الأمنية الخاصة، بات يدق خطر تفكيك هذه الدول ضمن فلسفة صناعة الدويلات والأنظمة التابعة.

إن اجتياح الشركات الأمنية الخاصة للعراق ومنحها حرية العمل الكاملة بعيداً عن الإرادة الوطنية، مكنها من خصخصة الوزارات العراقية كافة، وباتت تعمل بآمرة مستشارين أجانب حتى يتم أعداد جيل وكادر يطبق فلسفة فليدمان، فضلاً عن ولوج شركات إسرائيلية أسهمت في بناء الجدران الكونكريتية العالية، والتقنية في التعذيب والتحقيق، ولعل شواهد الجداران الكونكريتية في مدن ومناطق العراق لا تزال حتى اليوم، وقد صرفت عليها مليارات الدولارات من استحقاق الجياع في العراق، إضافة إلى الشركات المرتبطة بصناعة الأمن والتي بدورها تصنع بيئة الإرهاب لتسوق بضاعتها، ونشهد تناسل العوامل المغذية للعنف والاضطهاد والإقصاء للعمال والمزارعين واجتثاث الطبقة الوسطى والطبقة الفكرية، يضاف إلى ذلكحرص الولايات المتحدة على تعزيز النفوذ الإقليمي الإيراني والإسرائيلي كشركاء، وبنفس الوقت كرادع للمشروع الوطني العراقي، وإلغاء هويته العربية، تجسيداً لفلسفة محو العراق وإلغاء هويته الوطنية وارثه الحضاري، هذا وغيره ينسجم مع الأفكار والأطروحات التي تروج لفكرة الفوضى الخلاقة والشرق الأوسط الكبير[15].

لقد بات العراق اليوم في محنة كبيرة تتعلق بمستقبله ومستقبل أجياله، ويتجه واقعياً إلى التقسيم الطوعي لا سامح الله، وفقاً لما جاء فيالمشروع الأمريكي الأخير، وهنا تتضح رؤية "ريان كروكر" بما اسماه "الصبر الاستراتيجي"، الذي يعني به تفتيت الشعب وتغييب هويته الوطنية سلوكاً وممارسة وقوانين، فضلاً عنإدامة الاحتراب السياسي الطائفي

(15) عادل الجوجري، المصدر السابق، ص22.

والعرقي وقمع المجتمع، مع استمرار حملات التطهير الديموغرافي والإقصاء(توأمة القوة والإرهاب السياسي)، وذلك كله يحصل بتغييب منظومات القيم الوطنية عبر المتاجرة السياسية بالمذهب والطائفة على حساب العراق كوطن.

1 - الحصانة القانونية للشركات الأمنية وموقف الحكومات العراقية منها

أولاً: الحصانة القانونية للشركات الأمنية الخاصة العاملة في العراق

لا تخلو دولة من الدول من وجود مجموعة متكاملة أو شبه متكاملة من القواعد القانونية تحكم تصرفات جميع الأفراد في مجتمع تلك الدولة سواء كانوا رعايا أم أجانب، ولا يوجد في العالم الآن دولة يخلو نظامها القانوني من وجود قانون عقوبات نص على ما تجرمه الدولة من أفعال وبما تراه مناسباً من عقاب، هذا من الجانب الجنائي، أما من الجانب المدني، فإن جبر الضرر مضمون من خلال سلسلة القواعد التي تسند المسؤولية إلى مسبب الضرر، والعلاقة بين الخطأ والضرر ومن ثم إصلاح ذلك الضرر، وهي القواعد التي تمثل أُسس القوانين المدنية في الدول، فإذا ما ارتكب شخص جرماً، سيطال قانون العقوبات أو أي قانون عقابي نافذ، وإذا ما تسبب بضرر لآخر طالت أحكام القانون المدني، وهذه القاعدة يفترض أن لا يستثنى منها أحد بما فيهم مرتزقة الشركات الأمنية الخاصة التي تحاول الولايات المتحدة أن تصور للعالم بان هؤلاء المرتزقة إما مقاولون أو متعاقدون تقتصر مهامهم على أعمال الحراسة وتامين حماية المنشآت، بينماتشير الوقائع إلى أن بعض هؤلاء يمارسون مهام قتالية، وقد ارتكبوا جرائم تصنيف بأنها جرائم حرب[16].

لقد أقرت الأعراف الدولية، منذ القرن السادس عشر، الحصانة

---

(16) عادل الجوجري، المصدر السابق، ص221.

الدبلوماسية لرئيس البعثة الأجنبية ولأفرادها المتمتعين بالصفة الدبلوماسية، ولم يكن من سبيل لملاحقة الموظف الدبلوماسي، سواء أكان فعله شخصياً أم مرتبطاً بعمله الرسمي، ولا إلى مقاضاته مدنياً. ومع ذلك فقد عرفت اتفاقية فينا الحصانة وفقاً للقانون الدبلوماسي لعام 1961 بأنها: إعفاء الموظفين الدبلوماسيين استثناءً من الخضوع للقوانين الوطنية للدولة المضيفة للدبلوماسي، وذلك بغية تسهيل أداء عمله في وظيفته المهمة والحساسة، والتي تعني فيما تعنيه ان يقوم الدبلوماسي بالعمل النبيل والخير لتقريب دولته وشعبه إلى الشعب والدولة التي يمارس وظيفته الدبلوماسية على أراضيها، وفي حال خروجه على عمله الوظيفي، لا يطبق بحقهم القانون الوطني بل يؤمر بمغادرة الدولة المضيفة ([17]).

ومع ذلك فقد شَذَّ عنالقانون المدير الإداري لسلطة احتلال العراق بول بريمر عندما أصدر الأمر رقم 17 في 27/ 6/ 2003 والمعنون "وضع الائتلاف وبعثات الارتباط الأجنبية وموظفيها والمقاولين العاملين معها"، استثنى بهذا الأمرموظفي الائتلاف من أيإجراء قانوني في العراقي ومنحهم الحصانة القانونية من أية مسألة[18]، فتناولالأمر الحصانة في الفقرة (1) من القسم (2) ونصها: «تتمتع سلطة الائتلاف المؤقتة وقوات الائتلاف وبعثات الارتباط الأجنبية وممتلكاتها وأموالها وأصولها بالحصانة من الإجراءات القانونية العراقية». ويبدو أن حاجة المشروع الأمريكي للاستعانة بمرتزقة هذه الشركات أصبح ينظر له على انه صناعة قانونية وذات قيمة لابد من حمايته.

ولمعرفة من هم المشمولون بالحصانة بمقتضى الفقرة أعلاه، يتعين

---

(17) اتفاقية فينا للعلاقات الدبلوماسية العام 1961، المادين: 40 و90.

(18) عَرَّفت الفقرة (3) من القسم (1) الإجراءات القانونية: «يعني مصطلح إجراءات قانونية، أية إجراءات تتخذ لإلقاء القبض على شخص ما أو أشخاص أو لاحتجازهم، كما تعني إجراءات الدعاوى القانونية المتخذة في المحاكم العراقية أو أمام هيئات عراقية أخرى، سواء كانت مدنية أو إدارية ذات طابع آخر».

الرجوع إلى تعريف (موظفو الائتلاف) الوارد في الفقرة (1) من القسم الأول من الأمر رقم 17 لسنة 2003م ونصه- «يعني مصطلح موظفو الائتلاف جميع العسكريين غير العراقيين، وجميع الموظفين المدنيين المعينين للعمل مع قائد قوات الائتلاف أو تحت إمرته، أو مع قوات الائتلاف أو مع جميع القوات التي تستخدمها دولة عضو في الائتلاف بما في ذلك المدنيون الملحقون بهذه القوات، وكذلك جميع العسكريين غير العراقيين، وجميع الموظفين المدنيين المعينين للعمل مع مدير سلطة الائتلاف المؤقتة أو وفقا لتوجيهاته أو تحت إشرافه»، أما موظفو بعثات الارتباط الأجنبية فقد عرفتهم الفقرة (2) من القسم الأول بالقول: «يعني مصطلح موظفو بعثات الارتباط الأجنبية، الأفراد الذين أصدرت لهم وزارة الخارجية العراقية، تحت إشراف سلطة الائتلاف المؤقتة، بطاقات التعريف الخاصة بموظفي بعثات الارتباط الأجنبية». فالمشمولين بالحصانة المدنية والجزائية وعدم الخضوع للإجراء القانوني العراقي هم: موظفو الائتلاف وبعثات الارتباط الأجنبية، وبما أن العاملين في شركات الحماية الأمنية هم مدنيون، وليسوا عسكريون، وإن قاموا بأعمال عسكرية أو شبه عسكرية، الا أنهم يعملون تحت إمرة قوات الائتلاف وهم بمثابة مدنيين ملحقين بهذه القوات، فهم إذاً مشمولون بالحصانة المدنية والجزائية من الولاية القضائية العراقية، فالمعيار في حصانة شركات الحماية الأمنية الأجنبية هو التحقق من جهة تعاقدها، فإذا كانت متعاقدة مع سلطة الاحتلال أو أشخاصها عرفهم القانون، فهي تتمتع بالحصانة، أما إذا كانت جهة التعاقد هي الحكومة العراقية أو احد وزاراتها فهي غير محصنة قانونياً، ومثال ذلك، لو أن شركه بلاك وتر قد تعاقدت مع وزاره التجارة العراقية لحماية إمدادات وقوافل نقل المواد الغذائية، وارتكب أحد عناصرها جريمة أثناء تأديته لمهام عمله فإنه لن يتمتع بالحصانة ويمكن مساءلته جزائياً، فضلاً عن أن الشركة ستتحمل المسؤولية الجزائية إذا توافرت شروطها ولن تستفيد من الحصانة المقررة بالأمر رقم (17).

أما المقاولون، فحصانتهم -بتقديرنا- تقتصر على الجانب المدني المتعلق بأحكام وشروط عقودهم المبرمة مع قوات الائتلاف أو سلطة الائتلاف المؤقتة، نتيجة أعمال أدوها أو قصروا في أدائها، فالحصانة إذاً لا تمتد إلى الجانب الجزائي وهو أمر واضح الدلالة بمقتضى القسم (3) من الأمر رقم (17) لسنة 2003م[19].

أما العراقيون الذين يعملون مع قوات الائتلاف سواء كانوا مدنيين أم عسكريين، فهم مستثنون من الحصانة وفقاً لنص الفقرة (4) من القسم (2) من الأمر رقم (17) لسنة 2003: «يخضع جميع موظفي الائتلاف على نحو حصري للولاية القضائية لدولهم الأم، ويتمتعون بالحصانة من جميع الولايات القضائية المحلية الجنائية والمدنية والإدارية، ومن إلقاء القبض عليهم أو احتجازهم بأي شكل كان إلا من قبل أشخاص يعملون نيابة عن دولهم الأم، ولكن لا يوجد من أحكام هذه المادة أي نص يحول دون قيام موظفي قوات الائتلاف...احتجاز موظفي الائتلاف الذين يمكن أن يلحقوا ضرراً بأنفسهم أو بالآخرين احتجازاً مؤقتاً إلى أن يتم تسليمهم بسرعة

---

(19) حيث نص القسم الثالث من الأمر رقم (17) لسنة 2003م على أنه: «1- لا يخضع مقاولو الائتلاف والمقاولون من الباطن الذين يعملون معهم وموظفوهم، الذين لا يقيمون عادة في العراق، للقانون العراقي أو اللوائح التنظيمية العراقية في المسائل التي تتعلق بأحكام وشروط عقودهم المبرمة مع قوات الائتلاف أو سلطة الائتلاف المؤقتة، وباستثناء المقاولين من الباطن الذين يقيمون عادة في العراق، لا تخضع للقانون العراقي أو لوائحه التنظيمية إجراءات ترخيص وتسجيل موظفي مقاولي الائتلاف والمقاولين من الباطن العاملين معهم وكذلك أعمالهم التجارية وشركاتهم التيستخدمونها في تنفيذ عقودهم.

2 - يتمتع مقاولو الائتلاف والمقاولون من الباطن الذين يعملون معهم وكذلك موظفوهم، الذين لا يقيمون عادة في العراق، بالحصانة من الإجراءات القانونية العراقية بالنسبة للأعمال التي يؤدونها في إطار أنشطتهم الرسمية، وفقا لأحكام وشروط عقد مبرم بين احد المقاولين وقوات الائتلاف المؤقتة أو وفقاً لشروط عقد من الباطن.

3 - لا يتخذ ضد مقاولي الائتلاف والمقاولين من الباطن، وكذلك موظفيهم الذين لا يقيمون عادة في العراق، أي إجراء قانوني عراقي من جانب سلطة الائتلاف المؤقتة إلا بإذن مكتوب من المدير الإداري لسلطة الائتلاف المؤقتة، نتيجة أعمال أدوها أو قصروا في أدائها لأنشطتهم الرسمية بموجب أحكام وشروط عقد مبرم بينهم وبين الائتلاف المؤقتة».

لسلطات الدولة الأم ذات الاختصاص، وفي جميع هذه الظروف يحاط علماً وعلى الفور قائد القوة العسكرية التي ينتمي إليها الشخص المحتجز»[20].

ونستدل من ذلك أن العراقي العامل كموظف في قوات الائتلاف أو في شركة حماية أمنية أجنبية تخضع لسيطرة وتوجيه قوات الائتلاف، يخضع للولاية القضائية لدولته الأم وهي العراق، وبالنتيجة سواء ألقي القبض عليه من قبل السلطة المختصة في العراق، أو ألقي القبض عليه من قبل قوات الائتلاف عن جريمة ارتكبها أثناء عمله مع هذه القوات أو بسببها، فإن قوات الائتلاف ملزمة بتسليمه إلى دولته الأم وهي العراق بشرط إعلام قائد القوات العسكرية التي ينتمي إليها الشخص المحتجز.لذلك ليس صحيحاً ما ذهبت إليه محكمة جنايات صلاح الدين بصفتها التمييزية من شمول العراقيين العاملين مع قوات الائتلاف بالحصانة المنصوص عليها بالأمر رقم 17 لسنة 2003، واعتبارها تقاضي المتهم راتب من تلك القوات دليلاً على عمله معها[21]، مع التذكير بأن العمل بالأمر رقم (17) يعد منتهياً بعودة السيادة إلى العراق وإحلال القوات المتعددة الجنسيات محل قوات الاحتلال في العمل داخل العراق.

وأما بالنسبة لموظفي شركات الحماية الأمنية العراقية[22]، فيشملهم

---

(20) جريدة الوقائع العراقية لعام 2004.

(21) جاء في القرار أعلاه: «...كان المقتضى القانوني يوجب على قاضي التحقيق التأكد من الجهة التي يتبعها المتهم الموقوف « (ح.م) وقت ارتكاب الحادث، إذ أنه أفاد بأن لديه واجب مشترك مع قوات الاحتلال، وإن الجهة التي يتبعها المتهم هي الجهة التي يتقاضى راتبه منها وقت الحادث.فإذا كانت عراقية يقتضي مخاطبتها لحصول الموافقة الإحالة.وإن كانت قوات الاحتلال فبهذه الحال يوجب تطبيق الأمر 17 لسنة 2004)». القرار رقم 787/ت/ 2009م في 21/ 7/ 2009 (غير منشور). وفي الاتجاه نفسه ينظر: قرار محكمة جنايات صلاح الدين بصفتها التمييزية رقم 834/ج/ 2009م في 23/ 9/ 2009م (غير منشور).

(22) لم يكن لشركات الحماية الأمنية وجود في العراق قبل الاحتلال، ولكن ما أن صدرت مذكرة سلطة الائتلاف المؤقتة (المنحلة) رقم 17 لسنة 2004م، حتى ظهرت العديد من شركات الحماية الأمنية في وزارة الداخلية للعمل في المجال الأمني، وذلك للأرباح الهائلة التي =

القانون الوطني العراقي، ويخضعون للولاية القضائية للعراق كأي عراقي آخر وسواء كانوا مدنيين أم عسكريين، تطبيقاً لمبدأ الاختصاص الإقليمي إن كانت الجريمة مرتكبة في العراق[23]، كما يمكن أن يخضعوا لولاية القضاء العراقي في الجرائم المرتكبة في الخارج وفقاً لمبدأ الاختصاص العيني، أو الشخصي أو الشامل[24].

غير أن الأمر مختلف بالنسبة للأجانب العاملين في شركات الحماية الأمنية العراقية، وهنا يجب التمييز بين حالتين:

الأولى: عمل الشركة العراقية تحت سيطرة وتوجيه قوات الاحتلال، وهنا يتمتع العامل الأجنبي بالحصانة من الولاية القضائية العراقية، ويخضع للولاية القضائية لدولته الأم.

الثانية: عمل الشركة العراقية مع الحكومة أو المؤسسات العراقية أو شخصيات أو أحزاب أو منظمات عراقية أو أجنبية لا علاقة لها بقوات الاحتلال، وفي هذه الحالة، يخضع الأجنبي للولاية القضائية العراقية عند ارتكابه جريمة في العراق.

وهنا لابد لنا من القول أن هذا الأمر الصادر منالمدير الإداري لسلطة الائتلاف المؤقتة (المنحلة) يتعارض مع حق التقاضي الذي كفلته الدساتير العراقية، ومنها دستور العراق لعام 2005م الفقرة (ثالثاً)/ المادة (19) التي نصها: "التقاضي حق مصون ومكفول للجميع". فضلاً عن أنه يجافي مبادئ العدالة[25]، كما يُعد مخالفة صريحة لاتفاقية لاهاي لسنة 1907م

= تحصل عليها هذه الشركات. يراجع: عبد الكاظم الخزاعي، وضع الشركات الأمنية الأجنبية قبل الانسحاب الأمريكي وبعده، مجلة المستقبل العراقي، العدد 13، آذار 2008، ص85.

(23) يراجع: نصوص المواد (6-8) من قانون العقوبات العراقي رقم 111 لسنة 1969م (المعدل).

(24) يراجع: نصوص المواد (9-13) من قانون العقوبات العراقي رقم 111 لسنة 1969م (المعدل).

(25) فالعراقي إذا ما تعرض لقوات الاحتلال أو لأي من العاملين معها، فإنه =

حيث نصت المادة (43) منها: "إذا انتقلت سلطة القوة الشرعية بصورة فعلية إلى يد قوة الاحتلال، يتعين على هذه الأخيرة، قدر الإمكان، تحقيق الأمن والنظام العام وضمانه، **مع احترام القوانين السارية** في البلاد، إلا في حالات الضرورة القصوى التي تحول دون ذلك"، إذ إن هذه الحصانة لا تحترم القوانين السارية بالبلاد، كما إنها تتعارض مع جاء في المادة (64)من اتفاقية جنيف الرابعة لعام 1949م والتي أوجبت على دولة الاحتلال عدم تعديل قوانين الدولة التي احتلتها إلا للضرورة القصوى، ونصت: "تبقى التشريعات الجزائية الخاصة بالأراضي المحتلة نافذة، ما لم تلغها دولة الاحتلال أو تعطلها إذا كان فيها ما يهدد أمنها، أو يمثل عقبة في تطبيق هذه الاتفاقية..."، وإن سبب تشديد نص المادة على احترام القوانين الجزائية دون سواها، يعود إلى أنه لم تتم مراعاتها في النزاعات السابقة[26].

إن منح هذه الحصانة هو أمر مخالف لهذه الاتفاقية، وليس صحيح ما يتذرع به البعض بأن الحصانة لا تنتهك هذا النص بحجة أنها تؤمن عدم تهديد أمن الولايات المتحدة الأمريكية، إن مثل هذا التفسير للاستثناء الوارد في هذه المادة سيفرغ النص من محتواه، لأنه سيمنح الحق لأي دولة محتلة أن تمنح الحصانة لقواتها بذريعة الحفاظ على أمنها، مما يفسح المجال للقوات المحتلة أن تعيث في الأرض فساداً وترتكب الكثير من الانتهاكات بحق المواطنين دون محاسبة قانونية، وهذا بالتأكيد يناهض الغاية التي جاءت من أجلها اتفاقية جنيف الرابعة.فضلاً عن أن الغاية من هذه الحصانة الممنوحة لقوات الاحتلال والعاملين معها حمايتهم من الإجراءات القانونية العراقية إذا ارتكبوا جرائم في العراق، وليس عند

= يتعرض للمساءلة الجزائية، وربما تفرض بحقه أقسى العقوبات، ولكن المحتل أو من يعمل معه، إذا أرتكب أبشع الجرائم بحق العراقيين فإن يد القضاء العراقي مغلولة عن النظر بالجريمة.

(26) منظمة العفو الدولية: العراق (مسؤوليات دولة الاحتلال)، الوثيقة رقم /MDE 14/089 2003م، ص8: منشورة في شبكة الانترنت على الموقع:

http://ara.controlarms.org/library/Index/ARAMDE140892003?.

قيامهم بالتصدي لمن يهدد أمنهم، وبالنتيجة فإن الزعم بأن مثل هذه الحصانة تضمن أمن الولايات المتحدة، هو تفسير غير مقبول، فهل أن أمن الولايات المتحدة الأمريكية لا يتحقق إلا بارتكاب جرائم ضد العراقيين!؟.

ثم في عام 2004 أصدر المدير الإداري لسلطة الاحتلال بول بريمر مذكرة تحمل الرقم (17)، إلى جانب الأمر الإداري الرقم (17) المذكور أنفاً والذي يحمل الرقم نفسه، ونشرتا معاً في عدد واحد من جريدة الوقائع العراقية[27]. نظمت المذكرة عمل الشركات الأمنية الخاصة في العراق، ونصالفقرة (1) من القسم الثامن منها: «إن الدور الرئيسي للشركات الأمنية الخاصة هو الردع... وتكون الشركة الأمنية المرخصة مسئولة عن موظفيها، ويمكن أن يتم إدانة مسئولي الشركات الأمنية وموظفيها بموجب قانون الجنايات العراقي النافذ والقانون المدني وقانون العقوبات العراقي رقم 111 لعام 1969م المعدل، وقانون الأسلحة العراقي لعام 1992م المعدل وأمر سلطة الاحتلال رقم 3-السيطرة على الأسلحة - وما عدا ذلك ما هو محدد من قبل القانون». كما أوجبت الفقرة (2) من ذات القسم على وجوب خضوع شركات الحماية الأمنية وانسجامها «...مع كل القوانين الجنائية المطبقة والقوانين المدنية والتجارية والإدارية والتنظيمات....». وأكدت الفقرة (3) من القسم المذكور أن: «تلتزم الشركات الأمنية الخاصة بانجاز عملياتها وفق أحكام قواعد استخدام القوة المثبتة» ينظر الملحق(ب)[28].

ويقع رؤساء ومدراء شركات الحماية الأمنية في إطار المسؤولية ذاتها التي تحوط موظفيها والتي تم تفصيل الحديث عنها آنفاً، فيمكن مساءلتهم وفق النظام القانوني للدولة التي وقعت الجريمة على أرضها أو ضد رعاياها، أو الدولة التي تنتمي إليها الشركة بجنسيتها، أو ينتمي القائد أو

---

(27) جريدة الوقائع العراقية، ع 3985، في 1/ 7/ 2004م.

(28) ينظر: الملحق (ب) استخدام القوة: (ضوابط استخدام القوة من قبل المتعاقدين في العراق).

الرئيس بجنسيته إليها، ومن الواضح أن القسم الثامن صريح في دلالته على رفع الحصانة عن مسئولي شركات الحماية الأمنية وموظفيها عما يقترفوه من سلوك يخضع للمساءلة الجزائية وفقاً للقوانين العراقية النافذة، وتلك التي تخضع للمساءلة المدنية والتجارية والإدارية[29].

وأما الأمر ذي رقم 17 لسنة 2004م فقد أشار إلى الحصانة الجزائية والمدنية للقوات المتعددة الجنسية، وسلطة الائتلاف المؤقتة، وبعثات الارتباط الأجنبية، والمستشارين الدوليين، وقد نص في الفقرة (1) من القسم الثاني: «1. ما لم نص على خلافه في هذا الأمر، فإن القوات المتعددة الجنسيات[30]، وسلطة الائتلاف المؤقتة[31]، وبعثات الارتباط الأجنبية وأشخاصها[32]، وممتلكاتها وأموالها وأصولها، وكل المستشارين الدوليين[33] في حصانة من الإجراء القانوني العراقي». هذا الأمر في الحقيقة يشكل الأساس القانوني لوجود هذه الشركات في العراق، وفي المقدمة منها شركة بلاك ووتر التي أنشأت لتوفير الحماية للحاكم بول بريمر والمنطقة الخضراء فيما بعد.

---

(29) ينظر: المذكرة رقم (17) لسنة 2004، جريدة الوثائع العراقية لعام 2004.

(30) عرفت الفقرة (1) من القسم الأول من الأمر رقم 17 الصادر عن المدير الإداري لسلطة الائتلاف المؤقتة (المنحلة) "القوة متعددة الجنسيات" بأنها: «.. هي القوة المخولة بموجب قرارات مجلس الأمن المرقمة 1511 و1546 وبموجب أي قرارات لاحقة متعلقة بذلك».

(31) عرفت الفقرة (4) من القسم الأول من الأمر رقم 17 الصادر عن المدير الإداري لسلطة الائتلاف المؤقتة (المنحلة) "ملاك سلطة الائتلاف المؤقتة" بأنها: «.. كل الكادر المدني والعسكري غير العراقي المنتسب إلى، أو تحت توجيهات أو سيطرة المدير الإداري لسلطة الائتلاف المؤقتة..».

(32) عرفت الفقرة (6) من القسم الأول من الأمر رقم 17 الصادر عن المدير الإداريلسلطة الائتلاف المؤقتة (المنحلة) "بعثات الارتباط الأجنبية" بأنها: «تعني بعثات الممثلين العاملة من خلال الدول حتى الاول من تموز 2004م».

(33) عرفت الفقرة (18) من القسم الأول من الأمر رقم 17 الصادر عن المدير الإداري لسلطة الائتلاف المؤقتة (المنحلة) "المستشارين الدوليين" بأنهم: «.. الملاك غير العراقي الذي هو ليس من أشخاص سلطة الائتلاف المؤقتة وبعد 30 حزيران 2004م، وغير معتمد لدى البعثات الدبلوماسية، أو القنصلية ولكنة مرسل من قبل دولة مرسلة كمستشار للحكومة ومقبول رسميا من قبل الحكومة».

تأسيساً لما تقدم، فأن العاملين في شركات الحماية الأمنية الخاصة غير مشمولين بالحصانة المذكورة، والدليل، أن الأمر رقم (17) لسنة 2004م وضع تعريفاً خاصاً لهذه الشركات[34]، وبما أن لهذه الشركات تعريفها الخاص، فلا يمكن قانوناً والحالة هذه حشرالشركات المذكورة ضمن المشمولين بالحصانة بمقتضى نص الفقرة (1) من القسم الثاني، لأن ذكرهم في الفقرة المذكورة ورد على سبيل الحصر. وبالنتيجة فإننا نرى أن العاملين في شركة بلاك ووتر، بارتكابهم لجريمتهم النكراء في 17 أيلول 2007م والتي راح ضحيتها (37) موطن من المدنيين العراقيين في حادث إطلاق نار مروع تورط فيه حراس الشركة، وقد وقع الحادث عندما قام عناصر بلاكووتر، الذين يرافقون موكباً يضم مسؤولين بالخارجية الأمريكية في الساحة النسور الواقعة غربي بغداد، بإلقاء قنبلة يدوية داخل مدرسة للفتيات، وإطلاق النار باستخدام أسلحتهم الرشاشة على مدنيين من المارة . بالمقابل، نفت الشركة قيام عناصرها بأي عمل مسلح، ودعتبأن المتعهدين الأمنيين استعانوا بالقوة المطلوبة لحماية موكب تابع للخارجية الأمريكية، إثر تعرض الموكب للهجوم من قبل مسلحين، ورافق عمل شركة "بلاكووتر" الكثير من الحوادث والجدل، ففي مارس/آذار عام 2004، فقدت الشركة أربعة من عناصرها الأمريكيين الذين كانوا يوفرون الحماية لقافلة تموين للجيش الأمريكي بمدينة الفلوجة شمال غرب العاصمة بغداد، كما ظهر اسم الشركة في أبريل/نيسان عام 2005، حينما أسقط مسلحون مروحية تابعة لها، كانت تقل 11 شخصاً قتلوا جميعاً، 6 منهم

---

(34) عرفت الفقرة (14) من القسم الأول من الأمر رقم 17 الصادر عن المدير الإداري لسلطة الائتلاف المؤقتة (المنحلة) "شركات الأمن الخاصة" بأنها: «..تعني الكيانات القانونية غير العراقية أو الاشخاص غير العراقيين غير المقيمين عادة في العراق، بما في ذلك موظفيهم غير العراقيين ومتعاقديهم الثانويين غير المقيمين عادة في العراق، والتي تقدم خدمات تامين لبعثات الارتباط الاجنبية واشخاصها أو البعثات الدبلوماسية والقنصلية واشخاصها وقوات المتعددة الجنسيات وأشخاصها، والمستشارون الدوليون والمتعاقدون الآخرون». جريدة الوقائع العراقية، لعام 2004.

أمريكيين[35] وكان من الواجب الوطني تحريك عدد من الشكوى الجزائية ضدهم ومساءلتهم القضاء الجنائي العراقي.

أما السبب في عدم حصول هذه المقاضاة، فهو قوة البلد المحتل المسيطر على مقاليد الأمور وتفسيره للأمر بحسب مصلحته، وربما كان تفسيره للعاملين بهذه الشركات بأنهم جزءٌ من الكادر المدني الذي يعمل تحت توجيهات أو سيطرة القوات المتعددة الجنسية، وهم على أية حال وبمقتضى الفقرة (3) من القسم(2) من هذا الأمر يخضعون« إلى الاختصاص القضائي الشخصي لدولهم»، بمعنى أن المسؤولية الجزائية عن جريمتهم النكراء قائمة ولكن في بلدهم الأم.

وقد كشفت صحيفة الواشنطن بوست الأمريكية الصادرة يوم 31/ 3/ 2015، أن حكماً قضائياً قد صدربحق أربعة من عناصر شركة بلاك ووتر الأمنية والمتهمين بمقتل (17) وجرح أكثر من (20) موطن عراقي منالمدنيين العزل في ساحة النسور وسط العاصمة بغداد يوم 17/ 9/ 2009، إذ جرى تحريك الدعوة من قبل أُسر الضحايا وعرضها أمام القضاء الأمريكي، بعدأن فشل القضاء العراقي في محاكمتهم بذريعة الحصانة القانونية التي منحها الحاكم بول بريمر إلى الشركات الأمنية عام 2004، وجاء حكم قاضي المحكمة الجزائية رويس سي لامبيرث على المتهم (نيكولاس سليتن) بالسجن مدى الحياة للشروع في القتل(لأنه قال قبل حصول الجريمة لمقربين منه انه يريد قتل اكبر عدد من العراقيين كي ينتقم لإحداث 11 أيلول/ سبتمبر 2001)، ومعاقبة الثلاثة الآخرين وهم(باول سلوغ من ولاية تكساس، وايفان ليبرتي من ولاية نيوجرسي، وداستن هيرد من ولاية تينيسي) بالسجن ثلاثون سنة بعد إدانتهم في تشرين الأول بعدة تهم تتعلق بالقتل غير العمد. واصفاً حادثة النسور بأنها:

---

(35) محكمة أمريكية تعيد فتح قضية "مجزرة بلاكووتر" في 18 أيار/مايو 2011، للمزيد يراجع الرابط: http://archive.arabic.cnn.com/2011/middle_east/4/23/blackwater.case/.

"جريمة خطيرة...ومن الواضح أن المتهمين أصيبوا بالهلع"، وذكرت الصحيفة أن المحاكمة استغرقت عشرة أسابيع، واستمرت مداولات هيئة المحلفين (27) يوم قبل أن تتوصل إلى الحكم[36].

وكانت محكمة الاستئناف بالعاصمة الأمريكية واشنطن، التي ضمت ثلاثة قضاة، أمرت المحكمة الاتحادية بأن تعيد فتح القضية مجدداً، والنظر في اتهامات القتل الموجهة لعناصر "بلاكووتر" الأربعة، كل على حدة، فيما بدأت الحكومة الأمريكية تحركاتها لإسقاط التهم عن عنصر خامس بذات الشركة الأمنية المدعو (نيكولاس سلاتن)، وبالفعل قررت وزارة العدل إسقاط تلك التهم الواردة بحقه، كما أن قاضي المحكمة الاتحادية (ريكاردو أوربينا)هو الأخر أسقط جميع التهم الموجهة إلى حراس بلاكووتر الآخرين أواخر عام 2009، قائلاً: "إن السلطات العدلية الأمريكية استخدمت بشكل خاطئ اعترافات أدلى بها المتهمون تحت الإكراه، عندما تم تهديدهم بفقدان وظائفهم، معتبراً ذلك خرقاً للتعديل الخامس في الدستور الأمريكي".إلا أن محكمة الاستئناف أصدرت قراراً بإجماع قضاتها الثلاثة، بإعادة القضية مرة أخرى إلى المحكمة الاتحادية، والنظر في الأدلة التي قدمتها الحكومة الأمريكية والخاصة بكل متهم على حدة.

تسببت هذه الحادثة المروعة خلافات حادة بين الحكومتين الأمريكية والعراقية، اعتبرت الحكومة العراقية حادث ساحة النسور "جريمة متعمدة"، وألغت على آثرها رخصة شركة "بلاكووتر"، وحظرت عملها بصورة دائمة، كما أدانت بغداد قرار المحكمة الاتحادية بإسقاط التهم عن عناصر الشركة، ووصف أحد ضحايا الحادثقرار المحكمة الأمريكية بأنه يمثل "استخفافاً بدم العراقيين".

---

(36) نقلاً عن: المدى برس (صحيفة)، القضاء الأمريكي: السجن ثلاثون عاماً لمتورطين في مجزرة النسور، العدد 3337 في 2/ 4/ 2015؛ أحكام بالسجن بحق مرتزقة بلاك ووتر...، ينظر رابط صحيفة الوئام: http://www.alweeam.com.sa/331897/%25D.

إن مثل هذا التفسير يخرج عن نطاق التفسير القانوني لحرفية النص، كما أنه يمثل خروجاً وخرقاً لقواعد العدالة والإنصاف التي تقضي بمجازاة الفاعل عن فعله في البلد الذي ارتكب فيه جريمته، ليكون عامل ردع، ولترسيخ ثقة المجتمع بسلطته وقضائه، لكل ذلك نقترح إلغاء كافة الأوامر والمذكرات الصادرة عن سلطة الائتلاف المؤقتة (المنحلة)، وسن قوانين جديدة تحقق المصلحة الوطنية للعراق، خاصة بعد عادة ة السيادة إليه بانسحاب قوات الاحتلال نهاية عام 2011، وليس هناك ما يمنع قانوناً من إلغاء هذه الأوامر والمذكرات، فالعراق سبق وأن ألغى العمل بالأمر رقم (7) لسنة 2007 الصادر عن سلطة الائتلاف المؤقتة والمتعلق بعقوبة الإعدام، وأعادة العمل بها بعد أن كانت معلقة[37].

ومن جانبٍ ثانٍ، فإن المادة الثالثة من الاتفاق الموقع بين جمهورية العراق والولايات المتحدة الأمريكية بشأن الانسحاب من العراق وتنظيم أنشطة الولايات المتحدة خلال وجودها فيه، قد نص على أن: «يلتزم أفراد قوات الولايات المتحدة وأفراد العنصر المدني بواجب احترام القوانين والأعراف والتقاليد والعادات العراقية عند القيام بعمليات عسكرية بموجب هذا الاتفاق، ويمتنعون عن أي نشاط لا يتماشى مع نص وروح هذا الاتفاق، وعلى الولايات المتحدة واجب اتخاذ كافة الإجراءات الضرورية لهذا الغرض»، وبما أن لكل التزام ما يقابله من مساءلة وجزاء في حال عدم الوفاء به، لذلك نرى ضرورة إعادة النظر بالأوامر والمذكرات الخاصة بمنح الحصانة، وإعادة الولاية القضائية للقضاء العراقي على ما يرتكب من جرائم على أرضه من قبل مرتزقة الشركات الأمنية الأجنبية.

ومن جانب ثالث، هناك من يقول أن في الاتفاق الأمني الموقع بين العراق والولايات المتحدة الأمريكية (بنود سرية)، ومن بينها البند الثالث

---

(37) يلحظ ان الأمر رقم 3 الصادر عن مجلس الوزراء العراقي، والمنشور في جريدة الوقائع العراقية، العدد 3987 في أيلول 2004.

والذي نص على: «لا يجوز للحكومة العراقية، ولا لدوائر القضاء العراقي، محاسبة القوات الأمريكية وأفرادها، ويتم توسيع الحصانة لتشمل الشركات الأمنية والمدنية والعسكرية المتعاقدة مع الجيش الأمريكي»[38].

ولقطع دابر الشك والتأويل بحقيقة وجود بنود سرية في الاتفاقية من عدمه، يكون التدخل التشريعي بإصدار قانون يلغي العمل بأوامر ومذكرات سلطة الاحتلال وكل أمر له مدلول سياسي والاجتماعي فضلاً عن المدلول القانوني[39]. مثال ذلك عندما قام موظفو شركة بلاك ووتر باطلاق النار على المدنيين العراقيين في ساحة النسور ببغداد وأسفر الحادث عن سقوط العديد من الشهداء والجرحى، عَلَّقَ المالك لشركة بلاك ووتر (ايرك برينس) على ذلك أمام الكونغرس الأمريكي (إن أعوانه تصرفوا بطريقة ملائمة)[40]، وكان ومن المفترض أن يعقد الاختصاص للمحاكم العراقية (بوصفها محاكم الدولة صاحبة الإقليم)، فتختص هذه المحاكم بمساءلة حتى (ايريك برينس) وباقي القادة المسؤولين عن المجموعة التي قامت بارتكاب تلك الجريمة، حيث يعقد الاختصاص للقضاء العادي، ويتحمل من قام باطلاق النار المسؤولية وكذلك الرئيس المباشر له.وبما أن الجريمة تكتمل أركانها بتمام الركن المادي لها، وأن تصريحات ايرك برينس أمام الكونغرس الأمريكي تعد لاحقة لارتكاب الجريمة من ثم لا يمكن وصفها بأنها اتفاقاً جنائياً، إلا أن من الممكن قانوناً الاستدلال بنص المادة 48 من قانون العقوبات العراقي رقم 111 لعام 1969م (المعدل) والتي توضح صور

---

(38) باسيل يوسف، المصدر السابق، ص71.

(39) ومن الجدير بالذكر أن هناك مشاريع قوانين معروضة على مجلس النواب العراقي بخصوص إلغاء الأوامر الخاصة بالحصانة، إلا أنه وعند رجوعنا إلى الموقع الرسمي لمجلس النواب العراقي، وجدنا أن المجلس لم يجري أي قراءة لهذه المشاريع، مما يعكس عدم الرغبة أو عدم قدرة البرلمان الحالي وعجزه عن مناقشة مثل هذه الأمور رغم كونها تصب في صالح الشعب العراقي. ينظر: قائمة بمشاريع القوانين المعروضة على مجلس النواب العراقي، منشورة على الموقع: http://www.parliament.iq/Iraqi_Council_of_Representatives.

(40) محمد شريف: لجنة أممية تحذر من استخدام المرتزقة في النزاعات، تقرير منشور على الموقع: http://www.swissinfo.ch/ara/business.html?siteSect = 161&sid = .

الاشتراك في الجريمة ومن بينها صورة المساعدة، وذلك في الفقرة 3 منها والتي نصت على انه: «من أعطى الفاعل سلاحاً أو آلات أو أي شيء آخروستعمله في ارتكاب الجريمة مع علمه به، أو ساعده عمداً بأي طريقة أخرى في الأعمال المجهزة أو المسهلة أو المتممة لارتكابها»، ومن الواضح أن مالك شركة بلاك ووتر وكذلك مديرها الأعلى يعتبران ممن قام بتجهيز اتباعهم الذين قاموا بإطلاق النار بمختلف الأسلحة التي استخدموها بارتكاب الجريمة، وهما على علم بالتأكيد بأنهم سيقومون باستخدام هذه الأسلحة إلى مستوى ارتكاب جريمة وقد قبلا بذلك، وهذا يتجلى بوضوح من خلال إصرار مالك الشركة أمام الكونغرس الأمريكي على إباحة ما ارتكبه موظفو شركته ودفاعه عنهم.

ولكن لا يزل هذا السبيل الممكن والمتوفر لتحميل المسؤولية الجزائية لمدراء الشركات الأمنية الخاصة وكبار موظفيها بحاجة إلى المزيد من الدراسة والبحث في الممارسات العملية، والى موضوعية أكبر في تطبيقه، حيث لم يسبق قط تطبيقه على رؤساء لا يرتبطون بدولة أو مجموعة مسلحة معينة. لكن هذا لا يعني انعدام تلك الموضوعية تماماً، فقد تضمنت وثيقة مونترو بشأن الالتزامات القانونية والدولية والممارسات السليمة للدول ذات الصلة بعمليات الشركات العسكرية والأمنية الخاصة أثناء النزاع المسلح في 17 أيلول 2008م، النص على مسؤولية الرؤساء في المادة 27.

ثانياً: موقف العراق الرسمي من الحصانة القانونية للشركات الامنية

بعد ان تسلم الحاكم الأمريكي بول بريمر الحكم في العراق (2003-2004)، اصدر عام 2004 أمراً دارياً يمنح بموجبه حصانة قانونية للشركات الأمنية الأجنبية الخاصة، وبعد ارتكبت تلك الشركات جرائم متعدد ضد المواطنين العراقيين، أثار هذا الأمر جدلاً قانونياً بين البرلمانيين العراقيين فيما بعد، إذ رأى بعضهم انه مخالفاً للقوانين العراقية ومحرم بالقوانين الدولية ولابد من تشريع لإلغائه، فيما عد آخرون أن هناك مشروع قانون معروض للمناقشة في مجلس النواب بهذا الخصوص، وصرح بعض

المسئولين العراقيين ومن السلطتين التشريعية والتنفيذية: نحن نؤيده ونصوت على مشروع قانون إلغاء الحصانة التي شرعه بريمر. إذ أكد النائب السابق محسن السعدون عضو التحالف الكردستاني وعضو اللجنة القانونية في مجلس النواب (2006-2009) أن قرار رفع الحصانة الذي أصدرته رئاسة الوزراء أمر مخالف للقانون، وقال: "إن قرار الحكومة برفع الحصانة عن الشركات الأمنية مخالف للقانون بدليل انه تشريع وهذا التشريع لا يلغى إلا بتشريع أخر... والشركات الأمنية في العراق تعمل بموجب الأمرالإداري لسلطة الائتلاف رقم (17) لسنة 2004 وعلى الحكومة وكما طلبنا سابقا بأن تقدم طلباً على شكل تشريع قانون إلى مجلس النواب العراقي لإلغاء الحصانة عن تلك الشركات أو لتشريع قانون جديد يوضح العلاقة بين الشركات الأمنية الأجنبية والحكومة العراقية وخاصة وزارة الداخلية المكلفة بتقديم مثل هذا القانون إلى مجلس النواب". واستطرد قائلاً: "إلغاء الحصانة من قبل مجلس الوزراء بشكل شخصي غير وارد قانوناً، والجهة المكلفة بهذا الموضوع هما وزارة الداخلية والحكومة معاً عليهما تقديم الطلب إلى مجلس النواب لان الأمر (17) هو الذي يوضح العلاقة بين الشركات الأمنية والحكومة العراقية إضافة إلى بعض الأمور التي تتعلق بالمنظمات الدولية للمحافظة على السفارات وغيرها"، لكن النائب السعدون استدرك قائلاً " إننا مع قرار إلغاء الحصانة وبأسرع وقت نتيجة لما قامت به تلك الشركات من خرق أمني أدى إلى قتل الأبرياء من المدنيين في مناطق عدة من بغداد... ومع ذلك لابد من أن يكون هناك قانون أو تشريع لان هذه الشركات وجدت بأمر ولا يمكن إن يلغى هذا الأمرإلا بعد إن يشرع البرلمان العراقي وهو الوحيد القادر على ذلك، أماأن تتخذ الحكومة قراراً منفرداً فهذا يعدَ قراراً شخصياًوغير مقبولقانوناً وكان على المستشارين القانونيين لرئيس الوزراء إيضاح ذلك".

بينما النائب هادي العامري عضو المجلس الأعلى الإسلامي العراقي رئيس لجنة الأمن والدفاع في مجلس النواب (2010-2014)، قال: "نحن جادون بخصوص حسم الأمر الصادر من سلطة الائتلاف رقم (17)

وإعادة النظر به حتى لو تطلب إلغاء المذكرة بالكامل وتشريع مذكرة جديدة لآلية عمل الشركات الأمنية في العراق". وأضاف العامري: "ليس قضية رفع الحصانة هي المشكلة لوجود هذه الشركات بل توجد عدة نقاط ضعف بضمنها الحصانة وان ما جاء في الأمر (17) انه يحق للشركات الأمنية الخاصة استيراد أي سلاح يفكرون به من الأسلحة غير التقليدية، كما يحق لهم اقتناء المواد المتفجرة"، مضيفاً: "إننا جادون في إعادة النظر بالمذكرة التي وضعت من قبل سلطة الائتلاف وقرار الحكومة برفع الحصانة أمر جيد ونحن لن نكتفي بذلك بل سنذهب إلى بعد من رفع الحصانة وسنعيد النظر بكل فقرات المذكرة وأي شيء يمس السيادة الوطنية ويمس امن المواطن العراقي، وسنعيد النظر بوضع تشريع جديد في الوقت الذي نضمن به حرية عمل هذه الشركات ونضمن به سلامة المواطن العراقي"، وتابع العامري: إن "ضمن المذكرة (17) يحق لوزارة الداخلية إجراء التعديلات اللازمة على المذكرة وإذا اعتبرنا المذكرة كتشريع ولابد أن يلغى بتشريع فالمشروع الحكومي بموافقة رئاسة الوزراء على إلغاء الحصانة نعتبره مشروع قانون ونناقشه في مجلس النواب ونؤيده ونصوت عليه".

وكانت الحكومة العراقية قد قررت إلغاء أي قانون يعطي حصانة للشركات الأمنية الخاصة الأجنبية العاملة في البلاد، ونقل بيان عن المتحدث باسم الحكومة العراقية السابقة علي الدباغ أن مجلس الوزراء قرر في جلسة الثلاثاء "إلغاء شمول شركات الأمن الخاصة الأجنبية بأحكام قرار رقم 17 لسنة 2004 الصادر عن سلطة الائتلاف المؤقتة المنحلة (برئاسة بول بريمر)". وكان اللواء عبد الكريم خلف مدير غرفة القيادة الوطنية في وزارة الداخلية العراقية سابقاًصرح في 7/ 10/ 2007: "أعدت وزارة الداخلية مشروع قانونوأرسلناه إلى مجلس شورى الدولة، وهو في طريقه إلى البرلمان لتشريعه من عدمه...". وأوضح الدباغ: "وضعنا الشركات الأمنية تحت وصاية وزارة الداخلية وتحت القانون العراقي ونص القرار رقم واحد الصادر عن سلطة الائتلاف المؤقتة في 2004 إن الشركات الأمنية بما فيها حراسها وممتلكاتها وأموالها محصنة من إجراءات

القانون العراقي"، بمعنى أن الشركات غير خاضعة لقانون البلاد ولا يمكن مقاضاتها أمام المحاكم العراقية ولكنها ارتكبت خلال شهر واحد ثلاثة حوادث ضد المدنيين كان أهمها مقتل 17 مدنياً وجرح آخرين بنيران شركة بلاك ووتر الأميركية التي تعمل للصالح السفارة الأميركية في بغداد في 16 أيلول الماضي وهو ما أثار ردود فعل شعبية ورسمية عنيفة.؟ .فضلاً عن جرائم كثيرة حصلت في المدن العراقية أخرى من قبل هذه الشركات، ومنها اغتيال 530 عالماً عراقياً واكثر من 200 استاذ جامعي وشخصيات أكاديمية اخرى وطبقاً لتقرير اعدته وزارة الخارجية الامريكية لاطلاع الرئيس الامريكي عليه، اشار الى ان عناصر اسرئيلية واجنبية ارسلت من قبل الموساد الاسرائيلي بتنفيذ هذه الجرائم...

ومن الجدير بالذكر أن نشير لما واجهته حكومة الدكتور أياد علاوي المؤقتة (2004-2005) عندما أنظمت وصادقت على معاهدة روما لعام 1998، حيث انسحبت منها بعد مضي أسبوع على ذلك التصديق بسبب الضغوط التي مارستها الإدارة الأمريكية خشية لجوء الحكومة العراقية إلى محكمة الجنايات الدولية التي تختص بمحاكمة مجرمي الحرب، ومنهم الأمريكان ومرتزقتهم الذين ارتكبوا ويرتكبون جرائم مختلفة بحق العراق وموطنيه وممتلكاته وأثاره التي تصنف بجرائم حرب وإبادة ضد الإنسانية حيث ارتكبت عناصر الشركات الأمنية القتل والتعذيب والاغتصاب وغيرها.

الخاتمة وأهم الاستنتاجات

لقد أسس الاحتلال الانكلو-أمريكي للعراق، ومن بعده الأمر الذي أصدره الحاكم المدني الأمريكي الأرضية المناسبة لانتشار وتوسع ظاهرة الشركات الأمنية الخاصة في العراق، بعد أن منحها الامتيازات المالية والحصانة القانونية، مما جعلها لا تبالي في ارتكاب جرائم القتل والتعذيب والسرقة على امتداد الساحة العراقية.

وبعد الدراسة المعمقة في الموضوع، خلص البحث بجملة من

الاستنتاجات وعلى النحو الأتي:

1. أن فكرة خصخصة الحرب هدفها الرئيسي يقوم على إتاحة الفرصة للقطاع الخاص في الدولة للمشاركة في النشاطات العسكرية من خلال إسناد الوحدات المقاتلة بالإعمال اللوجستية من قبل الشركات الأمنية الخاصة، وذهبت وزارة الدفاع الأمريكية إلى ابعد من ذلك عندما استثمرت جهد هذه الشركات في العمليات القتالية في العراق.
2. نفذت الولايات المتحدة الأمريكية إثناء غزوها للعراق سياسة الصدمة الثلاثية التي ألغت مفهوم السيادة والدولة لتؤمن للشركات الأمنية الخاصة ميادين النهب الحر وفق منطق هندسة الرعب، وفلسفة القوة لتحقيق الأهداف السياسية والاقتصادية التي روج لها بريمر، فبعد أن فرضت الاحتلال، عملت على حلَ المؤسسة العسكرية والأمنية ليحل محلها الشركات الأمنية الخاصة التي بلغ عددها الإجمالي مابين (76 – 120) شركة.
3. كان لتدمير وحلً المؤسسة العسكرية والأمنية العراقية إلى جانب مؤسسات الدولة الأخرى من قبل دولتي الاحتلال الأثر الكبير على الوضع الاستراتيجي والأمني في العراق، مما شجع البحث عن بدائل لملئ الفراغ الأمني، فكان إحدى هذه البدائل تدفق هائل للشركات الأمنية الأجنبية إلى جانب المليشيات المسلحة التي ارتكبت اشبع الجرائم ضد المواطنين وعملت على نشر هندسة الرعب ونمو ظاهرة العنف والقتل المفرط بين أبناء الشعب العراقي.
4. احتلت الشركات الأمنية العاملة في العراق المرتبة الثانية بعد القوات الأمريكية من حيث العدَة والعدد، حيث أسهمت هذا الكم الهائل من الشركات الغير منضبطة قانوناً في إيجاد مناخ من الفوضى وعدم الاستقرار الأمني.
5. تشير الوقائع التاريخية أن فكرة نشوء واستخدام المرتزقة في الحروب ليست وليدة المرحلة الحالية، بل يعود إلى عصور الفراعنة عندما

استخدموا الجنود الإغريق مقابل أجور مالية الى الجيش المصري للقتال في فلسطين وسوريا عام 1174 ق.م.

6. أنشأت أول شركة حماية أمنية خاصة في العصر الحديث في بريطانيا من قبل عضوا سابق في الفرقة العسكرية البريطانية يدعى جيم جونسون، وكان اغلب العاملين فيها من السياسيين والتجار والعسكريين المتقاعدين شاركوا في النزاعات المسلحة كما حصل انغولا وزائير، ثم انتقلت هذه الفكرة إلى الولايات المتحدة التي أسست شركات أمنية عدَة كان من أبرزها شركة (KBR) عام 1962، قامت هذه الشركة بتجنيد المرتزقة ومن دول عدَة لتنفيذ عمليات الاغتيال والتخريب ضد مواقع وشخصيات في فيتنام، وعدَ هذا التحول في إناطة هذه المهام للشركات الأمنية الخاصة بمثابة انقلاب في التقاليد العسكرية، وهذا ما طبق في العراق بعد الاحتلال من قبل هذه الشركات وبخاصة شركة بلاك وتر سيئة الصيت التي تعدَ كبرى شركات تصدير فرق الموت.

7. هندسة الرعب وخصخصة العنف التي اتبعتها الشركات الأمنية الخاصة في العراق مهدَ لها الحاكم المدني الأمريكي بول بريمر من خلال تامين الحماية وتوفير الحصانة لها من الولاية القضائية العراقية، عندما أصدر الأمر رقم 17 والى جانبه المذكرة بذات الرقم عام 2003 كونه يرأس السلطتين التنفيذية التشريعية في العراق بموجب قرارات مجلس الأمن (1483 و1511 و1546).

8. إن الاستخدام المفرط للشركات الأمنية الخاصة في الحرب على العراق لا تُثير إي زوابع سياسية أو اجتماعية داخل الرأي العام الأمريكي لان قتلاها لا يدخلون ضمن الإحصائيات الرسمية لقتلى الحرب كونهم مرتزقة وغير مسجلين ضمن القوات العسكرية الرسمية، فضلاً عن أنها توفر للإدارة الأمريكية القدرة الكافية في المناورة بحركة قواتها في العالم، ويستخدم البنتاغون الأمريكي حالياً حولي (700) ألف مرتزق من العاملين في هذه الشركات.

9. لقد أرسى الدستور العراقي المأزوم والعملية السياسية المبنية على المحاصصة الطائفية والعرقية بشكلها الحالي إلى تبني تطبيق عقيدة مليتون فريدمان (الرأسمالية والحرية) الدموية في العراق، تحت غطاء الحرب على الإرهاب الهلامي التفسير، والذي ورد في إستراتجية الأمن القومي الأمريكي تحت بند نص على أن: "الحرب التي تخوضها أمريكا اليوم في العراق هي حرب على القاعدة وشركائها الإرهابيين".

10. لقد ارتكبت الشركات الأمنية الأجنبية الخاصة جرائم عدَة في العراق كان من أبرزها جريمة ساحة النسور التي ذهب ضحيتها 17 شهيد و20 جريح بدمٍ بارد، فضلاً عن اغتيال أكثر من 350 عالماً عراقياً من وأكثر من 200 أستاذ جامعي بالتعاون والتنسيق مع دولتي الاحتلال وحلفائهما.

الملحق (أ): جدول بالشركات الأمنية الخاصة العاملة في العراق (2003 - 2011)

ت	اسم الشركة باللغة العربية	اسم الشركة باللغة الانكليزية	الدولة
1	شركة سلامة العراق	(IRAQ SAFETY LLC.PSC)	امريكا
2	شركة جانوس الأمنية -العراق المحدودة	JANUS SECURITY -IRAQ	بريطانيا
3	شركة جي فوراس العراق المحدودة	G4S GROUP IRAQ LTD	بريطانيا
4	شركة اندرو كاين انتربرايز المحدودة	ANDREW KAIN ENTERPRISES LTD.PSC	بريطانيا
5	شركة كونسيلوملاستراتيجيات المخاطر المحدودة	CONSLIUM RISK STRATEGIES	بريطانيا
6	شركة الريشة الزرقاء المحدودة	BLUE HACKLE LIMITED	بريطانيا
7	شركة سالي يورت للخدمات العلمية	EOD TECNOLOGY & DEMINING INC	امريكا
8	شركة ريد	REED INC PSC)	امريكا
9	شركة أي او دي للتكنولوجيا وإزالة الألغام	EOD TECHNOLOGY & DEMININE INC	امريكا
10	شركة بريتام ديفينس المحدودة	BRITAM MEFENCE LTD.PSC)	بريطانيا
11	شركة مجموعة الموارد المتحدة	UNITY RESOURCES GROUP	الامارات
12	شركة تريبل كانوبي(أي.إن.سي)	TRIPLE CANOPY INC. PSC)	امريكا
13	شركة أيجز للخدمات الدفاعية المحدودة	(AEGIS DEFENSE SERVICES LTD. PSC)	بريطانيا
14	شركة هارت للخدمات الأمنية	(HART LTD.PSC)	قبرص
15	شركة أي أر أس أم المحدودة	EDINBUR RISK AND SECURITY (MANAGEMENT (E.R.M) PSC)	جمهورية موريشويس
16	شركة مجموعة السيطرة على المخاطر	CONTROL RISK GROUP (CRG) LTD	بريطانيا
17	شركة بيلكرمز للخدمات الأمنية المحدودة	PILGRIMS SECURITY SERVICES LTD	بريطانيا
18	شركة ايرنز العراق المحدودة	ERINYS IRAQ LIMITED	بريطانيا
19	شركة دينكورب انترناشونال ل.ال.سي	DYNCORP INTERNATIONAL LLK	امريكا

ت	اسم الشركة باللغة العربية	اسم الشركة باللغة الانكليزية	الدولة
20	الشركة الاستشارية للعمليات الخاصة وإدارة المجاميع الأمنية	(SOC -SMG INK.PSC)	امريكا
21	جلوبال (ميدل ايست) ستراتيجيز منطقة حرة ذ0م0م	GLOBAL (MIDDLE ESAT) RISK STRATEGIEX FZ-LLC	الامارات
22	شركة دبليو للاستشارات (المملكة المتحدة) المحدودة	GW CONSULTING (UK) LIMITED	بريطانيا
23	شركة رونكو للاستشارات	RONCO CONSULTING CORPOROTION	امريكا
24	شركة هورثون بروأكتف للحماية العامة	REPESENTATION OFFICE OF HAWTHORNE PROACTIVE CO	بريطانيا
25	شركة تايكر سوان للخدمات الامنية	REPESENTATION OFFICE OF TIGERSWAN SECURITY CO. INC	امريكا
26	شركة توريس ادفانيد انتربرايز سوليوشنز ذ0م0م	TORRES ADVACED ENTERPRISE SOLUTIONS REPESENTATION OFFICE	امريكا
27	شركة بي- أج -دفنس الامريكية	BH DEFENSE LLC FOR SECURITY SERVICES	امريكا
28	شركة أم. في. أم. أي. أن. سي للخدمات الامنية المحدودة	MVM. INC SERVICE SUPPORT SUCCESS	غير معروفة
29	شركة كريستون للخدمات الامنية	GRESTONE LIMITED	امريكا
30	شركة سكيوريفورسزانترناشنال فور بروجيكت مانجمنت	(SECURIFORCE INTERNATIONAL PSC)	غير معروفة
31	شركة سنتوريون رسك اسمنت سيرفسزالمحدودة	CENTURION RISK ASSESMENT SERVICES LIMITED	بريطانيا
32	شركة سيفنت للخدمات الامنية المحدودة	SAFENT SECURITY SERVICES	جنوب افريقيا
33	شركة انترناشنال سكاي جيس كوربوريشن	INTERNATIONAL SKYCHASE CORPORATION	امريكا
34	الشركة العالمية للخدمات الامنية المحدودة	UNIVERSAL SEXURITY LLC	امريكا
35	شركة باراتوس	غير مجازة من الحكومة العراقية حتى نهاية 2011	غير معروفة
36	شركة أوسيس	غير مجازة من الحكومة العراقية حتى نهاية 2011	غير معروفة

ت	اسم الشركة باللغة العربية	اسم الشركة باللغة الانكليزية	الدولة
37	شركة هارلو	غير مجازة من الحكومة العراقية حتى نهاية 2011	غير معروفة
38	شركة بلاك ووتر	BLACK WATER COMPANY	امريكا
39	شركة اكس اي سيرفيسز	XE SERVES COMPANY	امريكا
40	شركة ريفلكس رسبونسيز		الامارات
41	مجموعة امور غروب	AMMOUR GROUP	بريطانيا
42	شركة النتائج التنفيذية		امريكا
43	شركة ساندلاين	SANDLIAN SEC COMPANYURITY	امريكا
44	شركة الحلول التكتيكية	METEORIC TACTICAL SOLUTION	جنوب افريقيا
45	اي دي كونسلسي	AD CONSULTANCY	بريطانيا
46	اي كي اي المحدودة	AKE LIMITED	أمريكا
47	شركة بغداد	BAGHDAD FIRE &SECURITY	بغداد
48	شركة تيتان(تعذيب وتحقيق المعتقلين العراقيين)	TITAN COMPANY	أمريكا
49	مجموعة كونترول رسكي	CONTROL RISLS GROUP	لندن
50	ديليجنز الشرق الاوسط	DILIGENCW MIDDLE EAST	أمريكا
51	شركة غلوبل الشرقية	GLOBAL (MIDDLE EAST) RISKS STRA-TEGIES	إسرائيلية مقرهاالإمارات
52	شركة هيل وشركاؤه	HILL AND ASSOCIATES	هونج كونك
53	غروب فور فلاك	GROUP 4 FLACK	الهند
54	مجموعة اولف الامنية	OLIVE GROUP SECURITY	الإمارات
55	يونايتي رسورسز	UNITY RESOURCES	استراليا
56	دهداري جنرال تريدنج وكونتركتميج است	DEHDARI GENERAL TRANDING & CONTRACTINGEST	الكويت
57	سي أي سي أي الدولية (تعذيب وتحقيق المعتقلين العراقيين)	CACI INTERNATIONAL	أمريكا
58	شركة كي بي ار (هاليبرتون)	K.B.R COMPANY	أمريكا
59	شركة كستر باتلز	CUSTRE BATTLES	أمريكا
60	شركة غلوبل ريسك انترناشونال	GLOBAL RISK INTERNATIONAL	بريطانيا

ت	اسم الشركة باللغة العربية	اسم الشركة باللغة الانكليزية	الدولة
61	شـركـة مـليـتـاري بـروفـشـنـال ريـسورسز	MILITARY PROFESSIONAL (RE-SOURCES INK MPRI)	غير معروفة
62	شركو جيرخاسيكورتي	GURKHAS SECURITY GRAND	بريطانيا
63	شـركـو واكـيـنـهـت لـلـتـحـلـيـل الاستخباري	WACKENHUT COMPANY	أمريكا
64	شركة كيلوج براون اند روت	KELLOGG BROWN & ROOT	أمريكا
65	شركو بوز ألن هاملتون	BZ ALLEN HAMILTION	أمريكا
66	شركة بريتشسيكيورتي	BRITISH SECURITY COMPANY	بريطانيا
67	الشركة العراقية	IRAQI CONSTRUCTION COMPANY	بريطانيا
68	شركة اوميغا لتحليل المخاطر	OMEGA RISK SOLUTIONS	غير معروفة
69	شركة هارت سيكيورتي	HART SECURITY COMPANY	غير معروفة
70	بصرة هوستل فاير	HOSTILE FIRE BASRA	بريطانيا
71	كويشز كينسلتي	COCHISE CUNSULTANCY	غير معروفة
72	اس اي اس انترنشنال	SAS INTERNATIONAL (SUB TO ERINY-SINTL)	بريطانيا
73	اندرو كاين	KAIN ANDEEW	بريطانيا
74	ادنبرة	EDINBUR	بريطانيا
75	تي ام جي	T.M.G	غير معروفة
76	كونسليوم	KONSELEOM	غير معروفة

الملحق (ب): استخدام القوة:
(ضوابط استخدام القوة من قبل المتعاقدين في العراق)

لا يوجد في هذه الضوابط ما يحدد حقك الطبيعي بالتصرف الضروري للدفاع عن نفسك.

1 - **القوات الأمنية المتعاقدة**: تتعاون مع الائتلاف والقوات المتعددة الجنسية وقوات الأمن العراقية. وبما ينسجم مع سياسات حماية مسرح العمليات ولا تتجنب أو تتجاوز نقاط تفتيش الائتلاف أو القوات المتعددة الجنسية أو قوات الأمن العراقية وإذا كنت مخولا بحمل السلاح فلا تصوبه نحو قوات الائتلاف أو القوات المتعددة الجنسية أو قوات الأمن العراقية.

2 - **استخدام القوة المميتة**: إن القوة المميتة هي القوة التي يؤمن بها الشخص منطقيا انها قد تسبب الموت أو الضرر الجسدي الكبير، يمكن أن تستخدم القوة الضرورية إلى حد استخدام القوة المميتة ضد الأشخاص في الحالات التالية:

أ - في حالات الدفاع عن النفس.

ب - في حالة الدفاع عن الأشخاص المتعاقد على حمايتهم.

ت - لغرض منع تهديد حياة المدنيين.

3 - **القوة التدريجية**: يجب أن تستخدم القوة التدريجية عند الأمان وأدناه بعض تقنيات استخدام القوة التدريجية يمكن أن تستخدمها عندما لا يؤثر استخدامها على سلامتك أو سلامة الآخرين:

أ - الصراخ - التحذيرات الشفوية للتوقف.

ب - ادفع - جسديا أو أغلق المدخل أو احتجز.

ت - اظهر - سلاحك وبين النية على استخدامه.

ث - أطلق - لإزالة التهديد فقط عند الضرورة ة.

4 - إذا كان يجب عليك استخدام السلاح:

أ - أطلق إطلاقات مصوبة.

ب - أطلق مراعياً سلامة الأشخاص الأبرياء في المكان.

ت - بلغ عن الحوادث فوراً واطلب المساعدة.

5 - **المدنيين**: - عامل المدنيين بكرامة واحترام:

أ - ابذل قصارى جهدك لتجنب إصابة المدنيين.

ب - يمكن لك أن توقف أو تحتجز أو تفتش أو تجرد المدنيين من السلاح إذا كان ذلك مطلوبا لسلامتك أو محددا في العقد الخاص بك.

ت - تتم معاملة المدنيين بطريقة إنسانية.

ث - يتم تسليم المحتجزين المدنيين إلى الشرطة العراقية أو الائتلاف أو القوات المتعددة الجنسية حالما أمكن ذلك.

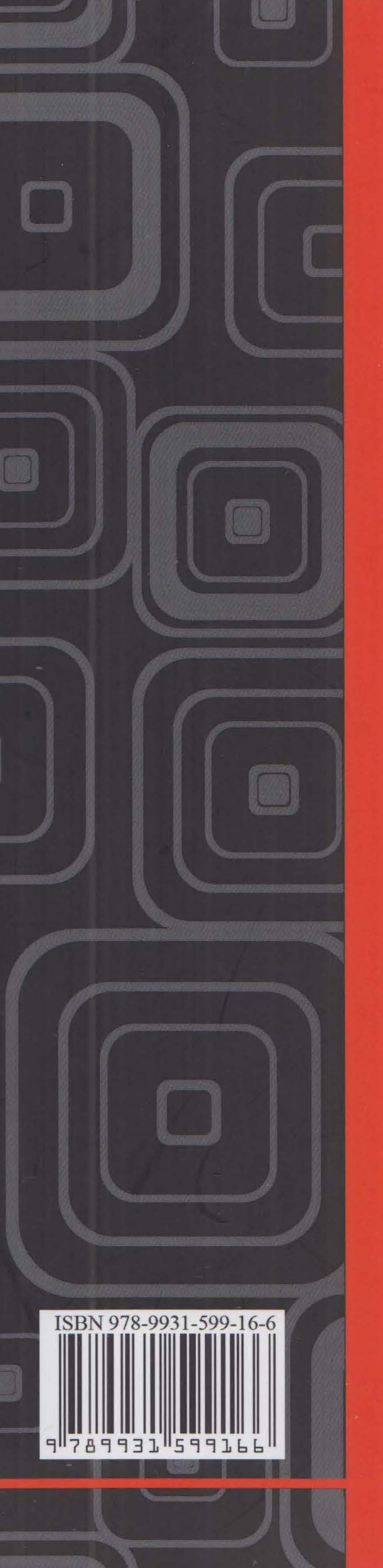
6 - امتلاك واستخدام الأسلحة: يتم تخويل امتلاك واستخدام الأسلحة من قبل وزارة الداخلية، على أن يتم تحديده في عقدك.

أ - يجب أن تحمل تخويل السلاح.

ب - يجب أن تحافظ على سجل مستمر لمستوى التدريب على السلاح.

ت - لا يمكنك المشاركة في معارك خاصة بالائتلاف أو القوات المتعددة الجنسية ما عدا حالات الدفاع عن النفس أو حالات الدفاع عن الأشخاص المذكورين في عقد العمل.

ث - يجب أن تتبع ضوابط استخدام الأسلحة الخاصة بقوات الائتلاف أو القوات المتعددة الجنسية فيما يخص الملء والتفريغ.



هـذا الكتـاب

كشفت مسؤولة المخابرات الأميركية فرانسيس ستونور ساوندرز النقاب عن مسؤولية هذه المخابرات في تأسيس منظمة الثقافة الحرة. وربما أتى هذا الكشف منسجماً مع مبدأ إخراج الوثائق التي يمر عليها 30 عاماً توضع بعدها في تناول الجمهور. وجاء هذا الكشف عبر كتاب لساوندرز حمل عنوان «المخابرات في سوق الثقافة – من يدفع للمزمرين؟». في هذا الكتاب تكشف المؤلفة دور المخابرات الأميركية في اختراق الأوساط الثقافية العالمية وتجنيدها لخدمتها بصورة مواربة وغير مباشرة. وهي تورد قائمة طويلة من الأسماء المعروفة في عالم الثقافة في أنحاء العالم بمن فيهم المثقفون العرب الذين تعاملوا مع هذه المنظمة. التي راحت تنشئ الفروع ومن ثم فروع الفروع. حتى أمكن الاستغناء عن المنظمة الأم والاعتماد على تفرعاتها السرطانية. وهذه المؤسسات تجد تربة خصبة في الدول الفقيرة التي لا تخصص ميزانيات كافية للثقافة وللبحوث العلمية والدراسات. الأمر الذي يسهل تغلغلها في أوساط مثقفي وباحثي تلك الدول.

تدس هذه المؤسسات أنفها في مواضيع ذات طابع ثقافي- اجتماعي يعتبر من أسرار المخدع. التي لا يجوز لغريب الاطلاع عليها.

الكتاب الذي بين أيديكم هي محاولة جادة ورصينة لمجموعة من الباحثين، وتعتبر خطوة مهمة لا تستحق إلا الثناء والتشجيع، هذا في إطار تحليل بعض الدوائر التي من الضروري الكشف عن سلوكاتها في إطار تعاظم الخطر الإرهابي وتنامي الشكوك حول الظاهرة.

من تقديم اللواء إبراهيم غارييف

ابن النديم للنشر والتوزيع

الجزائر: حي 180 مسكن عمارة 3
محل رقم ا، المحمدية
تلفاكس: 88 97 35 41 213+
خلـوي: 03 76 20 661 213+
email: nadimedition@yahoo.fr

دار الروافد الثقافية ـ ناشرون

الحمراء – شارع ليون – برج ليون، ط6
بيروت-لبنان – ص. ب. 113/6058
خلوي: 28 28 69 3 961+
هاتف: 37 04 74 1 961+
email: rw.culture@yahoo.com